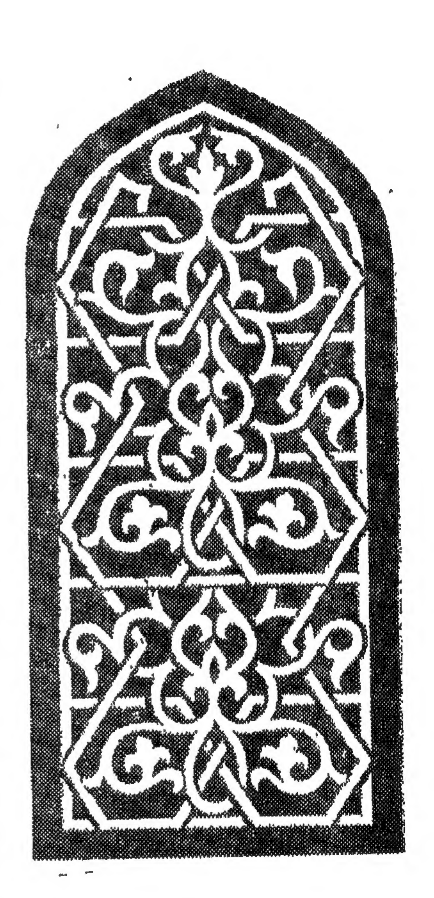
جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

الجزء الأول

الدكتورة سعاد ماهر محمد

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الاخـــراج والاشـــراف الفـــنى

عبدالســـلام الشـــريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله رب العالمين ، والصـــلاة والسلام على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

ربنا آتنـا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشـــدا ، وامنحنا العون حتى نقيم بهذا الكتاب أثرا يوضح آثار الأبرار . وعملا صالحا يباركه ذكر الصالحين الأخيار الذين يسر الله لهم فأقاموا هـــذه المساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، عبادة ودراسة وتقربا وتنويراً ، فلهم من الله حسن الجزاء ومنـا أطيب الثنـاء .

مقدمة

الحضارة أسمى وأبقى ما للأمة من تراث ، ولقد كان للعرب وللذين دخلوا فى الإسلام تراث ومشاركة وإبداع منذ أقدم العصور ، ولكنه لم يصبح عميقاً شاملا مضيئاً وهاجاً إلا بالإسلام ، الذى أمتدت فتوحه من الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، مستقراً فى بعض بلدانها ، ماراً أو مجاوراً بعضها الآخر . وكان لهؤلاء وهؤلاء علوم وفنون فأدخلوها فيه ومزجوا بين علومه وعلومهم ، وهنا سطع نور الإسلام بما أقام للعلم من دولة ، وللفنون من طلاوة وللصناعات من نهضة ، ولأسباب الحياة من أمن وتقدم وسعادة .

والحضارة المادية ونعنى بها الآثار الباقية ، هى أصدق قيلا أقوى دليلا من الحضارة المروية أو المكتوبة أو المأخوذة بالفهم والاستنتاج ، إذ لو ظفر علماء الحضارات بأعيانها وبواعثها لاجتمع لهم منها أدلة قائمة ، وموارد عامرة ، بأصول البحث عن الحضارات الإسلامية من أقدمها إلى أحدثها ، وذخيرة ذخيرة حافلة بوجود المقابلة بين كل حضارة منها ، وسائر أخواتها فى أطوارها المتتابعة .

وإذا كان علماء تاريخ الحضارة ، يعتمدون فى دراساتهم على مخلفات الأمم من التحف المنقولة من الأمتعة والأدوات وما إليها ، ليتعرفوا بها أحوالها وعاداتها ، وما كانت عليه فى حياتها ومعيشتها اليومية ، ويقيسوا بها درجاتها من التقدم والتخلف ، أو من الأصالة والتقليد ، ومبلغ اتصال هذا كله بالقدرة على تجويد الصناعة ، وتنويع حاجة المعيشة ، وحسن الفطنة والذوق السليم والمهارة الفنية . أقول إذا كانت التحف المنقولة لها هذا القدر عند علماء تاريخ الحضارة وهو قدر كبير ، فليس من شك فى أن التحف الثابتة ، ونعنى بها العمائر

والمبانى ، لها قدر أكبر وأكبر فى استنباط الحقائق الثابتة التى لا تهاب ولا تحابى ، ومن ثم فقد أضحت العمارة وما يماثلها من آثار قائمة فى مقدمة ما يحرص علماء تاريخ الحضارات على استنطاقها والاستماع إليها وعلى الوقوف على ما تخفى وما تعلن عند تدوينهم تراث الأقدمين .

وإذا كانت العمارة هى السجل الذى يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وإزدهار ، أو تدهور وتخلف ، فإن العمارة الإسلامية ، وخاصة الدينية منها قد سجلت لنا تاريخ الدول المتعاقبة وأعطتنا صورة صادقة عن منشئها . ذلك أن العقيدة الإسلامية ، التى تغلغلت فى نفوس معتنقيها لسماحتها ولملاءمتها لطبيعة النفس البشرية ولحرصها على الإسعاد فى الدارين، ارتبطت إرتباطاً وثيقاً بعمارة المساجد التى يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله .

ويعمرها الزاهدون ، والمتصوفون ، والذاكرون الله كثيراً ، والعارفين بالله . ويعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق وكلام . ومجالس الأدب من نحو وبلاغة ونقد ، وندوات الاجتماع التى تتعرض لسائر العلوم .

ويعمرها العلماء والفقهاء والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف ، والغريب ، ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين ، ويرفع صوته فيها الآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر ، والداعى إلى الخير .

فالمساجد دين وخلق وهدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ، ودنيا وقوة ، ودرك للعزة فى الأولى والفوز العظيم فى الآخرة .

وإذا أضفنا إلى كل ما تقدم أن يد الإصلاح والترميم كانت لا تتوانى ولا تتهاون فى رىء أى صدع يطرأ على المساجد القديمة ، أدركنا مدى ما تزخر به العمارة الإسلامية من أهمية . وإذا كان هذا هو حال العمارة فى العالم الإسلامى أجمع فإن مصر تزخر بعدد من العمائر يكفى لتسجيل أحداثها اليومية خلال الأربعة عشر قرناً التى مرت عليها منذ أعتناقها الدين الإسلامى الحنيف . ويكفى

للتدليل على ذلك أن نذكر أن مدينة القاهرة وحدها تحتوى على (٦٦٠) أثراً مسجلا ، هذا إلى المشاهد والأضرحة التى يبلغ عددها بضعة الآلاف .

لذلك فقد وجدت لزاماً على وأنا أشغل كرسى العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة ، أن أتناول بالبحث والدراسة تاريخ هذه العمائر ، خاصة وأنه ليس فى كتب العرب من المحدثين من تناول هذا الموضوع قبلى ، اللهم إلا المرحوم حسن عبد الوهاب فى كتابه « تاريخ المساجد الأثرية » وأنه مما يؤكد علىّ هذا البحث أن هذا الكتاب قد نفدت طبعته من الأسواق منذ أمد بعيد . هذا إلى أننى لم أكتف بتاريخ المساجد فحسب بل تناولت كذلك تاريخ المشاهد والأضرحة والمزارات وتراجم أصحابها التى كان لهم أثر يذكر فى تاريخ البلاد سواء أكان من الناحية السياسية أو العلمية أو الاجتماعية أو كان صاحبه من أولياء الله الصالحين .

ولذلك فقد أسميت كتابى « مساجد مصر وأولياؤها الصالحون » الذين تنشرح بذكرهم الصدور ، وتعمر القلوب ، وتتوثب الهمم ، لما فيها من عظة حافلة ، وعبرة بالغة ولما لهم علينا من حق يشرفنا أداؤه ويسعدنا قضاؤه .

وقد بدأت بدراسة عمارة المسجد منذ البداية فتناولت عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدرجت فى تسلسل زمنى حتى وصلت فى الجزء الأول إلى العصر الفاطمى ، وسيتبع ذلك بمشيئة الله تعالى الجزء الثانى الذى سيتناول عمائر العصر الأيوبى وجزءاً من العصر المملوكى والجزء الثالث سيتناول باقى العصر المملوكى ، والجزء الرابع سيتناول العصر العثمانى ، هذا إذا كان فى العمر بقية .

وقد رأيت أن أجمع فى دراسة هذه العمائر بين ترجمة المنشئ أو صاحب الضريح والتاريخ السياسى للفترة التى أنشئ فيها الأثر ، كما تناولت فى كثير من الأحيان دراسة تاريخ البلد أو الحى الذى يوجد فيه الأثر . وأتبعت هذه الدراسة بوصف معمارى للأثر منذ نشأته والاصلاحات والترميمات التى أجريت له خلال العصور . وأتماماً للفائدة فقد زودت الكتاب بمجموعة من الرسوم

التخطيطية وبعدد كبير من اللوحات الملونة والبيضاء والسوداء بلغ عددها (٢١٠) لوحة.

وعنيت عناية خاصة بعمل مجموعة من ثبت الفهارس وخصصت بعضها لوصف اللوحات والأشكال وصفاً تفصيلياً دقيقاً، وأخرى لأسماء الأعلام، وثالثة لأسماء الأماكن والبقاع ورابعة للمراجع العربية والأجنبية، هذا بالإضافة إلى فهرس الموضوعات.

وبعد،

هناك كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل أود أن أسجلها لمن كان له الفضل فى إبراز هذا الكتاب إلى حيز الوجود بهذا المظهر المشرف، إلا وهو السيد الفاضل الأستاذ توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كما أتقدم بشكرى وامتنانى إلى الأستاذ عبد السلام الشريف عميد معهد النقد الفنى الذى أضفى على الكتاب من فنه وذوقه الرفيع الشئ الكثير، كذلك أدين بالشكر والتقدير إلى الأستاذ إبراهيم ناصف مدير إدارة المراجعة بمجلس الأمة سابقاً لمعاونته الصادقة.

كما لا يفوتنى أن أقدم شكرى لكل من عاوننى فى طبع هذا الكتاب وأخص بالذكر منهم الأستاذ فؤاد هيبه.

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل،،،

سعاد ماهر محمد

الجيزة فى رمضان ١٣٩١ هـ — أكتوبر سنة ١٩٧١



تطوّر العمائر الإسلامية الدينية بتطوّر وظائفها

من الثابت أن الفن الإسلامى التشكيلى قام على أسس من فنون البلاد التى فتحها المسلمون أو خضعت لهم ذلك أن طبيعة شبه الجزيرة العربية الصحراوى ، وانتقال البدو من مكان إلى آخر سعيا وراء الكلأ والمرعى لم يكن ليساعد على قيام فنون تشكيلية اللهم إلا فى أطراف شبه الجزيرة كالمناذرة المتاخمين للدولة الساسانية والغساسنة المجاورين للدولة البيزنطية ، واليمن فى الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة ، حيث قامت فنون ضارعت فنون معاصريهم من الفرس والرومان .

على أن الفاتح العربى لم يقبل كل ماوجده من تلك الفنون على ما هو عليه بل استبعد منها ما كرهه الدين أو مالايوافق مزاجه الخاص ، ثم جمع ما اختاره منها وصهره فى بوتقة بعد أن طبعه بطابعه الخاص ألا وهو الكتابة العربية . وهكذا نستطيع القول أن الفن الإسلامى أخذ قوامه الروحى من وسط شبه الجزيرة العربية ، أما قوامه المادى فقد تم صوغه فى أماكن أخرى كان للفن فيها قوة وحياة .

ولعل أبرز فروع الفن الاسلامى التى تأثرت بالجانب الروحى ، هى العمارة ، التى عنى المسلمون الأوائل أن تكون مهمتها الأولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطورا سريعا ساير ركب الحضارة الإسلامية الفتية ، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعا لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد والأربطة فالمدارس والمصليات والخوانق والأسبلة والتكايا . على أننا إذا أردنا أن نتتبع تطور العمارة الإسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين فى مربد التمر الذى بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائيا بسيطا ، وكانت مساحته ٧٠ × ٦٠ ذراعا وجدرانه من اللبن ، سقف جزء منه بسعف النخيل وترك الجزء الآخر مكشوفا وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا المنهج فى بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص هذه السنة فى بناء مسجده فى مدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت انشائه ٥٠ × ٣٠ ذراعا جدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخل وتسوده البساطة . وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبرا فى مسجده ، كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره ، ولم يقتصر اتباع السنة فى ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه إلى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة أن أرسل سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب وفدا يستأذنه فى البناء باللبن فقال عمر : « افعلوا ولايزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا فى البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة » .

وكان المسلمون فى العصر الاسلامى الأول يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن

العبادة . والمسجد لغة هو الموضع الذى يسجد فيه ، فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين بزيادة من دخل فى الإسلام من أهل البلاد التى فتحها المسلمون تعددت المساجد فى البلد الواحد ، كما تعددت الألفاظ التى تطلق على أماكن العبادة فأصبح هناك مسجد وجامع . والجامع هو نعت للمسجد لأنه مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير .

وفى ذلك يقول المقريزى :

« ولما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة . وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك أيضا ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده ، وكانت صلاة الجمعة تؤدى فى المسجد الجامع[1] .

ومن ثم فقد أصبح للفظ الجامع مدلول سياسى فى عهد الدولة الأموية ، فقد عرف بالجامع ، المسجد الذى يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين فى صلاة الجمعة أى أن لفظ الجامع أصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمى الذى كان يعرف باسم المسجد الجامع .

وبطبيعة الحال لم يبق تخطيط المسجد على ما كان عليه فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، بل أخذ يتطور ويساير ركب الحضارة الاسلامية ، فقد رأت الدولة الأموية أن لاتقل مبانيها ، الدينية بصفة خاصة ، قيمة وقدرا عن المعابد المسيحية واليهودية فى مصر والشام ومن ثم فقد بنى المسجد الأموى بتخطيط وأسلوب يختلف عن تخطيط المساجد الاولى ، وكان ذلك لضرورة اقتضتها ظروف الدولة الجديدة والشعوب ذات الحضارات والفنون التشكيلية المتقدمة التى دخلت فى الاسلام وأصبحت تكون عناصر هامة فى الإمبراطورية الإسلامية الناشئة .

هذا ولم تقتصر وظيفة المسجد فى المجتمع الاسلامى الجديد على تأدية الصلاة فحسب

---

(١) المقريزى ج ٢ ص ٢٤٦ .

بل كان يؤدى عدة وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية ، ففى أروقته وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والارشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات لفض المنازعات الدينية والمدنية . كذلك كان به بيت المال كما كان الحال فى المسجد الأموى وجامع عمرو وفيه كان جلوس متولى الحسبة . من هذا يفهم أن المساجد فى العهد الأموى وأوائل العصر العباسى على أقل تقدير ، كانت تمثل دور الحكومة فى مفهومنا الحديث إلى جانب وظيفتها الأساسية الدينية . وبديهى وقد أصبح المسجد يؤدى خدمات ووظائف متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات أن تتعدد الأساليب المعمارية فى بناء المساجد وأن اتخذت جميعها مقومات العمارة الاسلامية وجوهرها فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجرى تحتوى على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هو رواق القبلة لأهميته ، كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة وفى كثير من الأحيان على ميضأة .

أما تخطيط المسجد ، فكان غالبا مربعا فى العراق وإيران ومستطيلا فى مصر والشام وشمال أفريقيا . وتعليل ذلك سهل ميسور ، فأماكن العبادة السابقة على الإسلام فى بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط مربع ونعنى بها (الآتش جاه) أى بيت النار . أما فى غرب العالم الإسلامى حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .

وفى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بدأت تظهر فى شرق العالم الإسلامى أسماء جديدة لأماكن العبادة عرفت بالمدارس ، ثم انتشرت فى غرب العالم الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى وهذا التغير فى الاسم لابد وأن يكون لحكمة اقتضتها الوظيفة الجديدة أو الدافع المباشر .

كذلك صاحب التغير فى الاسم تغيرات جوهرية فى التخطيط المعمارى . وقد اختلف علماء الآثار والمؤرخون فى وظيفة العمائر التى عرفت بالمدارس ، ولعل أقربها تلك المناقشة الحادة التى دارت فى الندوة العالمية لالفية القاهرة حول هذا الموضوع ،وهو هل كانت المدارس

فى أول نشأتها تؤدى وظيفة المدرسة أو هو مجرد تشابه فى الاسم لا فى الوظيفة . لذلك رأيت قبل أن أتكلم عن نشأة المدرسة ووظيفتها أن أذكر شيئا عن أنواع الثقافات التى عنى المسلمون بها فى العصور الوسطى . ونستطيع أن أجمل هذه الثقافات فى قسمين كبيرين ، الأول ويشمل دراسة علوم الإقدميين ، وقد أطلق العرب عليها اسم علوم الأوائل وتشمل الرياضة والطبيعة وعلم الفلك والفلسفة وعلم الديانات وما إليها وكانت تدرس فى عمائر تسمى (دار العلم) . أما القسم الثانى من الثقافة فيشتمل على العلوم الإسلامية التى تقوم أساسا على القرآن وما جاء فيه من الأحكام والحديث النبوى ومن هذين المصدرين تشعبت دراسات أخرى دينية وقضائية واجتماعية .

ومدينة نيسابور هى أول مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على (دار العلم) وكان ذلك فى عهد محمود الغزنوى فى القرن الرابع الهجرى ، فقد انشئت المدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو سعيد الاسطرلابى ومدرسة أبو اسحق الاصفرائى المتوفى سنة ٤١٨ هـ . وقد ظلت هذه المنشآت عمائر محلية مدة خمسين عاما ثم قضى عليها تماما بعد قتل وزير طغرل بك ، إلا أنها بعثت من جديد على يد نظام الملك أعظم رجل تولى الوزارة فى عهد السلاجقة قاطبة ، بل وأعظم وزراء الشرق فى عصره فقد ظل وزيرا لثلاثة من السلاطين هم طغرل بك والب وارسلان وملك شاه . وقد استطاع بثاقب فكره وبعد نظره أن يستفيد من هذه المنشآت الثقافية والدينية فى نشر المذهب السنى ومناهضة المذهب الشيعى ، وهكذا أصبحت المدارس منشآت عامة بعد أن كانت خاصة ، يتخرج فيها الموظفون الذين يتولون إدارة الشئون الإدارية وما إليها فى دولة السلاجقة .

وقد أنشأ نظام الملك الكثير من المدارس الأولى منها فى نيسابور وذلك فى منتصف القرن الخامس الهجرى وأعقبها فى بغداد وطوس وبصرة واصفهان وهرات والبلخ . وقد حذا حذوه كثير ممن خلفه من السلاجقة وانتشرت المدارس فى كل الولايات السلجوقية .

وما فعله نظام الملك فى ايران وجنوب العراق فعله الاتابكة فى الموصل ودمشق وفعله نور الدين وصلاح الدين فى شمال العراق وسوريا ومصر . وهكذا نرى هؤلاء الأمراء ذوى

الأصل الكردى أو المغولى والمتعصبين للمذهب السنى ، هم الذين نشروا المدارس فى غرب العالم الإسلامى .

نخلص من هذا أن الشيعه هم أول من أنشأ العمائر الثقافية التى كانت تعرف من قبل باسم دار العلم ، كما أنهم أول من أطلق عليها اسم المدرسة ، والغرض الأساسى من انشائها هو تدريس ونشر المذهب الشيعى . وكان ذلك فى القرن الرابع الهجرى إبان حكم محمود الغزنوى . وفى القرن الخامس الهجرى نشر الأمراء الاكراد والمغول ذووا المذهب السنى هذه المدارس فى غرب العالم الإسلامى كما جعلوها منشآت عامة تشرف عليها الدولة على خلاف مدارس الشيعة الخاصة فى القرن الرابع الهجرى .

وما قيل عن العالم الإسلامى عامة يمكن أن يقال عن مصر خاصة ، فكما نشأت المدارس فى شرق العالم الإسلامى على يد الشيعة على أنها معاهد خاصة ، نشأت فى مصر على يد السنيين كمعاهد خاصة كذلك . فقد جاء فى ابن ميسر أن الوزير رضوان ابن الولخشى أنشأ مدرسة فى الاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ لنشر المذهب الشافعى .

ويقول ابن خلكان[١] أن ابن سلار وزير الخليفة الفاطمى الظافر أنشأ مدرسة سنة٥٤٦هـ فى الاسكندرية كذلك . ويذكر القلقشندى[٢] أن مسرور أنشأ مدرسة سنية بالقاهرة فى عهد الدولة الفاطمية ، فلما جاء صلاح الدين إلى مصر نشر هذه المنشآت الثقافية وجعلها عامة بعد أن كانت خاصة من قبله . وكان غرضه الأول من ذلك هو القضاء على المذهب الشيعى مذهب الفواطم وذلك بنشر المذهب السنى عن طريق المدارس .

أما عن التخطيط المعمارى للمدرسة فمن الثابت أن التخطيط الأول كان عبارة عن إيوان واحد فى جهة القبلة ، أما الاضلاع الثلاثة الأخرى فكانت تحتوى على غرف للطلبة وذلك لأن المدارس كان معظمها مخصصا لمذهب واحد . فقد أحصى الأستاذ كزويل[٣]

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٣ ، جـ ٢ ص ١٣ ، ١٤

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٥٦ .

(٣) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt. Vol. II P. 104 - 34.

ثمانين مدرسة فى سوريا بينها ٣٣ مدرسة مخصصة للمذهب الحنفى و ٣١ للمذهب الشافعى وتسع للحنابلة للمالكية ومن بينها ست مدارس لمذهبين هما الشافعية والحنفية .

أما عن تاريخ المدارس فقد أمدنا المقريزى[1] بمعلومات على جانب عظيم من الأهمية فقد أحصى عدد المدارس الموجودة حتى عصره أى فى القرن (١٥) وتبلغ (٧٢) مدرسة وقد قام الأستاذ كزويل بترتيبها ترتيبا زمنيا ، ودرس الموجود منها حتى الآن فتبين له أن المدارس الأولى كانت ذات ايوان واحد لأنها كانت مخصصة لمذهب واحد . وأول مدرسة خصصت لمذهبين كانت المدرسة الفاضلية التى أنشأها صلاح الدين سنة ٥٨٠ ﻫ هما المذهب الشافعى والمالكى، وذلك بعد بناء المدرسة الأسدية ، أول مدرسة خصصت لمذهبين فى سوريا باثنى عشرة عاما . وتعتبر المدرسة الكاملية المبنية سنة ٦٢٢ ﻫ والتى ماتزال باقية وإن كانت فى حالة خربة ، أقدم مدرسة ذات ايوانين باقية حتى الآن . ومما يؤيد أن المدرسة الكاملية كانت تحتوى على ايوانين فقط ، أن الجانب الشمالى الشرقى من المدرسة يشغله الآن حمام يعرف باسم حمام السلطان وعلى خريطة الحملة الفرنسية يعرف باسم حمام بيصارى الذى حل محل قصر الأمير بيصارى الذى يرجع تاريخ انشائه إلى سنة ٦٥٩ ﻫ .

والمدرسة الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين سنة ٦٣٩ والتى احتلت جزءا من قصور الفاطميين ، إذ يقول المقريزى أنها تقع بخط بين القصرين من القاهرة وأنها من جملة القصر الكبير الشرقى وهى مع احتوائها على أربعة ايوانات للمذاهب السنية الأربعة إلا أن تخطيطها يعتبر فى الواقع تكرارا للمدرسة ذات الايوانين، إذ أنها تتكون من مجموعتين تفصل بينهما حارة الصالحية الآن ويجمعهما مدخل المدرسة الرئيسى الذى تعلوه المئذنة .

وكان المقريزى دقيقا فى وصفه للمدرسة إذ يقول عنها :

فبنى الملك الصالح نجم الدين أيوب هاتين المدرستين ، فابتدأ بهدم موضع هذه المدارس فى قطعه من القصر فى ١٥ ذو الحجة سنة ٦٣٩ وفى سنة ٦٤١ ﻫ رتب فيها دروسا أربعة

(١) الخطط ج ٤ ص ١٩١ — ٢٥٦ .

للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة وهو أول من عمل بمصر دروسا أربعة فى مكان واحد . ودخل فى هذه المدرسة باب القصر المعروف بالزهومة وموضعه قاعة شيخ الحنابلة الآن .

والجزء الباقى من هذه المدرسة الآن هو المجموعة الجنوبية التى تتكون من ايوانين الشافعية فى الشرق والمالكية فى الغرب ، أما المجموعة الثانية التى تتكون من ايوان الحنفية فى الشرق وايوان الحنابلة الذى حل محل باب الزهومة فى الغرب فقد بنيت مكانها مجموعة من الحوانيت وإن كانت واجهة المجموعة ما تزال موجودة وبحالة لا بأس بها .

وتعتبر المدرسة الصالحية أول مدرسة فى مصر ذات أربعة ايوانات ولكنها ليست متعامدة كما أنها ليست أول مدرسة فى العالم الإسلامى درست المذاهب الأربعة فقد سبقتها المدرسة المستنصرية[1] فى بغداد بعشر سنوات والتى خصصت للمذاهب الأربعة بالإضافة إلى دارين احداهما للحديث وأخرى للقرآن ، أى للقراءات السبع . وبرغم تخصيص هذه المدرسة للمذاهب الأربعة إلا أن تخطيطها غير متعامد كما أنها لاتشبه تخطيط المدرسة الصالحية .

على أننا نستطيع القول بأن أول مدرسة فى مصر اختوت على أربعة ايوانات متعامدة هى المدرسة الظاهرية التى بناها السلطان الظاهر بيبرس البند قدارى سنة ٦٦١ هـ وتمت فى سنة ٦٦٢ هـ وتشغل قاعة الخيم وباب الذهب من القصر الشرقى الكبير[2] . وللأسف لم يبق من هذه المدرسة غير ايوان واحد هو الايوان الجنوبى الشرقى وبه المحراب وكتلة من الواجهة مساحتها ١١×٥ مترا ملاصقة لضريح الملك الصالح نجم الدين أيوب بسوق النحاسين بشارع المعز لدين الله (الصاغة) . فقد تهدمت المدرسة سنة ١٨٨٢ عندما شق طريق بيت القاضى . وقد ترك لنا المقريزى من التفاصيل الدقيقة ما يؤيد ما ذهبت إليه أبحاث الأثرين فى القرن العشرين فهو يقول : وجلس أهل الدروس كل طائفة فى ايوان منها ، الشافعية بالايوان القبلى ، والحنفية بالايوان البحرى ، وأهل الحديث بالايوان الشرقى والقراء بالقراءات السبع بالايوان الغربى » .

---

(١) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt. Vol. II p. 124.

(٢) المقريزى : جـ ٤ ص ٢١٦ .

على أن أول مدرسة خصصت للمذاهب الأربعة فى مصر وذات تخطيط متعامد هى المدرسة الناصرية ، التى تقع بجوار القبة المنصورية من شرقيها كما هو موضعها الآن تماما . فقد أمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى بإنشاء هذه مدرسة ، فابتدئ فى وضع أساسها وارتفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها ثم خلع كتبغا من الملك وعاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة للمرة الثانية سنة ٦٩٨ هـ فأمر باتمامها فكملت سنة ٧٠٣ هـ ونسبت إليه . وإلى هذه المدرسة نقلت واجهة كنيسة بعكا كان قد استولى عليها السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ ، ونقلها إلى القاهرة الامير علم الدين سنجر الشجاعى .

وإذا جاز لنا أن نقول أن المدارس إنما انتشرت فى مصر فى العصر الأيوبى لمحاربة المذهب الشيعى ونشر المذهب السنى ، فإن تصميم مدرسة السلطان[1] حسن بن محمد بن قلاوون التى بدأ انشاؤها سنة ٧٥٧ هـ يدل دلالة واضحة على أنها أنشئت بقصد الثقافة والعلم بالإضافة إلى الدعوة إلى السلطان . وتتكون المدرسة من أربعة ايوانات متعامدة تحيط بالصحن خصصت للمذاهب الاربعة وبجانب كل من الايوانات الأربعة مدرسة .

وتبلغ مساحة المدرسة الحنفية المجاور لإيوان الحنفية بالمدرسة المذكورة على سبيل المثال ٨٩٨ مترا مربعا . ويتكون تخطيط المدارس الأربعة جميعها من صحن تتوسطه فسقية ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الواجهات . وقد قرر السلطان حسن لهذه المدارس مدرسين ومراقبين وعين لهم مرتبات[2] . كما قرر لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخا ومائة طالب وعين طبيبين احدهما باطنى والآخر كحال يحضران كل يوم بالمسجد لمداومة من يحتاج إلى علاج من الموظفين والطلبة ، ورتب ثالثا جراحا ، وقد أرصد فى وقفتيه مرتبات الأساتذة والطلبة والموظفين وقيمة مايصرف لهم من المأكل كل ليلة جمعة وما يصرف لهم فى الأعياد .

---

(١) هرتس باشا : تاريخ جامع السلطان حسن ص ١٥ .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٨٤ .

وهناك رأى للدكتور أحمد فكرى لم يسبق إليه ، خاصا بوظيفة المدرسة ، جاء فى البحث الذى تقدم به سيادته للندوة العالمية وموضوعه خصائص عمارة العصر الأيوبى ، فقد أثبت أن وظيفة المدرسة الرئيسية لم تكن هى التدريس فحسب ، فقد كانت المساجد تتخذ للتدريس منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك فى مسجد قباء ، وفى مصر كانت الدروس تلقى فى جامع عمرو وفى الجامع الطولونى والأزهر والحاكم ، بل أن وظيفة المدرسة الرئيسية فى العصر الأيوبى كانت أعداد أماكن ملحقة بموضع التدريس لسكنى طبقة مختارة من المدرسين والطلاب. وأنى إذ أوافق أستاذنا الدكتور أحمد فكرى على ما ذهب إليه من الناحية المعمارية وهو أن المساجد الجامعة التى كانت تلقى فيها الدروس على أقل تقدير منذ القرن الثانى للهجرة ، لم تكن فيها أماكن لسكنى المدرسين والطلاب ، إلا أننى رأى أن السبب الأساسى فى نشأة العمائر التى عرفت باسم المدرسة لم يكن فى الواقع القصد منها ايجاد أماكن للمدرسين والطلبة ، وإنما يرجع إلى عامل سياسى دينى مذهبى ، القصد منه هو نشر المذهب المخالف لمذهب الدولة الرسمى متخذين من المدرسة ستارا يستترون وراءه . فالمدرسة البيهقية والسعيدية ومدرسة أبو اسحق الاصفرانى التى أنشئت فى عهد محمود الغزنوى فى القرن الرابع الهجرى فى نيسابور كان القصد منها نشر المذهب الشيعى المناهض لمذهب الدولة العباسية السنى . كما أن اطلاق اسم المدرسة على تلك العمائر التى أنشئت فى مصر فى عهد الدولة الفاطمية فى القرن الخامس الهجرى على يد الوزير رضوان بن الولخش وابن سلار فى الاسكندرية وابن مسرور فى القاهرة لنشر المذهب السنى كان القصد منه مناواة مذهب الدولة الفاطمية الشيعى . فلما جاءت الدولة الأيوبية بعد دولة الفواطم وجدت فى هذه المنشآت المسماه بالمدارس بغيتها فى نشر المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى فأكثرت من بنائها حتى بلغ ما أنشئ من المدارس فى العهد الأيوبى وحده أربعا وعشرين مدرسة فى القاهرة واثنتين فى الفيوم وجعلت منشآت عامة بعد أن كانت منشآت خاصة فى العهد الفاطمى ، ثم أخذت فى تطوير عمارتها حتى أصبحت تفى بكل مطالب المدرسة من صلاة وتدريس وإيجاد أماكن للدارسين . وقد اكتمل التخطيط المعمارى للمدرسة فى العصر المملوكى ومن أحسن الأمثلة لها مدرسة السلطان حسن بن محمد ابن قلاوون سنة ٧٥٧ هـ التى سبق الاشارة إليها .

ومن العمائر الدينية الهامة عند المسلمين الخانقاوات التى انتشرت فى القرن الرابع للهجرة والتى جعلت لايواء الصوفية المنقطعين للعبادة . أما عن نشأة الصوفية فيذكر المقريزى[1] نقلا عن أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، أن المسلمين بعد رسول الله لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لافضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولمن أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة بالتابعين ، وقيل لخواص الخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد ، وانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله باسم التصوف واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة وغلبت التسمية على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية .

وهناك رأى آخر فى نشأة التصوف فى الإسلام يورده المقريزى ولكنه لايقره قال : « المتصوفون ينسبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورأى ثالث قال : « أنه من الصفاء » .

أما عن إقامة مبان لإقامة هؤلاء المنقطعين ، فإن أول من اتخذ بيتا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم مصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره » .

وهكذا نرى عمائر الزهاد نشأت منذ القرن الأول للهجرة ولكنها انتشرت فى شرق العالم الإسلامى فى القرن الرابع ، أما فى مصر فقد انتشرت المبانى المخصصة لإقامة الزهاد المنقطعين للعبادة الذين عرفوا بالمتصوفين فى العصر الأيوبى ، فقد أنشأ صلاح الدين الأيوبى أول دار لهم . وقد عرفت هذه الدور فى مصر كما عرفت فى مشرق العالم الإسلامى باسم الخانقاة أو الخانكة ، وهى كلمة فارسية معناها البيت وقيل أصلها خونقاة أى الموضع

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ٢٧١ .

الذى يأكل فيه الملك . وعرفت خانقاة صلاح الدين باسم الخانقاة الصالحية وهى بخط[1] رحبة باب العيد من القاهرة وكانت أولا داراً تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء . فلما تولى صلاح الدين عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من خارج البلاد ووقفها عليهم فى سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم معاشهم .

نتبين من الفقرة السابقة التى أوردها المقريزى ، أن خانقاة الصالحية كانت عبارة عن دار فاطمية قديمة اتخذت دارا للصوفية وبذلك نستطيع القول أن الخانقاة وجدت فى العصر الأيوبى أما اتخاذ تخطيط معمارى خاص بها فلم يظهر إلا فى العصر المملوكى ولعل أقدم الأمثلة لها وأكملها الخانقاة التى بناها ركن الدين بيبرس الجاشنكيرى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير إذ بدأ فى بنائها سنة ٧٠٦ هـ وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل إليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة لكى يدفن بها . ومن جملة شبابيك القبة كما يقول المقريزى الشباك الذى حمله الأمير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة العباسى القائم بأمر الله ووضع الوزارة الفاطمية ، واستمر فيها إلى أن عمَّر بيبرس الخانقاة المذكورة فجعله بالقبة .

وتقع الخانقاة بحىّ الجمالية وهى من جملة دار الوزارة الكبرى وتبلغ مساحتها فدانا وثلث فدان ، وتتكون الخانقاة من صحن على جانبيه الشرقى والغربى ايوانان معقودان وهى فى ذلك تشبه المدارس ذات الايوانين . أما الجانبان الآخران فقد أُنشئ بهما خلوات للصوفية بعضها فوق بعض .

ومن العمائر التى انتشرت فى العصر الأيوبى الأضرحة التى اتخذت شكلا معينا وهو مربع مغطى بقبة . على أن اقامة الأضرحة ليست حدثا فى العصر الأيوبى ، فقد أقامت الدولة الفاطمية الكثير من الأضرحة وقصرتها على أهل البيت وكبار رجال الدولة من الشيعة مثل السيدة نفيسة ورقية وعاتكة والجعفرى وبدر الجمالى وعرفت بالمشاهد أسوة بما أطلق على أضرحة الائمة من العلويين . فلما جاءت الدولة الأيوبية رأت أن تحول الأنظار عن أضرحة

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ٢٧٣ .

الشيعة وذلك ببناء أضرحة لائمة السنة . فأقامت أم السلطان الملك الكامل قبة الإمام الشافعى سنة ٦٠٨ هـ وأجرت عليها الماء من بركة الحبش ومنذ ذلك الوقت أقبل الناس على بناء مقابر موتاهم بجوار الإمام الشافعى وعرفت تلك المنطقة المجاورة بالقرافة الصغرى . ويعتبر ضريح الإمام الشافعى أكبر الأضرحة فى مصر على الاطلاق وأقدم قبة خشبية بمصر وذلك إذا استبعدنا الأضرحة بالمدارس والخانقاوات ، إذ تبلغ مساحة الضريح ٤٠٠ متر مربع تقريبا وارتفاعه ٢٩ مترا . ومن الطريف أن قبة الإمام الشافعى يعلوها عشارى طولها متران ونصف ، وقد اختلف المؤرخون والأثريون فى تفسير وجود العشارى فوق القبة ، فقال البعض أنها أعدت لوضع الحبوب للطيور والبعض الآخر قال أنها رمز على أن الإمام الشافعى بحر العلوم والمعارف اعتمادا على قصائد الشعر التى احتوت هذا المعنى والتى نذكر منها بعض أبيات من قصيدة البوصيرى صاحب البردة :

بقبة قبر الشافعى سفينة رست فى بناء محكم فوق جلمود

ومذ غاص طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

وقال أبو الفتح موسى بن ملهم فى القرن الرابع عشر :

مررت على قبة الشافعى فعامين طرفى عليها العشارى

فقلت لصحبى لاتعجبوا فإن المراكب فوق البحار

على أنى أرى بالإضافة إلى المعنى السابق أنه أريد بالإضافة إلى وصفه بالعلم بأنه بحر العلوم والمعرفة أنه لايقل عن أئمة الشيعه الذين قصروا الفواطم لفظ الإمامة عليهم درجة ومنزلة .

ومن الأضرحة الهامة فى العصر الأيوبى ضريح السادات الثعالبة ، والخلفاء العباسيين وضريح شجر الدر ، ثم ضريح الصالح نجم الدين أيوب الذى يمكن اعتباره أول ضريح ألحق بمدرسة ، ثم أصبحت القاعدة بعد ذلك الحاق القباب بالمدارس والمساجد والخانقاوات .

أما فى العصر العثمانى فقد اختلف تصميم المساجد اختلافا كبيرا عن العمائر الدينية السابقة فلا هو تصميم مسجد ولاهو تصميم مدرسة . وهنا لانستطيع القول أن الوظيفة هى الدافع فى تغيير تخطيط المساجد العثمانية بل هو دافع سياسى أرادت به الدولة العثمانية صبغ الولايات التابعة لها بتبعية فنية لتأكيد التبعية السياسية .

فقد اتخذ العثمانيون من طراز المصليات السلجوقية فى القرن الخامس الهجرى أساسا لعمائرهم الهامة[1]. وكان قوام التخطيط العثمانى هو القبة الكبيرة المبنية من الحجر عادة وتحيط بها من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ايوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضحلة . ومن أحسن الأمثلة لذلك مسجد سنان باشا ومسجد محمد على بالقلعة الذى يعتبر نسخة من مسجد السلطان أحمد باسطنبول .

ومن العمائر الدينية الأخرى فى العصر العثمانى غير المساجد التكايا التى حلت محل الخانقاوات فى العصر العثمانى إذ أنها تؤدى نفس الوظيفة أى أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة ، ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين الوافدين على البلاد ، ومن هنا قيل عنها أنها مأوى تنابل السلطان ، أى الكسالى الذين لاعمل لهم . أما من حيث التخطيط فهى مجموعة من الطرز والأساليب المعمارية فهى أساسا تشبه تخطيط المنزل الإسلامى ذى الصحن المتسع وتحيط به مجموعة من الايوانات والقاعات المتسعة ومسجد . وبالأدوار العليا توجد غرف للمبيت ثم يلحق بالتكية مطبخ ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

---

(١) نجد وصفا مفصلا لمصلى بارسبان بالقرب من أصفهان للمقدسى فى كتاب « أحسن التقاسيم » .



المسجد

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود ، والمسجد بالفتح جبهه الرجل حيث يصيبه السجود والمِسجد بكسر الميم الخُمرة وهى الحصير الصغير[1] . وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفاظ فى كتب السيرة والفقه كالشيخين فى الصحيحين والبيهقى[2] . تدل على أن النبى كان يصلى على الخُمرة ، وهى حصيرة صغيرة قدر مايسجد عليه ، تنسج من السعف ، فنى الحديث لأُم سلمة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها : ناولينى الخُمرة . وجاء فى تاج العروس : « يقال صلى فلان على الخمره ، لأن خيوطها مستورة بسعفها . ويقول الشهرستانى[3] فى وصف الخمرة هى مقدار مايضع الرجل عليه وجهه

---

(١) التصحيف للعسكرى .

(٢) السنين للبيهق جـ ٣ ص ٤٢١ .

(٣) الملل والنحل ص ٦ .

فى سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . ثم يضيف ، ولاتكون الخمرة إلا فى هذا المقدار ، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها .

أما عن المسجد شرعا ، فهو الموضع الذى يسجد فيه ، قال الزركشى[1] وكذا الزجاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وفى هذا يقول القاضى عياضُ[2] ، وهذا من خصائص هذه الأُمة ، لأن من قبلنا ، كانوا لايصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته . وقال القرطبي : هذا ماخص الله به نبيه ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة ، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارى . وكان عيسى عليه السلام يسبح فى الأرض ويصلى حيث حيث أدركته الصلاة « ويعلق الزركشي على ذلك فيقول : فكأنه قال : جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل له طهورا » وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عد الطهور والمسجد فى حكم الواحد .

ويفسر الزركشي السبب فى اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل : مسجد ولم يقولوا مركع ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُبُط والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير ، فقد قال هشام بن عمار : لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب إلى سعد

---

(١) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧ .

ابن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده » .

يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذى تؤدى فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع . ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهره سياسية على جانب كبير من الأهمية فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمى ، وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع يكون شارة من شارات الخلافة ، وأن عدم ذكر اسمه يعنى خلعه ، تبين لنا الدور السياسى بالإضافة إلى الدور الدينى الذى كان وما يزال يلعبه المسجد الجامع .



المسجد النبوى

رأيت قبل أن أتناول مساجد مصر الأثرية بالبحث والدراسة أن أبدأ بالمسجد الذى بنيت على غراره المساجد الأُولى فى الإسلام (مسجد البصرة والكوفة والفسطاط) ذلكم هو مسجد سيد الخلق أجمعين ، مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة .

(موضع منبره ، وجوار مقبره ، ومقام مصلاه ، ودار آخرته ، وأولاه[1] وبجانبه حجرته المعظمة التى ضمت أعظمه . ولله القائل[2] :

ياخير من دفنت فى القاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفس الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

(١) مسالك الابصار ص ٢٣ .

(٢) جاء فى المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٥١٠٠ (هامش مسالك الابصار ص ١٣٤) : أن محمد بن حرب الهلالى أتى قبر النبى (صلعم) فزاره وجلس بحذائه فجاء اعرابى فزاره ثم قال : ياخير الرسل أن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه « ولو انهم ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » . وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك إلى ربى وأنشأ يقول البيتين السابقين .

لقد أجمع المؤرخون وكتاب السير على أن أول مسجد بنى فى الإسلام هو مسجد قباء ، الذى يقال له مسجد التقوى ، لقوله تعالى فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » . ويروى أبو سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : هو مسجدى ، أى مسجد المدينة . ويرى السهيلى[1] فى قوله عز وجل : (من أول يوم) يقتضى أن يكون مسجد قباء ، لأن تأسيسه كان من أول يوم حل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم دار هجرته ، ويقول الحافظ[2] بن حجر ، أن السر فى جوابه صلوات الله عليه ، دفع توهم أن التقوى مقصورة على مسجد قباء . وقد ذكر ابن اسحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسسه لبنى عمر بن عوف ثم انتقل إلى المدينة . ويضيف ابن أبي خيثمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسسه كان هو أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم أخذ الناس فى البنيان .

وذكر الخطابي عن الشموس[3] بنت النعمان ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قُبَاء يأتى بالحجر قد صهره[4] إلى بطنه ، فيضعه ، فيأتى الرجل يريد أن يقله ، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قباء راكبا وماشيا ، فيصلى فيه ركعتين (متفق عليه) . وفى رواية أخرى : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله .

على أنى أرى أن أول مسجد ثابت التاريخ والمعالم هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بمدينة يثرب ، فقد كانت المدينة المنورة تعرف قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسالك الأبصار ص ١٢٨ .

(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ١٦ .

(٣) مسالك الأبصار ص ١٢٨

(٤) صهرة أى أدناه إلى بطنه (اللسان ج ٦ مادة صهر) .

إليها باسم يثرب فقد ورد اسمها بهذه التسمية فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (وإذا قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا) . وكانت يثرب من بين مدن الحجاز المتحضرة ، وهى تقع إلى شمال مكة فى مستوى من الأرض يحدها من الشمال جبل أحد وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة ، ومن خصائصها : كما يقول ياقوت الحموى طيب الريح ، وللعطر فيها فضل رائحة لاتوجد فى غيرها . ولما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا قال : اللهم أنك قد أخرجتنى من أحب أرضك إلىَّ فأنزلنى أحب أرض إليك . وإذا لم تكن للمدينة المنورة إلا القليل من التاريخ قبل هجرة النبى إليها ، فقد أصبحت مهبط ماتبقى من الوحى ، وصارت عاصمة الإسلام ، ومقر الخلفاء الراشدين ، وإليها تشد الرحال حجا وزيارة وتبركا .

قال أنس [1] : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فى عُلُو المدينة فى حى بنى عمرو بن عوف ، فأُقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أنه أرسل إلى ملاء بنى النجار ، فجاؤوا متقلدين سيوفهم ، وهنا يضيف أنس فيقول : فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر فى ردفه وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب « قال : « وكان يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم » .

ثم أنه أمر بالمسجد ، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فقال : يابنى النجار تأمنوننى بحائطكم هذا ، فقالوا : لاوالله ، مانطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس : وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر النبى بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت قال : وصفوا النخل قبله ، وجعلوا عضاديته حجارة . قال فكانوا يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وهم يقولون (عن البخارى ومسلم) :

اللهم أنه لاخير إلا خير الآخرة فأنصر الأنصار والمهاجره

وفى رواية للزهرى[2] قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع

---

(١) مسالك الأبصار ، ابن فضل الله العمرى ص ١٢٣

(٢) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٢٣

مسجده ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين . وكان مربدا[1] لسهل وسهيل[2] غلامين يتيمين من الأنصار ، وكانا فى حجر أسعد بن زراره ، فسام[3] الرسول صلى الله عليه وسلم فيه فقال : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير . ويضيف الزهرى فيقول : وكان يصلى فيه ويجمع أسعد بن زراره قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين .

وجاء فى عمدة القارى : وجعل قبلته من اللبن وقيل ، من حجارة وجعلها إلى بيت المقدس .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فى صلاته فيستقبل وسط جدار الكعبة الممتد من الركن اليمانى إلى الركن الجنوبى الشرقى وهو الذى فيه الحجر الأسود ، وبين الركنين (٢٠) ذراعا ، ولهذا لم يظهر توجه الرسول فى الصلاة إلى بيت المقدس إلا بعد هجرته إلى المدينة . وكان اليهود يعملون منذ هاجر الرسول إلى المدينة على اجتذاب المسلمين إلى جانبهم . ولما خاب أملهم فى ذلك أخذوا يتحدثون أنه من واجب الرسول أن يذهب إلى بيت المقدس كما فعل الأنبياء من قبل ، وتساءلوا : لم يتبع قبلتهم ويخالف دينهم ؟

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبى : كانت هذه القبلة فى شمالى المسجد ، لأنه صلى الله عليه وسلم صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس ، فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة » . (أنظر شكل رقم ١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يود أن يصرف إلى الكعبة فصار إذا ما صلى يرفع رأسه إلى السماء ويدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون قبلته قبل البيت الحرام ، فنزلت عليه هذه

---

(١) المربد والبيدر والجرين : الموضع الذى يجعل فيه الزرع والتمر للتيبس (هامش الزركشى ص ٢٢٣) .

(٢) شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها ومات فى خلافة عمر ، ولم يشهد سهل بدرا وشهد غيرها ومات سهل قبيل (السهيلى فى الروض ١٠١٢ — هامش الزركشى) .

(٣) سام : ساوم ، وهى المجاذبة فى البيع والشراء .

الآية[1] « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون » .

ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد نزل ضيفا فى بنى سلمة ، بضواحى المدينة فلما حان الظهر صلى بأصحابه ركعتين ثم أمره الله سبحانه وتعالى بأن يتخذ الكعبة قبلة له فاستدار إليها واستقبل الميزاب[2] من الكعبة . فسمى هذا المسجد الذى صلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه مسجد القبلتين . ولما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فى (١٥ شعبان سنة ٢ هـ) اشتد استياء اليهود منه وقالوا له : يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

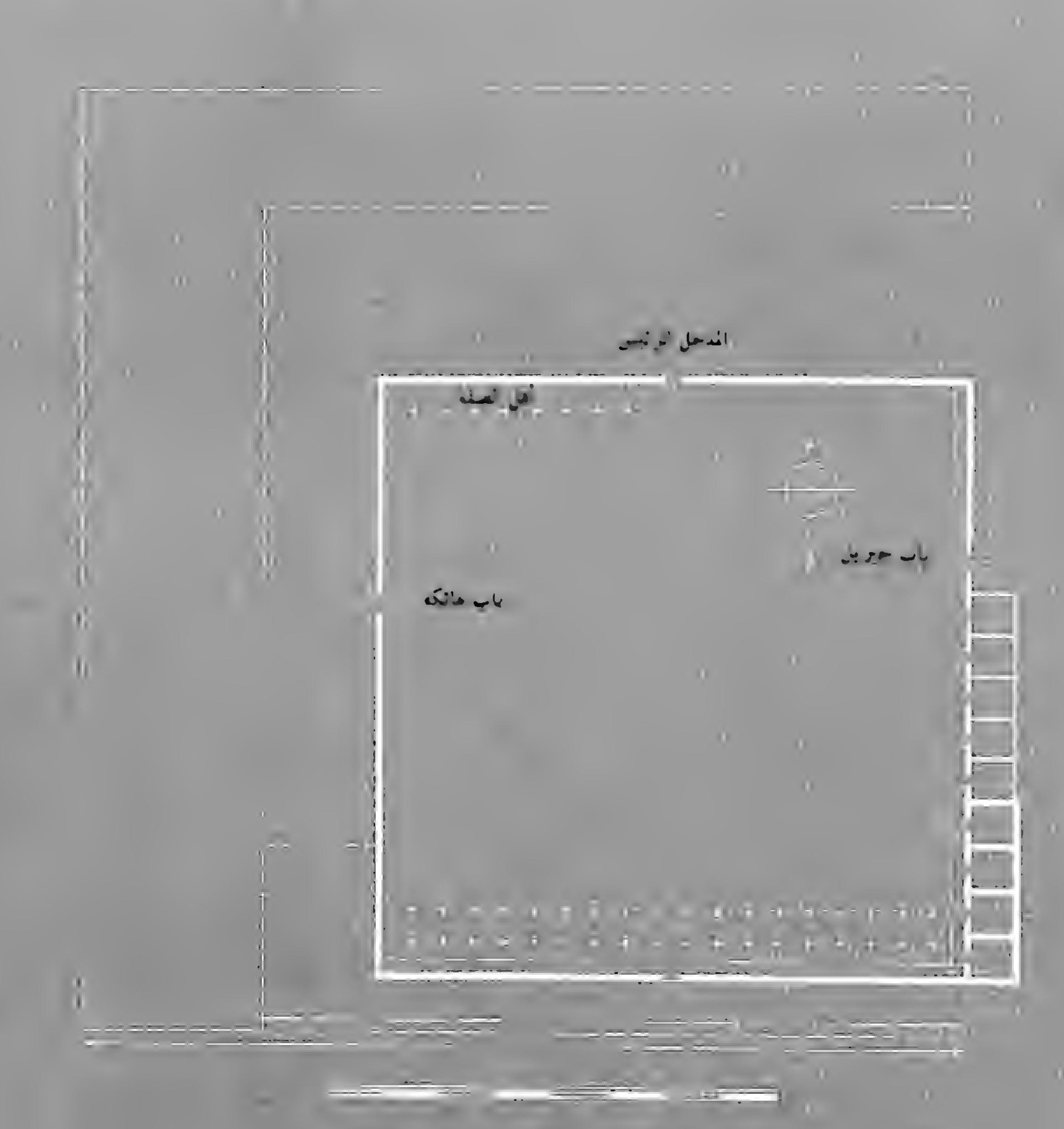
وقد استغرقت عمارة المسجد سبعة شهور قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضيافة أبى خالد الأنصارى ، وخط الرسول لأصحابه الخطط فى الأرض التى وهبها لهم الأنصار . وقد أذن الرسول لفقراء المسلمين الذين ليس لهم منازل ولا عشائر أن يناموا فى المسجد . وكان عليه الصلاة والسلام ، يدعو طائفة منهم ليلا لتناول الطعام ، ويكلف أصحابه باطعام الآخرين ، وقد عُرف ذلك الفريق من المسلمين بأهل الصفة لاقامتهم بالمسجد على هيئة صفوف .

أما عن مساحة المسجد فيقول خارجه بن زيد : بنى الرسول صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا فى ستين ذراعا أو يزيد . وبنيت جدرانه الأربعة باللبن وسقف جزء منه بسعف النخيل والطين . وترك الجزء الاخر مكشوفا ، وجعلت عمد المسجد من جذوع

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٤) .

(٢) يمتد الميزاب من سطح الكعبة بين الركنين الشامى والغربى .



شكل رقم (١): مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

النخل . وكان للمسجد ثلاثة أبواب ، باب جبريل وباب النساء وباب الرحمة ومازالت هذه الأبواب تعرف باسمها حتى الآن .

وعن عبد الله بن عمر قال : إن المسجد كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه من الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وكانت جذوع النخل نخرت فأعاد عمده خشبا . ويضيف أبو سعيد الخدرى فيقول : وأمر عمر ببناء المسجد وقال : أَكِنُّ الناس من المطر . وإياك أن تُحَمِّر أو تصَفِّر فتفتنن الناس .

ثم غيره عثمان ، كما رواه البخارى فى صحيحه ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصه[1] ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج . ويضيف خارجه بن زيد فيقول : فلما كان عثمان ، زاد فيه ، جعل طول المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين . وجعل أبوابه ستة كما كانت فى زمن عمر . وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المسلمين فيه ومنها حجرة عائشة (وهى التى دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه رضى الله عنهما) . فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا، كل ذلك حتى لايتمكن أحد من استقبال القبر . ولهذا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها « ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خُشى أن يتخذ مسجدا » .

ولما ولىّ الوليد بن عبد الملك الخلافة (٨٨ - ٩٦ هـ) بعث إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بعمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وإدخال مساكن أمهات المؤمنين فيه ومن بينها حجرة السيدة عائشة ، كما طلب إليه أن يشترى الدور التى فى نواحيه ليتسع المسجد ويكون طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمه مائتين وفى مؤخره مائة وثمانون

---

(١) القصة : الجص والجير .

وأمده بالفعلة والبنائين من الشام ، وكان الوليد قد طلب إذاك من امبراطور الروم أن يساعده فى تجديد عمارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فبعث إليه مائة عامل ومائة ألف مثقال من الذهب ومقادير كبيرة من الفسيفساء نقلت على أربعين جملا . وكان أول من أحدث المحراب المجوف فى مسجد الرسول بل فى العالم الإسلامى كله ، هو عمر بن عبد العزيز ، وقد جاء فى كتاب (وفاء الوفا بأخبار[1] دار المصطفى) أن أقباط مصر بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخره ، فكان المحراب إذن فى الجزء الذى بناه أقباط مصر . وروى ابن زبالة[2] عن محمد بن عمار عن جده قال « لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب الموالى فقال لهم تعالوا احضروا بنيان قبلتكم ، لاتقولوا غيّر عمر قبلتنا ، فجعل لاينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا » . ويضيف السمهودى[3] فيقول : « وعمل صالح بن كيسان الأساس بالحجارة والجدران بالحجارة والقصة (الجص) ، وجعل عمد المسجد من الحجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ليس عليها عقود ، ومدت فوقها سقف خشبية . وأصبح لبيت الصلاة خمسة أروقة بكل منها صف من سبعة عشر عمودا . وجعل عمر بن عبد العزيز سقايف الشام (كناية عن الضلع الشمالى) أربعة أروقة بكل منها صف من سبعة عشر عمودا ، وأحاط عمر الصحن بسقفه شرقية وأخرى فى غربية وأقام عمر بن عبد العزيز فوق هذه البوائك شرفات تحيط بصحن المسجد من جوانبه الأربعة وبينها فرج شبه طاقات الشباك . وقيل أن عمر ابن عبد العزيز جعل للمسجد أربع مآذن فى كل زاوية منه منارة ، وكذلك جعل فى بيت الصلاة مقصورة من ساج بدلا من المقصورة التى جعلها عثمان من حجارة » .

أما فى العصر العباسى فيقول ابن زبالة[4] ويحيى ، أن المسجد لم يزل على حال مازاد فيه الوليد إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزياده فيه ، ثم توفى ، ولم يزد فيه ، حتى زاد

---

(١) السمهودى ص ٣٧

(٢) وفاء الوفا للسمهودى ص ٣٦٨

(٣) المرجع السابق .

(٤) المدخل إلى مساجد القاهرة لاحمد فكرى ص ١٧٨ .

فيه المهدى . وعهد ببناء هذه الزيادة إلى عبد الله بن عاصم ، وعبد الملك بن شبيب الغسانى ، ومات ابن عاصم فولى المهدى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى . وكان ذلك فى سنة ستين ومائة ، وتمت أعمال البناء بعد سنتين أو بعد خمس ، وقيل كانت زيادة المسجد من ناحية الشام قدر مائة ذراع[1] . كما زخرف المهدى مؤخر المسجد بالفسيفساء وكانت آثارها باقية حتى عهد السمهودى[2]

وقد جاء فى مسالك الأبصار[3] أن الخليفة المأمون زاد فيه سنة اثنتين ومائتين واتقن بنيانه ونقش فيه . ويذكر السمهودى هذه الزيادة نقلا عن المراجع السابقة عليه ، ولكنه يشك فى هذه الرواية ويؤكد أنه لم يزد فيه . ويذكر البلاذرى[4] ، أن الخليفة المتوكل أمر بمرمه مسجد المدينة فى سنة ٢٣٧ هـ . ويقول ابن رسته[5] ، أن الخليفة المعتضد بالله أمر بتجديد عمارة المسجد سنة ٢٨٣ هـ .

استقرت حدود المسجد النبوى ونظمه على حالها فى عهد المهدى إلى أن احترق سنة ٦٥٤هـ فى عهد السلطان المملوكى أيبك التركمانى وكان ابن جبير قد زاره قبل ذلك فى سنة ٥٨٠ هـ وترك لنا وصفا دقيقا ، هو فى الواقع وصف حالة المسجد فى عهد الخليفة المهدى[6] أى سنة ١٦٥ هـ .

وقد توالت يد التجديد والترميم والزخرفة فى المسجد النبوى طوال العصر المملوكى فقد جُدد فى السنة التالية لاحتراقه سنة ٦٥٥ هـ كما عُمِّر سنة ٧٠٥ هـ وزيد فى أروقة القبلة رواقين .

ولعل من أهم التجديدات التى أُجريت للمسجد فى العصر المملوكى تلك العمارة التى قام

---

(١) يقول أحمد فكرى فى كتابه المدخل إلى مساجد القاهرة ص ١٧٩ (أن صحتها خمس وستين ذراعا) .

(٢) السمهودى ص ٣٨٠

(٣) المسالك والممالك ص ١٢٨

(٤) فتوح البلدان ص ٦ ، ٧

(٥) الاعلاق النفسية لابن رسته ص ٧٤

(٦) أحمد فكرى ص ١٧٩ .

بها السلطان الاشراف قايتباى فقد جاء فى حوادث سنة ٨٨٦ ﻫ فى كتاب بدائع[1] الدهور مانصه :
« وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بأنه فى ليلة ثالث عشر من رمضان سقطت صاعقة عظيمة فى أواخر الليل على المسجد النبوى الشريف ، فأحترقت منه المنارة التى تقع تجاه الحجرة النبوية واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والأعمدة والأبواب وماسلم من ذلك إلا القبة الشريفة وبعض حيطان المقصورة » ويضيف ابن اياس فيقول : وقتل المؤذن الذى كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة ، وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف ، فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة » .

« فلما سمع السلطان قايتباى ذلك بكى وبكى كل من كان معه ، وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى هذا المكان الشريف ، وأخذ الشعراء ينشدون :

لم يحترق حرم النبي لحــادث — يخشى عليه ولا دهاه العــار

فشرع السلطان فى تجديد المسجد الشريف ، فعين الخواجا شمس الدين محمد ابن الزمن بأن يتوجه إلى المدينة المنورة ، وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمراخمين وغير ذلك ، وأمر بهدم القبة الشريفة وإعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المخرم وكانت قبل ذلك من الخشب (أى القبة) ، كما جدد المآذن والمنبر . ثم توجه ابن الزمن إلى هناك وشرع فى البناء حتى انتهى من العمل فى أواخر سنة سبع وثمانمائة ، فجاء فى غاية الحسن ومن أجل الأبنية وأعظمها ، حتى قيل أن السلطان صرف على بنائه نحوا من مائة ألف دينار ، وجدد معالمه وتناهى فى زخرفته إلى الغاية . كما أنشأ هناك مدرسة مطلة على الحرم النبوى » .

وجاء فى حوادث[2] سنة ٨٨٨ ﻫ « وفى شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التى صنعها للحجرة النبوية الشريفة ، فنصبها بالحوش فى أول الشهر المذكور ، وكانت زنة المقصورة أربعمائة قنطار من الحديد ، فحملت إلى المدينة على سبعين جملا . كما أرسل

---

(١) بدائع الزهور فى وقائع الدهور ابن اياس ص ٥٠٧

(٢) ابن اياس ص ٥١٧

مع المقصورة مصحفا كبيراً حمل على جمل بمفرده » ويصفه ابن اياس فيقول : « وكان المصحف من نوادر زمانه ، كتبه شاهين النورى (أشهر خطاطى عصره) ومات قبل أن يكمله ، فأكمله الشيخ خطاب ، وذلك بأمر السلطان » . وينهى ابن اياس عبارته بقوله : « وهو باق إلى الآن فى الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام » . ومعنى هذا أن المصحف ظل باقيا حتى عصر ابن اياس حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى على أقل تقدير .

وكانت مصر هى التى تقوم بعمارة المسجد النبوى ، أو بالحظ الأكبر منها فى تلك العهود ، فلما آلت الخلافة لآل عثمان باسطنبول وجه سلاطين الدولة العثمانية إلى المسجد عناية فائقة ففى القرن العاشر للهجرة عمَّره السلطان سليم الثانى وشيد به محرابا جميلا لايزال قائما إلى اليوم غرب المنبر النبوى . وفى القرن الثالث عشر للهجرة بنى السلطان محمود القبة الخضراء . وفى الربع الأخير من القرن الثالث عشر فى عهد السلطان عبد الحميد ، لوحظ أن المسجد بحاجة إلى عمارة بعد أن انقضى على عمارة قايتباى أربعة قرون ، فكان المهندسون يهدمون جزءا من المسجد ويقيمون مكانه مايحل محله ، ثم يهدمون بعده جزءا غيره ، حتى تمت عمارة المسجد كله سنة ١٢٧٧ . وقد زيد فى الجدار الشمالى ما كفى لبناء مخازن ومكاتب وأحواض للوضوء . وشيدت المئذنة المجيدية على الطراز العثمانى ، وبلغت نفقات هذه العمارة ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات المجيدية .

ويقول ابن فضل الله العمرى[1] : وذرع ما بين المنبر ومقام النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه حتى وفاته أربع عشرة ذراعا وشبر ، وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاث وخمسون ذراعا وشبر .

أما عن المنبر فلم يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منبرا فى أول الأمر ، بل كان إذا خطب يوم الجمعة وقف إلى جانب جذع من جذوع النخل المسقوف عليها المسجد ، فلما شق عليه القيام شاور أصحابه فى أن يتخذ منبرا ، فوافقوه على ذلك ، وأقيم منبر من شجر

---

(١) المسالك والممالك ص ١٢٩

الأثل ، وقد جاء فى سند ابن حنبل أن هذا المنبر كان يتكون من درجتين ومقعد . والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المقعد (أى الدرجة العليا) واضعا قدميه على الدرجة الثانية . ولما تولى أبو بكر صار يجلس على الدرجة الثانية ويضع قدميه على الدرجة الثالثة ، وخلفه عمر بن الخطاب فكان يجلس على الدرجة الأولى ويضع قدميه على الأرض .

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنة » .

* * *

وتقع بيوت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجانب الشرقى من المسجد ، قال السُهَيْلى : كانت بيوت النبى صلى الله عليه وسلم تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا . ويضيف الحافظ أبو عبد الله الذهبى : لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه فعل ذلك إنما كان يزيد بيتا حينئذ لسَوْدَه أم المؤمنين . ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة فى شوال سنة اثنتين ، وكأنه صلى الله عليه وسلم بناها فى أوقات مختلفة والله أعلم » .

وقال الحسن بن أبى الحسن : كنت أدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجرته ، عليه السلام ، أكسبه من شعر مربوطة فى خشب عَرْعرٍ . وجاء فى تاريخ البخارى أن بابه صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالأظافر ، أى لاحلق له .

ولما توفى أزواجه صلى الله عليه وسلم خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته .



زيارة الأضرحة في المواسم والأعياد

لقد جرت العادة فى مصر وسائر بلاد العالم الإسلامى تقريبا أن يزور الناس قبور الأهل وأضرحة آل البيت وأولياء الله الصالحين فى المواسم والأعياد الدينية وقد زاد اهتمام الناس بهذا التقليد القديم حتى أن وزارة الأوقاف رأت أن تساهم بدورها فى احياء هذا التقليد فشاركت فى إحياء ذكرى أصحاب هذه الأضرحة التى يزيد عدد المشهور منها على الألف . بإقامة احتفالات فى مواعيد معينة عرفت بالموالد .

وقبل أن نبدأ الحديث عن تاريخ نشاة هذا التقليد وعن تطور بناء الأضرحة فى الإسلام وما يقام فوقها من القباب والأقباء وما يجاورها من المساجد والزوايا والربط ، رأيت أن نعرف أولا حكم الدين فى زيارة القبور عامة وأضرحة الأولياء بصفة خاصة ، ثم نتتبع نشأة إقامة المبانى والعمائر على المقابر فى العالم الإسلامى عامة ومصر بصفة خاصة .

جاء فى كتاب الفقه[1] على المذاهب الأربعة ، أن زيارة القبور مندوبة (أى يحرص عليها

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة [– عبادات – وزارة الأوقاف] ص ٥٠٦ .

للاتعاظ وتذكر الآخرة) ؛ وتتأكد يوم الجمعة ويوما قبلها ويوماً بعدها عند الحنفية والمالكية أما الحنابلة فقالوا أن الزيارة لاتتأكد فى يوم دون يوم ، أى أنها مندوبة فى كل أيام الأسبوع . وعند الشافعية أن الزيارة تتأكد من عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت .

على أنه ينبغى عند زيارة القبور أن يشتغل الزائر بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت . فإن ذلك ينفع الميت على الأصح ، ومما يندب قوله عند زيارة القبور (اللهم رب الأرواح الباقية والأجسام البالية والشعور المتزقة ، والجلود المتقطعة والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، أنزل عليها روحا منك ، وسلاما منى) ومما ورد أيضا أن يقول : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون) .

ولم يكتف أئمة الشريعة الإسلامية السمحة بالحث على زيارة القبور القريبة فحسب بل وعلى البعيدة أيضا فقالوا : يندب السفر لزيارة الموتى خصوصا مقابر الصالحين . أما زيارة الروضة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية (فهى من أعظم القرب) ، وكما تندب الزيارة للرجال : (تندب أيضا للنساء العجائز اللائى لايخشى منهن الفتنة) أما الحنابلة والشافعية فيقولون بالكراهة والتحريم . على أن الائمة قد حددوا للزيارة أحكامها : ينبغى أن تكون الزيارة مطابقة لأحكام الشريعة ، فلا يطوف حول القبر ولايقبل حجرا ، ولاعتبة ولاخشبا ، ولا يطلب من المزور (أى الولى أو الشيخ) شيئا إلى غير ذلك) .

أما عن مبانى القبور ، فقد نشأت فى العمارة الإسلامية دون غيرها عمائر أقيمت على المقابر عرفت بالقباب ، وقد كانت القبة فى أول أمرها عنصرا معماريا أريد به اظهار أهمية بعض أجزاء المسجد ، كما هو الحال فى المسجد الأموى بدمشق ومسجدى الأزهر والحاكم فى مصر . ففى المسجد الأموى تتقدم المجاز ـ الذى يقسم أروقة القبلة إلى قسمين ـ قبة حجرية ، تبدو وكأنها رأس طائر أجنحته الاروقة العرضية وجسمه المجاز ، ولذلك أطلق عليها مؤرخو العصور الوسطى اسم قبة النسر أو قبة النصر . أما الجامع الأزهر والحاكم وهما من مساجد العصر الفاطمى فإن رواقيهما الآخيرين فى ايوان القبلة فى طرفيهما قبتان

بينهما قبة ثالثة فوق المحراب . ومن الواضح أن هذه القباب لم يكن لها وظيفة فى بناء المسجد سوى اظهار أهمية الجزء الذى تعلوه .

وبتطور العمارة الإسلامية تطورت كذلك القبة وأصبحت لها وظيفة هامة ، هى تغطية المساحات المربعة . وذلك للاستغناء عن استعمال الأخشاب التى تستوردها مصر من الخارج ومن ناحية أخرى للإشارة إلى أهمية هذا الجزء من المبنى .وقد أقبل المسلمون على استعمال القباب فى تغطية المبنى المقام على قبور الشخصيات البارزة مثل الملوك والسلاطين ، أو قبور أولياء الله الصالحين حتى اطلق اسم الجزء على الكل وصارت كلمة (قبة) اسما للضريح كله ، ومن هنا جاء المثل السائر (تحت القبة شيخ) .

على أن أقدم ضريح فى الإسلام أقيمت عليه قبة يرجع إلى القرن الثالث الهجرى وقد عرف هذا الضريح باسم (قبة الصليبية) . ويوجد فى مدينة سمارا بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق . ويتكون الضريح من مثمنين ، مثمن خارجى وآخر داخلى وفى الوسط توجد غرفة مربعة ، فهو بذلك يشبه فى تخطيطه إلى حد كبير قبة الصخرة فى الأردن . وقد بنى فى أركان الغرفة الأربعة مقرنصات حولت المربع إلى مثمن أقيمت فوقه القبة . ويقول الطبرى ، أن أم الخليفة العباسى استأذنت فى بناء ضريح منفصل لولدها فأذن لها ، إذ كانت العادة قبل ذلك أن يدفن الخليفة فى قصره . فأقامت قبة الصليبية فى شهر ربيع الثانى سنة ٢٨٤ ، وقد ضم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتز والمهتدى . وتعتبر قبة الصليبية أول قبة فى الإسلام . ويليها من حيث التاريخ ضريح اسماعيل السامانى المبنى سنة ٢٩٦ ﻫ فى مدينة بخارى ، ثم ضريح الإمام على فى النجف الذى بناه الحمدانيون سنة ٣١٧ ﻫ ، ثم ضريح محمد بن موسى فى مدينة (قم) بإيران سنة ٣٦٦ ﻫ ثم ضريح (السبع بنات) فى الفسطاط سنة ٤٠٠ ﻫ . وقد احتفظت لنا جبانة أسوان بمجموعة كبيرة من الأضرحة ذات القباب التى يرجع تاريخ معظمها إلى العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى .

أما عن تاريخ نشأة زيارة القبور فيحدثنا أبو هريرة رضى الله عنه فيقول : زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال استأذنت ربى أن استغفر لها فلم يأذن لى ، واستأذنته أن أزورها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت وفى رواية تذكركم الآخرة .

وروى عن السيدة فاطمة ابنة النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تزور قبر عمها حمزة فى بعض الأيام وتبكى عنده . وقيل عن عائشة رضى الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبدالرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

ولم يقتصر المسلمين فى مصر بزيارة القبور على إقامة المبانى والأضرحة عليها فحسب بل صنعوا فى آداب زيارتها وترتيبها المصنفات الطوال ، منها كتاب شمس الدين محمد بن الزيات المعروف (الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة) . فقد جاء فى فصل ابتداء الزيارة وترتيبها ما يأتى :

أما ابتداؤنا بالزيارة فمن المشهد النفيسى ، لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض ، وأردت بذلك أصح المشاهد كما رواه السادة العلماء رضى الله عنهم ولم أر أحدا من أرباب التاريخ صحح مشهدا بغير القرافة من مشاهد أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه إلا المشهد النفيسى ، لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها .



جبل المقطم وما به من المساجد والزوايا

من مظاهر القاهرة الطبيعية الهامة ، جبل المقطم الذى يقع فى الجهة الشرقية منها . وقد حدث هذا الجبل فى العصور الجيولوجية القديمة نتيجة التواء طبقات الأرض شرق نهر النيل فى شبه قوس متوسط الارتفاع تقرب قمته من القلعة حيث يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ مترا ويصل ارتفاع بعض أجزائه عند المعادى ٣٧٥ مترا . وينتهى طرف القوس شمالا عند مصر الجديدة وجنوبا عند المعادى ويبدو جبل المقطم وهو يطل على قرافة الإمام الشافعى وقرافة الخفير وكأنه شاطىء بحر قديم تركت مياهه آثار انسحابها التدريجى خطوطا واضحة فى ثنايا الجبل . وإلى الجنوب من مدينة القاهرة يوجد كثير من الوديان بجبل المقطم أهمها وادى التية ووادى دجلة بالقرب من المعادى ووادى أبو سالى ووادى الرشيد ، ووادى جراوى ووادى حوف بمنطقة حلوان ، ولايزيد طول هذه الوديان عن ١٥ أو ٢٠ كيلو مترا . وقد نتج عن وجود هذه الوديان بالقرب من القاهرة أنها أصبحت عرضة لاجتياح السيول لها فى كثير من الأحيان . ويمتاز جبل المقطم بوجود ظواهر طبيعية متنوعة فى هضابه

أهمها وجود طبقات من الصخور النارية مثل محاجر أبي زعبل البازلتية والجبل الأحمر والغابة المتحجرة والعيون الساخنة القديمة والأملاح القلوية .

وقد أفاض مؤرخو مصر فى العصور الوسطى فى وصف جبل المقطم وأطنبوا فى مدحه ونسبوا إليه الكثير من القصص التى تصل فى كثير من الأحيان إلى حد الأساطير . . وقد رأينا أن نذكر بعضا منها لطرافتها ولنقف إلى حد ما على أسلوب الكتابة العلمية فى ذلك الوقت من تاريخنا . .

يقول البكرى : المقطم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل بمصر يوارون فيه موتاهم . أما المقريزى فيذكر فى سبب تسميته بالمقطم القصة التالية : أن مصرايم ملك مصر أراد استخراج معدن الذهب والزبرجد والفيروزج وغير ذلك من المعادن الموجودة بمصر بطريقة الصنعة (أى بطريقة الكيمياء) فجعل أمرها إلى رجل يقال له مقيطام الحكيم كان يعمل الكيمياء فى الجبل الشرقى فسمى به ، واختصر من اسمه وبقى ما يدل عليه فقيل له جبل المقطم . على أن جمهور العلماء ذكروا أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه لما كان منقطع الشجر والنبات سمى مقطما .

ويقول ابن الزيات أن جبل المقطم كان أكثر الجبال أنهارا وأشجارا ونباتا فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، أوحى إلى الجبال ، أنى مكلم نبيا من أنبيائى على جبل منكم ، فتطاول كل جبل وتشامخ إلا جبل طور سيناء فإنه تواضع وتصاغر ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه ، لم فعلت ذلك وهو به أعلم ، قال اجلالا لك يارب ، فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن يجود كل جبل بشئ مما عليه فجاد له كل جبل بشئ مما عليه إلا المقطم فإنه جاد له بجميع ما كان عليه من الشجر والنبات والمياه فصار كما ترون أقرع . قال ، فلما علم الله سبحانه وتعالى ذلك منه ، أوحى إليه لاعوضنك عما كان على ظهرك ولاجعلن فى سفحك غراس الجنة .

وحكى الامام الليث بن سعد ، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله

عنه ، فرد عليه عمر قائلا : سله لما أعطاك ما أعطاك فيه وهو لايزرع ولايستنبط منه ماء . فسأل عمرو بن العاص المقوقس عن ذلك فقال : أنا نجد فى سفحه فى الكتب القديمة أنه يدفن فيه غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين فرد عليه قائلا : أنا لا أعرف غراس الجنة إلا للمؤمنين ، فاجعلها مقبرة لمن مات قبلك من المسلمين .

وهناك رواية أخرى تشبه فى مضمونها القصة السابقة ، رواها سفيان بن وهب الخولانى قال : بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح جبل المقطم وكان معنا المقوقس إذ قال له عمرو : ما بال جبلكم أقرع لانبات فيه على نحو جبال الشام ، قال : لا أدرى ولكن الله سبحانه وتعالى أغنى أهله بهذا النيل ، وأنا لنجد فى الكتب القديمة ما هو خير من ذلك يا عمرو ، فسأله عمرو : وما هو ؟ قال : ليدفن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لاحساب عليهم ، فقال عمرو : اللهم اجعلنى منهم .

وقد روى عن كعب الأحبار ، أنه سأل رجلا يريد مصر فقال : اهد لى ترابا من سفح مقطمها فاتاه الرجل بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة أمر أن يفرش تحت جنبه فى قبره .

ومن الروايات التى يذكرها مؤرخو العصور الوسطى فى سبب تقديس مسيحى مصر لجبل المقطم ورغبة المقوقس فى شرائه للاحتفاظ به ، الرواية التى ذكرها القضاعى ، وهى أن سيدنا عيسى عليه السلام مر هو وأمه السيدة مريم على هذا الجبل فقالت له أمه يابنى مررنا بجبال كثيرة مارأينا أكثر أنوارا من هذا الجبل ، قال : يا أماه يدفن هنا أمة من أمة أحمد أخى ، فهذا الجبل غراس الجنة ورياضها .

ويقول المقريزى ، أن السبب فى تسمية وادى مسجد موسى عليه السلام بجبل المقطم إنما سمى بذلك لأن سيدنا موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى .

ويقول الكندى فى كتابه ، فضائل مصر ، أنه لما أخبر عمرو بن العاص المقوقس برد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالاحتفاظ بجبل المقطم وعدم بيعه قال له المقوقس : ما على هذا صالحتنى ، فقطع له عمرو قطيعا نحو بركة الحبش (جنوب مصر القديمة) يدفن فيها النصارى .



جبل المقطم
وما به من
الأودية والمساجد

كان طبيعيا أن يلجأ الزهاد والمتصوفون إلى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاما ومن أوديته مناما بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة على الإسلام له ، وتكريم المسلمين أيضا . وأما عن الأودية التى به فمن أهمها وادى المستضعفين الذى كان يسيح فيه الشهور والسنين شيخ العارفين وسلطان المحبين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فاستمع إليه إذ يقول : كنت فى أول تجريدى استأذن والدى واطلع إلى وادى المستضعفين بالجبل (أى المقطم) وآوى فيه وأقيم فى هذه السياحة مدة ليال والها ثم أعود إلى والدى لأجل بركته ومراعاة قلبه . وكان والدى يومئذ خليفة الحاكم العزيز بالقاهرة ومصر (العادل أخو صلاح الدين) وكان من أكابر أهل العلم والعمل فيجد سرورا برجوعى إليه . وكان رحمه الله يلزمنى بالجلوس فى مجالس الحكم ثم اشتاق إلى التجريد فاستأذنه وأعود إلى السياحة فى وادى المستضعفين بالجبل ومابرحت أفعل ذلك مدة إلى أن سئل والدى أن يكون قاضى القضاة فامتنع ونزل عن الحكم واعتزل الناس وانقطع إلى الله تعالى فى الجامع الأزهر إلى أن توفى ، فعدت إلى التجريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة .

وهناك وادى الدجلة القرقوبى على قرن الجبل المقطم المطل على كهف السودان بناه أبو الحسن القرقوبى الذى وفد على مصر من العراق سنة خمس عشرة وأربعمائة فى عهد الدولة الفاطمية . وكان موضع وادى الدجلة قبل بنائه محراب قديم مبنى من الحجر يعرف بمحراب ابن الفقاعى الرجل الصالح ، وعلى يسار المحراب يوجد كهف عرف بكهف السودان يقال أن قوما من السودان نقروه وتعبدوا فيه ، ويقال له كذلك كهف السادة ، وفى القرن الخامس الهجرى زاد الأندلسى البزاز فى أسفله مواضع نقرها فى الجبل وبنى علوها كما شق مجازا يسلك منه إلى الكهف ونقر الدرج التى يصعد عليها الى الوادى ويقال أنه انفق على هذه الأعمال أكثر من ألف دينار . وقد سجل هذه الأعمال على حجر نقش عليه تاريخ البدء والانتهاء منها جاء فيها (وكان ابتداؤه بالبناء مستهل المحرم سنة احدى وعشرين وأربعمائة وفرغ منه فى شعبان من السنة نفسها . ومن الأودية المشهورة كذلك الوادى الذى توجد به المغارة التى يقال لها مغارة ابن العارض وهو أبو بكر جد مسلم القارى . ومن الاودية التى ورد ذكرها فى تراجم المتصوفين وادى الملك ووادى اللبلابة ووادى هس ووادى الشياطين .

أما ما بنى بجبل المقطم من المساجد فلعل أقدمها المسجد المعروف بالتنور ويقال أنه عرف بهذا الاسم لأنه بنى مكان تنور فرعون الذى كان توقد له فيه النار فإذا رأى أهل مصر النار عرفوا بركوبه فيجتمعون له . وقيل أن النار كانت توقد بالطرفا واللبان والصندروس ليرتفع الوباء عن أهل مصر . ومن القصص التى تروى عن مكان هذا المسجد ما ذكره القضاعى إذ يقول : وجدت فى كتاب قديم أن يهوذا بن يعقوب عليهما السلام ، لما دخل اخوته على أخيهم يوسف عليه السلام فى قصة الصواع دخل إلى مكان بذروه فأقام به وكان مقابل التنور ، ثم خلا ذلك المكان إلى أيام الدولة الطولونية فأخذ ابن طولون علماً بفضل هذا هذا المكان فأمر بعمارة المسجد والمنار وجعل فيه صهريجا يخزن فيه الماء كما حبس عليه الأحباس . ويقال أيضاً أن تنور فرعون لم يزل بحاله حتى هدمه أحد قواد أحمد بن طولون يقال له وصيد .

ومن المساجد الهامة هناك مسجد اللؤلؤة الذى ما تزال آثاره باقية حتى الآن ويقال أن مكانه كان مشهورا بإجابة الدعاء فلما أخبر الحاكم بفضله بنى عليه مسجدا وسماه

اللؤلؤة وكان بناؤه فى سنة ست وأربعمائة . والمسجد مقام بالقرب من مقام اليسع وروبيل شقيق شيبان الراعى وهو من مشاهد الرؤيا لأنه من الثابت تاريخيا أنه لم يدفن بمصر إلا يوسف عليه السلام .

وهناك مسجد دكة القضاة ، قال القضاعى هى دكة مرتفعة عن المساجد فى الجبل كان القضاة بمصر يخرجون إليها لرؤية الاهلة وخاصة هلال رمضان ثم بنى مكان هذه الدكة مسجد عرف باسمها . . ومسجد فائق مولى خمارويه بن أحمد ابن طولون كان فى سفح الجبل مما يلى طريق مسجد موسى ، الذى بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

ومن المساجد الكبيرة بجبل المقطم مسجد الفقاعى ، وهو ابو الحسن على بن الحسن بن عبد الله كان أبوه فقاعيا بمصر ، وقد بنى هذا المسجد كافور الأخشيد ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير . وكان فى وسط المسجد محراب مبنى من الطوب يقال أنه من بناء حاطب بن أبى بلتعة رسول النبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس وقيل أنه أول محراب اختط فى مصر وكان أبو الحسن التميمى قد زاد فى بنائه قبل ذلك .

وفى شرق الخندق الذى يعترض جبل المقطم يوجد مسجد الكنز وكان مسجداً صغيراً يعرف بالزمام مات بانيه قبل اتمامه فهدمه أبو طاهر محمد بن على القرشى القرقوبى ووسعه وبناه . ولعل أقدم مساجد جبل المقطم الذى ما تزال بعض آثاره باقية جامع محمود إذ يقول عنه المقريزى : هذا المسجد قديم والخطبة فيه متجددة وينسب لمحمود بن سالم من أجناد السرى بن الحكم أمير مصر بعد سنة مائتين من الهجرة. وقال القضاعى عن مسجد محمود : يقال أن محمودا هذا كان رجلا جنديا من جند السرى بن الحكم أمير مصر وأنه هو الذى بنى هذا المسجد وذلك أن السرى بن الحكم ركب يوما فعارضه رجل فى طريقه فكلمه ووعظه بما غاظه فالتفت عن يمينه فرأى محمودا فأمر بضرب عنق الرجل ففعل فلما رجع محمود إلى منزله تفكر وندم وقال : رجل يتكلم بموعظة بحق فيقتل بيدى وأنا طائع غير مكره على ذلك فهلا امتنعت وكثر أسفه وبكاؤه وآل على نفسه أن يخرج من الجندية

ولا يعود فيها ولم ينم ليلته من الغم والندم فلما أصبح غدا إلى السرى فقال له أنى لم أنم فى هذه الليلة على قتل الرجل وأنا أشهد الله عز وجل وأشهدك أنى لا أعود فى الجندية فأسقط اسمى منهم وأن أردت نعمتى فهى بين يديك ، وخرج من بين يديه وحسنت توبته وأقبل على العبادة واتخذ المسجد المعروف بمسجد محمود وأقام فيه . وقال ابن المتوج الجامع المشهور بسفح المقطم هذا الجامع من مساجد الخطبة وهو أول من خطب فيه السيد الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد قاضى العسكر والمدرس بالمدرسة الناصرية الصلاحية بجوار جامع عمرو .

ومن المشاهد الباقية بجبل المقطم مشهد الجيوشى الذى بنى لأمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

وعلى ربوة منفصلة من جبل المقطم بنى صلاح الدين الأيوبى قلعته المعروفة بقلعة الجبل . وفى داخل القلعة أقام السلطان الناصر محمد بن قلاوون مسجده الذى ما يزال باقيا حتى اليوم ويعرف باسمه . وفى العصر العثمانى شيد سليمان باشا والى مصر مسجده الذى يعرف باسم سارية الجبل . وفى القرن التاسع عشر بنى محمد على مسجدا بالقلعة يعتبر أجمل ما شيد من مساجد العصر العثمانى .



جامع عمرو بن العاص بالفسطاط

نشأ عمرو بن العاص فى بطن من بطون قريش المشهورة وهم بنو سَهْم ، وأبوه هو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . ويقال فى متواتر الروايات أنه كان من ذوى اليسار وكان يتجر بين الشام واليمن ، ويحتشد لرحلة الصيف ورحلة الشتاء ، وقد كان عمرو بأبيه جد فخور ، حتى لقد كان يفخر به على الخلفاء كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، إذ يقول الطبرى[1] وكذا ابن حجر[2] ، : لما أرسل إليه عمر بن الخطاب من يحاسبه ويشاطره ماله غضب وقال للرسول : « قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله أنى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما إلا فى نَمِرة لاتبلغ رسغيه . والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزورا بالذهب » . ولما عزله عثمان من ولاية مصر دعاه فانبه وقال له : استعملتك على ظلعك

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ٢٥

(٢) الاصابة فى تميز الصحابة جـ ٢ ص ٣٧

وكثرة القاله فيك . فقال عمرو : كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض . واحتدم الغضب بينهما ، فهم عمرو بالخروج مغضبا وهو يقول : قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك ، فوالله للعاص كان أشرف من عفان . فما زاد عثمان على أن قال : مالنا ولذكر الجاهلية .

وعلى قدر فخره بأبيه كان خجله من نسبه إلى أمه فقد كان حسادة والناقمون عليه يلاحقونه بذكرها وهو على دست الامارة ومنبر الخطابة ، فسأله رجل وهو على المنبر قال : من أم الأمير ؟ فأمسك من غضبه وقال : النابغة بنت عبد الله ، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان ، ووهبها للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئا فخذه .

وبرغم ثراء العاص بن وائل ، فإنه يظهر من أخبار عمرو أنه لم يتلق مالا كثيراً من أبيه ، فقد كان يحترف الجزارة ويعمل بمال غير وفير فى تجارة الادم والعطر بين اليمن والشام ومصر .

وقد ظهرت الدعوة المحمدية وعمرو بن العاص يعيش فى الحجاز ، ولكنه لم يسلم إلا فى السنة الثامنة للهجرة على أرجح الأقوال ، ويؤخره بعضهم إلى ما بعد فتح مكة بزمن وجيز . قال وقد اعتزم لقاء النبي صلى الله عليه وسلم : (فأضمرت أن أبايعه على ما تقدم وما تأخر فلما بسط يده قبضت يدى ، فقال عليه السلام : مالك يا عمرو ؟ قلت : أبايعك يا رسول الله على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبي . قال أن الإسلام والهجرة يجبان ما كان قبلهما . فبايعته ووالله ما ملأت عيني منه وراجعته بما أُريد حتى لحق ربه ، حياء منه » . فقد كانت رحابه صدر النبي صلى الله عليه وسلم تسع الناس جميعا ولا تضيق بأحد من مختلف الطوائف والطباع ومن سيره عمرو بعد إسلامه نعلم أنه كان يتعبد ، ويتصدق ، ويستغفر من ذنوب وقع فيها ، ويقيم الصلاة ويسرد الصوم ويعيش بين ذويه مسلما وكلهم مسلمون .

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف غيره من الصحابة خير معرفة . فقد ندبه لأمور لا يندبه لها إلا من كان على علم واف بالرجل ، وما غلب عليه من ظاهر خصاله واستسر فى مكنون خلده . ندبه لغزوة ذات السلاسل ، ولهدم الصنم (سُوَاع) ولدعوة جيفر

وَعبَّاد أميرى عُمَان إلى الإسلام . ثم أقامه على الصدقة فى تلك الامارة ، فإذا هو عليه الصلاة والسلام قد وعى صفاته ومميزاته ، فقد أختار له المساعى التى توافق رجلا معتدا بنسبه ، محبا للرئاسة وتدبير المال ، لبقا فى الخطاب ، قديرا على الاقناع حذرا فى موضع الحذر جريئا فى موضع الجرأة .

كان أخوال العاص بن وائل من قضاعة يتأهبون للزحف على المدينة ويعيثون فى الطرق المؤدية إليها فسادا ، فندب لهم عمرا يتألفهم أن استطاع أو يزجرهم إن لم يستطع فهو بهم أولى ، فأرسله فى سرية ثلثمائة رجل سار بهم حتى بلغ ماء يسمى السلاسل فاستطلع فإذا القوم أكبر عددا من أن يتصدى لهم بجيشه الصغير ، فطلب المدد من النبى صلى الله عليه وسلم فأمده بكتيبة على رأسها أبو عبيدة بن الجراح ، وفيها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وهم أجل الصحابة وأقربهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يطيعوه . فانهزمت قضاعة ولم يغتر عمرو بالنصر ولم ينس ذمة القرابة واستبقاء الرحم ، فقد أراد جيشه أن يتعقب المنهزمين فنهاهم عن ذلك . وحدث أن ذهب جماعة من الجيش يصطلون ليلا من شدة البرد ، فتوعدهم قائلا : لئن فعلتم لاقذفن بمن أضرم نارا فى النار التى أوقدها ووسطوا له أبا بكر فأصر على رأيه ووعيده ، فلما وصلوا المدينة شكوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكان فى رده مايدل على طول باع فى النواحى العسكرية وحنكة ودراية بالأساليب السياسية قال : كرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد ، وكرهت أن يوقد المسلمون نارا فيرى عدوهم قلتهم فيكر عليهم بعد فراره .

أما بعثته إلى سُوَاع فقد كانت لهدم الصنم الذى عبدته هُذَيل فى الجاهلية وكان على مقربة من مكة . يقصدونه للحج والعبادة وقضاء النذور . وكانت له خزانة يودع فيها مايودع من النذور من المال الذى وكل به بنو سهم قبل الإسلام ، فكان اختيار زعيم من بنى سهم فيه حرص على تحصيل المال دون إراقة دماء . فلما جاء سادن الصنم وسأله ، ماذا يريد ، أجابه عمرو بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بتحطيم الصنم ، فحذره السادن من مغبة هذا العمل وقال له أنك لاتقدر على ذلك ، فما كان من عمرو إلا أن تقدم من الصنم وكسره

وأمر أصحابه بهدم الخزانة فإذا هى خاوية . ثم أقبل على السادن وسأله كيف رأيت ، قال : أسلمت لله رب العالمين .

أما مهمةُ عمان فقد كانت تطلب رسولا يتوفر فيه اللباقة والدهاء والجرأة وحُب الرياسة والطمع فى الثراء ، وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك كله فى عمرو فاختاره لها . فقد كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى جَيْفَر وعبَّاد ابنى الجُلَنْدى أمير عُمان كتابا يدعوهما فيه إلى الإسلام ، وحمل عمرو بن العاص الكتاب ، وكان عند حسن ظن الرسول صلى الله عليه وسلم به فى مقدرته ودهائه ، فبدأ بأصغر الاخوين عباد ، لأنه لم يكن على ولاية الملك فهو أقرب إلى إجابة النداء ، فاحتفى به وأصغى إليه ، ووعده أن يمهد له عند أخيه . ثم لقى جَيْفَرا فإذا هو صعب المراس ، فأخذ يسأل عمرا عن نفسه وعن أبيه ثم تطرق الحديث إلى قريش وعما صنعت فأوجز له موقفها ايجازا جد بليغ إذ قال « إما راغب فى الدين وإما مقهور بالسيف » ثم عقب بحديث فيه وعد ووعيد حيث قال له : « وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه بوطئك الخيل ، فأسلم تسلم ، فيوليك على قومك ، وتبقى على ملكك مع الإسلام ، ولاتدخل عليك الخيل والرجال ، وفى هذا ، ومع سعادة الدارين ، راحة من القتال » .

وكان من نتيجة الأساليب السياسية التى اتبعها مع الأخوين أن استجاب الأخوان ومن تبعهما للإسلام . وكان جزاء عمرو على هذا التوفيق أن عقد له النبى صلى الله عليه وسلم ولاية الزكاة ، يأخذها من الأغنياء ويفرقها على الفقرء ، وهو عمل حبيب إلى قلب عمرو لرغبته الشديدة فى المال وطمعه فى الثراء . وظل عمرو فى ولاية الزكاء حتى توفى رسول الله ولم يشأ الخليفة أبو بكر أن يعزله عنها إلا برأيه ومرضاته وذلك جريا على السنة التى التزمها من اقراره كل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته وهى « ألا يحل عقالا عقله الرسول صلى الله عليه وسلم ولايعقل عقالا لم يعقله » . ويقال إن عمراً لم ير قط فى حزن كالحزن الذى غمره يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فبكى طويلا وجلس يتلقى العزاء كما يتلقاه فى أقرب الناس إليه . ثم جاءت حروب الردة فكان موقفه منها الموقف المنتظر

من مثله ، فقد حدث وهو فى طريقه من عُمان إلى المدينة ، أن نزل ببنى عامر ، فإذا بزعيمها قرة بن هبيرة يهم بالردة ويقول له : « ياعمرو إن العرب لاتطيب لكم نفسا بالاتاوة ، فإن أعفيتموها فستسمع لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم » . فلم تأخذه فى الأمر هواده بل اشتد معه وأغلظ له القول وصاح به « ويحك ، أكفرت ياقره ؟ تخوفنا برده العرب ، فوالله لاوطئن عليك الخيل فى حفش أمك » (أى فى خبائها) . ويعلق العقاد[1] على هذه الحادثة بقوله : وكان هذا الموقف منه أول مااستحق به الثقة والرعاية فى عهد الخلافة ولما استقر رأى الخليفة أبى بكر على البعوث ، فأرسل أبا عبيدة بن الجراح إلى حمص ويزيد بن أبى سفيان إلى دمشق وشرحبيل إلى وادى الأردن وعمرو بن العاص إلى فلسطين ، ويقدر عدد الجيش الذى قاده عمرو بتسعة آلاف مقاتل وعدد الجيوش الإسلامية كافة سبعة وعشرين ألفا من الفرسان والمشاة ، وكان ذلك فى أواخر السنة الثانية عشرة للهجرة . وإذا كان عمرو لم يستطع اقناع عمر بن الخطاب لكى يكلم أبا بكر ليجعله أميرا على الجيوش الإسلامية ، إلا أنه استطاع بدهائه أن يكون موضع شورى ومراجعة تلك الجيوش التى انتهت بالانتصار فى معركة اجنادين وفى وقعة اليرموك .

وما زالت ثقة عمر بن الخطاب بكفاءة عمرو وحنكته الحربية والسياسية تعظم كلما تم له النصر على مدينة تلو الأخرى حتى تم للعرب الاستيلاء على بيت المقدس وتم تسليمها للخليفة عمر سنة ١٥ هـ . وفى عام ١٨ هـ تطلعت نفس عمرو إلى فتح أكبر وأخطر ، إلى فتح الديار المصرية التى كانت درة التاج فى دولة هرقل . أفضى القائد الجرىء بأمله إلى الخليفة ، فاستمع إليه وتردد ، أما عمرو فقد كان أعلم الناس بالخليفة وبمصر من أن تفوته وسيلة الاقناع فى هذا المقام ، إذ قال له : فلتكن غزوة مصر دفعا للخطر وضمانا لأرواح المسلمين » وكان عمر بن الخطاب يعلم أنه يستمع إلى صواب ولكنه استجاب لرأى عمرو وهو بين الاقدام والأحجام ، فأذن له فى السير وأنظره كتابا آخر يأتيه منه فى الطريق ، وقال له : سيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر

---

(١) عمرو بن العاص ص ٥٩ .

قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى ، فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره » . وقيل أن كتاب عمر أدرك عمراً فى رفح فأغضى عن الرسول حتى بلغ مكانا من مصر غير مختلف فيه ، فقرأ الكتاب وقال لجنده « لم يلحقنى كتاب أمير المؤمنين حتى دخلنا أرض مصر فسيروا على بركة الله وعونه » .

ويقول العقاد « قام عمرو بفتح مصر وقام بتأمين ذلك الفتح وتمكينه على نحو لم يسبقه إليه سابق من فاتحى وادى النيل فى قديم عصوره ، لأنه أبقى لهذا الفتح أثرا خالدا فى لغة البلد ودينه وفنونه ، فصنع مالم يصنعه فاتح قديم وقلّ أن يصنعه فاتح حديث . وقد أنصف الخليفة عمرا وأحسن جزاءه بتوليته على مصر بعد فتحها وتنظيم شئونها وكان عمرو من الولاة القليليين الذين طال عهدهم بالولاية فى خلافة عمر بن الخطاب قضى عمرو نحو خمس سنوات واليا لمصر فى خلافة عمر وأقره عثمان على ولاية مصر . وظل أميرا عليها حتى عزل سنة ٢٧ هـ . وتولى عمرو ولاية مصر للمرة الثانية فى عهد معاوية بن أبى سفيان سنة ٤١ هـ وبقى بها حتى وافته المنية سنة ٤٣ هـ وقد جاوز الثمانين أو قارب المائة فى قول آخر . وكانت وفاته ليلة عيد الفطر فدفن بجوار المقطم . وكان رحمه الله عليه فى أخريات أيامه يدعو الله قائلا : « اللهم آتيت عمرا مالا ، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمراً ماله ولا تعذبه بالنار فأسلبه ، وأنك آتيت عمرا أولادا ، فإن كان أحب أن تُثْكل عمرا ولده ولاتعذبه بالنار فأثكله ولده . وأنك آتيت عمرا سلطانا ، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه » .

وكان يقول « اللهم لاقوى فانتصر ، ولا برئ فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر لا إله إلا أنت ، لاإله إلا أنت » ولم يزل يرددها حتى مات .

* * *

وصف الجامع

لقد جرى العرب فى فتوحاتهم على أن يؤسسوا فى الأقطار التى يفتحونها عواصم جديدة يختارون موقعها بما يتفق ومصالحهم العامة والخاصة . ففيما يتعلق بمصر نرى أنه بعد أن فتحها العرب أسس عمرو بن العاص حاضرة جديدة سنة احدى وعشرين للهجرة فى المكان الفسيح الذى يقع إلى الشمال من حصن بابليون حيث عسكرت قوات العرب للمرة الأولى وأسماها الفسطاط . وقد اختلفت الروايات فى أصل كلمة (الفسطاط) فجمهور مؤرخى العرب يرجعون أصلها إلى أسطورة اليمامة المعروفة ، أما المستشرقون فيرجعونها إلى كلمة Fastum[1] اللاتينية وهى الخيمة .

وقد وفق عمرو فى اختيار موقع المدينة أيما توفيق سواء من الناحية الجغرافية أو الحربية فمدينة الفسطاط تقع عند رأس رأس الدلتا ، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرانية وبذلك تكون الفسطاط فى مأمن من هجمات العدو وهى فى نفس الوقت قريبة من الأراضى الزراعية الأمر الذى يسهل معه وصول المؤن والأقوات . ويحمى الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم فهو درعها الواقية ضد العدو وضد فيضان النيل .

---

(١) فتح مصر — تأليف بتلر ترجمة فريد أبو حديد ص ٢٩٤ .

وقد دل عمرو بن العاص على بعد نظره عندما راعى فى اختياره لموقع المدينة أن يكون لها جانب يمكن أن يَطَّرِد فيه اتساعها ألا وهو الجهة الشمالية الشرقية ، التى بنيت بها مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد .

وما كاد عمرو بن العاص ينتهى من تـأسيس مدينة الفسطاط حتى أقام فى وسطها جامعة العتيق[1] : إمام المساجد ومطلع الأنوار اللوامع ، طوبى لمن حافظ على الصلوات ، فيه ، وواظب على القيام بنواحيه[2] . واتسعت أرجاء الجامع حتى بلغ مساحته الحالية فى العصر الأموى .

كانت مساحة جامع عمرو فى أول أمره خمسين ذراعا طولا فى ثلاثين ذراعا ، يقول أبو سعيد الحميرى » «وكان الطريق يطيف به من كل جهة ، وقد جعل له عمرو بابين يقابلان داره وبابين فى بحريه وبابين فى غربيه[3] . وكان سقفه مطأطأ جدا ولا صحن له فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية[4]

قال الكندى عن يزيد بن أبى حبيب ، سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح (جامع عمرو) يقولون وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام والمقداد وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر رضى الله عنهم . وفى رواية أخرى ، « أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة ، أبو ذر وأبو بصيرة ومحنة بن جزء الزبيدى ونبيه بن صواب . وقال عبد الله ابن أبى جعفر : « أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك وهما نقيبان . وقيل أن عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرجبيل بن حسنة وعمرو بن علقمة القرشى يقيمان القبلة

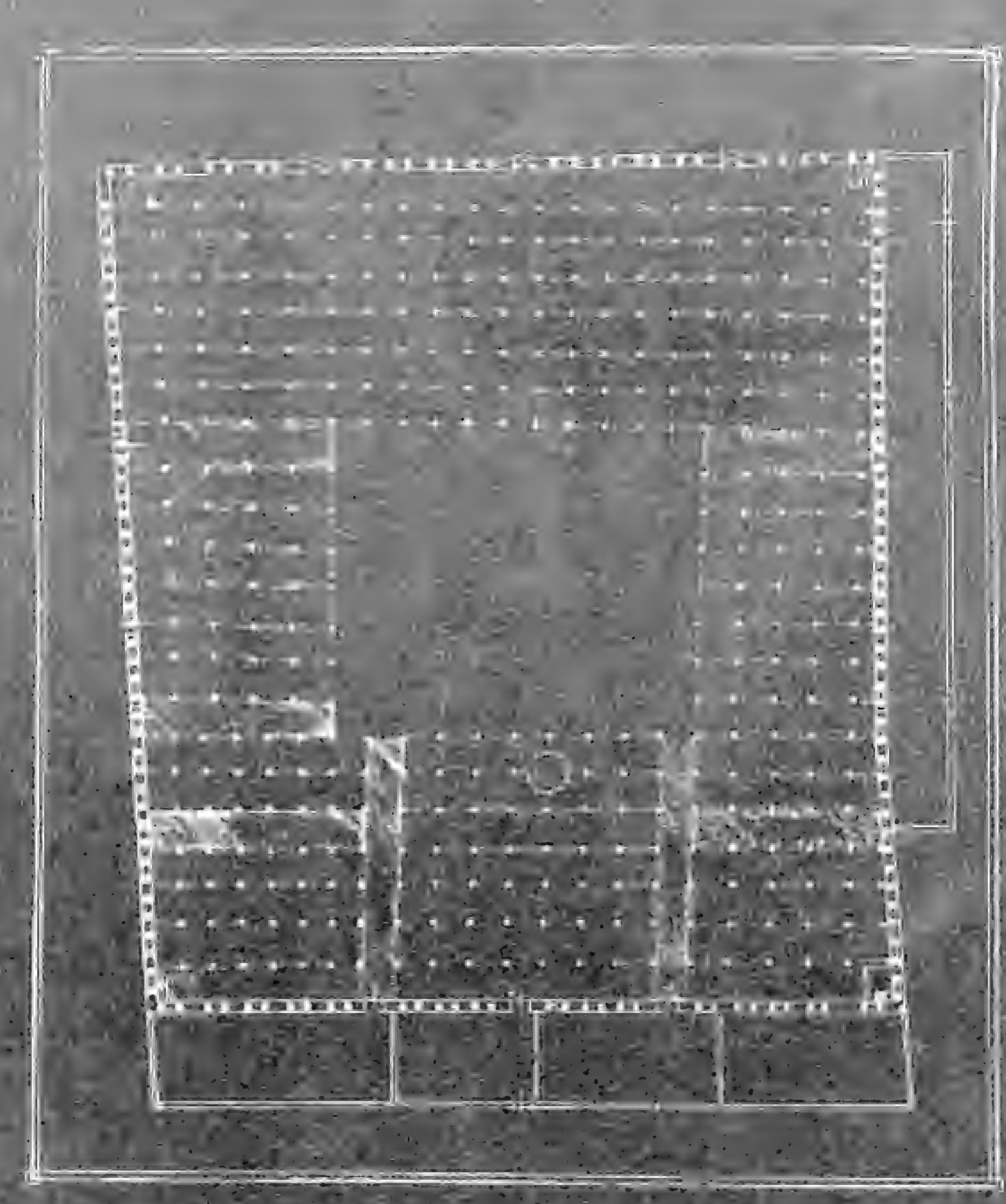
---

(١) جامع عمرو تأليف محمود أحمد .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار — ابن دقاق جـ ٤ ص ٥٩

(٣) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٦٧

(٤) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ٤



شكل رقم (٩) جامع قرطبة الأصلي

وقال لهما قوما إذا انتصفت الشمس فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا ، وكان عمرو بن العاص يَمُد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد بها .

وقد اتخذ عمرو منبرا فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلا له : « أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره ، ويقال أنه أعاده بعد وفاة عمر[1] .

وأول من زاد فى جامع عمرو هو مسلمة بن مخلد الانصارى والى مصر من قبل الخليفة معاوية ابن أبى سفيان وكان ذلك سنة ٥٣ هـ ، فقد جاء فى كتاب أخبار مسجد أهل الراية (جامع عمرو) مانصه : « ولما ضاق المسجد بأهله شكوا ذلك إلى مسلمة بن مخلد وهو الأمير يومئذ فكتب فيه إلى معاوية بن أبى سفيان فكتب إليه يأمره بالزيادة فيه من شرقيه مما يلى دار عمرو بن العاص وزاد فيه من بحريه ولم يحدث فيه حدثا من القبلى ولا من الغربى . وجعل له رحبه كان الناس يصيفون فيها » . ويضيف المقريزى فيقول نقلا عن الكندى : كما لاطه مسلمة بالنوره (أى دهنه بالطلاء) وزخرف جدرانه وسقوفه ولم يكن المسجد الذى لعمرو فيه نوره أو زخرف » .

أمر معاوية[3] « بابتناء منار المسجد الذى فى الفسطاط وأمر أن يؤذنوا فى وقت واحد ، وقيل أن مسلمة جعل للمسجد الجامع أربع صوامع فى أركانه الأربعة وهو أول من جعلها فيه . كما فرش الجامع بالحصر ، وكان قبل ذلك مفروشا بالحصباء .

وكانت الزيادة الثانية كما يقول القضاعى فى عهد عبد العزيز بن مروان فقد هدمه فى سنة تسع وسبعين من الهجرة وهو يومئذ أمير مصر من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التى كانت فى بحريه ولم يجد فى شرقيه موضعا يوسعه به . ويقول الكندى « أن عبد العزيز بن مروان لما أكمل بناء

---

(١) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٤١

(٢) الولاة والقضاة ص ٣٥ .

(٣) المقريزى ج ٤ ص ٢٧

المسجد خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد فرأى فى أهله خفة (أى غير مزدحم) فأمر بأخذ الأبواب على من فيه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا فيقول للرجل ألك زوجة فيقول لا ، فيقول : زوجوه ألك خادم فيقول لا فيقول لا فيقول أخدموه أحججت فيقول لا فيقول أحجوه ، أعليك دين فيقول نعم ، فيقول اقضوا دينه فأقام المسجد بعد ذلك دهرا عامرا ولم يزل إلى اليوم .

كذلك أمر عبد الله بن مروان والى مصر من قبل أخيه الوليد ، برفع سقف الجامع وكان مطأطأً وذلك فى سنة تسع وثمانين ، ثم أن قره بن شريك العبسى هدم الجامع فى مستهل سنة اثنتين وتسعين بأمر الوليد بن عبد الملك وفرغ من بنائه سنة ثلاث وتسعين ونصب المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ونزع المنبر الذى كان فى المسجد من عهد عمرو بن العاص، وكان منبر جامع عمرو هو المنبر الوحيد فى مساجد مصر ، إذ لم يكن يخطب فى القرى إلا على العصا إلى أن ولى عبد الملك بن موسى بن نصير اللخمى إمارة مصر من قبل مروان ابن محمد (آخر خلفاء الدولة الأموية) فأمر باتخاذ المنابر فى القرى وذلك فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

وأمر قره بن شريك بعمل المحراب المجوف (على غرار المحراب المجوف الذى عمله عمر بن عبد العزيز فى المسجد النبوى) وهو المحراب المعروف باسم محراب عمرو لأنه فى سمت محراب المسجد القديم الذى بناه عمرو بن العاص . كذلك ذَهَّب تيجان الأعمدة الأربعة التى تتقدم المحراب . ولما وسع قره المسجد فتح فيه أحد عشر بابا أربعة فى شرقية ومثلها فى غربيه وثلاثة فى الجهة البحرية . وفى خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧ هـ بنى أسامة بن يزيد التنوخى متولى الخراج ، بيت المال الذى يعلو الفوارة بالجامع وهى بناء يعلوه قبة . ومايزال بيت المال يتوسط صحن الجامع حتى الآن ، ويرى الأستاذ عكوش[١] أن المبانى التى توجد فى صحن مساجد مصر والشام والتى يعلوها قباب وعرفت باسم بيت المال ، إنما أعدت لايداع أموال اليتامى .

---

(١) تاريخ المساجد الاثرية ص ١٩

وفى العصر العباسى زاد فى المسجد صالح بن على والى مصر من قبل أبى العباس السفاح وذلك بإضافة أربعة أساطين فى مؤخرته وذلك فى سنة ١٣٣ هـ ، ويقال أنه أدخل فى الجامع دار ابن الزبير وباب الكحل من هذه الزيادة ، كما عمَّر صالح مقدم الجامع عند الباب الأول منه . وفى سنة ١٧٥ فى خلافة هارون الرشيد زاد والى مصر موسى بن عيسى الرحبة التى فى آخر المسجد وهى نصب الرحبة المعروفة برحبة أبى أيوب ، ولما ضاق الطريق بهذه الزيادة أخذ النصف الثانى من رحبة أبى أيوب ووسع بها الطريق[1] .

وفى سنة ٢١٢ هـ أمر عبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل الخليفة المأمون بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه من غربيه . وبذلك أصبحت مساحته ١١٢٫٥ مترا ١٢٠٫٥ مترا وهى مساحته الحالية كذلك نصب اللوح الأخضر وأصلح بنيان السقف وبنى سقاية فى الحذائين وأمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب . ويقول محمود أحمد : توضيح زيادة ابن طاهر برسم خط يبدأ من منتصف فتحة الباب الأوسط وينتهى عند حائط القبلة بجانب المحراب الكبير الحالى . وهذا الخط يقسم المسجد إلى قسمين متساويين تقريبا الجنوبى هو زيادة ابن طاهر والقسم الشمالى المسجد الأصلى بالإضافة التى أضيفت إليه إلى ماقبل عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ .

وفى عهد الدولة الطولونية وقع فى مؤخر المسجد حريق هلك فيه أكثر زيادة عبد الله ابن طاهر ، وكذا الرواق الذى عليه اللوح الأخضر ، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته ، فأعيد على ما كان عليه وأنفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه فى دائرة الرواق الذى كان عليه اللوح الأخضر .

وفى العصر الأخشيدى نقش أكثر العمد وطوقت بأطواق من الفضة ، حتى إذا ما جاء منتصف القرن الرابع الهجرى كان المسجد بالغا حَدَّه من الزخرف ، من تذهيب ونقش وتطويق للعمد .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٤

وقد زاره في ذلك الوقت الرحالة عبد الله المقدسى[1] فقال : أنه أحسن البناء وفى حيطانه شيء من الفسيفساء ، يقوم على أعمدة رخام وهو أكبر من جامع دمشق ، وهو أعمر موضع بمصر » .

وبرغم أن الجامع الأزهر هو مسجد الدولة الرسمى فى عصر الدولة الفاطمية إلا أن جامع عمرو بن العاص حظى بالكثير من العناية والرعاية من خلفاء الفواطم[2]، فيحدثنا المقريزى[3] أن الخليفة العزيز بالله ثانى خلفاء الدولة الفاطمية أمر وزيره يعقوب بن كلس أن يزيد فيه الفوارة التى تحت بيت المال ، وهو أول من عمل فيه فوارة كما عمل للمسجد مساقف الخشب المحيطة بها وكان ذلك فى سنة ٣٨٧ هـ ، كما جدد بياض المسجد وقلع شيء كثير من الفسيفساء الذى كان فى أورقته وبيض مواضعه . ويقول المسبحى فى تاريخه فى حوادث سنة ٤٠٤ ، أى فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله : إنه أنزل من القصر إلى الجامع العتيق بألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو مكتوب كله بالذهب ومكّن الناس من القراءة فيها . كما أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى الجامع تنوراً (نجفة) من الفضة يبلغ قيمته مائة ألف درهم فضة ، فاجتمع الناس ولم يمكن ادخاله بالمسجد إلا بعد أن قلعت عتبتا الباب حتى أدخل به . ويذكر القضاعى أن الحاكم بأمر الله أمر بعمل رواقين فى صحن الجامع ، كما يذكر فى حوادث سنة ٤٤٢ هـ عملت لموقف الامام فى زمن الصيف مقصورة خشب ومحراب من خشب الساج الهندى المنقوش به عمودان من خشب الصندل ، وتقلع المقصورة فى الشتاء إذا ما صلى الامام فى المقصورة الكبيرة .

ويعلق حسن عبد الوهاب على هذه الرواية فيقول : ولهذا الخبر أهمية خاصة فقد أوضح اختصاص المحاريب المتنقلة التى اقتصر ظهورها على الدولة الفاطمية ، ويوجد منها ثلاثة فى متحف الفن الإسلامى .

---

(١) احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٩٩

(٢) آثار البلاد واخبار العباد للقزوينى ص ١٥٧

(٣) الخطط والآثار جـ ٤ ص ١٢

ويقول المقريزى أن الخليفة المستنصر بالله أمر بعمل منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودية أطواقا من فضة ، كما أمر ببناء مئذنة سنة ٤٤٥ فيما بين مئذنة عرفه والمئذنة الكبيرة .

وقد أفاض كثير من الرحالة الذين وفدوا على الدولة الفاطمية فى ذكر ووصف جامع عمرو نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر سنة ٤٣٩ هـ قال « والمسجد العتيق قائم على أربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الأبيض التى كتبت عليها آيات من القرآن بخط جميل وتحيط بالمسجد الأسواق من جهاته الأربع وعليها تفتح أبوابه » . ثم أسهب فى وصف التنور (النجفة) الذى أهداه الحاكم بأمر الله للمسجد والذى قيل أن وزنه كان سبعة قناطير من الفضة وكذا القناديل التى كانت توقد فى ليالى المواسم والأعياد ، إذ يقول « وكان يوقد فى ليالى المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ، وأن المسجد يفرش بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض . وفى غير المواسم يضاء المسجد كل ليلة بأكثر من مائة قنديل . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة . ولايقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والمبايعات » .

ولما أحرقت مدينة الفسطاط سنة ٥٦٤ هـ خوفا من استيلاء الصليبيين عليها واستمرت النيران مستعرة (٥٤) يوما تهدمت المدينة وتخربت مبانيها وتشعث جامع عمرو . فلما استقل صلاح الدين بحكم مصر ، كان من أهم الأعمال المعمارية التى اهتم بها عمارة جامع عمرو ، وفى ذلك يقول المقريزى « فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر ، جدد الجامع العتيق بمصر فى سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه » .

وقد توالت يد الإصلاح والتعمير والتجديد طوال العصر المملوكى فيذكر لنا المقريزى وصفا مسهبا مفصلا عن كل تجديد قام به أى من السلاطين . فيذكر عمارة الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٦هـ ثم عمارة المنصور قلاوون واستداره الأمير بيبرس جاشيكير سنة ٦٨٧هـ،

ثم عمارة الأمير سلار فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ ﻫ وهى العمارة التى تخلف عنها الشبابيك الجصية الموجودة بالواجهة الغربية للمسجد الآن ، وكذا المحراب الجصى الخارجى فى هذه الواجهة والذى يحتوى على شريط من الكتابة العربية بالخط[1] الثلث الجميل من بينها اسم (سلار) وكذا زخارف نباتية غاية فى الدقة والابداع . كذلك يذكر العمارة الكبيرة التى قام بها رئيس التجار يومئذ بديار مصر برهان الدين ابراهيم بن عمر بن المحلى وفى ذلك يقول المقريزى : « فجاء كما كان وعاد الجامع جديدا بعد ما كاد أن يسقط لولا أن أقام الله عز وجل هذا الرجل (يعنى برهان) مع ماعرف من شحه وكثره ضنه بالمال حتى عمَّره فشكر الله سعيه وبيض محياه ، وكان انتهاء هذا العمل فى سنة ٨٠٤ ﻫ ولم يُصلَّ فيه صلاة جمعة ولا جماعة فى مدة عمارته »[2] .

ويصف لنا ابن اياس آخر عمارة اجريت للمسجد فى العصر المملوكى فيقول فى حوادث سنة ٨٧٦ ﻫ « وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه إلى جامع عمرو بن العاص وكشف عما تهدم من حيطانه وسقوفه وأمر ببنائه من ماله ، وشرع فى ذلك فى الحال » وجاء فى نزهة الناظرين[3] « أن الملك الأشرف أبا النصر قايتباى جدد من جامع عمرو بن العاص بعض جهاته »

ومن أهم الاصلاحات التى أقيمت فى العصر المملوكى ، تلك العمارة التى قام بها الأمير مراد بك ، فيحدثنا الجبرتى[4] فى حوادث سنة احدى عشر ومائتين وألف عن الأمير مراد بك والأعمال التى قام بها فى جامع عمرو فيقول « أن الأمير مراد بك المدفون بسوهاج لما رأى خراب جامع عمرو وسقوط سقوفه ، وميل شقه الأيمن خطر بباله تجديده ، فأنفق عليه أموالا عظيمة ، فأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وبنى به منارتين (هما الباقيتان للآن فقط) وجدد جميع سقفه بالخشب النقى (أى خشب السرو) وبيض جميعه

---

(١) الخطط والآثار جـ ٤ ص ١٢

(٢) سفرنامة تعريب يحيى الخشاب ص ٥٩

(٣) نزهة الناظرين ص ٣٧

(٤) الجبرتى ص ١١٢

فتم على أحسن مايكون وفرشه جميعه بالحصر الفيومى وعلق به قيناديل. «وقد عاصر الجبرتى تلك الاصلاحات ورآها إذ يقول : وصليت به الجمعة فى آخر رمضان سنة اثنتى وعشرة كما حضر الأمراء والأعيان والفقهاء» وقد سجلت تاريخ تجديد الأمير مراد فى عدة مواضع من المسجد، ماتزال باقية حتى الآن، أولها يوجد فوق المحراب الرخامى الكبير فقد كتب على لوح من الرخام الأبيات التالية[1] :

أنظر لمسجد عمرو بعد مادرست	رسومه صار يحكى الكواكب الزاهى
نعم الوزير الذى لله جـــدده	منير اللواء مراد الآمـر الناهى
له ثواب جزيـــل غير منقطع	على الدوام بانظـار وأشبـــاه
لاح القبول عليـــه حين ارخـــه	هذا البناء على مراد اللهسنة ١٢١١ هـ

كذلك سجل على المحراب القديم الذى رسمه الأبيات الآتية :

مسجـــد ابن العـاص أضحى	بعـــدم هـــدم قـــد أصابـــه
كعبـــــه يسعى إليهـــــا	يرتجى فيـــــه الاجابـــــه
جمـــــل التـــاريخ رجـــح	قـــد بناها الصحابة سنة ١٢١١ هـ

وكان للمسجد فى ذلك الوقت سبعة أبواب، واحد فى الجهة القبلية مغلق الآن وبالجهة البحرية ثلاثة سدت الآن. أما الجهة الغربية وهو الواجهة فيوجد بها ثلاثة هى المستعملة الآن كتب على اثنين منها اسم مراد بك، فقد نقش على المدخل الرئيسى الأبيات التالية :

أحيا لنا ربنا بيتا لطاعتـــــه	وكان من قبل مصباح فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا	من أجله قاصرين الباع فى أسف
لأنه من بقايا فرقـــه طهرت	أميرهـا عمرو السهمى غير خفى

---

(١٠) على مبارك جـ ٤ ص ٨

ومنذ أراد تعالى بالعمارة لـه أنشأه مولى جواد بالمـــراد يفى

فصار يحكى البنا احسانه أبدا وإنما يعمر الآيات فى الصحف

ونشوة العز قد قالت مؤرخـــه يسمو العزيز مراد جامع الشرف سنة ١٢١١هـ

وعلى الباب الثانى بالواجهه الغربية كتب :

بمسجد الفضل عن عمرو أحدّ بنا قد فاز بالخير من الله جدده

ولما جاءت الحملة الفرنسية جرى على مسجد عمرو ما جرى لغيره من الهدم والتخريب فقد أخذت أخشابه حتى أصبح كما يقول على مبارك « بلقعا أشوه مما كان[1] » ولم يعمر أو يجدد جامع عمرو بعد عمارة الأمير مراد بك اللهم إلا تلك الترميات الطفيفة التى ذكرها على مبارك . ومن بعد عمارة مراد بك جرت مرمات خفيفة مثل تبيضه وارتفاع بلاطه (أروقته) وغير ذلك .

* * *

وكان لجامع عمرو وظائف متعددة إذ لم يقتصر عمله على أداء الفرائض الدينية فحسب بل كان جامعة تعقد فيه حلقات الدرس على كبار العلماء والفقهاء ، فهو بذلك يكون قد سبق الجامع الأزهر فى وظيفة التدريس بأربعة قرون ، إلا أن هناك فرقا بينا ، فبينما كانت دروس جامع عمرو تعطى تطوعا وتبرعا حسبه لوجه الله تعالى ، كانت الدروس بالجامع الأزهر بتكليف من الدولة ، ولذلك فهى تؤجر العلماء والمدرسين عليها وهى فى ذلك أشبه بالمدارس والمعاهد النظامية اليوم . والفرق الثانى بين جامع عمرو والأزهر ، نجده متمثلا فى مكان الدرس فإنه يطلق على أماكن الدرس فى جامع عمرو اسم زاوية وتعرف فى

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٨

الجامع الأزهر باسم حلقة . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن القائمين على التدريس بجامع عمرو من الأئمة والمتصوفين وكبار الفقهاء الذين ينزون فى ركن معين فيجتمع التلاميذ والمريدون حولهم ، بينما يقوم بالتدريس فى الأزهر مدرسون مأجورون يجعلون أعمدة الاروقة مركزا لجلوسهم ويلتف الطلبة فى حلقة حول العمود ومن هنا جاء اسم حلقات الدروس[1].

وقد عدد لنا المقريزى أهم الزوايا التى كانت فى عهده ننقل منها مايلى : « وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه منها زاوية الامام الشافعى رضى الله عنه يقال أنه درس بها الشافعى فعرفت به ، وقد حبست عليها أوقاف بناحية سندبيس[2] اوقفها السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى ، ولم يزل يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء (أى حتى القرن (٩) هـ ـ (١٥) م) . ومنها الزاوية المجدية بصدر الجامع بجوار المحراب الكبير رتبها مجد الدين أبو الأشبال الحارثى وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أخو صلاح الدين الأيوبى ، عمل على هذه الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة ، ويعتبر التدريس بها من المناصب الجليلة . ومنها الزاوية الصاحبية رتبها الصاحب تاج الدين بن حنا وجعل لها مدرسَيْن أحدهما مالكى والآخر شافعى وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة بخط البراذعين . ومنها المدرسة الكمالية بالمقصورة المجاورة لباب الجامع رتبها كمال الدين السمنودى ووقف عليها فندقا بمصر . ومنها الزاوية التاجية رتبها تاج الدين السطحى وجعل عليها دورا بمصر موقوفة عليها . ومنها الزاوية المعينية فى الجانب الشرقى من الجامع رتبها معين الدين الدهروطى وعليها وقف بمصر . ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير وهى فى صحن الجامع وهى لقراءة الميعاد (أى قراءة القرآن فى ميعاد معلوم) . ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين لقراءة الميعاد أيضا » ، ويضيف المقريزى فيقول أن حلقات الدرس بلغت فى النصف الثانى من القرن الرابع (١١٠) حلقة يتزعمها أئمة الفقهاء والقراء وأهل الأدب والحكمة .

---

(١) الخطط والآثار جـ ٤ ص ٢٠

(٢) القاموس الجغرافى

ويقول المقرى[1] نقلا عن ابن الفرات « أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه . وكان يقام بالجامع حلقات دروس ووعظ للسيدات تصدرتها فى الدولة الفاطمية واعظة زمانها أم الخير الحجازية . ولم تنقطع أخبار التدريس بهذا الجامع إلا فى القرن التاسع الهجرى[2] .

ومن وظائف جامع عمرو الهامة ، أنه مكان جلوس القضاة فقد كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وكانت تعقد جلساتها فى زيادة الجامع الغربية الموجود فى جزء منها الآن المحراب الجصى الخارجى الذى شيده الأمير سلار فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون ، وفى ذلك يقول المقريزى : « وبالجامع ثلاث زيادات فالبحرية الشرقية ، كانت لجلوس قاضى القضاة بها فى كل أسبوع يومان » .

ومن وظائف جامع عمرو كذلك القصص ، فيذكر المقريزى[3] « وكان بهذا الجامع القصص » ويوضح لنا الليث بن سعد معنى القصص ووظيفته وطريقة أدائه فيقول : هما قصصان ، قصص العامة وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع إليه نفر من الناس يعظهم ويذكرهم ، وذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية ، إذ ولى رجلا على القصص ، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده ومجده وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا للخليفة ولأهل ولايته ولحشمه وجنوده ، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين ، ويقول المقريزى: أن أول من قص بمصر سليمان بن عبد التجيبى فى سنة ثمان وثلاثين وجمع له القضاء إلى القصص ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصص . وكان سليمان يرفع يديه فى القصص إذا دعا . ويفصل لنا المقريزى السبب فى رفع يديه فيقول : أن الخليفة عبد الملك بن مروان شكا إلى العلماء ما انتشر

---

(١) المغرب فى حلى المغرب ج ٤ ص ٢٤ لشهاب الدين أحمد بن عبد الله المقرى .

(٢) المساجد الأثرية ص ٣٠ .

(٣) الخطط والآثار ص ٤ ص ١٦ ، ١٧

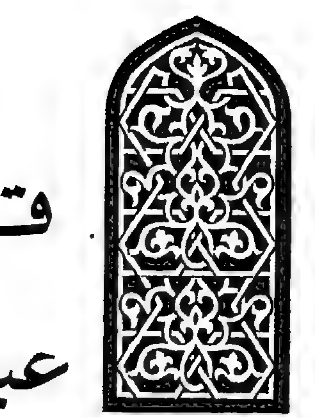
عليه من أمور رعيته وتخوفه من كل وجه فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى الله تعالى فكان عبد الملك يدعو ويرفع يديه وكتب بذلك إلى القصاص ، فكانوا يرفعون أيديهم بالغداة والعشى ، مما تقدم نستطيع أن نشبه القصاص إلى حد ما بالمفتى الآن .

كذلك كان بجامع عمرو بيت للمال ، فقد ذكره ابن رسته من علماء القرن الثالث الهجرى بأنه رأى بيت المال أمام المنبر ووصفه بأنه شبه قبة عليها أبواب من حديد . وكذلك يصف المقريزى كيف كان يتم فى ساحات جامع عمرو الصفقات التجارية الكبرى وكذا مزايدات الملتزمين لخراج الدولة حيث يقول : أن متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاص من الفسطاط فى الوقت الذى تتهيأ فيه قبالة الأراضى ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات ، وكتاب الخراج ومتولى الخراج يكتبون ما تنتهى إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها » .

وكان من الطبيعى أن يحكى عن جامع عمرو الجامع العتيق وأول جوامع مصر الإسلامية الكثير من القصص والأساطير ، كما يتحدث الناس عن أماكن فيه ، يستجاب فيها الدعاء . فمن الأساطير المتواترة حتى الآن عند جمهور العامة ، أنه يوجد على يسار الداخل من الباب البحرى الكبير (سد الآن) عمودان متجاوران يزعم الناس أنه لايمكن المرور بينهما إلا لطاهر لذلك فإن من دنس بالذنوب والخطايا يقصدونهما بالمرور بينهما ليختبر الانسان حاله ويزدحمون عليهما بعد صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان ازدحاما شديدا . وأمام المنبر من الجهة اليسرى عمود من الرخام يضربونه بالنعال والعصى بعد فراغهم من الصلاة لزعمهم أنه عصى عن الحضور مع الأعمدة التى أحضرت لبناء الجامع زمن الفتح[1] .

---

(١) المقريزى ج ٤ ص ٤



قبر عبد الله بن عمرو

ويذكر على مبارك[1] ، أنه يوجد فى الزاوية البحرية الشرقية قبر عبد الله بن عمرو بن العاص داخل مقصورة عليها قبة ، وتزوره الناس . وقد ناقش الأستاذ محمود أحمد وكذا الأستاذ حسن عبد الوهاب[2] موضوع ضريح عبد الله بن عمرو فقالا : إن وجود مقبرة عبد الله بن عمرو بالجامع غير موثوق به لعدة أسباب أولا اختلاف المؤرخين فى موضع دفنه ، فيقول ابن قتيبة مثلا[3] : أنه توفى سنة ٦٥ هـ وأنه دفن فى داره الصغير بمصر » أما ابن الأثير[4] فيقول « أن عبد الله بن عمرو توفى سنة ٦٣ هـ وقيل سنة ٦٥ هـ بمصر ، وقيل سنة ٦٧ هـ بمكة وقيل سنة ٥٥ هـ بالطائف وقيل سنة ٦٨ هـ ، وقيل سنة ٧٣ هـ . وبعد استعراض أقوال المؤرخين ينتهى حسن عبد الوهاب إلى الرأى الآتى : والأرجح أنه لم يدفن فى الجامع ، لأن محل القبة كان به منارة ، ولأن من زاروه من الرحالة لم يذكروه فيه مع أن الأضرحة هدفهم الأول فى الزيارة ، وخاصة عبد الغنى النابلسى الذى زار الجامع فى القرن الثانى عشر الهجرى ، لم يشر إليه مع أنه تجول فى نواحيه ووصف ما رآه ، كما أن طراز القبة متأخر .

على أنى أرى أنه ليس من المستبعد أن يكون الضريح الموجود بالجامع هو مقبرة عبد الله ابن عمرو ، فقد ذكر أكثر من مرجع أنه دفن بمصر، وبعضهم عين دفنه بمنزله الصغير ،

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٩

(٢) جامع عمرو ص ٦٤ .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ١٢٤ ، ١٢٥

(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٢٣٥

ومن المعروف أن منزله قد دخل فى زيادة الجامع فى العصر العباسى سنة ١٣٣ ﻫ ولكنه لم يكن من المعهود ولا من المقبول دفن الموتى داخل المساجد ، ولا إقامة القباب على المقابر والأضرحة ولذلك فقد ظل القبر مجهول الاسم والمعالم حتى كان العصر العثمانى وأعاد الأمير مراد بناء الجامع فلعله أراد احياء وجود مقبره عبد الله داخل المسجد فبنى المقصورة وأقام عليها قبة ، وإن كنت أرى أن المكان الذى اختير للضريح ليس هو مكان منزل عبد الله الذى يقع إلى الغرب قليلا من الضريح الحالى .

وقد اختص جامع عمرو دون غيره من مساجد مصر فى أنه الجامع الوحيد الذى كان الخلفاء والسلاطين والولاة والأمراء يصلون فيه الجمعة اليتيمة فى آخر شهر رمضان . وقد نشأ هذا التقليد منذ عهد الدولة الفاطمية ، فقد كان الخليفة الفاطمى يركب للاحتفال برؤيا شهر رمضان ثم يستريح أول جمعة منه ، فإذا كانت الجمعة الثانية أداها فى الجامع الحاكم ، فإذا كانت الجمعة الثالثة أداها فى الجامع الأزهر ، فإذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها فى جامع عمرو بن العاص ، فيقوم أهالى القاهرة بعمل الزينات حتى جامع عمرو ، وبعد أداء فريضة الجمعة يعود الخليفة إلى القصر فيصدر السجل . ولما أتم مراد بك اصلاح الجامع فى النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢ ﻫ ، أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان ، فاتخذت عادة حتى سنة ١٩٥٢ م .

وأنى لارجو أن يعود لجامع عمرو هذا التقليد الجليل فهو يتضمن احياء أكثر من ذكرى وتخليد تراث عزيز علينا . فهو تخليد لأكبر وأقدم جامع فى مصر الإسلامية ، وثالث مسجد فى العالم الإسلامى واحياء لذكرى وفاة عمرو بن العاص فى آخر جمعة فى رمضان وابقاء لتقليد حميد سارت عليه مصر منذ ألف عام . وبالإضافة إلى كل ما تقدم فسينال الجامع العتيق من وراء احياء هذا التقليد الخير العميم وكذا الحى المحيط به فسوف تتولاه يد التعمير والتجديد .



جامع
سيدى شبل الاسود
بالشهداء بمحافظة المنوفية

تكونت كورة المنوفية فى العصر الفاطمى فى القرن الرابع الهجرى ، نسبة إلى مدينة منوف التى كانت قاعدة لها . وفى العصر المملوكى سميت أعمال المنوفية وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية المنوفية ثم مديرية المنوفية وفى سنة ١٩٦٠م أصبحت تعرف باسم محافظة .
ومنوف مدينة مصرية قديمة ، اسمها القبطى[١] (بانوفيس) وقلبت الباء ميما فى العربية فأصبحت (مانوفيس) ثم اختصرت إلى (منوف) . ويقول عنها ابن حوقل[٢] ، أنها مدينة كبيرة بها حمامات وأسواق وأهلها أهل تناية ، أى – أهل فلاحة وزراعة ، ويسار ، وفيهم وجوه الناس ولها اقليم عظيم ، يليه عامل كبير (أى حاكم) وقاض . ويضيف القلقشندى[٣] ، أنها مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت قد خربت وبقيت آثارها

---

(١) القاموس الجغرافى .
(٢) أحسن التقاسيم .
(٣) صبح الأعشى ص ١٢٨ .

كيمانا ، وهى حسنة الأسواق كثيرة المساجد والحمامات قوالخانات (أى الفنادق والوكالات).
وظلت منوف عاصمة الاقليم من الفتح العربى حتى سنة ١٨٢٦ م ثم صارت القاعدة شبين الكوم لتوسطها بين بلاد الإقليم.

وشبين الكوم من القرى المصرية القديمة اسمها الأصلى شبين السرى ، وعرفت باسمها الحالى فى القرن التاسع عشر . ومن المدن الإسلامية الهامة بمركز شبين الكوم مدينة الشهداء . جاء فى معجم البلدان لياقوت[1] ، مقابر الشهداء موضع بأرض مصر وقعت فيه حروب بين مروان بن الحكم وجنوده وبين الزبيرية من أهل مصر سنة ٦٥ هـ وقتل من الفريقين عدد عظيم ، فدفن المصريون قتلاهم فى هذا الموضع وسموه مقابر الشهداء .

وإذا تتبعنا الأحداث التاريخية وجدنا أن مصر كانت فى القرن الأول الهجرى تشارك مشاركة فعالة فى مجرى الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية ، فقد اشترك بعض أفراد منها فى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، كما ساهمت فى الفتنة الكبرى التى وقعت بعد مقتل عثمان وفى الخلاف بين سيدنا على ومعاوية . وحدث فى عهد الدولة الأموية عندما توفى الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، أن دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة ، فثار أنصاره بمصر وأظهروا دعوته وسار إليه فى المدينة المنورة جماعة منهم. فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا على مصر من قبله ، فوصلها سنة ٦٤ هـ فى جمع كبير من أنصار ابن الزبير ومن أهل المدينة الناقمين على الأمويين لقتلهم وتمثيلهم بشهيد كربلاء الحسين بن على . ولما بويع مروان بن الحكم الأموى بالخلافة جهز جيشا أمّر عليه ابنه عبد العزيز بن مروان وأرسله إلى مصر ، فأجمع ابن حجرم على حربه ومنعه من دخول مصر ، ثم جاء الخليفة بنفسه إلى مصر وحارب ابن حجدم فى عدة مواضع ، كان من بينها موضع بالمنوفية ، قتل فيه من الفريقين عدد عظيم . وانتهت المعركة بانتصار مروان بن الحكم ودخوله الفسطاط سنة ٦٥ هـ . وبعد انتهاء المعركة دفن أنصار ابن الزبير قتلاهم فى ذلك

---

(١) ياقوت الحموى ص ١٦٥ .

الموضع بجوار قرية سرسنا ، فاشتهر بين أهلها باسم مقابر الشهداء . وكان يوجد بجوار تلك المقابر كفر صغير عرف منذ ذلك الوقت باسم الشهداء وكان من توابع سرسنا ، ثم أخذ هذا الكفر يتسع بزيادة مبانيه ،عدد سكانه إلى أن أصبح قرية ورد ذكرها فى تاريخ سنة ١٨١٣ م باسم سرسنا والشهداء ، ثم فصلت الشهداء عن سرسنا وأصبحت ناحية قائمة بذاتها .

* * *

وصف الجامع

ومن أهم الآثار الإسلامية التى ما تزال باقية بمدينة الشهداء ، آثار مسجد قديم ، يتكون من صحن مكشوف تحيط به بقايا أروقة مكونة من دعائم مبنية من الآجر ، ويجاور المسجد القديم من جهته الغربية بضعة أضرحة زالت معظم قبابها ولم يبق منها غير قبة واحدة تقوم على على غرفة مربعة فى كل ركن من أركانها الأربعة مقرنص كبير تقوم فوقه رقبة بها نوافذ صغيرة تعلوها قبة . وتشبه هذه القبة إلى حد كبير قباب مدافن مدينة أسوان وكذا قبة المسجد العمرى بقوص ومسجد اسنا وقبة الجيوشى على سفح جبل المقطم . ولما كانت هذه القباب جميعها ترجع إلى العصر الفاطمى ، فانى أرجح نسبة الضريح القديم المجاور لمسجد الشهداء إلى العصر الفاطمى .

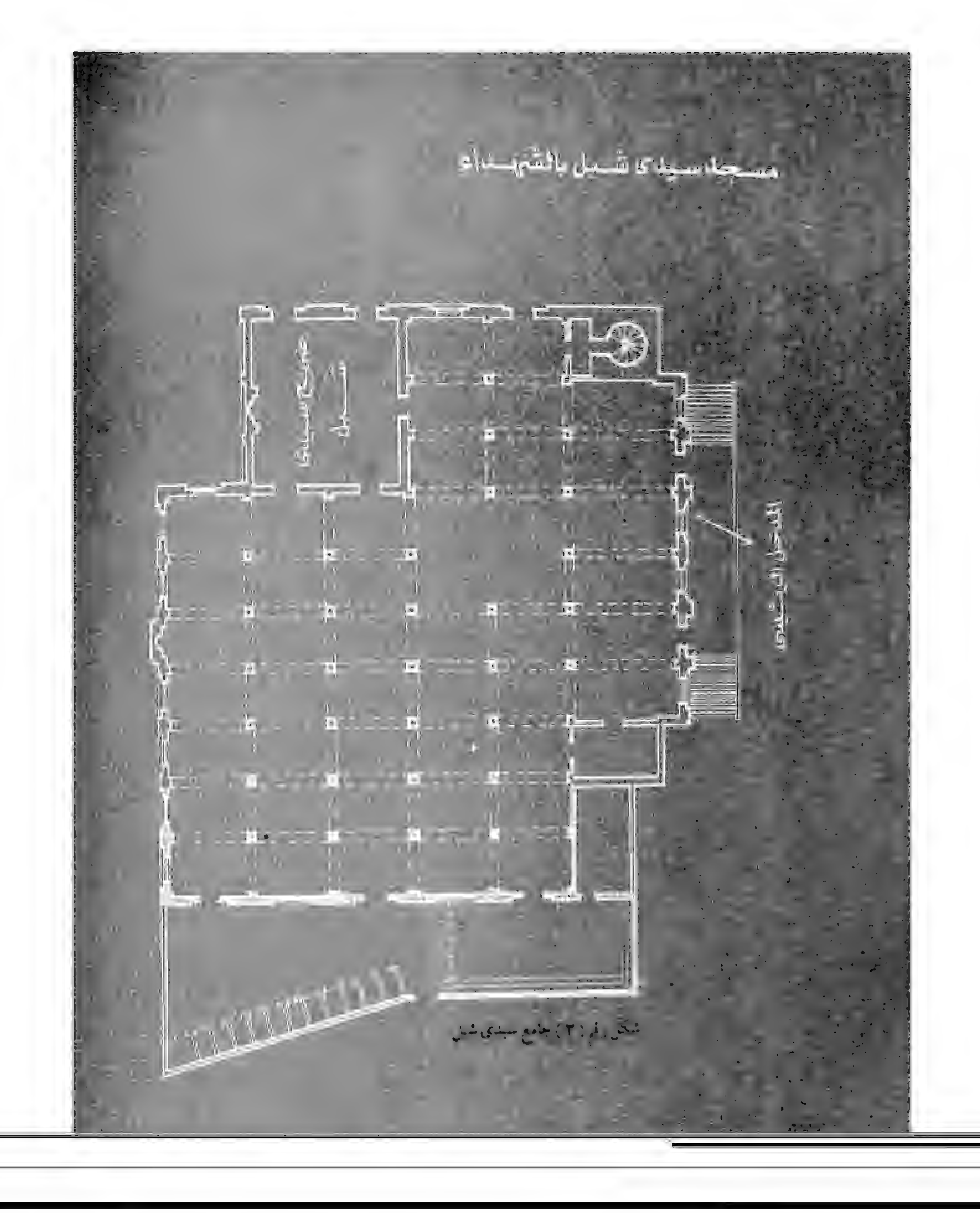
أما المسجد المعروف باسم جامع سيدى شبل فيقول على مبارك فى خططه أنه بنى على ضريح سيدنا محمد بن الفضل بن العباس بن عبد المطلب وشهرته شبل لشجاعته فهو بذلك ابن عم الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ويقال أن سيدنا شبل ولد بالحبشة ، فقد كان والده الفضل بن العباس يتاجر بأمواله وأموال غيره من العرب فى بلاد الحبشة . وحدث أن خرج الفضل فى السنة الثامنة للهجرة من المدينة ومعه تجارة كبيرة للعرب إلى بلاد الحبشة فلما باعها ، حدث بينه وبين حاكمها خلاف على الضريبة المقدرة عليه مما اقتضى بقاءه فترة لفض هذا الخلاف . ولما تم الصلح بين الفضل وبين ملك الحبشة وهبه الملك جارية حبشية بكرا من سرارية اسمها ميمونة هدية له ، وقد تصادف عند عقده عليها أن حضر

جماعة من الصحابة من المدينة المنورة إلى الحبشة يستطلعون سبب تغيبه تلك المدة الطويلة خاصة وأن معه تجارة لجماعة كبيرة من العرب ، فعقد له عليها المقداد بن الأسود ومعاذ ابن جبل وعبد الله بن عمر وغيرهم . وفى السنة التاسعة للهجرة ولدت ميمونة للفضل ولده محمد شبل الأسود ولعله نعت بالأسود نسبه إلى سواد لونه الذى ورثه عن أمه الحبشية .

وتقول الرواية : حضر محمد شبل إلى مصر على رأس جيش لمحاربة الكفار وأنه مات شهيدا سنة ٤٠ هـ فى المنوفية فى المنطقة التى عرفت باسم الشهداء نسبة إلى من استشهد فى تلك المعركة . ولكننا لم نجد ما يؤيد هذه الرواية فى مرجع من المراجع التاريخية أو فى كتب السير ، على أننا إذا ناقشنا هذه الرواية ، وفرضنا جدلا أن محمد شبل حضر إلى مصر محاربا فى أيام فتحها أى سنة ٢١ هـ فمعنى هذا أنه كان فى الثانية عشرة من عمره ، وبذلك يستبعد حضوره وقت الفتح . أما ما يقال أنه حضر إلى مصر فى وقت الفتنة التى أعقبت مقتل عثمان فاننا لم نجد ذكرا لحوادث وقعت فى منطقة المنوفية بسببها على الاطلاق . وبذلك يستبعد أيضا حضوره فى ذلك الوقت . وأما عن حدوث معارك فى منطقة المنوفية بين أنصار عبد الله بن الزبير وبين جنود مروان بن الحكم فهذا ثابت فى جميع المراجع التاريخية ولذلك فمن المرجح أن يكون حضور سيدى محمد شبل كان سنة ٦٤ هـ وأنه استشهد فى تلك المعركة ومات سنة ٦٥ هـ ودفن فى مقابر الشهداء .

ومن المرجح أيضا أنه قد بنى على مقبرة الشهداء التى يرجح أن يكون من بين شهدائها أحد أفراد آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين أضرحة والحق بها مساجد وأن هذه العمائر قد توالت عليها يد الإصلاح والترميم ، يؤيد ذلك بقايا المسجد القديم وكذا القباب التى ترجع إلى العصر الفاطمى .

أما المسجد الموجود حاليا فقد قامت ببنائه وزارة الأوقاف فى القرن العشرين . وهو يشبه فى تخطيطه العام المساجد التركية ، إذ أنه يتكون من مربعين أحدهما يشمل صحن الجامع وهو مكشوف وتحيط به الاروقة من جميع الجهات ، أما المربع الثانى فهو عبارة عن ايوان القبلة ويتكون من صفوف من الأعمدة موازية لحائط القبلة مغطاة بسقف مسطح وفى وسطه



شكل رقم (٣) جامع سيدي شبل

ثمانية أعمدة تقوم عليها رقبة ثمانية بكل ضلع منها فتحة للاضاءة وهى أشبه (بالشخشيخة) وفى الضلع الغربى من ايوان القبلة يوجد ضريح سيدى محمد شبل الأسود .

وتتكون واجهة المسجد من مدخلين رئيسيين أحدهما يؤدى إلى ايوان القبلة والثانى يؤدى إلى صحن الجامع . ويتقدم الواجهة ردهة بطول الواجهة تقريبا صدرها محجوز بسور مزخرف وينتهى ط فاها بسلمين لارتفاع المسجد عن مستوى الشارع بمقدار سبعة أمتار .



جـامع سيدى عقبة بن عامر بالقـرافة

هو عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودود بن عدى بن غنم ابن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنى أبو حماد الصحابى . وكان سيدى عقبة متعدد الكنايات ، فكان يكنى أبا حماد وقيل أبو عمر وقيل أبوسعاد وقيل أبو الأسود . وهو الامام والسند الهمام صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرتة إلى المدينة المنورة . وقد حكى عنه ابن عساكر بسنده إليه قال : « بلغنى قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا فى غنيمة لى فرفضتها وقدمت المدينة فقلت : يارسول الله بايعنى ، قال بيعة أعرابية أو بيعة هجرية ، فبايعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولازم عقبة النبى صلى الله وسلم وكان من أصحاب الصفة ومن خدام النبى عليه الصلاة والسلام ، وصاحب بغلته يقودها بحضرته الشريفة فى الأسفار ، وصدر من النبى فى بعض الغزوات أن نزل عن بغلته وأمر عقبة بالركوب ومشى الرسول صلوات الله عليه .

... شهد عقبة فتوح مصر والشام ، وكان هو رسول البريد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه ، فى فتح دمشق ووصل المدينة المنورة فى سبعة أيام ورجع منها فى يومين ونصف ببركة دعائه عند قبر النبي صلوات الله عليه وتشفعه به فى تقريب طريقه .

ويصف أبو سعيد بن يونس عقبة بن عامر فيقول : كان قارئا عالما بالفرائض والفقه صحيح اللسان شاعرا كاتبا ، وهو آخر من جمع القرآن ، قال : ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفى آخره كتبه عقبة بن عامر بيده .

شهد فتح مصر[1] مع عمرو بن العاص ثم وليها من قبل معاوية بن أبى سفيان بعد موت أخيه عتبة بن أبى سفيان فى سنة أربع وأربعين ، وكان يخضب بالسواد[2]. وقد جمع له معاوية فى إمرة مصر بين الخراج والصلاة . وكانت مدة ولايته بمصر ثلاث سنوات وبنى بها دارا وكان من الثمانين صحابيا الذين وقفوا على قبلة جامع عمرو بن العاص . ودام بمصر إلى أن قدم مَسْلَمة بن مخلد على معاوية بدمشق فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر ، ثم سيره إلى مصر وأمر معاوية بغزو رودس ومعه مسلمة بن مخلد المذكور ، وخرجا إلى الاسكندرية ثم توجها فى البحر ، فلما سار عقبة استولى مسلمة على سرير إمرته ، فبلغ ذلك عقبة بن عامر وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين . وفى ذلك يقول :

وقال الكندى[3] : فلما أراد معاوية عزل عقبة كتب إليه بغزو رودس ، فلما توجه مسافرا استولى مسلمة على سرير إمرته ، فبلغ ذلك عقبة بن عامر ، وكان ذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر . وكان عقبة أول من نشر الرايات على السفن عندما خرج لغزو رودس تنفيذا لأوامر الخليفة معاوية ، وكان الأسلوب الذى اتبعه معاوية فى عزل عقبة وتولية مسلمة بن مُخلد خروج على المألوف ومنافيا للمجاملة ، فقد جاء فى كتاب « مهذب الطالبين فى قبور الصالحين » ما يلى : فلما خرج عقبة إلى الغزو جاء كتاب معاوية بعزله وولاية مسلمة ، فلم يظهر مسلمة ولايته ، فقال عقبة : مالى أرى الأمر أبطأ علىّ ؟ قالوا : ولى مسلمة ابن مخلد ، قال عقبة : ما أنصفنا معاوية عزلنا وغرّبنا .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٢٧

(٢) المقريزى جـ ١ ص ٢٠٨

(٣) الولاة والقضاة ص ٤٧

ويقول ابن تغرى بردى ، ولأهل مصر فيه اعتقاد عظيم ، ولهم عنه نحو مائة حديث وقد ذكر ابن عبد الحكم أحاديثه التى رواها عنه أهل مصر.

نذكر منها : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى غير ساه ولا لاه كُفِّرعنه ما كان قبلها من سيئاته » . وقال عقبة : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « تعجب ربك من شاب له صَبْوة » . وقال عقبة : كنت آخذ بزمام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غاب المدينة ، فقال لى : يا عقبة ألا تركب فاشفقت أن تكون معصية فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهه ، ثم ركبت فقال : هل أعلمك سورتين « فقلت : بلى يا رسول الله قال : فأقرأنى (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أُقيمت الصلاة فتقدم وصلى بها وقال « اقرأهما كلما نمت وقمت » .

ولما تولى عقبة إمرة مصر كتب إلى معاوية يسأله أرضا فى قرية يبنى فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع . وهذه الأرض التى اقتطعها عقبة هى فى محافظة الجيزة فى منطقة الدقى وتعرف باسم منية عقبة[1] ثم حرفت كلمة منية وأصبحت تعرف باسم (ميت عقبة) . وكلمة منية ، أى ميناء لأنها كانت واقعة فى ذلك الوقت على الشاطئ الغربى للنيل قبل تحوله إلى الشرق .

وأقام عقبة بمصر إلى أن توفى فى اليوم الذى توفيت فيه السيدة عائشة رضى الله عنهما فى الثامن من شعبان سنة ٥٨ هـ ودفن بالقرافة الكبرى بقرب مسجد الامام الليث بن سعد . ويقول ابن تغرى بردى : وليس فى الجبّابة قبر صحابى مقطوع به إلا قبر عقبة فإنه زاره الخلف عن السلف . ويقول صاحب المهذب ، أن عقبة خلف سبعين فرسا بجعابها ونبالها أوصى بها فى سبيل الله تعالى . وجاء فى الخطط التوفيقية ، أن عقبة بن عامر الجهنى كان من الثمانين صحابيا الذين وقفوا على قبلة جامع عمرو بن العاص . ودفن بالمقطم بمقبرة أهل مصر وقبره ظاهر يتبرك به ويعرف بالإجابة ومما قيل فيه من شعر :

سقى تربه فيها ضريح ابن عامر ... سحائب تروى لحده وتوارى
فتى كان من أعلى الصحابة همة ... وأكرمهم فى عسره ويساره
أحاديثه عن سيد الخلق دونت ... روى عنه مسلم وبخارى

(١) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ٨٧

ويقال أن البقعة التى دفن فيها عقبة بها أيضا عمرو بن العاص[1] ، وقبر أبى بصرة الغفارى الصحابى وكان قبره موضع رعاية وعناية المصريين يقصدونه للزيارة[2]والتبريك ، بل لقد حرص كثير من العلماء والفقهاء على أن يدفنوا بجواره حتى عرفت بمقبرة العظماء . وجاء فى كتاب[3] (جوار الأخبار فى دار القرار) أن عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنه قال : رأيت أبى فى النوم فقلت ما فعل الله بك، قال غفر لى، ورحمنى ، ما فعل الله بعقبة قال : بخ بخ تركته فى الفردوس الأعلى والملائكة تحفه . وجاء فى كتاب مهذب الطالبين : روى بعض الأمراء أنه رأى فى النوم من جاور قبر عقبة فقيل له ، ما فعل الله بك قال : غفر لى بمجاورة عقبة ، وروى له من البركات روايات كثيرة ، منها أن رجلا أسر له ولد فأتى قبر عقبة ، ودعا الله عز وجل فقام من عند قبره فلقى ابنه فى الطريق .

وقد ظل قبر عقبة محل عناية ملوك مصر وولاتها حتى جاء صلاح الدين الأيوبى فهدم المبنى المقام على المقبرة وأنشأ مكانه قبة كبيرة تولاها الملوك من بعده بالتجديد والترميم .

---

(١) المرشد للشيخ موفق بن عثمان .

(٢) المزارات للسخاوى ص ٥٩

(٣) جوار الاخبار فى دار القرار .

وصف المسجد

أنشأ المسجد[1] الحالى الوزير محمد باشا أبو النور السلحدار الذى كان يلى مصر والشام من قبل السلطان العثمانى والذى قام باصلاح كثير من المساجد والمشاهد والزوايا . وقد جاء فى الخطط[2] التوفيقية « أنه عمر فى ولايته مقام سيدى عقبة وجدده ورتب له الخبرات الجارية إلى يومنا هذا ، وأمر بترميم الجوامع وتبييضها فلقبه السادة الوفائية بأبى النور . وكانت توليته على مصر سنة اثنتين وستين وألف فأقام وزيرا ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام ، ثم قام عليه جماعة من الفقارية وأنزلوه من القلعة قهرا وأسكنوه خان حسن أفندى بسوق السلاح » .

ويتكون المسجد الحالى من مستطيل يشتمل على رواقين يتوسطها صف من العقود المحمولة على عمد حجرية مثمنة . وقد زخرف سقف المسجد بنقوش زيتية ومذهبة وكتب بازار السقف أبيات من قصيدة البرده وفى الحائط الشرقى بجوار القبلة نقش فى الحجر « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . إلى آخر الآية » هذا قبر عقبة بن عامر الجهنى حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفتحت فى أعلى جدران المسجد نوافذ ملئت بشبابيك جصية مخرمة (معشقة) بالزجاج المتعدد الألوان .

---

(١) نزهة الناظرين .

(٢) الخطط التوفيقية ج٥ ص ٥٤

ويقع المدخل الرئيسي للمسجد فى الواجهة الغربية ، وإلى يساره توجد المئذنة التى تتكون من بدن اسطوانى رتفع ويشتمل على دورة واحدة . وفى الركن الجنوبى الغربى للمسجد يوجد ضريح سيدى عقبة ، وهو عبارة عن حجرة مربعة يعلوها قبة مقامة على رقبة مرتفعة . وتعتبر قبة سيدى عقبة من أجمل وأكبر القباب التى أنشئت فى العصر العثمانى فهى مضلعة ن الخارج أما رقبتها فقد كسيت ببلاطات القاشانى . والقبة منقوشة من الداخل برسوم زيتية ، ومكتوب على الأزار الخشبي الذى يحيط بجدران المربع كآية الكرسى . وعلى القبر مقصورة خشبية وأمامه شاهد من الرخام نقش على أحد وجهيه آية الكرسى وعلى الوجه الآخر ما نصه : « هذا مقام العارف بالله تعالى الشيخ عقبة بن عامر الجهنى الصحابى رضى الله عنه . جدد هذا المكان المبارك الوزير محمد باشا سلحدار دام بقاه فى سنة ست وستين وألف» وفى داخل القبة يوجد قطعة من حجر أسود (لماع) يدعى سدنة الضريح أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع قدمه عليها .

كذلك أنشأ محمد باشا السلحدار بجوار جامع سيدى عقبة زاوية جعلها مكتبا لتعليم اليتامى القراءة والكتابة وحفظ القرآن . وتشتمل الزاوية على محراب دائرى مبنى بالحجر (الفصى النحيت) الأحمر وعلى جانبيه شباكان من النحاس الأصفر . ويعلو المحراب نافذة مستديرة مملوءة بالخشب الخرط الجميل . كما أنشأ سبيلا كسى أرضه بالرخام المتعدد الألوان ، أما صهريج السبيل فيقوم على أربعة عقود ويتوسطه قبة وبيارة على فوهتها (خرزتان) تعلو أحدهما الأخرى العليا من الرخام والسفلى من الحجر . وبجانب البيارة حاصل للماء يصل منه الماء إلى حوضى المزملتين ، الكبرى منهما فرشت أرضيتها بالرخام الملون النفيس والأخرى يجرى إليها الماء فى مجرى من الرصاص .

وقد وقف الأمير محمد باشا السلحدار على جامع سيدى عقبة أوقافا جمة بعضها أراضى زراعية وأخرى عقارية وثالثة أموالا سائلة رأيت أن أنقل جانبا منها لكى أعطى فكرة على مبلغ تعظيم وتقدير أضرحة أولياء الله الصالحين . كما أن هذه الأوقاف تعطى فكرة واضحة عن حالة البلاد الاقتصادية كما تعطى فكرة عن قيمة الرواتب التى تعطى لموظفى وسدنة المساجد والأضرحة .

ويذكر لنا على مبارك[1] جانبا من الأوقاف التى حبست على جامع سيدى عقبة فيقول : وقد وقف ذلك الأمير (أى محمد باشا) على هذا الجامع والضريح أوقافا جمة منها المكان الذى بجوار هذا الجامع الكائن بسفح الجبل بجوار سيدى ذى النون المصرى رضى الله عنه والليث بن سعد والامام الشافعى رضى الله عنهما وزاوية السادات الوفائية وذلك المكان عمارة جليلة تشتمل على قصر عظيم ودهليز متسع مسقف بالخشب المدهون بالدهانات الملونة وحوش كبير به ستة عشر بابا ومطبخ برسم القراء والفقراء القاطنين والمترددين فى ليالى الاثنين وليلة المولد وليلة البراءة ونصف شعبان وليالى شهر رمضان وغير ذلك كما يشمل حوض معد لسقى الدواب وساقية لملئ الاخلية والمطهرة والمنافع العمومية ومنها جميع البستان المستجد ومابه من أخشاب النخيل والبلح والرمان والليمون والنارنج وجميع القهوة والوكالة المجاورة لبيت القهوة . ومنها جملة أطيان صالحة للزرع بعدة جهات كناحية شلقان وناحية بياض بولاية الاطفيحية وناحية نوى وكفورها وناحية نهيا من الجيزية وناحية تل أبى روزن بالشرقية وجميع الرزق الاحباسية المنحلة عن أهلها بناحية شبين القناطر بولاية الغربية وبناحية الكنيسة بولاية الغربية وجميع الأطيان التى كانت سابقا مرسلة بالشركة على زاوية سيدى عقبة والامام الشافعى والامام الليث وأبى العباس المرسى والسيدة نفيسة رضى الله عنهم وزاوية الشهداء بعد استبدالها ووقفها على خصوص تعلقات سيدى عقبة وهى بجملة بلاد كالبهنساوية والاخميمية وطموة والمحرقة وغيرها وجميع الرزق الاحباسية المعينة بالأفراد وكذا جميع ما أرصده ذلك الوقف من الجهات الديوانية على المقام والجامع وتوابعهما وقدره فى كل يوم من تاريخه مائة عثمانى وسبعة وثمانون عثمانيا يعدل ذلك فى كل شهر ألفان وثمانمائة نصف فضة عددية وخمسة أنصاف فضة وجملة ذلك فى السنة ثلاثة وثلاثون ألف نصف وستمائة وستون نصف فضة منها ما هو مرتب مقيد بدفتر المستحفظان بقلعة مصر المحروسة واحد وتسعون عثمانيا كل يوم يعدل ذلك فى الشهر ألف ونصف أى ألف واحد وثلثمائة نصف وخمسة وستون نصفا فضة جملته فى السنة ستة عشر ألفا وثلثمائة وثمانون نصفا فضة ومنها مرتب مقيد بدفتر المتقاعدين كل يوم ثمانية وأربعون عثمانيا يعدلها فى الشهر سبعمائة وعشرون نصفا فضة وفى السنة ثمانية آلاف وستمائة وأربعون نصفا فضة

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص

ومنها مرتب بدفتر جوالى حصر وقدره كل يوم ثمانية وأربعون عثمانيا ومنها أرض بدفتر الجوالى السنوى فى كل سنة ألف ونصف وما أرصده بدفتر النطرون فى كل يوم ثلاث وزنات من النطرون المحمول من الطرانة إلى وكالة النطرون ببولاق القاهرة عنها فى كل شهر تسعون وزنة عن كل وزنة عشرون نصفا فضة يعدل ذلك كل يوم ستون نصفا فضة حكم قطيعة الديوان العالى . وجميع ما أرصده برسم أخباز لمحيا الشريفة والأيتام والمولد السنوى وعلف الأثوار والحمار المعد لحمل الأتربة إلى الكيمان وقدره فى كل شهر سبعة عشر أردبا من الحنطة يصرف من الشون السلطانية بمصر القديمة ثم ضم رحمه الله جميع ما وقفه على ماوقفه المرحوم يكمش العلائى قبل ذلك على مصالح زاوية سيدى عقبة وهو قطع أطيان بناحية بهتيم من القليوبية وبناحية جزيرة القرطيين وبناحية كوم برا بالجيزة وبناحية الطرفاية بالجيزة أيضا وبناحية الغزارية وهى مدينة منفلوط وبنواح آخر وجميع المرتب بوقف ايناخاتون فى السنة ثلاثون نصفا والمرتب بوقف طوغان البكلمش فى السنة خمسون نصفا وجميع المسقفات الكائنة ببولاق القاهرة والزريبة التى بخط حوض ابن غزالة ضم جميع ذلك الواقف إلى وقفه وجعله وقفا واحدا يصرف ريعه على مصالح مقام سيدى عقبة والجامع والسبيل والمكتب وغيرهما من تعلقاته وجعل الجامع وقفا على المسلمين تتوالى فيه الصلوات والخطب فى الجمع والأعياد وتقام فيه الشعاير ويتلى فيه القرآن وتدرس فيه الأحاديث . أما الزاوية المجاورة للجامع فجعلها مكتبا لأيتام المسلمين يكون به فقيه قراء وعريف واثنا عشر طفلا لم يبلغوا الحلم وجعل الصهريج سبيلا للفقراء وجميع المسلمين يملأ فى شهر طوبة من النيل (حتى تكون المياه خالية من الطمى) وجعل نقع الساقية عموما للمطهرة وغيرها والمساكن التى بجوار الجامع معدة لسكن الامام والخدمة ولأربعة سمانية محافظين .



جامع السيدة زينب

بنت الإمام على بن أبى طالب

عقيلة بنى هاشم بميدان السيدة زينب

يجمع كتاب التاريخ من عرب ومستشرقين على أن السيدة زينب أول سيدة فى الإسلام قُدِرَ لها أن تلعب على مسرح الأحداث السياسية دورا ذا شأن ، فقد اقترن اسمها فى التاريخ الإسلامى والإنسانى بمأساة (كربلاء) أحد المعارك الحاسمة فى التاريخ الإسلامى عامة وتاريخ الشيعة خاصة . ولم يجحد أحد دور السيدة «زينب» فى المأساة ، بل أن منهم من سماها (بطلة كربلاء) لأنها السيدة الأولى التى ظهرت فى اللحظة الحرجة تأسو المكلوم وتثور للضحايا الشهداء . وفوق هذا وذاك أخذت على عاتقها حماية السبايا من الهاشميات ورعاية غلام مريض هو على زين العابدين بن الحسين ، ومن هنا جاءت كنيتها (بأم هاشم) . بل إن بعض المؤرخين يضيف على ذلك فيقول ، أن موقف السيدة زينب بعد المعركة هو الذى جعل من (كربلاء) مأساة خالدة .

والسيدة زينب غنية عن التعريف فأبوها على بن أبى طالب وجدها لأمها محمد رسول الله وأمها فاطمة البتول وجدتها لأمها خديجة بنت خويلد أولى أمهات المؤمنين ، وشقيقاها الحسن

والحسين سبطا الرسول . ولدت السيدة زينب فى السنة السادسة للهجرة فى بيت النبوة بالمدينة المنورة ، فباركها جدها النبي واختار لها اسم زينب ، احياء لذكر ابنته التى توفيت فى السنة الثانية للهجرة متأثرة بجراحها ، فقد لقيها أحد المشركين بعد غزوة بدر ، فى طريقها إلى المدينة فنخسها فى بطنها ، وكانت حاملا فأسقط حملها وماتت . وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فى قلبه لوعة الحزن حتى إذا ماولدت أختها (الزهراء) ابنتها الأولى سماها زينب ، تلك التى تلاقى فيها أعز ماعرفت قريش والعرب من كريم الأصول ونقى السلالات . ونشأت زينب تحوطها رعاية جدها العظيم وعطف سابغ من أهلها الكرام ، ولكنها لم تكد تبلغ الخامسة من عمرها حتى لبى جدها صلى الله عليه وسلم نداء ربه ، ودفن فى غرفة السيدة عائشة بمسجد المدينة المنورة ، بعد أن فتح مكة وطهر الكعبة من الأوثان . وتمضى الأيام كئيبة حزينة بعد وفاة الرسول وزينب جالسة إلى فراش أمها العليلة الحزينة ، فما يذكر التاريخ أن فاطمة ضحكت بعد وفاة والدها حتى لحقت به ، بل عدت من البكائن الستة فى التاريخ ، بكى آدم ندما وبكى نوح قومه وبكى يعقوب ابنه يوسف وبكى يحيى خوف النار وبكت فاطمة أباها . ثم أدركتها رحمة الله فلحقت بأبيها بعد ستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل بل أقل من ذلك . وهكذا نرى أن الأحداث قد روعيت الصبية بشهود مأساة الموت مرتين فى أعز الناس لديها وأحبهم إليها ، ولكنها فى نفس الوقت انجبتها وهيأتها لأن تشغل مكان الأم الحبيبة بالنسبة للحسن والحسين وأم كلثوم ، إذ أن الروايات تجمع على أن أمها أوصتها وهى على فراش الموت ، أن تصحب أخويها وترعاهما وتكون لهما من بعدها أما .

ولما شارفت زينب سن الزواج اختار أبوها ابن عمها عبد الله بن جعفر زوجا لها الذى تجمع الروايات على أنه كان عالى المكانة لدى معاصريه من بنى هاشم وبنى أمية على السواء ، كما عرف بالمروءة والكرم وسماحة الخلق ونبل الطباع حتى لقب (قطب السخاء) . وعلى كثرة ما كتب من سيرة هذه السيدة العطرة ، إلا أنها تحجم جميعا عن وصف صورتها فى تلك المرحلة من عمرها وهى فى بيت زوجها محجبة لاتكاد تلمح إلا من وراء ستار ، أما وقد أخرجتها محنة كربلاء من خدرها فيصفها عبد الله بن أيوب الأنصارى ، فيقول : فوالله

ما رأيت مثلها وجها كأنه شقة قمر ، ويقول الجاحظ فى كتابه البيان والتبين أنها كانت تشبه أمها لطفا ورقة وتشبه أباها علما وتقى . وكان لها مجلس علمى حافل تقصده جماعة من النساء اللواتى يردن التفقه فى الدين ، وكانت بحق (عقيلة بنى هاشم) كما كانت تلقب.

وترجح الروايات أن السيدة زينب قد أنجبت من زوجها عبد الله بن جعفر ثلاثة بنين جعفرا وعليا وعونا الأكبر وبنتين أم كلثوم وأم عبد الله . وتذكر المراجع زوجات أخريات لعبد الله بن جعفر دون تحديد لوقت زواجه بهن ، وإن كنا نستطيع أن نستخلص من سرد الحوادث أنه قد تزوج ببعضهن فى حياة السيدة زينب .

وبدأت السيدة زينب ترقب الأحداث السياسية من وراء ستار فى دار الخلافة فرأت والدها وهو يخوض المعركة تلو المعركة ، فى موقعة الجمل ثم موقعة صفين مع معاوية ثم يفرغ منها ليلقى الخوارج فى النهروان وهكذا على مدى خمس سنوات لم يهدأ فيها حتى فاضت روحه الطاهرة سنة ٤٠ هـ . ثم شيعت زينب أخاها الحسن إلى جوار أمها بالبقيع (سنة ٤٩ هـ) ثم جاء دور الحسين ، فتهيأت زينب لترعى أخاها بعد أن رأى الخلافة تخرج من بيت النبى بعد أن أصبحت وراثية فى بيت بنى أمية ، ورحلت معه إلى العراق ، كما رحلت منذ عشرين عاما مع والدها من قبل . واستشهد الحسين فى موقعة كربلاء وسيقت السيدة زينب مع الأسرى والسبايا فكان أبشع موكب شهده التاريخ وجاز الركب ساحة المعركة حيث الاشلاء مبعثرة فصاحت زينب « يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ، يا محمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها » ولم تطق زينب أن ترى أهل الكوفة يبكون الحسين وآله ، فمضت تقول : « أما بعد يا أهل الكوفة ، أتبكون ، فلا سكت العبرة ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم مثل التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا . فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها . وكيف ترخصون قتل سبط الرسول وهو سيد شباب أهل الجنة ، أتدرون أى كبد فريتم ، وأى دم سفكتم ، وأى كريمة أبرزتم ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » قال من سمعها ، فلم أر والله حفرة أنطق منها كأنما تنتزع عن لسان أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فلا والله ما أتمت حديثها حتى

ضج الناس بالبكاء وذهلوا وسقط ما فى أيديهم من هول تلك المحنة الدهماء » ثم لوت السيدة زينب رأسها عنهم ، ومضت حيث ذهبوا بها هى والنسبايا من آل البيت الكريم إلى دار الامارة عند (عبد الله بن زياد).

وهناك أمر (زياد) برءوس القتلى فأحضرت بين يديه ، فأخذ ينكث بقضيب بين ثنيتى الامام الحسين ، فلما رآه (زيد بن الارقم) لايرفع قضيبه قال غاضبا : ارفع هذا القضيب عن هاتين الشفتين اللتين كان الرسول يقبلهما » . فهزه (ابن زياد) قائلا ، والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك » فانطلق الارقم خارجا وهو يصيح « أنتم يا معشر العرب لاعبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعدا لمن رضى بالذل » .

وكانت السيدة زينب قد تقدمت فى مهابه وجلال ، فأخذت مجلسها دون أن تلقى بالا إلى الأمير الطاغية ، وقبل أن يؤذن لها فى الجلوس ، سأل (ابن زياد) من تكون ؟ وأعاد السؤال مرتين وثلاثا وهى لاتجيب ، احتقارا له واستصغارا لشأنه ، وأجابت احدى امائها : هذه زينب ابنة فطمة ، قال ابن زياد وقد غاظه ما كان منها ، « الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم واكذب أحدوثتكم » فردت عليه : « الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيرا ، لاكما تقول أنت ، إنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله » ثم قال « لقد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة والمردة من أهلك » فردت عليه « لعمرى لقد قتلت كهلى وأبرزت أهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت » فقال فى غيظ : هذه شجاعة لقد كان أبوها شجاعا شاعرا » فردت عليه فى صرامة « فما للمرأة والشجاعة ؟ إن لى عن الشجاعة لشغلا » .

ثم أخذ يتأمل وجوه السبايا حتى استقرت عيناه على (على بن الحسين) فانكر بقائه حيا ، فأمر به (ابن زياد) أن يقتل ، فاعتنقته عمته (زينب) وهى تقول : يا ابن زياد ، حسبك منا ، أما رويت من دمائنا ، وهل أبقيت منا أحد . ثم انحنت على الغلام واحتضنته ليدعن الغلام أو فليقتلها معه ، فقال (ابن زياد) لأصحابه : عجبا للرحم ، والله أنى لاظنها

ودت لو أنى أقتلها معه ، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه ، وأمر بجعل الغل فى يدى (على زين العابدين) ورقبته .

وسيق ركب الأسرى والسبايا مرة أخرى إلى دمشق حيث وصلوا حضرة « يزيد بن معاوية» ويقال أنه لما رأى رأس الحسين دمعت عيناه ، وقال : « قد كنت أرض من طاعتكم بما دون قتل الحسين ، لعن الله بن مرجانة » . ثم أمر بادخال الأسرى والسبايا . ودار بينه وبين السيدة زينب حديث طويل ختمته عقيلة بنى هاشم بقولها : « أظننت يا يزيد أن حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكتاف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ، أن بنا هوانا على الله ، وأن بك عليه كرامة ؟ أن الله أن أملكٌ فهو قوله « ولايحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » . ثم أمر يزيد بسفر (أم هاشم) كما كان يدعوها معززة هى وأهلها مكرمة إلى المدينة فى صحبة حارس أمين معه خيل وأعوان .

أرادت (أم هاشم) أن تقضى بقية عمرها فى جوار جدها رسول الله ، ولكن (بنى أمية) أبوا عليها حتى ذلك ، فقد كان وجودها فى المدينة كافيا لأن يلهب مشاعر الناس للأخذ بثأر الحسين ، فطلب منها والى المدينة أن تخرج من المدينة فتقيم حيث تشاء ، ورحلت تريد مصر فوصلتها فى شعبان سنة ٦١ هـ كما تقول الكثرة الغالبة من المراجع العربية ، فاستقبلها مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر . كما خرجت لاستقبالها كافة جموع المسلمين على مشارف مصر حتى إذا وصلت إلى الفسطاط ، مضى بها مسلمة إلى داره فأقامت بها قرابة عام لم تبرحها حتى قضى نحبها سنة ٦٢ هـ رحمها الله رحمة واسعة .

* * *

وصف الجامع

يقع جامع السيدة زينب فى الميدان الذى يعرف باسمها ، وكان يعرف قبل ذلك باسم قنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة التى كانت مقامة على الخليج الذى كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهى عند السويس ، وكانت السباع (رنك) شارة الظاهر بيبرس الذى أقام القنطرة . وفى عام ١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت القناطر ومع الردم تم توسيع الميدان ، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا قد جدده سنة ٩٥١ هـ - (١٥٤٧ م) ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٠ هـ (١٧٦٨ م) ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن التاسع عشر ، أصبح يطلق على الميدان بل والحى كله اسم عقيلة بنى هاشم .

وقد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ المسجد الموجود حاليا ، ويتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة . ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسان يفصل بينهما مستطيل تعلوه (شخشيخة) . وفى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العتريس . وقامت وزارة الأوقاف بعد ذلك بإضافة مساحة تبلغ ١٧ × ٣٢ إلى المسجد الأصلى . وفى سنة ١٩٦٩ أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماما للمسجد الأصلى وبنفس مساحته بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلى والتوسعة الأخيرة . لذلك فقد عمل فى منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد ، مع الابقاء على المحراب القديم . ويقابل ضريح السيدة زينب فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطاة أيضا . وفى الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثانى فى التجديد الأخير.



جامع السيدة سكينة بالقاهرة

هى السيدة آمنة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين أمها (رباب) بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس سيد بنى كلب . وكانت ولادتها سنة ٤٧ هـ وسميت باسم جدتها أم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لقبتها أمها (رباب) (بسكينة) وذلك لأن نفوس أهلها وأسرتها كانت تسكن إليها لفرط مرحها وحيويتها حتى قال فيها والدها الحسين :

لعمرى أننى لاحب دارا تكون بها سكينة والرباب

أحبها وأبذل كل مالى وليس لعاتب عندى عتاب

وقد بدأت شخصية السيدة سكينة تظهر فى مكة عندما بلغت الثالثة عشرة من عمرها ، فحين أقبل موسم الحج سنة ٦٠ هـ كانت سكينة قبلة لأنظار لحسنها وظرف حديثها وأناقتها الساحرة ، حتى صارت مثلا يحتذى ، فقد شاعت (الطرة السكينية) فلم تبق شابة حسناء

إلا وحاولت أن تقلد تصفيف شعرها . ولم يقتصر التقليد للسيدة سكينة على النساء فحسب ، بل شمل الرجال كذلك ، إذ يقال أن الخليفة عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته (قصته) السكينية جلده وأمر بحلقها .

على أن مرح السيدة سكينة وأناقتها لم يلهها عن التعبد الذى يصل أحيانا إلى درجة الاستغراق وفى ذلك يقول والدها حسين جاءه الحسن المثنى ابن أخيه الحسن خاطبا : اخترت لك فاطمة فهى أكثر ابنتى شبها بأمى فاطمة ، أما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله ، فلا تصلح لرجل .

وخرجت سكينة من المدينة فى الركب مع أبيها سنة ٦٠ هـ يريد الكوفة بعد أن ألحت عليه شيعته هناك أن يقدم إليهم ليجاهد بهم ضد الطغيان . وبعد استشهاد الحسين وأصحابه فى كربلاء ، ساق والى الكوفة زياد ابن أبيه السيدة سكينة مع باقى نساء آل البيت إلى دمشق كسبايا حيث يراهن الخليفة يزيد بن معاوية ، ثم كانت نهاية المطاف فى المدينة المنورة ، وهناك أقامت مع أمها الرباب ، التى خطبت بعد فترة الحداد فأبت أن تستبدل بالحسين زوجا وبرسول الله صهرا ، وقالت « ما كنت لاتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . على أنها مالبثت أن ماتت بعد عام واحد حزنا عليه وعلى ولدها عبد الله ، فأقامت سكينة مع أخيها على زين العابدين .

وقد اختلف الرواة والمؤرخون فى عدد أزواج السيدة سكينة ، فقيل اثنان أو واحدا . على أن جمهور الرويات تجمع على ثلاثة : مصعب بن الزبير ثم عبد الله بن عثمان بن عبد الله ثم زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان . ويضيف ابن خلكان خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فحملت إليه بمصر فوجدته قد مات . أما المراجع الشيعية فتقصر زواجها على ابن عمها عبد الله بن الحسن .

وكانت السيدة سكينة سيدة المجتمع الحجازى الأولى على أيامها ، فقد اجتمعت لها من الخلايا والسجايا ما جعل لها مركزا عاليا مرموقا . فهى الأديبة الظريفة الجميلة فلو اضفنا إلى هذا شرف المحتد لظهر لنا مقدار ما حبتها به الطبيعة من صفات طبيعية

وأخرى موروثة . وكانت السيدة سكينة دائمة الاعتزاز بنسبها فقد جاء فى طبقات الشافعية عن مأتم شهدته سكينة وكانت فيه بنت لعثمن بن عفان ، فقالت العثمانية « أنا بنت الشهيد ، فأنكر المجلس أن تفخر بأبيها على مسمع من بنت سيد الشهداء ، على حين أمسكت سكينة صامتة لاتعلق ، إلى أن اذن المؤذون من مسجد الرسول للصلاة ، فلما بلغ قوله : « اشهد أن محمدا رسول الله » . التفتت سكينة إلى بنت عثمان وسألتها ، هذا أبى أم أبوك ؟ فأجابت العثمانية ، لا أفخر عليكم أبدا .

وإذا كان للغرب أن يفتخر بندوات نسائه العلمية (وصالوناته) فى القرن الثامن عشر فإن للعرب أن يتيهوا عجبا بندوات نسائه فى الأندلس التى سبقت الغرب بعدة قرون ، فقد كانت ندوات (ولادة) بنت المستكفى فى القرن الحادى عشر الميلادى مجمع العلماء والشعراء وأهل الفن والأدب . على أن ندوات ولادة بنت المستكفى لم تكن الأولى فى الإسلام فقد سبقتها فى القرن الأول الهجرى ندوات نسائية فى المدينة المنورة وكان أول من سنها هى السيدة سكينة ثم تبعها بعد ذلك غيرها من سيدات قريش .

وقد امتازت ندوة سكينة بالأدب الرفيع ، والعلم العزيز ، والشعر الرقيق ، فكم اجتمع ببابها من الشعراء يطلبون الاذن منها لينشدوها أشعارهم ، فقد اجتمع الفرزدق وجرير وجميل وكثير فى موسم للحج واتفقوا على الذهاب إلى مجلس السيدة سكينة يحتكمون إليها من يكون أشعرهم ، فأخذ كل منهم ينشدها شعره من وراء حجاب حتى إذا جاء دور جميل وأنشد شعره :

لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد

يقولون جاهد ياجميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد

وأفضل أيامى وأفضل مشهدى ... إذا هيج بى يوما وهن قعود

فقالت له السيدة سكينة « أنت الذى جعلت قتيلنا شهيدا ، وحديثنا بشاشة ، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ، ولم تتعد ذلك إلى قبيح ، خذ هذه الألف درهم ، وأبسط لنا العذر ، أنت أشعرهم .

وهكذا تألق هذا النجم فى سماء المدينة المنورة وظلت تهتدى به حتّى سنة ١١٧ هـ ففى صباح يوم شديد الحر فاضت روحها وانتقلت إلى جوار ربها ، وخرج نعشها يتهادى بين جموع المشيعين ، ولكنها « حتّى على الموت لاتخلو من الحسد » فإن أمير المدينه الأموى ، أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتّى يحضر . وجلس الناس حولها حتّى العشاء ولم يحضر الأمير فأوقدوا لها عددا من المسك بأربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات جماعات . وفى صباح اليوم الثانى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

* * *

وصف الجامع

أما عن ضريح السيدة سكينة الذى يقع بحى الخليفة بالقاهرة بالشارع المسمى باسمها فقد اختلف المؤرخون فى صحة وجودها به ، والذين يقولون بوجودها بمصر يعتمدون على القصة التالية : خطبها الأصبغ بن عبد العزيز والى مصر من قبل الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان فكتبت إليه تقول : « أن أراضى مصر وخمة » فبنى لها (مدينة الأصبغ) ، ولكن هذا الأمر لم يرق فى عين الخليفة فحسده وكتب إليه « أن تأخذ ولاية مصر أو سكينة فكف عن زواجها ، وقال ابن[1] زولاق ، أن أول من دخل مصر من ولد على كرم الله وجهه سكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم ، وذلك أنها حملت إلى الآصبغ بن عبد العزيز بن مروان ليدخل بها فوجدته قد بتى فرجعت إلى المدينة وقيل غير ذلك . ويقول النسابة العبيدى ، أن السيدة سكينة صحبت عمتها السيدة زينب فى خروجها إلى مصر حين أدرك الخليفة يزيد خطر مقامها بالمدينة ، فأمر إليها أن يفرق بينها وبين الناس حتى لا تكون فتنة . وتعلق الدكتورة بنت[2] الشاطىء على ذلك فتقول: « وإذا صحت هذه الرواية فلعل السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب سنة ٦٢ هـ . وعلى أية حال فقد ظهر فى العصور الوسطى وخاصة فى أوقات المحن والحروب التى لا نجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار أن يتلمسوا أضرحة آل البيت والأولياء للزيارة والبركة

---

(١) ابن زولاق ص ٨٧
(٢) السيدة سكينه ص ٣٥

والدعاء ليكشف الله عنهم السوء ويرفع البلاء ، ومن ثم ظهر ما يعرف باسم أضرحة الرؤيا . فإذا رأى ولى من أولياء الله الصالحين فى منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدا أو ضريحا لأحد من أهل البيت أو الولى المسمى فى الرؤيا فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه .

والمسجد الموجود حاليا يرجع إلى عهد عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٣ هـ ثم جددته بعد ذلك وزارة الأوقاف فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وعلى باب المقصورة النحاسية نجد لوحة تذكارية مورخة سنة ١٢٦٦ هـ .



مشـــهد
الإمام زين العابدين
بحى زيـن العـابدين

الإ. م زيد ـن على المعروف بزين العابدين ، ابن الحسين بن على ابن أبى طالب وكنيته أبو الحسن[1] . هو كما وصفه أبو اسحق : رأيت زيد بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل وكان أفصحهم لسانا وأكثرهم زهدا وبيانا . وقال الشعبى : والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن على ، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد ولا أبين قولا ، لقد كان منقطع القرين .

وتنسب إلى زيد بن علىّ طائفة الزيدية وهى من أكبر فرق الشيعة وأكثرها اعتدالا وقربا إلى أهل السنة . ولعل ذلك راجع إلى إمامها زيد بن على الذى تتلمذ لواصل بن عطاء ، فتأثر به فى عنمه وقوة حجته وسلامة حكمه . وقد انتشرت فرق الزيدية فى طبرستان واليمن

---

(١) مشهـ ـن العابدين جـ ٤ ص ٣٠٦

ولا يزال معظم اليمنيين ن الزيدية . ولا يختار الزيديون إمامهم بالوراثة بل لا بد أن يكون مستكملا لشروط[1] معينة .

كان زيد يحدث نفسه دائما بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك ، ومازال هذا المعنى يتردد فى نفسه ، حتى وفد على الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك ، فآنس منه جفوة فكانت سببا فى خروجه على بنى أمية ومطالبته بالخلافة . فسار أولا إلى الكوفة ، ولكنه هم بالرجوع إلى المدينة فتبعه أهل الكوفة وأقنعوه بالبقاء ومحاربة بنى أمية قائلين له : نعطيك من الإيمان والعهود والمواثيق ما تثق به ، فأنا نرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذى نهلك فيه بنى أمية ، ومازالو به حتى أعادوه إلى الكوفة[2] .

فحشد يوسف بن عمر أمير الكوفة جيوشة ، وجرى بين الفريقين قتال تفرق فيه أصحاب زيد عنه ، فبقى فى فئة قليلة من أهله يقاتل قتالا شديدا حتى سقط شهيدا وذلك فى شهر صفر سنة ١٢٢ هـ وقيل ١٢١ هـ .

وقد اختلف المؤرخون والرواة على مكان الدفن ، كما اختلفوا من قبل على رأس جده الإمام الحسين رضوان الله عليه ، فقيل أنه حمل إلى الكوفة ثم أحرق وذر رماده فى الفرات ، وقيل بعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك فنصبه على باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة . أما الكندى فيؤكد قدوم الرأس إلى مصر . وقد جاء فى شرح رواية دفن الرأس بمصر فى (الجوهر المكنون) :

« أنه بعد قدوم رأسه (أى زيد) إلى مصر طيف بها ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر (أى جامع عمرو) فى سنة ١٢٢ هـ ، فسرقت ودفنت فى هذا الموضع ، إلى أن ظهرت وبنى عليها مشهد فى الدولة الفاطمية » .

* * *

(١) الملل والنحل ص ١١٧
(٢) ترتيب الزيارة ص ٣٩

وصف المشهد

ويوجد هذا المشهد فى الحى المعروف الآن بحى (زين العابدين) وكان يعرف فى أوائل العصر الإسلامى باسم (الحمراء القصوى[1]) . وتقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) وعليها أسس العباسيون مدينة العسكر ، ثانى عواصم مصر الإسلامية .

والمسجد الموجود حاليا يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر ، فقد جدده وأعاد معظم مبانيه عثمان أغا[2] مستحفظان . أما عمارة الدولة الفاطمية فلم يبق منها سوى عقد واحد يوجد بالطرقة الداخلية على يمين الداخل إلى رواق القبلة . كما توجد لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية ، كتب عليها ما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا مشهد الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين فى سنة ٥٤٩ » .

أما القبة التى تعلو الضريح فترجع إلى العصر المملوكى فى القرن الثامن[3] الهجرى وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى عملت مقصورة جديدة للضريح . تعتبر نموذجا لصناعة الحديد المزخرف بمصر[4] ، كتب عليها : أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ كذلك كسا عتب باب القبة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل .

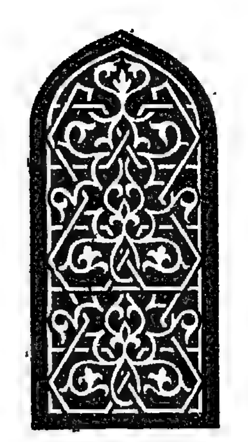
---

(١) المقريزى جـ ٢ ص ١١٥

(٢) على مبارك جـ ٤ ص ٦٩

(٣) السخاوى ص ٢٧

(٤) الخطط التوفيقيه جـ ٤ ص ٧١



جامع السيّدة عائشة بالقلعة

السيدة عائشة هي بنت جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهى أخت الإمام موسى الكاظم رضى الله عنهما .لقد كانت كما جاءت ترجمتها فى كتاب (مشاهد الصفا فى المدفونين بمصر من آل المصطفى) من العابدات القانتات المجاهدات ، ويؤثر عنها أنها كانت تقول مخاطبة الله جل جلاله : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى فأطوف به على أهل النار وأقول : وحدته فعذبنى » وقد توفيت إلى رحمة الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائة .

ويجمع المؤرخون ممن تناولوا سيرة أهل البيت بالبحث والدراسة ، على أن السيدة عائشة رضوان الله عليها ، شرفت مصر وتوفيت بها سنة ١٤٥ هـ . فقد جاء فى كتاب (تحفة الأحباب) للسخاوى[1] أنه رأى قبر السيدة عائشة وقد ثبت عليه لوح رخامى مكتوب عليه :

---

(١) السخاوى ص ١١٩

« هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، توفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة .

وظل قبر السيدة عائشة حتى القرن السادس[1] الهجرى مزارا بسيطا يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبه تر تكز على حطتين (صفين) من المقرنصات ، أما فى العصر الأيوبى فقد أنشئ بجوار القبة مدرسة وذلك أنه عندما أحاط صلاح الدين الأيوبى عواصم مصر الإسلامية الأربع ، الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة بسور واحد حتى يحصن البلاد من هجمات الصليبيين ، ففصل هذا السور قبة السيدة عائشة عن باقى القرافة فرأى صلاح الدين ، أن يقيم بجانب القبة مدرسة ، كما أنه فتح فى السور بابا سماه باب السيدة عائشة وهو المعروف (بباب القرافة) .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٦٩

وصف المسجد

والمسجد الآن بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق الموصل إلى مدينة المقطم . وقد تهدم المسجد القديم وأعاد بنائه الأمير عبد الرحمن كتخدا فى القرن الثامن عشر . ويتكون المسجد من مربع يتوسطه صحن وتحيط به الأروقة . ومما يسترعى النظر فى رواق القبلة ، أن المحراب لا يتوسط جدار القبلة ، وإنما يقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجدار .

ومثل هذه الظاهرة وجدناها فى مشاهد الموصل التى بنيت فى العصر السلجوقى ، ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد بابان بينهما المئذنة التى لم يبق منها سوى الدورة الأولى وقد كتب على الباب البحرى ما نصه :

مسجد أمه التقى فتراه   كبدور تهدى بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أرخوه   تلألأ بجبه الأنوار

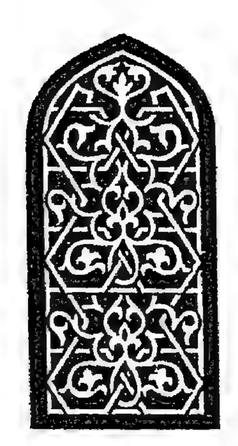
وكتب على الباب القبلى ما نصه :

بمقام عائشة المقاصد أرخت   سل بنت جعفر الوجيه الصادق

وقد تحقق المرحوم أحمد زكى باشا من وجود جثمان السيدة عائشة بالضريح فنادى على رؤوس الأشهاد بقوله : (أن المشهد القائم فى جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية هو حقيقة متشرف بضم جسمانها الطاهر ، وفيه مشرق أنوارها ومهبط البركات بسببها) .

وقد كتب على باب القبة ما نصه :

لعائشة نور مضئ وبهجة   وقبتها فيها الدعاء يجاب



مسجد تبر بالمطرية
أو
جامع سيدى ابراهيم

لقد تعددت أسماء هذا المسجد فقد عرف قديما بمسجد التبر ومسجد الجميزة ومسجد التبريز وتسمية العامة مسجد التبن ، أما الاسم الذى يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة فهو مسجد تبر أو مسجد إبراهيم . أما بالنسبة لإبراهيم المقصود بالذكر هنا فهو إبراهيم الجواد بن عبد الله الملقب بالكامل بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه . ويقول المقريزى[1] ، أن الخليفة المنصور قتله سنة خمس وأربعين ومائة وأرسل رأسه إلى مصر فنصبت فى المسجد الجامع العتيق (جامع عمرو) . ويضيف أبو المحاسن[2] ، أن إبراهيم رحمه الله كان ضحية الطمع والجشع نشأ فى بلدة باغمرى من أعمال الكوفة . ويصف كيف جاءت الرأس إلى مصر فيقول « وبينما الناس فى ذلك قدم اليزيد برأس إبراهيم ابن عبد الله فنصب فى المسجد أياما ثم طيف به ودفن فى الضاحية التى تعرف بمنية مطر » .

---

(١) المقريزى : ج ٤ ص ٢٧١

(٢) ابن تغرى بردى ج ٣ ص ١٣٦

وكذلك أورد القضاعى هذه الرواية ، إذ يقول « مسجد تبر بنى على رأس إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، أنفذه المنصور ، فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك . » وجاء فى كتاب الولاة[1] والقضاة » ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه فى المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره .

وقد حقق الشيخ[2] الشبلنجى الاسم (فى كتابه نور الأبصار فى مناقب آل البيت) وانتهى إلى أنه « هو ابراهيم عبد الله المحض أخو محمد المهدى ، وكان مرضى السيرة من كبار العلماء ، روى أن الإمام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معه ومع أخيه محمد قال أبو الحسن العمرى : قتل إبراهيم فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبى الكرام رأسه الشريف إلى مصر .

وجاء فى حوادث سنة ١٤٥هـ فى كتاب العبر[3] فى خبر من غبر : « فيها ظهر محمد ابن عبد الله ابن حسن ، فخرج فى مائتين وخمسين نفساً بالمدينة ، فندب الخليفة المنصور لحربه ابن عمه عيسى بن موسى يدعوه إلى الإنابة ويبذل له الأمان فلم يسمع ، ثم أنذر عيسى أهل المدينة ورغبهم ورهبهم أياما ، ثم زحف على المدينة ، فظهر عليها وبادر محمدا وناشده الله ، ثم قتل فى المعركة وبعث عيسى برأسه إلى المنصور »

ويضيف الذهبى[4] فيقول : وفيها (أى سنة ١٤٥هـ) خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ابن حسن بالبصرة ، وكان قد سار من الحجاز إلى البصرة فدخلها سرا فى عشر أنفس ولما بلغ المنصور خروجه تحول فنزل الكوفة حتى يأمن غائله أهلها ، وألزم الناس بلبس السواد وجعل يقتل كل من اتهمه أو يحبسه ، وتهاون متولى البصرة فى أمر إبراهيم حتى اتسع الخرق فجهز المنصور لحربه خمسة آلاف ، فكان بين الفريقين عدة وقعات . وقتل خلق من أهل

---

(١) الكندى ص٥٧

(٢) الشبلنجى : نور الأبصار فى مناقب آل البيت ص ٢٣

(٣) العبر فى خبر من غبر ص ١١٢

(٤) الذهبى تاريخ ص ١٣٧

البصرة وواسط . وبقى إبراهيم سائر رمضان يغرق العمال على البلدان ليخرج على المنصور من كل جهة فتقا ، فأتاه مصرع أخيه بالمدينة قبل الفطر بثلاثة أيام . فلم يبزح أن رد ، (المنصور) من المدينة عيسى بن موسى فوجهه لحرب إبراهيم » .

ولعل استطردنا فى سرد تفاصيل الحوادث التى دارت بين المنصور وابراهيم ما يبرر جز المنصور لرأس ابراهيم والطواف به فى الأمصار ليكون عبرة لمن تحدثه نفسه من العلويين للخروج عليه أو على غيره من آل العباس . فقد جاء فى أحداث سنة ١٤٥هـ أن المنصور مكث لا يقر له قرار فجهز العساكر ، ولم يأو إلى فراش خمسين ليلة ، وكل يوم يأتيه فتق من ناحية . ويضيف الحافظ الذهبي « ولولا السعادة لثل عرشه بدون ذلك . فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور ولكنه كان فيه دين : قال : أخاف أن هجمتها أن يستباح الصغير والكبير وكان أصحابه مع قلة رأيه يختلفون عليه .

وأخيرا استطاع جيش عيسى بن موسى أن يحيط بجيش ابراهيم وحمل على عسكره فوقعت الهزيمة على أصحاب إبراهيم حتى بقى فى سبعين ، واشتد القتال حتى تفانى خلق تحت السيف طول النهار ، وجاء بسهم غريب لايدرى من رمى به فى حلق إبراهيم فأنزلوه وهو يقول (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أردنا أمرا وارد الله غيره . واجتمع أصحابه يحملونه وأنكر عيسى اجتماعهم وحمل عليهم ، فتفرقوا عن إبراهيم ، فنزل جماعة واجتزوا رأسه وبعثوا به إلى المنصور وذلك فى الخامس والعشرين من ذى القعدة وعمره ثمان وأربعين سنة .

أما عن أثر هذه الأحداث فى مصر وكيف جاء رأس إبراهيم إليها فيحدثنا ابن طهيرة فى كتابة (الفضائل الباهرة فى[1] محاسن مصر والقاهرة) فيقول : وفى أيام يزيد بن حاتم والى مصر من قبل الخليفة المنصور ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن على بن أبى طالب وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لبنى الحسن فى الباطن وماجت الناس بمصر وكاد أمر بنى الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم على بن محمد بن عبد الله . وبينما الناس فى ذلك قدم اليزيد برأس ابراهيم بن عبد الله بن على بن أبى طالب فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة فنصب فى المسجد أياما .

---

(١) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ص ٨٧

ومما يدل على تحرج الحالة فى مصر ، كما يقول ابن ظهيرة « أن يزيد قد منع أهل مصر من الحج بسبب خروج العلويين بالمدينة ، فلما قتل إبراهيم أذن لهم » .

ولابن ظهيرة فى كتابه الفضائل الباهرة[1] فى محاسن مصر والقاهرة رأى آخر عن مكان دفن رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب إذ يقول (ومسجد البئر والجميزة فى طريق الجب بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار ، فأخذه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع . وفى تفسيره لمكان البئر والجميزة البئر والجميزة يقول (هما العريش) .

أما عن السبب فى تسمية المسجد باسم مسجد تبر فيرجع كما يقول المقريزى[2] نسبه إلى تبر ، أحد الأمراء الأكابر فى أيام الأستاذ كافور الأخشيدى . فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الأخشيدى هذا فى جماعة من الكافورية والأخشيدية وحاربه فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه ، فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت ، فانكسر وصار إلى مدينة صور التى كانت على ساحل البحر ، فقبض عليه بها وأدخل إلى القاهرة ، فسجن إلى صفر سنه ستين وثلثمائة ، فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وحبس عدة من أصحابه بالمطبق من القيود إلى ربيع الآخر ، ثم خرج وأقام أياما مريضا ومات . ويضيف المقريزى : فسلخ بعد موته وصلب عند كرسى الجبل ويقول ابن عبد الظاهر أنه حشى جلده تبنا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك .

وجاء فى تحفة الأحباب وبغية الطلاب للسخاوى[3]: وقد ظل هذا المسجد يعرف باسم مسجد تبر إلى عهد بعيد ثم تحول إلى زاوية صغيرة ثم اندثرت المبانى وبقيت التربة فقط ومن عهد قريب تطوع الأهالى ببنائه فأعيد إلى شبه حالته سنة ١٩٢٢ م وهو باق إلى

---

(١) ابن ظهيره ص ٨٩
(٢) المقريزى ج ٤ ص ٢٧١
(٣) السخاوى : ص ٢٢

الآن بالمطرية بشارع البرنس (ماهر حاليا) يعرف بجامع سيدى إبراهيم ، وعليه ضريح يزار لكن بعض العامة تقول أنه إبراهيم الدسوق وهذا خطأ بطبيعة الحال .

وتوجد زاوية سيدى إبراهيم فى شارع ماهر (البرنس) سابقا وعلى ناصية حارة سيدى إبراهيم . وتتكون الزاوية من مبنى مستطيل الشكل مدخلها فى الجهة الجنوبية حيث يوجد بابان داخل حنيتين يعلوهما عقد ذو ثلاثة فصوص ويعلو الباب نافذة صغيرة معقودة والجدران الخارجية مزخرفة بطلاء جيرى مخطط باللون الأحمر والأبيض وتبدو وكأنها أبلق . أما داخل الزاوية فبسيط جدا ويتكون من ستة أروقة موازية لحائط القبلة وبكل رواق أربعة أعمدة . وبالرواق الثانى وأمام المحراب توجد قبة بها ثمان فتحات القصد منها الإنارة .

وقد اقتطع من الزاوية مستطيل فى الركن الشمالى الغربى توجد فى جزء منه مقبرة سيدى إبراهيم وهى عبارة عن حجرة مربعة غطيت بقبة تقوم على رقبة مثمنة بكل ضلع منها نافذة وفوقها تقوم قبة مدببة . أما جدران المستطيل فقد فتحت فى كل من الضلع الشرقى والغربى نافذتان قنديليتان . وفى الجهة الغربية من الزاوية توجد الميضأة ودورة المياه .

ولعل السبب فى اختيار جهة المطرية لتكون مقرا لرأس إبراهيم هو إبعاد الناس عن زيارة المقبرة حتى تخمد الثورة وتضعف الدعوة للعلويين . فقد كانت منطقة المطرية فى ذلك الوقت مهجورة غير مسكونة لبعدها عن العاصمة وهى الفسطاط ثم العسكر . كما أن مقابر المسلمين فى ذلك الوقت كانت عند جبل المقطم . ومما ينهض دليلا على أهمية هذه المقبرة فى تلك المنطقة النائية وأعنى بها المطرية ، هو اهتمام الأمير تبر ببناء مسجد بجوارها .

* * *



مسجد رابعة العدوية
شهيدة العشق الالهى
بمدينة نصر بالقاهرة

تنتمى رابعة العدوية إلى بنى عدى الذين اشتهر كثير من أفرادها بالورع والتقوى فى مدينة البصرة . ولدت رابعة فى عهد الدولة الاموية فى أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثانى للهجرة من أبوين فقيرين بمدينة البصرة . ويحدثنا أبن الجوزى عن قصة مولدها فيقول : أتت رابعة إلى الدنيا ولم يكن فى بيت أهلها شئ ، لأن أباها كان فقيرا فلم يكن عنده قطرة من سمن حتى يدهنوا موضع خلاصها . ولم يكن ثمة نور ولاخرق للف الوليد . وكان لرابعة ثلاث أخوات فسميت رابعة لأنها رابعتهن» . ويستمر ابن الجوزى فى سرد القصة فيقول : « وطلبت أم رابعة من زوجها أن يذهب إلى الجيران لكى يأتى لها بقطرة من الزيت حتى يضئ القنديل ، ولكنه كان قد عاهد نفسه على ألا يطلب من الناس شيئا لأنه لو طلب شيئا ما أعطوه . ومع هذا ذهب إلى الجيران وطرق بابهم ثم عاد إلى زوجته وقال أنه لم يفتح له » .

إلى هذا الحد والقصة طبيعية مألوفة ، أما باقيها ففيها كثير من الخوارق التى يسميها

مؤرخو العصور الوسطى باسم الكرامات ويصفها المحدثون بالأسطورة غير أن أحدا لا ينكر الكرامات لأولياء الله الطاهرين . وفى ذلك يقول أكثر الصوفية : أن ظهور الكرامات جائز بل واقع وهى أمور ناقضة للعادة غير مقترنة بدعوى النبوة ، وهى عون للولى على طاعته ومقوية ليقينه وحاصلة له على حسن إستقامته ودالة على صدق دعواه الولاية إلى أن إدعاها لحاجة وشهدت له الشريعة » .

ولرابعة فى مجال الكرامات شهرة واسعة فيكمل العطار قصة طفولة رابعة فيقول : « وبكت أم رابعة لما هم فيه من فقر وجحود الجيران ، وفى ذلك الوقت أطرق والد رابعة ونام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وقال الرسول : لا عليك لأن هذه البنت التى ولدت وهى سيدة وأن سبعين ألفا من أمتى ليرجون شفاعتها ، وقال له أذهب غدا إلى أمير البصرة واكتب له ورقة وقل له : « إنك تصلى مائة صلاة وفى ليلة الجمعة أربعمائة ، ولكن فى يوم الجمعة الأخيرة نسيتنى ، فادفع كفارة أربعمائة دينار حلال لهذا الشخص ، فلما أفاق والد رابعة من نومه كتب الرسالة وأرسلها عن طريق الحاجب إلى الأمير ، فلما رآها الأمير قال : أعطوا ألفى دينار للدراويش وأربعمائة للشيخ وقولوا له أن يأتى لأراه » .

وفقدت رابعة أبويها وهى ما تزال فى سن الطفولة غضة الاهاب لا تملك من الدنيا شيئا إلا قاربا ، كما جاء فى كتاب « شخصيات صوفية » للأستاذ طه عبد الباقى كان أبوها يحمل عليه الناس من شاطئ إلى شاطئ فى نهر دجلة فخلت فى القارب مكانه طوال يومها حتى إذا أمسى عليها المساء رجعت إلى منزلها الموحش ، فقد أقفر من الوالد الحنون والأم الرحيمة ، فترتمى فى أحضان صديقتها (عبدة) تبكى وتبكى طوال ليلها . فتضعها عبدة إلى صدرها تهدهدها وتمسح دموعها وتسألها ما بها فينساب الجواب ندبا بالدموع محترقا بالزفرات وهى تقول : لست أدر ؟ إننى حزينة وأنة لحزن غامض لا أدرى له سببا .

ويستطرد الأستاذ طه فى سرد قصته التى أخذها عن كتاب (الروض الفائق فى المواعظ والرقائق) . إن رابعة العدوية كانت تجد بعض السلوى فى ألحانها الحزينة وهى تمخر عباب الماء

بمركبها وكان يخيل إليها أن الطبيعة تصمت لمزمارها وتشاركها الحانها . ويسير الأستاذ طه فى وصف الكثير من قصص حياة رابعة حتى يأتى ، إلى أن حلما أخذ يراودها فى كل غفوة ويتراءى لها فى كل ليلة ، أنها ترى فيما يرى النائم أن نورا ساطعا مشرقا أكثر مايكون السطوع والإشراق يملا الوجود ثم ينصب على جسدها فيغمره ثم يتسلل إلى قلبها وروحها . وتعود رابعة إلى منزلها مذهولة تلتمس النوم فجفاها ثم غفت غفوة فرأت ، ملائكة يطفن بفراشها ويرددن شعرا ثم هتف ملاك كريم : يا رابعه أما آن لك أن تعودى إلى ربك !! يا رابعة لقد اجتباك ربك .فاقبلى عليه وتفرغى له يغنيك عن الدنيا . واستيقظت رابعة والنور يملأ قلبها وروحها فألقت رداء الدنيا وأقبلت على الآخرة ، فلمست سر الحياة وتصوفت رابعة وامتلأ قلبها بحب ربها وهديت إلى صراط العزيز الحميد .

ويرى الأستاذ قمر الدولة ناصف ، أن قصة رابعة كما رواها ، الأستاذ طه ، لا تتفق كثيرا مع ما جاء عنها فى كتب الطبقات وخاصة فى تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، الذى يقول : « ولما كبرت رابعة وتوفى والداها ، حدث فى البصرة قحط وتفرقت إخوانها ، خرجت رابعة تهيم على وجهها تبحث عن رزق تقتات منه ، فرآها ظالم وباعها بستة دراهم ، ومن اشتراها أثقل عليها بالعمل . وذات يوم هربت من بيت سيدها وهامت على وجهها فى الطريق حتى ارتمت على الأرض من شدة التعب فأخذت تناجى ربها قائلة : ياربى أنا غريبة ويتيمة وأسيرة وقد صرت عبدة ، ولكن غمى الكبير هو أن أعرف : أراض عنى أنت أم غير راض ؟ فسمعت صوتا يقول لها : « لا تحزنى أنى فى يوم الحساب المقربون فى السماء ينظرون إليك ، ويحسدونك على ما أنت فيه .

وبعد أن سمعت هذا رجعت إلى بيت سيدها راضية النفس مطمئنة ، تخدم سيدها وتصوم وتصلى لربها ، وذات ليلة إستيقظ سيدها على صوت تهجدها فنظر من خوخة فى الباب فرأى رابعة ساجدة وهى تقول « إلهى أنت تعرف أن قلبي يتمنى طاعتك ، ونور عينى فى خدمة عتبتك ولو كان الأمر بيدى لما توقفت ساعة عن خدمتك ، لكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق » كما رأى سيدها نورا يضئ البيت كله يخرج من قنديل معلق فوق رأسها بدون سلسلة ، فلما سمع توسلها ورأى نورها العجيب فزع ونهض ، ودعا رابعة برفق

قائلا لها يا رابعة لقد أعتقتك وأنت حرة فإن شئت بقيت هنا وسنكون جميعا فى خدمتك وإن لم تشائى فاذهبى إن شئت ، فودعته رابعة شاكرة له فضله وارتحلت واتخذت مهنة العزف على الناى مدة ثم تابت من بعد ذلك وأصلحت وابتنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة » .

وبرغم أن الدكتور عبد الرحمن بدوى قد وافق على رواية العطار (فى كتابه شهيدة العشق الإلهى) إلا أنه لم يسلم بالنهاية التى انتهت إليها القصة إذ يقول : أن رابعة لما اعتقت إندفعت بفضل الحرية التى وهبتها إلى المشاركة فى حياة الدنيا ، خاصة أنها كانت باهرة الجمال ساحرة الفتنة ، وإنها قطعت شوطا طويلا فى طريق الإثم وغرقت فى بحر الشهوات . ثم يعلل ذلك بقوله « إن الإنقلابات الروحية الكبرى إنما تقع دائما نتيجة لعنف وإفراط ومبالغة فى الطرف المنقلب عنه . فعنف إيمان القديس بولس كان نتيجة لعنف إنكاره المسيحية ، وعنف الحياة التقية لدى القديس أغسطين كان لازمة طبيعيا لعنف الحياة الشهوانية الحسية التى حييها قبل تحوله إلى الإيمان ، إن الإعتدال من شأن الضعفاء والتافهين أما المتطرف فمن شيم الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ . ثم يضيف وما كان يمكن لرابعة أن تتطرف فى إيمانها وحبها لله إلا إذا كانت قد تطرفت من قبل فى حبها للدنيا ، فمن أعماق الشهوة العنيفة تنبثق الشرارة المقدسة للطهارة » .

أما الأستاذ قمر الدولة فقد وقف موقفا وسطا ومنطقيا ، ونحن نؤيده فيه ، بين العطار وبين الدكتور بدوى ، فهو لا يسلم بأن رابعة العدوية تابت دون أن تخطئ ، إذ يقول من أى شئ تابت ؟ هل تابت من إحترافها العزف على الناى ؟ وهل فى احترافها العزف على الناى إثم يجب أن تتوب منه ؟ إن العزف على الناى وحده ليس عليه غبار حتى تتوب منه بل أن العزف على الناى عند المتصوفة ليس نكرا ولا بدعا بل هو جناح يبعث الوجد ويحرك القلب ويحلق بسامعه . ولكنه يعتقد أنها احترفت العزف على الناى والغناء ، وخاصة أن هذه المهنة فى ذلك العصر كان من غير الممكن أن تكون بمنجاة عن ألوان الإغراء التى

تنصب لها . فكان لابد لرابعة أن تتخلص من تلك الحياة اللاهية التى وجدت نفسها فيها بعد احترافها العزف على الناى والغناء ، فراحت تبحث عن نفسها التائه بين زحمة الحياة . وقد من عليها الله بالتوبة ، والتوبة عند رابعة لا تتم بالجهد بقدر ما تتم بفضل من الله ، فقد جاء فى طبقات الأولياء أن رجلا قال لرابعة : إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى ، فلو تبت هل يتوب على ؟ فقالت لا بل لوتاب عليك لتبت، مصداقا لقوله تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) .

وبدأت رابعة العدوية بتوبتها صفحة مشرقة من حياتها فابتنت لنفسها خلوة وانقطعت فيها للعبادة وذاع صيتها فى البصرة وانتشرت ألحانها العلوية فى العراق وسمت بعواطفها إلى الحب الإلهى وابتدعت مذهبا فى التصوف عرف بها وعرفت به ، واستحقت بحق أن يطلق عليها (شهيدة الحب الإلهى) فهى التى تقول : « اللهم إنى أعوذ بك من كل ما يشغلنى عنك ومن كل حائل يحول بينى وبينك ، اللهم اجعل الجنة لأحبائك والنار لأعدائك وأما أنا فحسبى أنت » وكانت رحمها الله إذا صلت العشاء تتهجد وتقوم الليل كله وهى تقول « إلهى نارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك ، ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت : « إلهى هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ أم رددتها على فأعزى ، فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى وعزتك لوطردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك » .

وكرامات رابعة العدوية كثيرة فمنها أن لصا دخل عليها ليلا فلم يجد فى البيت غير إبريق فلما هم بالخروج قالت له رابعة : يا هذا إن كنت من الشطار ، فلا تخرج بغير شئ ، فقال إنى لم أجد شيئا ، فقالت : « يا مسكين توضأ بهذا الإبريق وادخل فى هذا المخدع فصل ركعتين فإنك ما تخرج إلا بشئ ، ففعل ما أمرته ، فلما قام يصلى رفعت رابعة طرفها إلى السماء وقالت : « ياسيدى ويامولاى هذا قد آتى بابى ولم يجد شيئا عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك . فلما فرغ من صلاة الركعتين لذت له العبادة

فما برح يصلى حتى آخر الليل . فلما كان وقت السحر دخلت إليه رابعة فوجدته ساجداً، فقالت له كيف قضيت ليلتك ، فقال بخير ، وقفت بين يدى مولاى بذلى وافتقارى فقبل عذرى وجبر كسرى وغفر لى ذنبي وبلغنى المطلوب ، فرفعت رابعة كفها إلى السماء وقالت : سيدى ومولاى هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا منذ عرفتك بين يديك أتراك تقبلنى ؟ فنوديت فى سرها يا رابعة من أجلك قبلناه وبسببك قربناه » .

* * *

وصف المسجد

وتوفيت رابعة العدوية على الراجح ، سنة ١٨٠ ، ه أو سنة ١٨٥ ه ودفنت فى خلوتها بالبصرة ، أما عن قبرها فى مصر فلعله من أضرحة الرؤيا وفى ذلك يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وأنا لا نعرف أن رابعة العدوية زارت مصر وأن ابتدعت لها الأساطير قبرا بقرافة الإمام يزار ويتبرك به » .

هذا وقد رأت وزارة الأوقاف أن تحى ذكرى السيدة رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهى فأنشأت لها مسجدا فى مدينة نصر . ويتكون المسجد من صحن مربع مغطى (بشخشيخة) تقوم على رقبة مرتفعة بها نوافذ . ويحيط بالصحن من جهاته الأربع أربعة إيوانات لكل منها صفان من الأعمدة . وإيوان القبلة أعمقها إذ تبرز القبلة عن سمت الإيوان . وسقف المسجد مغطى بالخشب المنقوش برسوم زيتية قوا ها زخارف هندسية ونباتية محورة . وللمسجد مدخلان الرئيسى يقع فى الجهة الغربية فى مقابل إيوان القبلة . يتقدمه ظله وقلبه من الدرج ، أما المدخل الثانى يقع فى الجهة الشمالية .



جامع السيدة نفيسة بالقاهرة

عرش الحقائق مهبط الأسرار   قبر النفيسة بنت ذى الأنوار

حسن بن زيد الحسن نجل الإما   م على ابن عم المصطفى المختار

هى السيدة نفيسة العالية القدر إبنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج ابن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين . قال الزبير بن بكار ، ولدت بمكة سنة ١٤٥ هـ ونشأت بالمدينة وكانت تحب العبادة من صغرها وكانت لا تفارق حرم الرسول[1] عليه السلام . حجت رضى الله عنها ثلاثين حجة أدت معظمها ماشية وكانت تبكى بكاء شديدا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول : إلهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا تسبب لى سبباً به عنك تحجبنى . وتقص علينا زينب إبنة أخيها يحى المتوج طرفا من حياة عمتها فتقول : خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت

---

(١) ابن الزيات : الكواكب السيارة ترتيب الزيارة ص ٥

بنهار ، فقلت لها أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسي وقدامى عقبات لا يقطعها إلا الفائزون . وتضيف زينب فتقول، كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره وكانت تقرأه وهي تبكي وتقول إلهي وسيدى يسر لى زيارة قبر خليلك إبراهيم ، فاستجاب الرحمن لدعائها وزارت هي وزوجها إسحق المؤتمن بن جعفر الصادق قبر الخليل ، ثم رحلا إلى مصر فى رمضان سنة ١٩٣ هـ ونزلا بالمصوصة[١]فى دار أم هانىء وكان لقدومها إلى مصر أمر عظيم تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش . وقد أحبها أهل مصر حبا جما ويعتقدون فى كراماتها فكانوا إذا نزل بهم أمر جاوًا إليها يسألونها الدعاء فتدعو لهم . وقد أدى إزدحام الناس عند بابها وتهافتهم على رؤيتها والاستماع إليها أن فكر زوجها فى الإرتحال معها إلى الحجاز ولكنها قالت له كما جاء فى الكواكب[٢] السيارة : لا أستطيع ذلك لأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال لى لا ترحلى من مصر فإن الله تبارك وتعالى متوفيك بها . ويقول القضاعى : قيل لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله عنها ، ما كان قوت عمتك ؟ قالت كانت تأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . وكانت لها سلة معلقة أمام المصلاة فكانت كلما اشتهت شيئا وجدته فى السلة وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئا وكان للسيدة نفيسة من زوجها إسحق ولدان هما القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا .

أقامت السيدة نفيسة بمصر سبع سنين وفى شهر رجب سنة ٢٠٨ هـ مرضت ويقول السخاوى[٣]، لما أحست بدنو أجلها كتبت إلى زوجها إسحق المؤتمن كتابا وحفرت قبرها بيدها فى بيتها ، وكانت تنزل فيه وتصلى كثيرا . وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة . وكانت إذا عجزت عن القيام لضعفها تصلى قاعدة وتسبح وتقرأ كثيرا وتبكى بكاء كثيرا ، ولما حانت الساعة وكان ذلك أول جمعة من شهر رمضان قرأت سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ . فلما وصلت إلى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) غشى عليها فضمتها زينب إبنة أخيها إلى صدرها فشهدت شهادة الحق وقبضت رحمة الله عليها .

---

(١) المقريزى جـ ٤ ص٣١٣

(٢) ابن الزيات ص ٦

(٣) تحفة الأحباب ص ٢٩

وأراد زوجها رضوان الله عليهما ، أن يحملها إلى المدينة المنورة لكى يدفنها بالبقيع ، فاجتمع أهل مصر إلى[1] الوالى عبد الله بن السرى بن الحكم واستجاروا به عند زوجها إسحق ليرده عما أراد فأبى . فجمعوا له مالا وفيرا حتى وسق بعيره وسألوه أن يدفنها عندهم فأبى ، فباتوا منه فى ألم عظيم . فلما أصبحوا إجتمعوا إليه فوجدوه مستجيبا لرغبتهم ، فلما سألوه عن سبب هذا التحول قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى رُدَّ عليهم أموالهم وأدفنها عندهم . ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر التى عرفت فيما بعد بكوم الجارحى . وكان يوم دفنها يوما عظيما مشهودا . فقد هرع أهل مصر من أقصى البلاد وأدناها فصلوا عليها بعد دفنها . ويقول القضاعى ، خرج إسحق المؤتمن بعد موت زوجته السيدة نفيسة من مصر ومعه ولداه منها القاسم وأم كلثوم إلى المدينة المنورة حيث ماتوا ودفنوا بالبقيع .

وكان يفد على السيدة نفيسة فى حياتها أئمة الفقه الإسلامى وكبار العلماء فقد زارها الإمام الشافعى وبصحبته عبد الله بن الحكم ، من وراء حجاب وقال لها : إدعى لى . ولما توفى الإمام الشافعى سنة ٢٠٤ هـ ، أدخلت جنازته إليها وصلت عليه فى دارها وكانت موضع مشهدها الحالى ، وقالت : رحم الله الشافعى فقد كان يحسن الوضوء .

وقد أجمع النسابة والرواة والمؤرخون على أن قبر السيدة نفيسة لا خلاف فيه ولذلك فقد جاء فى كتاب (الكواكب[2] السيارة فى ترتيب الزيارة) لابن الزيات فى آداب الزيارة للمشاهد والأضرحة ما يلى : « أما ابتداؤنا بالزيارات فمن المشهد النفيسى لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض » . ويضيف ابن الزيات فيقول : « وأردت بذلك أصح المشاهد كما رواه العلماء رضى الله عنهم ، ولم أر أحدا من أرباب التاريخ صحح مشهدا بغير القرافة من مشاهد أولاد على بن

---

(١) المقريزى جـ ٤ ص ٣١٤

(٢) ابن الزيات ص ٥

أبي طالب رضى الله عنه إلا المشهد النفيسى ، لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها » .

وأذكر بهذه المناسبة أن مجد الدين الناسخ قال فى كتابه (مصباح الدياجى) : تبدأ الزيارة من مشهد الإمام الحسين ولم يقل بذلك غيره .

وجاء فى كتاب (الدرة النفيسة[1] فى ترجمة السيدة نفيسة) ينبغى لمن زار هذا المكان أن يقول عند دخوله من باب الضريح ، رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد ، اللهم إنك قد ندبتنى إلى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديتنا به إليك ودللتنا به عليك فكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيما حبيبا إليه ما هديتنا عزيزا عليه ما عنتنا وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى اللهم إنى مؤديها مريد النفع بها فى دينى ودنياى متوسل إليه بها يوم انقطاع الأسباب اللهم زده شرفا وتعظيما وهب لنا بزيارتهم مغفرة وأجرا عظيما » .



---

(١) الدرة الغضبة فى ترجمة السيدة نفيسة ص ٧٣

وصف الضريح

أما عن ضريح السيدة نفيسة فقدجاء فى خطط المقريزى[1] أن أول من بنى على قبرها عبيد الله بن السرى بن الحكم والى مصر من قبل الدولة الأموية ، ثم أعيد بناء الضريح فى عهد الدولة الفاطمية حيث أقيمت عليه قبة وقد دون تاريخ هذه العمارة على لوحة من الرخام وضعت على باب الضريح جاء فيها ما نصه : نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أميز الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام . كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله بن الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علائه وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهرربيع الآخر سنة إثنتين وثمانين وأربعمائة » وفى عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله حدث تصدع لقبة المشهد النفيسى فجددت كما كسى المحراب بالرخام وكان ذلك سنة إثنتين وثلاثين وخمسمائة .

وجاء فى كتاب المزارات[2] للسخاوى ، أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر سنة

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ١٠٢

(٢) تحفة الأحباب ص ٣٩ .

٧٥٢ هـ أن يتولى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون وأن أول من تولى النظر عليه هو الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله . والخلفاء العباسيون هم سلاسلة الخلفاء العباسيون الذين هاجروا إلى مصر سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية فى العراق . ويقول الجبرتى[٢] أن الأمير عبد الرحمن كتخدا عمّر المشهد النفيسى ومسجده وبنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال وذلك سنة ١١٧٣ هـ ، كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام هذان البيتان :

عرش الحقائق مهبط الأسرار   قبر النفيسة بنت ذى الأنوار
حسن بن زيد بن الحسن نجل الاما   م علىٍّ ابن عم المصطفى المختار

وقد ذكر على مبارك[١] فى خططه الضريح والمسجد الملحق به وصفا مستفيضا كما ذكر أنه قد حبس على المشهد ربع مائة وخمسين فدانا وعدد من الرباع (جمع ربع) والحوانيت للصرف عليه ، هذا بالإضافة إلى ما يتجمع فى صندوق نذوره والتى كانت تبلغ فى السنة فى ذلك العهد ما قيمته خمسة وعشرين ألف قرش ، كما كانت نظارة الأوقاف تصرف له ثمن الزيت والحصر والبسط وملئ الميضأة .

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ص ٨٩ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ١١٣ .



ضريح ذى النون المصرى بقرافة سيدى عقبى بالقاهرة

لك من قلبى المكان المصـون . كل لوم علىّ فيك يهـــون

لك عزم بأن أكون قتيـلا فيك والصبر عنك ما لا يكون

هو ثوبان بن ابراهيم أبو الفيض المعروف بذى النون المصرى ، أحد مشايخ الصوفية المذكورين فى رسالة القشيرى . كان أبوه نوبيا مولى لقرشى من أهل أخميم . وكان ذو النون رضى الله عنه أسمر اللون شديد السمرة تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية وكان جسمه نحيفا[1]. ويقول ابن خلكان[2] « كان ذو النون أوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا ، وهو معدود فى جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك . وتحدث ابن يونس فى تاريخه عن ذى النون فقال : وهو أول من عبر عن علوم المنازلات ، وأنكر عليه أهل مصر ذلك ، وقالوا : أحدث علما لم

---

(١) رسالة القشيرى

(٢) وفيات الأعيان .

تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل العباسى ورموه عنده بالزندقة ، فأحضره من مصر على البريد ، فلما دخل سر من رأى ، وكانت عاصمة العراق فى ذلك الوقت . وعظه فبكى المتوكل ورده مكرما .

وقد ولد ذى النون بأخميم ثم رحل إلى الفسطاط طلبا للعلم ، فلما تصوف أخذ يهيم على وجهه فى القرى . ويذكر[1] على مبارك السبب فى تصوفه فيقول « سئل ذو النون عن سبب تصوفه فقال : خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ففتحت عينى فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان أحداهما ذهب والأخرى فضة وفى إحداهما سمسم وفى الأخرى ماء فجعلت تأكل من هذا وتشرب من تلك ، فقلت حسبى قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلنى » .

وكان رحمه الله يحث على البر والإحسان للفقراء فقد روى السخاوى فى تحفة الأحباب « أن محمد بن اسماعيل المعروف باسم (صاحب الدار) بنى دارا حسنة فأتقن بناءها فلما فرغ منها جلس على بابها فدخل عليه ذو النون فقال له أيها المغرور واللاهى عن دار البقاء والسرور كيف لا تعمر دارا فى دار الأمان ، دارا لا يضيق فيها المكان ولا ينتزع منها السكان ، ولا يزعجها حوادث الزمان ، ويجتمع لهذه الدار حدود أربع الحد الأول ينتهى إلى منازل الراجين والحد الثانى ينتهى إلى منازل الخائفين المحزونين والحد الثالث ينتهى إلى منازل المحبين والحد الرابع إلى منازل الصابرين ، وترجمه كتابها هذا ما اشترى العبد المحزون من الرب العفو اشترى منه هذه الدار بالتنقل من ذى المعصية إلى عز الطاعة فما على المشترى فيما اشترى من درك سوى نقض العهود والغفلة عن المعبود وشهد على ذلك التبيان . وما نطق به بحكم القرآن قال الملك الديان « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » فلما سمع محمد بن اسماعيل هذا الكلام أثر ذلك فى قلبه وباع هذه الدار وتصدق بثمنها على الفقراء والمحتاجين طلبا للدار التى وصفها ذو[2] النون .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٥٢

(٢) تحفه الأحباب ص ٣٩ .

وهكذا كانت حياة ذى النون كلها وعظ و إرشاد فى كل مكان فيه أو جهة يسبح إليها فمن أقواله المأثورة : إنما دخل الفساد على الناس من ستة أمور ، الأول من ضعف النية لعمل الآخرة والثانى أن أبدانهم صارت رهينة لشهواتهم والثالث غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل والرابع آثروا رضا المخلوق على رضى الخالق والخامس إتباعهم هواهم ونبذهم سنة نبيهم وراء ظهورهم والسادس جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم».

وأعتقد أنه لابد لنا ونحن نبحث فى حياة متصوف ينتمى إلى الجيل الأول من الصوفية المسلمين فى مصر (كذى النون) أن نقف قليلا عند نشأة التصوف الإسلامى ونعتبر ذلك طريقا إلى ذى النون المصرى . لقد اختلف الكتاب والمؤرخون فى نشأة التصوف الإسلامى ومعنى التصوف ، أما عن كلمة التصوف فالبعض يرى أنها اشتقت من كلمة (سوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة ،والبعض الآخر يقول أنها مشتقة (من صوفة) اسم شخص كان يعكف على ذكر الله وعبادته عند البيت الحرام وثالث يرى أنها مشتقة من صوفان بمعنى أنها تبين ما يمتاز به الصوفى من زهد فى المأكل ، ورابع يرى أنها من الصفاء وخامس يقول أنها نسبة إلى أهل الصفة وهم الفقراء الذين كانوا يصطفون فى مسجد الرسول عقب كل صلاة . على أن ابن وازن القشيرى قد أجمل تلك الآراء كلها فى قوله : إن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصره بتسمية علم سوى صحبة رسول الله إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ، ولما أدرك أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين ورأوا فى ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين . ثم اختلف الناس وتباينت المراتب ، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد فلما ظهرت البدع وحصل التداعى ، أنفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة » .

أما عن أماكن عبادة الزهّاد والعبّاد الذين عرفوا بالصوفية فيحدثنا المقريزى[1] عن أول

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٢١٦ .

دار أقيمت لهم فى الإسلام فيقول « وأول من أتخذ بيتا للعباد والزهاد زيد بن صوحان بن صبرة وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولاغلاتُ فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره وكان ذلك فى عهد الخليفة عثمان بن عفان . أما عن أول دار للصوفية بنيت فى مصر وهى التى عرفت باسم الخانقاه فيقول المقريزى « أن صلاح الدين الأيوبى أمر بتحويل دار سعيد السعداء ، أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى إلى خانقاه لفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستانا بالحبانية بجوار بركة الفيل وغيرها من الأوقاف خارج القاهرة . وتوجد بقايا هذه الخانقاة الآن بحى الجمالية أمام خانقاة بيبرس جاشنكير » .

نعود إلى شيخنا ذى النون فنقول أن المتأمل فيما أثر عنه من أقوال منثورة وقصائد منظومة يلاحظ أنه يصطنع لفظى الحب والمحبة إصطناعا صريحا سواء فى التعبير عن إقبال الله على العبد أو إقبال العبد على الله وأنه باستعمال لفظة الحب بنوع خاص إنما يشارك رابعة العدوية التى عاصرته والتى تعد أول من استعمل هذه اللفظة إستعمالا صريحا فيما كانت تناجى به ربها . هذا وقد تواتر فى كتب التراجم والرواة إن ذا النون ورابعة العدوية قد إلتقيا ودار بينهما الحديث التالى : « قال سعيد بن عثمان ، كنت مع ذى النون فى تبة بنى إسرائيل وإذ بشخص قد أقبل فقلت يا أستاذ ، شخص قد أتى فقال لى : أنظر من هو ، فإنه لا يضع قدمه فى هذا المكان إلا صديق . فنظرت فإذا هى إمرأة فقلت إنما إمرأة فقال : صديقة ورب الكعبة . فابتدر إليها وسلم عليها فقالت ما للرجل ومخاطبة النساء ؟ فقال : أنا أخوك ذو النون ولست من أهل التهم ، فقالت مرحبا حياك الله بالسلامة ، فقال لها ما حملك على الدخول فى هذا الموضع . فقالت : آية من كتاب الله عز وجل ، قوله تعالى « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فقال لها صِفى لى المحبة ، فقالت : سبحان الله أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألنى عنها ، فقال لها للسائل حق الجواب فأنشدت تقول :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك

فأما الذى هــــو حب الهوى   فشغلى بذكرك عمـن سواك

وأما الذى أنت أهــل لــه   فكشفك للحجب حتى أراك

فلا الحمـــــد فى ذا وذاك لى   ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وبرغم تضارب كتب التراجم والطبقات فى إثبات ونفى الصلة بين ذى النون ورابعة العدوية ، فإننا لا نستطيع أن ننكر ما بين مذهبيهما فى الحب الإلهى من أوجه الشبه ، كما أن أثر رابعة العدوية على ذى النون كان من القوة والوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل .

وقد توفى رحمه الله بالجيزة غربى النيل ، ويقول السيوطى أنه حمل فى قارب مخافة أن ينقطع الجسر لكثرة إزدحام الناس . وجاء فى كتاب الروضة فى حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين أن أبا الفيض ذا النون ابن ابراهيم المصرى توفى فى هذه السنة ودفن بالقرافة الكبرى . وقبره من القبور السبعة التى تزورها الناس بالقرافة يوم السبت قبل طلوع الشمس لقضاء الحوائج « ويضيف الشعرانى[1] وكذا السيوطى وابن خلكان على ذلك » ورأى الناس طيورا خضراً ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره رضى الله عنه » ، فلما دفن غابت ، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ص ١٠٥ ، حسن المحاضرة ص ١١٣ ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧ .

وصف الضريح

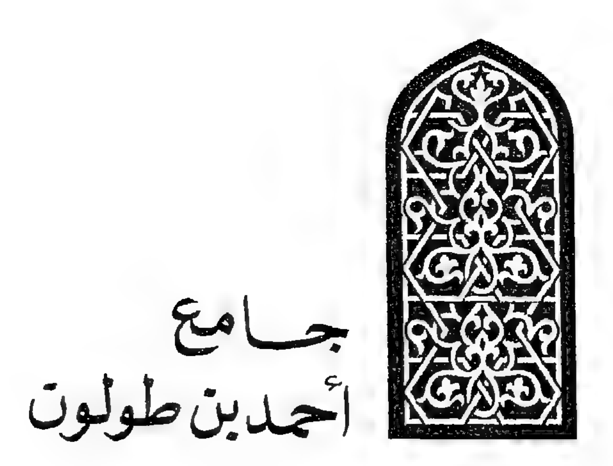
يعتبر ضريح ذى النون من الأضرحة الغريبة فى مصر ، إذ أن تصميم المبنى عبارة عن مسجد مستطيل الشكل به ثلاثة أورقة موازية لحائط القبلة . وتتكون الأورقة من صفين من الدعائم ، الحجرية المثمنة الشكل تعلوها عقود مدببة حجرية كذلك والسقف من الخشب . وفى الرواق الأول من جهة القبلة يوجد على يمين المحراب قبران القريب من المحراب قبر ذى النون وعليه شاهد قبر حجرى حفر عليه بالخط الكوفى البسيط بالحفر الغائر اسم ذى النون وتاريخ وفاته سنة ٢٤٥ هـ . والمقبرة الثانية يقال أنها لمحمد بن الحنفية وعليها شاهد من الرخام مكتوب سنة ١٩٦٦ م . وعلى يسار المحراب فى نفس حائط القبلة توجد حجرة مستطيلة صغيرة جدا ويمكن إعتبارها حنية مستطيلة يقال أن بها قبر السيدة رابعة العدوية . ومن الثابت أن قبرى الإمام محمد بن الحنفية والسيدة رابعة العدوية ليسا بمصر ، ولعل القبرين الموجودين بمصر من قبيل أضرحة الرؤيا وهى كثيرة بمصر. كذلك يوجد فى الروق الأول على يسار المحراب قبران آخران الأول للشيخ حميد خادم ضريح ذى النون المتوفى سنة٦٤٨ هـ كما هو ثابت فى الشاهد الحجرى الموضوع على القبر والثانى للشيخ محفوظ محمد الريحاوى إمام وخطيب مسجد ذى النون بالجيزة والمتوفى سنة ١٣٨٠ هـ كما جاء فى الشاهد الرخامى على القبر .

والمدخل الرئيسى للضريح يوجد فى الجهة الجنوبية ، وهو عبارة عن باب يعلوه عقد ذو ثلاث فصوص وفوق عتب الباب توجد لوحة تذكارية نقش عليه اسم المنشئ وهو

الأمير شعبان من مماليك السلطان الظاهر بيبرس وقد نقلت هذه اللوحة إلى متحف الفن الإسلامى ومكانها ظاهر حتى الآن .

والضريح فى مكان مهجور خرب وبحالة سيئة للغاية ، ومكانه بجوار مسجد سيدى عقبة بن عامر بجبانة الإمام الليث . وإنى أناشد وزارة الأوقاف أن تعيد بناء ضريح أول صوفى فى مصر الإسلامية بل ومن أبرز متصوفى الرعيل الأول فى العالم الإسلامى كله .

* * *



جامع أحمد بن طولون

كان طولون مملوكا تركيا من منغوليا يقال أنه كان ضمن الجزية التى أرسلها حاكم بخارى إلى بلاط الخليفة العباسى فى سنة من السنين ، واسم (طولون) مشتق من كلمة تركية معناها (البدر الكامل) .

وأغلب الظن أن طولون وصل إلى بلاط الخلافة فى نحو سنة ٢٠٠ هـ وأنه تقدم بمواهبه وصفاته العسكرية إلى رياسة حرس الخليفة .

ولد لطولون ابنه أحمد فى رمضان سنة ٢٢٠ هـ (سبتمبر ٨٣٥ م) فى مدينة بغداد على أرجح الأقوال وليس بمدينة سمارا التى لم تكن قد شيدت بعد .

توفى طولون سنة ٢٤٠ هـ وتزوجت زوجته من (بغا الأصغر) أحد زعماء الجند الترك ، ومن المعروف أنها تزوجت لثالث مرة من (باكباك) الذى خلف بغا فى وظيفة الأمين بالبلاط العباسى .

ولقى أحمد بن طولون وأخاه موسى الكثير من عناية الجند الأتراك بعد وفاة أبيهما كما حصلا على التعليم العسكرى الذى يؤهلهما للعمل فى جند الخليفة ، يضاف إلى ذلك أن (أحمد) درس الفقة والدين منفردا بذلك عن أمثاله من الجند الترك الذين كانوا لايعنون بتلك الدراسة .

تزوج أحمد بن طولون (خاتون ابنة عمة يارجوج) وولد له منها ابنة البكر (العباس) ولم تثن هذه الحياة عزم ابن طولون عن طلب العلم ، فطلب من الوزير عبد الله بن يحيى بن خاقان أن يُعين فى طرسوس ليتصل بمن فيها من العلماء والفقهاء ، على أن مقتل الخليفة الخليفة المتوكل وبيعة المستعين هى التى عجلت بعودته إلى سامرا ليكون على مقربة من الأحداث ، وحدث عند عودته من طرسوس إلى سامراً أن تصدى للاعراب الذين أغاروا قرب مدينة الرها على قافلة راجعه من بلاد الروم محمله بامتعة للخليفة المستعين ، ولم ير أحمد بن طولون كبقية أفراد القافلة الاعتصام بقلعة الرها بل نازل الاعراب المذكورين وبدد شملهم ، فنقل رئيس القافلة الخبر للخليفة المستعين فما كان من الخليفة إلا أن كافأ أحمد بن طولون وقرّبه إليه ثم توالت على أحمد بن طولون صلات الخليفة وعطاياه ومنها جارية اسمها مياس ولدت له (أبا الجيش خمارويه) .

كانت علاقة أحمد بن طولون طيبة بالمستعين بدليل أن الأخير اختاره ليصحبه إلى واسط ثم إلى مكة عند اعتزاله الحكم ، وقد أحسن أحمد بن طولون معاملة المستعين فى واسط ، ولكن غلمان المتوكل خافوا من المستعين ، فطلبوا من ابن طولون أن يقتله ، فامتنع وكتب إلى الأتراك بأنه لايقتل خليفة له فى رقبته بيعه ، ويقال بأن الذى قام بتلك المهمة سعيد الحاجب بعد أن أوعز إليه الجند فتسلم المستعين وقتله وقام ابن طولون بدفن جثته ثم عاد إلى سامرا . وروى أن أحمد بن طولون كان يقول بعد أن تولى حكم مصر : « كانت غاية ما وعدنا به على قتل المستعين ولاية واسط ، فتركت ذلك لله عز وجل فعوضنى الله ولاية مصر والشام وسعة الأحوال معها » .

وجد ابن طولون عند عودته إلى سامرا أن السلطان والنفوذ قد صار إلى يد الجند الترك

الذين نصّبوا المعتز على عرش الخلافة وكان أقوى الجند مركزا وشأنا (باكباك) الذى أقطع مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) وهو زوج والدة أحمد ابن طولون .

كانت عادة القواد الذين يقطعون الأقاليم أن لايغادروا عاصمة البلاد ليكونوا على مقربة من مجريات الحوادث حتى لايؤخذوا على غرة وليكونوا فى مأمن من دسائس خصومهم ، هذا بالإضافة إلى أن وجودهم بالعاصمة يجعلهم بين اشياعهم من الجند مصدر قوتهم وعزوتهم وعصبيتهم ، لكل ذلك فقد اختار (باكباك) أحمد بن طولون ليكون نائبا عنه فى مصر .

قدم أحمد بن طولون إلى وادى النيل فى رمضان سنة ٢٥٤ هـ (منتصف سبتمبر سنة ٨٦٨ م) واستقدم معه بعض الجند للدفاع عنه ضد أى ثورة يقوم بها الشعب ولاحباط ما قد يقوم به بعض المواطنين من دسائس .

كان ابن المدبر عاملا على الخراج عندما دخل ابن طولون مصر ، وكان ابن المدبر يحيط نفسه بمظاهر العظمة والابهة الأمر الذى لفت نظر ابن طولون ، ومما زاد فى شكوكه استخدام ابن المدبر لحرس خاص مكون من مائة غلام امتازوا بجمالهم وقوة أبدانهم وحسن هندامهم . وقد قدم ابن المدبر فى هذا الهيلمان للقاء أحمد ابن طولون حاملا معه هدية عبارة عن عشرة آلاف دينار ، ردها أحمد بن طولون بإباء وشمم على نحو لم يعهده ابن المدبر فى الولاة الذين سبقوا أحمد بن طولون الأمر الذى دعاه إلى الكتابة لبلاط الخليفة محذرا من أحمد بن طولون لاعتقاده أن من يرفض هدية كمثل التى قدمها إليه ليس من الحكمة أن يوكل إليه أمر إقليم ناء عن الحكومة المركزية . ثم بعث أحمد بن طولون بعد ذلك إلى ابن المدبر يخبره بأنه لامانع فى قبول الحراس المحيطين به لأنهم الزم له ، فاضطر ابن المدبر إلى التنازل عن هذا الحرس . وبفقد هذا الحرس ذهب قسط وافر من سلطان ابن المدبر وابهه ومظهره ، كما بدأ النضال بينه وبين أحمد بن طولون بواسطة عمالهما وجواسيسهما فى سامرا يشتد ويقوى وقد انتهى هذا النضال بفوز أحمد بن طولون .

بدأ سلطان ابن طولون ونفوذه فى الارتفاع والزيادة حيث خضع لأمره ولاة الأقاليم فى مصر بعد أن كانوا لايعبأون بالولاة معتمدين فى ذلك إما لكونهم كانوا يعينون من قبل

صاحب الاقطاع مباشرة وإما لما كانوا يأنسونه من القوة فى أنفسهم بحيث يبيح لهم ذلك مخالفة أوامر الموالى .

وقد سهلت دسائس رؤساء الجند الأتراك فى سامرا لأن يكوّن أحمد بن طولون جيشا قويا وساعد على ذلك أن أقطعت مصر إلى (يارجوخ) بعد أن قتل الخليفة المهتدى باكباك ، وعمل يارجوخ على تثبيت صهره أحمد بن طولون فى النيابة عنه بمصر وأطلق يده وسلطانه عليها ، كما واتت أحمد بن طولون الفرصة عندما كتب إليه الخليفة المعتمد يطلب منه التأهب لحرب ابن الشيخ ، الذى شق عصا الطاعة على الخليفة وأراد الاستقلال بولاية فلسطين والأردن بالإضافة إلى أطماعه فى ضم مصر أيضا إليه . وقد أطلق الخليفة يد أحمد بن طولون فى أموال مصر ليتخذ منها العدة . استخلف أحمد بن طولون أخاه موسى على مصر وسافر على رأس جنده إلى أن وصل حدود فلسطين ، وهناك كاتب أحمد بن طولون ابن الشيخ مرتين يدعوه فيه للخضوع للخليفة ورد المال الذى اغتصبه عند مرور حامليه بأرضه قادما من مصر إلى العراق ، ولما لم يتلق ابن طولون ردا مرضيا استعد لمهاجمته غير أنه تلق أمرا من الخليفة بالعودة بجيشه إلى مصر إذ أناط الخليفة ماجور للقيام بهذه المهمة . ومهما يكن من شىء فقد رجع أحمد بن طولون بجيشه كاملا فصار عدته وعتاده فى توطيد سلطانه وسلطان ابنه خمارويه من بعده .

استطاع أحمد بن طولون بعد خمس سنوات من مجيئه إلى مصر عام ٢٥٤ ﻫ نائبا للوالى ، أن يضم لنفسه إدارة الخراج فى البلاد بعد أن عزل ابن المدبر عنها ، وأن يكون أميرا على مصر كلها بما فى ذلك الاسكندرية وبرقة وأن يكوّن جيشا قويا ، على أن تلك المدة لم تكن كلها صفاء فقد قامت فى وجه ابن طولون بعض صعاب داخلية نشبت فى مصر العليا نجح فى اخمادها .

مرّ بنا أن محمد بن طولون اصطحب عددا من الجند حين قدومه إلى مصر ، ولكن ثورة ابن الشيخ والى الشام هى التى مكنته بمساعدة الخليفة وموافقته من انشاء جيش كبير . وأصبح لمصر لأول مرة جيش عظيم مستقل عن الخلافة ، وقد عنى أحمد بن طولون بالأسطول

عنايته بالجيش ، وظهرت حاجة ابن طولون الماسة إلى الأسطول عندما امتدت دولته فى الشام واضطر إلى حماية شواطئه ومواجهة الهجوم البيزنطى ثم المحافظة على طرق الاتصال البحرى بين سواحل مصر والشام . ولم يكن صعبا على ابن طولون الاهتمام بالناحية البحرية ، فقد كان لسكان مصر ولاسيما الأقباط منذ فجر الإسلام فيها الفضل فى بناء السفن وتشييد دور الصناعات فى وادى النيل وفى افريقية وفى الشام .

اشتهر أحمد بن طولون بالتقوى والصلاح وقد ذكر كثير من المؤرخين أن أحمد بن طولون كان رجلاً ذكيا بعيد النظر صادق الفراسة وأيدوا ذلك ببعض النوادر التى تدل على حبه لرعيته وتفقده لأحوالها من ذلك ما ذكره ابن الداية[1] الذى ارخ للعهد الطولونى من أن أحمد ابن طولون كان يعس بالليل أو يتنكر ويطوف فى أنحاء القطائع والفسطاط .

أما أعظم صفات أحمد بن طولون أثرا فى حياته السياسية فكرمه الحاتمى الذى استطاع بواسطته أن يكسب رجالا ما كانوا يترددون فى الانضمام إلى خصومه . ونذكر فى هذه المناسبة أن الخليفة المعتمد كان لا يجد دائما ما يحتاج إليه من مال ، وقد ذكر المؤرخ ابن[2] الأثير أن المعتمد كان فى خلافته محكوما عليه ، قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى أنه احتاج فى بعض الأوقات إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها فى ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلى	يرى ما قل ممتنعا عليـــه
وتؤخذ باسمه الدنيـا جميعا	وما من ذاك شئ فى يديـه
إليه تحمل الأموال طـــرا	ويمنع بعض ما يجبى إليـــه

عمل أحمد بن طولون على الافادة من هذا الموقف ، فأرسل إلى الخليفة الأموال والهدايا سرا حتى نال الحظوة لديه والمكانة المرموقة .

ولم يكن أحمد بن طولون كريما مع الخليفة ورجاله فقط بل كان يحب الاحسان والعطاء لذاتهما ، فقد ذكر ابن سعيد أن أحمد بن طولون أرسل إلى المعتمد وتصدق فى أربع سنوات

---

(١) ابن الداية ص ٦٧

(٢) ابن الاثير ص ١٥٣

بمبلغ مليونين ومائتى ألف دينار ، وأنه كان يتصدق شهريا بألفى دينار ، وكان يوزع الأطعمة على الفقراء ويقيم المآدب الكبيرة للفقراء فى الأعياد الدينية والوطنية .

ومن صفات أحمد بن طولون التى حببته إلى النفوس ما امتاز به من جميل الشعور وتقدير الخصوم ، من ذلك قصته مع الجاسوس الذى كشفه فى الفسطاط من عيون الموفق وأتباعه ، وقد طلب منه ابن طولون أن يعمل لحسابه ويترك الموفق ورجاله فرفض الجاسوس قائلا بأنه اتصل بهم قبل أن يتعرف بابن طولون وأنه لايستطيع أن يكون عليهم بعد أن كان لهم وأنه لن يعترف بشئ ولو أنزل به ابن طولون أشد وأقسى أنواع العذاب . وقد أعجب ابن طولون بسلوك هذا الجاسوس ، وخيره بين الاقامة بأملاكه بدون أن يعمل ضده أو أن يعود إلى العراق ففضل العودة ذاكرا لابن طولون فضله وكرم خلقه .

يضاف إلى صفات ابن طولون ما امتاز به من الشجاعة والنشاط والعلم ، فقد اجمع المؤرخون على أن ابن طولون كان رجلا ممتازا وقد أفادت مصر من حكم الأسرة الطولونية وساد فيها الرخاء وأصبحت الخلافة العباسية تخشاها وخطب البزنطيون ودها بارسال الهدايا النفيسة واطلاق الأسرى المسلمين .

وأصبحت أموال مصر فى زمن الأسرة الطولونية تنفق فيها بدلا من أن تحمل إلى الخلافة أو ينهبها الولاة وأصحاب الاقطاع ، وبدأ المصريون يشتركون فى جيش بلادهم وشعر المصريون لأول مرة بعد قرون طويلة بأن بلدهم أصبحت لهم وتعلقت قلوبهم بأحمد بن طولون كما تعلق هو بهم وكان أسف المصريون وفجيعتهم على وفاة أحمد بن طولون عظيمة لتعلق المصريين بالدولة الطولونية لأنهم كانوا يعتبرونها دولتهم . وقد تجلت تلك الحسرة عندما زالت الدولة على يد قائد العباسيين محمد بن سليمان ، وقد ظهرت آثار تلك اللوعة من لهجة المؤرخين المصرين الذين استهجنوا الفظائع التى ارتكبها القائد المذكور وسجلها رثاء الشعراء المصريين للدولة الطولونية . وقد بقيت ذكرى تلك الدولة المجيدة يتناقلها ويتحدث بها المؤرخون والأدباء ويتناقلونها جيلا بعد جيل .

* * *

وصف الجامع

لما ضاقت الفسطاط بساكنيها أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦ هـ وأقام فى وسطها مسجدا جامعا تمت عمارته سنة ٢٦٥ هـ ويعد من أكبر مساجد العالم الإسلامى ، إذ تبلغ مساحته مع الزيادة ، أى الفضاء الذى يحيط به من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ، ستة أفدنة ونصفا من الأفدنة . وتعتبر مدينة القطائع أول مدينة ملوكية أنشئت فى وادى النيل فى العهد الإسلامى ، إذ كانت قبل ذلك ولاية تابعة للدولة الأموية فى دمشق ، ثم للدولة العباسية فى بغداد وسامرا ، أما فى عهد ابن طولون فقد أصبحت مقر حاكم مستقل استقلالا تاما لايربطه بالخليفة العباسى غير التبعية الدينية .

وقد تأثر ابن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سامرا التى نشأ فيها قبل مجيئه إلى مصر . فقد كانت مقسمة إلى خطط أو قطائع تضم كل قطيعة منها جماعة من السكان[1] ، تربط بينهم رابطة الجنس أو العمل ، ومن ثم أصبح اسم القطائع علما على مدينة ابن طولون . ويقول ابن تغرى بردى فى معنى القطائع : والقطائع كانت بمعنى الأطباق التى للمماليك السلطانية الآن (أى فى القرن ٩ هـ) وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها ، فكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان ، وقطيعة الروم ، وقطيعة الفراشين ونحو ذلك . ثم يضيف فى وصف القطائع فيقول : وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهى

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٠٦

بمنزلة الحارات (أى الأحياء الآن) . وقد كان هذا الاسم يطلق فى سمارا على كل أحياء المدينة فيما عدا قصور الخلفاء[1] .

وقد جاء فى سيرة[2] ابن طولون عن السبب فى بناء ابن الطولون لجامعه ، أنه كان يصلى الجمعة فى المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد فيما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتنور فرعون .

وقد تعددت الروايات والقصص التى قيلت عن المال أو الكنز الذى عثر عليه ابن طولون . ومكنه من إقامة مثل هذا الجامع الكبير وباقى منشآته العظيمة كالقصر والبيمارستان . وفى اعتقادى أن قصة المال هذه إنما هى من قبيل الأساطير التى يميل جمهور مؤرخى العصور الوسطى الى تكرارها فى مثل هذه المجالات بقصد التنويه إلى أن مثل هذه النفقة البالغة لايستطيع الخليفة أو السلطان تدبيرها إلا إذا أمده الله سبحانه وتعالى برزق غيبى غير معلوم ، وذلك لايكون إلا فى الكنوز المخبأة .

ويقول المقريزى[3] بنى ابن طولون جامعه فى موضع يعرف بجبل يشكر[4] ، بين مصر وقبة الهواء[5] ، ويضيف ابن عبد الظاهر فيقول . « وهو مكان مشهور باجابة الدعاء ، وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات » . وابتدأ أبو العباس فى بناء الجامع بعد بناء القطائع فى سنة ثلاث وستين ومائتين[6] . وينسب المقريزى بناء الجامع إلى مهندس نصرانى اعتمادا على القصة التالية : « « فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود ، فقيل له ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف والضياع الخراب ، فتحمل ذلك . فأنكر ذلك ، فبلغ ذلك النصرانى الذى تولى له بناء العين (عين ماء) وكان قد غضب عليه وضربه ورماه

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٥

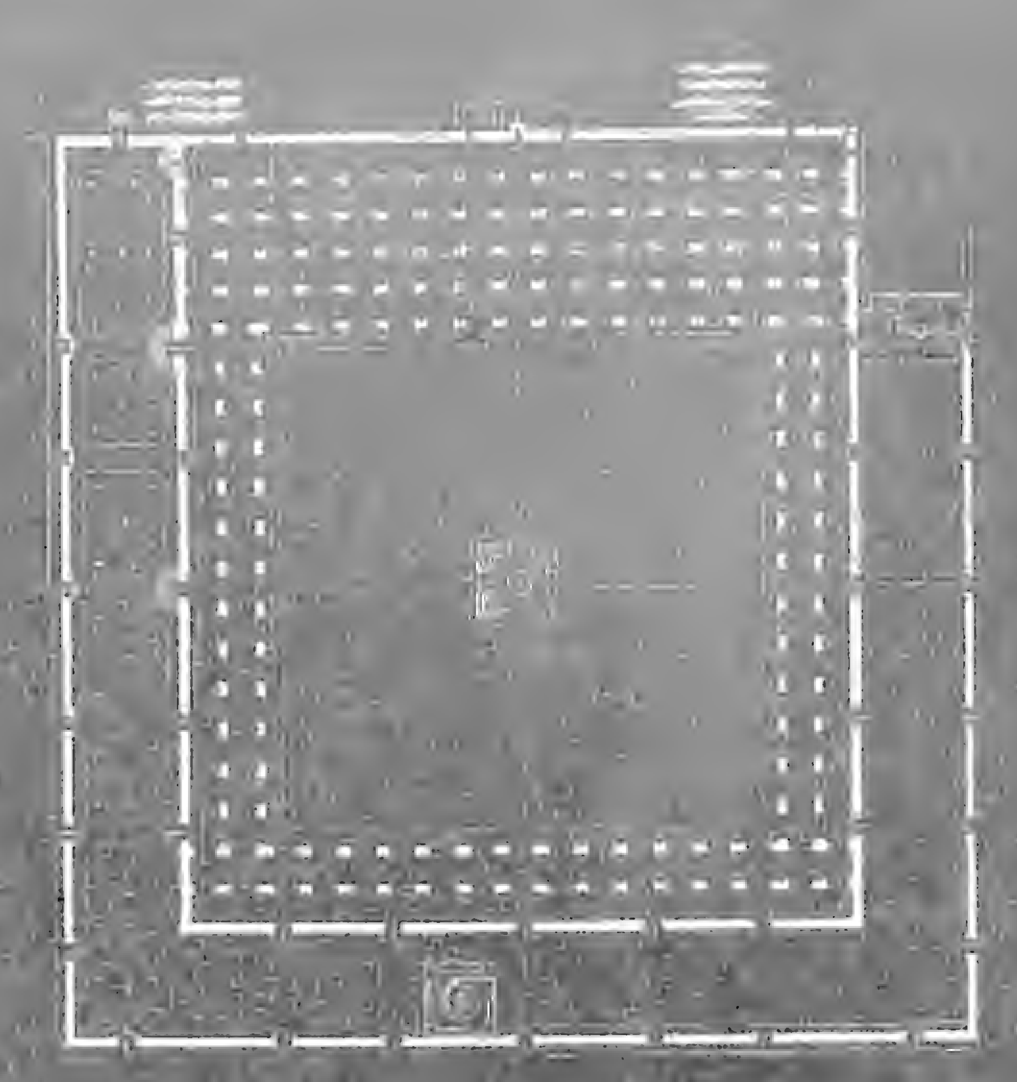
(٢) سيرة ابن طولون

(٣) الخطط والآثار جـ ٤ ص ٢٦

(٤) ويشكر المنسوب إليه هذا الجبل هو ابن جزيلة من قبيلة لخم (النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٢) .

(٥) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٨ .

(٦) جاء فى النجوم الزاهرة (سنة تسع وخمسين ومائتين) .



شكل رقم (١١) مسجد أحمد بن طولون

فى المطبق (السجن) فكتب إليه يقول أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبلة . فأحضره وأمر أن تحضر له الجلود فأحضرت (لكى يرسم عليها تخطيط المسجد) فأحضرت وصوره له فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقة على (الجامع) مائة ألف دينار . فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه وهو جبل يشكر ، فكان ينشر منه ويعمل منه الجير ويبنى إلى أن فرغ من جميعه وبيّضه ، وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال ، وفرش فيه الحصر العبدانى وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء وصلى فيه بكار بن قتيبة القاضى » .

ويفهم من القصة التى رواها المقريزى ، والتى اعتمد فيها على كاتب سيرة ابن طولون[1] ، أن السبب فى نسبة بناء الجامع إلى بناء نصارى هو عدم استعمال الأعمدة الرخماية التى كانت تؤخذ عادة من الكنائس ، واستخدم الدعائم المبنية من الاجر . ومع أننى لا أعارض فى أن يكون بناء الجامع نصارى ، فقد اشتهرت مصر ، منذ أمد بعيد ببراعة أبنائها فى فن المعمار ، وليس أدل على ذلك من الآثار المعمارية التى ما تزال باقية من العصر الفرعونى فالبطلمى فالرومانى فالقبطى حتى الآن ، بل لقد اشترك أقباط مصر وفى أوائل العصر الإسلامى، فى بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، أقول أننى لا أستبعد فى أن يكون المهندس نصرانى ، إلا أننى لا أميل إلى الأخذ بالرواية التى أعتمد عليها المقريزى فى اثبات ذلك ، للأسباب الآتية :

أولا – قال القضاعى : وقيل أن أحمد بن طولون قال أريد أن أبنى بناء أن احترقت مصر بقى ، وإن غرقت بقى ، فقيل له يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوى النار إلى السقف ولا يجعل فيه اساطين رخام فإنه لا صبر لها على النار فبنى . هذا البناء . ويضيف القضاعى فيقول : « وبناه على بناء جامع سامرا وكذلك المنارة » .

ثانيا – من المعروف أن أحمد بن طولون نشأ فى قصر الخلافة فى سامرا ، وليس من شك فى أنه قد تأثر بكل ما فيها من عمائر تأثرا كبيرا وخاصة بمسجدها الجامع الذى يشبه

(١) ابن البداية .

فى تفاصيله المعمارية إلى حد كبير . وقد بنى جامع سامرا من الآجر ولم تتخذ فيه أساطين أو أعمدة رخامية بل أن عقوده تقوم كلها على دعائم من الآجر . وقد استخدم ابن طولون فى بناء مسجده نفس المواد التى استخدمت فى بناء جامع سامرا . ومن هنا نرى أن عدم اتخاذ ابن طولون أساطين الرخام فى بناء مسجد ، لا يرقى دليلا على أن مهندسه نصرانيا.

وجاء فى النجوم الزاهرة[1] نقلا عن أحمد الكاتب : أنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وقال له الصناع : على أى مثال نعمل المنارة ؟ وما كان يعبث قط فى مجلسه ، فأخذ درجا من الكاغد (ورق مشمع) وجعل يعبث به فخرج بعضه وبقى بعضه فى يده ، فعجب الحاضرون فقال : اصنعوا المنارة على هذا المثال فصنعوها ومعنى هذا أن منارة جامع ابن طولون صنعت على شكل حلزونى ، على أن هذا الشكل لم يكن من اختراع أو ابتداع ابن طولون ، ولكنه أراد أن تكون مئذنة جامعة شبيهة بمئذنة جامع سامرا ، التى تعرف باسم الملوية . والواقع أن منارة مسجد سامرا أخذت أصولها من أبراج معابد الزرادشتيين المعروفة باسم (الزيجورات) .

ولما تم بناء الجامع رأى أحمد بن طولون فى منامه كأن الله تعالى قد تجلى للقصور التى حول الجامع ولم يتجل للجامع ، فسأل المعبرين فقالوا : يخرب ما حوله ويبقى قائما وحده ، فقال : من أين لكم هذا ؟ قالوا : من قوله تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا . وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا تجلى الله لشئ خضع له » .

وقال ابن عبد الظاهر[2] ، سمعت غير واحد يقول أنه لما فرغ أحمد بن طولون من بناء هذا الجامع أمر حاشيته بسماع ما يقول الناس فيه من الأقوال والعيوب ، فقال رجل : محرابه صغير وقال آخر : ما فيه عمود ، وقال آخر : ليست له ميضأة ، فبلغه ذلك فجمع الناس . وقال : أما المحراب فإنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى فى منامى ، وأصبحت فرأيت النمل قد طاقت بذلك المكان الذى خطه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما العمد

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٨

(٢) المقريزى جـ ٤ ص ٣٩

فإنى بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز ، وما كنت لاشوبه بغيره ، وهذه العمد إما أن تكون فى مسجد أو كنيسة فنزهته عنها . وأما الميضأة فانى نظرت فوجدت مايكون بها من النجاسات فطهرته عنها ، وهأنا ابنيها خلفه وأمر ببنائها .

وقيل : لما فرغ ابن طولون من بناء جامعه رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ماحوله من العمران . فلما أصبح قص رؤياه فقيل له ، أبشر بقبول الجامع المبارك لأن النار كانت فى الزمن الماضى ، إذ قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ، ودليله قصة قابيل وهابيل .

وكان العمران ملاصقاً للجامع ، حتى قيل[1] : أن مسطبة كانت خلف الجامع وكانت ذراعا فى ذراع لاغير ، فكانت أجرتها فى كل يوم اثنى عشر درهما ، فى بكرة النهار يقعد فيها شخص يبيع الغزل ويشتريه بأربعة دراهم ومن الظهر إلى العصر لخباز بأربعة دراهم ، ومن العصر إلى المغرب لشخص يبيع فيها الحمص والفول بأربعة دراهم . وهنا يضيف ابن تغرى بردى : قلت هذا مما يدل على أن الجامع المذكور كان فى وسط العمران .

وقد توالت يد الإصلاح والتعمير على جامع ابن طولون فيذكر المسبحى ، أن الخليفة الحاكم بأمر الله أنزل إلى جمع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا . وفى سنة ٣٧٦ هـ احترقت الفوارة (النافورة) التى كانت بالجامع فلم يبق منها شئ ، ويصفها المقريزى فيقول : وكانت فى وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة وتقوم على عشر عمد رخام فى الوسط وستة عشر عمود رخام فى جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربع أذرع فى وسطها فوارة تفور بالماء وفى وسطها قبة مزوقة ، فاحترق جميع ذلك فى ساعة واحدة . وفى سنة ٣٨٥ هـ أمر العزيز بالله بن المعز لدين الله ببناء الفوارة عوضا عن التى احترقت فعمل ذلك على يد راشد الحنفى وتولى عمارتها ابن الرومية وابن البناء. وفى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى صار ماحول الجامع خرابا وتوالت الأيام على ذلك وتشعث الجامع وخرب أكثره ويذكر المقريزى ماوصل إليه حال الجامع من خراب فيقول :

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١١

« وصار أخيرا ينزل فيه المغاربة بأباعرها (جمالها) ومتاعها عندما تمر بمصر أيام الحج ، حتى هيأ الله عز وجل لعمارته السلطان لاجين . أما عن سبب اهتمام لاجين بهذا الجامع فيقول المقريزى : « كان ممن وافق الأمير بيدرا على قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، فلما قتل بيدرا فى محاربه مماليك الأشرف خليل له ، فر لاجين من المعركة فاختفى بالجامع الطولونى وصار يتردد بمفرده من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهدا أن سلمه الله من هذه المحنة ومكنه من الأرض أن يجدد عمارة هذا الجامع ، ويجعل له ما يقوم به » . فلما استولى لاجين على دست المملكة سنة ٦٩٦ هـ جعل إلى الأمير علم الدين سنجر شراء الأوقاف على الجامع الطولونى وصرف إليه كل ما تحتاج إليه فى العمارة وأكد عليه فى أن لايسخر فيه عاملا ولا صانعا وأن لايقم مستحثا للصناع ولايشترى لعمارته شيئا مما يحتاج إليه من سائر الأصناف إلا بالقيمة التامة . وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منية أندونه من أراضى الجيزة واشترى أيضا ساحة بجوار جامع ابن طولون مما كان فى القديم عامرا ثم خرب وحكرها وَعمّر الجامع وأزال كل مافيه من تخريب وبلطه وبيضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الأربعة ودرسا فى تفسير القرآن الكريم ودرسا للحديث النبوى ودرسا للطب . وقرر للخطيب معلوما وجعل له اماما راتبا ، ومؤذنين وفراشين وقومه ، وعمل بجواره مكتبا لاقراء أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل ، فبلغت النفقة على عمارة الجامع وثمن مستغلاته عشرين ألف دينار .

وفى سنة ٧٦٧ هـ جدد الأمير يلبغا العمرى الخاصكى درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة فى الشهر أربعين درهما وأردب قمح ، فانتقل جماعة من الشافعية إلى الحنفية . ومنذ تجديد السلطان لاجين للجامع أصبح يلى نظارته قاضى القضاة ، ويقول المقريزى ، أن أول من ولى نظره بعد التجديد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة .

وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون ولى نظارته القاضى كريم الدين الكبير وأنشأ فيه منارتين على طرف جداره الشرقى بناهما بالطوب. وفى سنة ٧٩٢ هـ أنشأ بالجامع عبيد بن محمد عبد الهادى البازدار رواقا بجوار المنارة وجدد ميضأة بجانب الميضأة القديمة .
وفى القرن الثانى عشر[1] ، كان الجامع مهملا فأنشئ فيه مصنع لعمل الأحزمة الصوفية ، وفى سنة ١٢٦٣ هـ تحول إلى ملجأ للعجزة والطاعنين فى السن تحت اشراف كلوت بك فلحق به ضرر كبير .

* * *

يتكون الجامع من شكل مربع تقريبا يبلغ طول ضلعه ٥ر١٦٢ × ٥ر١٦١ مترا ، ويتوسطه صحن مكشوف مربع أيضا يبلغ طول ضلعه ٥ر٩٢ × ٨٠ر٩١ مترا ، ويحيط بالجامع من الخارج من جميع الجهات عدا جهة القبلة أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادة وقد وجدت هذه الزيادة بجامع سامرا وجامع سوسة . ويحتوى المسجد على (٤٢) بابا منها ٢١ باباً بالمسجد الأصلى يقابلها مثلها فى الزيادات .

ويعتبر جامع ابن طولون من الجوامع المعلقة إذ يصعد إلى أبوابه الداخلية بدرجات دائرية . ويحيط بالصحن رواقان فى كل من جهاته الثلاث الشمالية والجنوبية والغربية . وتتكون الاروقة من دعائم مبنية من الآجر وفى أركان كل دعامة بنيت أعمدة متصلة نقشت تيجانها بأشكال نباتية محورة بأسلوب (الارابيسك) . وتحمل الدعائم عقوداً غطيت بطبقة جصية غنية بزخارفها الجميلة المتنوعة . ويتكون رواق القبلة من خمسة أرواقة ، ويعلو العقود افريز زخرفى من الجص يعلوه أزار خشبى يحيط بأروقة الجامع جميعها مكتوب فيه بالخط الكوفى البسيط البارز سورتا البقرة وآل عمران . ويحيط بجدران المسجد الأربعة من أعلى مائة وتسعة وعشرون شباكا من الجص المفرغ بأشكال هندسية ونباتية محورة غاية فى الدقة والابداع .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٣٩ .

ويوجد بايوان القبلة خمسة محاريب غير مجوفة عدا المحراب الرئيسى الذى يتوسط جدار القبلة فهو مجوف ، على أن ظاهره تعدد المحاريب وجدت من قبل فى المسجد الأموى بدمشق ، ويرى حسن عبد الوهاب[1] أن الحكمة من تعدد المحاريب هو تعدد المذاهب وذلك اعتمادا على ما أثبته ابن كثير[2] من أن الصاحب تقى الدين بن مراحل ناظر الجامع الأموى عمل فيل محرابين للحنفية والحنابلة سنة ٧٦٤ هـ . وفى اعتقادى أن المحاريب التى تضاف إلى المسجد بعد عمليات الترميم والتجديد ، إنما تقوم مقام اللوحة التذكارية التى يثبت عليها تلك العمليات فى عصرنا الحاضر ، ودليلى على ذلك أننا نجد فى جامع ابن طولون محرابين من عصر الدولة الفاطمية وهى شيعة المذهب ، ولكنهما وضعا عقب تجديدات أجريت للجامع فى ذلك العهد .

والمحراب الرئيسى مجوف وهو من عمل السلطان لاجين، وقد زخرف بفصوص من الفسيفاء الذهبية والزجاجية المتعددة الألوان وكتب بها بالخط النسخى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » أما طاقية المحراب فقد صنعت من الخشب المزخرف بنقوش زيتية. والمحاريب الغير مجوفة فيوجد منها اثنان بالدعامتين القائمتين بمنتصف البائكة الثانية مما يلى الصحن ، الأيمن منهما عليه كتابات كوفية منها : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المحراب خليفة فتى مولانا وسيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الائمة المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الامام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين » ويرجع هذا المحراب إلى سنة ٤٨٧ هـ .

أما المحراب الأيسر فهو تقليد للأيمن وعمله المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ وكتب عليه بالخط الكوفى المزهر ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين سلطان الإسلام والمسلمين » .

وفى البائكة الرابعة وعلى جانبى دكه المبلغ يوجد محرابان آخران من الجص الأيمن منها

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٩ .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠٤

طولونى ومكتوب عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » والآخر فاطمى مكتوب به « لاإله إلا الله محمد رسول الله » ويوجد على يسار المحراب الكبير محراب جصى جميل حافل بالزخارف الجصية والكتابات النسخية ويرجع إلى القرن السابع الهجرى ، ونص الكتابة قد نرى تقلب وجهك فى السماء » إلى آخر الآية ، وكتب حول عقده « فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين » .

ويعتبر جامع ابن طولون أقدم مسجد فى العالم يحتوى على لوحة تذكارية من البازلت الاسود حضر عليها بالخط الكوفى البارز تاريخ انشائه ونص اللوحة كما يلى[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم . . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم نراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سياهم على وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين .

أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ، ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء الله عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة . وإيثارا لما فيه تسنية الدين . وألفة المؤمنين ورغبة فى عمارة بيت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره ، إذ يقول الله تقدس وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال رجال

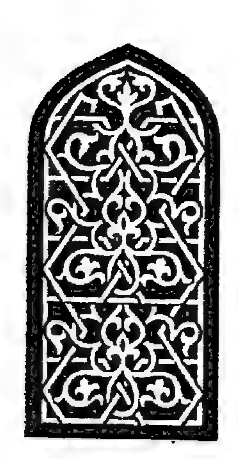
(١) الجامع الطولونى ص ٢٣ ، ٢٤

لاتلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقام الصلاة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن مما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء من فضله بغير حساب . فى شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كأفضل ماصليت وترحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وأنعم أنك حميد مجيد » .

وفى وسط الصحن توجد قبة كبيرة ، هى ثالث قبة أقيمت فيه ، فقد احترقت الفوارة الأولى التى أنشأها أحمد بن طولون سنة ٢٦٥ هـ فأنشأ بدلا منها العزيز بالله ، وقيل أمه تغريد ، سنة ٣٨٥ هـ قبة ثانية ، ثم هدمت الثانية وحلت محلها القبة القائمة اليوم وهى التى أنشأها المنصور لاجين سنة ٦٩٦ هـ . وتقوم القبة على مربع يرتكز على أربعة عقود ، وفى أركان المربع توجد سبع صفوف من المقرنصات يعلوها رقبة تأتى فوقها القبة . ويحيط برقبة القبة شريط من الكتابة بالخط الثلث المملوكى « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فأمسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون .

وتقع المئذنة فى الزيادة الغربية ، وتعتبر الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى ، وهى مكونة من أربع طبقات الأولى مربعة والثانية مستديرة والثالثة على شكل مثمن أما الرابعة فتعلوها طاقية تكون معها شكل مبخره . وقد اختلف علماء الآثار فى تأريخ هذه المئذنة ، فالبعض أرجع الطابق الأول والثانى إلى أحمد بن طولون والطبقة الثالثة والرابعة من تجديد السلطان لاجين ، والبعض الآخر يرجع المئذنة كلها إلى عهد السلطان لاجين . ولكنى أرجّح الرأى الأول القائل بنسبة طابقين الأول والثانى إلى ابن طولون والطابقين العلويين إلى لاجين سنة ٦٩٦ هـ .

ويقع السبيل والكتاب الذى أنشئ فى القرن السابع الهجرى فى الزيادة الجنوبية للجامع .



مشهد القاضى بكار بالقرب من سيدى عقبة بقرافة الإمام الليث

هو القاضى بكار بن قتيبة بن أسد بن عبد الله بن بشر بن أبى بكره بن الحارث بن مخلدة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أهل البصرة ، أرسله الخليفة العباسى المتوكل على الله ليتولى القضاء فى مصر سنة ٢٤٦ هـ ، ويحدثنا القضاعى[1] عن السبب فى اختيار المتوكل له فيقول : إن الخليفة المتوكل إستشار قوما فيمن يكون قاضيا على مصر فأجمعوا على أن يولوا بكار بن قتيبة ، وكان قد بلغ المتوكل ما هو عليه من الزهد والورع والعفة والصلاح ، فأرسل إليه نجابا وكان مقيما بأرض البصرة . فلما وصل رسول الخليفة البصرة سأل عن مكانه فأرشدوه إليه ، فلما جاء إلى منزله وسأل عنه ، قيل له أنه مضى إلى الفرن فجلس قليلا ، وإذا ببكار قد أقبل وعلى رأسه طبق الخبز فلما رآه النجاب ملتحفا برداء قصير أستحقره . فلما دنا منه سلم عليه وقال له : أنا رسول الخليفة جئتك بتولية القضاة على مصر وهذا كتاب الخليفة ، فرد عليه بكار قائلا : ياأخى لا أقدر على الوقوف ،

---

(١) ترتيب الزيارة ص ٤٦ .

فسأله الرسول عن السبب ، فرد عليه قائلا : لأن الرداء الذى على لوالدتى ، وقد أستأذنتها أن أمضى به إلى الفرن وأعود ولم أستأذنها فى الوقوف معك . ثم تركه ودخل إلى المنزل ، وعاد فدفع إليه رغيفين ، وقال له أمض فى حفظ الله تعالى . فتعجب الرجل من ذلك ولم يمكنه رد الرغيفين ورجع بعد أن قلده القضاء.فلماعاد إلىالخليفة أخبره بكل ما رأى وكل ما حدث وكيف أعطاه الرغيفين . فقال له الخليفة وما الذى صنعت بهما ، قال فرطت فى أحدهما وجئت بالآخر ، فقال الخليفة أئتنى به ، فلما جاء به إليه أعطاه مائة دينار ، وقال لو جئت بالآخر لأعطيتك مائة أخرى . ثم أخذ الخليفة الرغيف وصنفه أكحالا وأدوية وادخره . ويستطرد القضاعى فى ذكر باقى القصة فيقول : فلم يكن إلا مدة يسيرة وأراد الخليفة أن يرسل النجاب فى رسالة فقيل أنه أرمد وقد أشرف على العمى فاستحضره . فلما حضر بين يديه أخرج له كحلا ، وقال له باسم اللهواجعل منه فى عينيك ففعل ذلك فشفى بإذن الله تعالى ومضى فى رسالة الخليفة ، فلما عاد قال : يا أمير المؤمنين أريد أن أصنع ذلك الكحل فإنى وجدت فيه شفاء عظيما . فقال الخليفة عرفت ما صنعت بالرغيف الذى جئت به من عند بكار ، قال وما الذى صنعت به يا أمير المؤمنين قال جعلناه أكحالا فى أدويتنا فنجد به ما وجدت من الشفاء والبركة . فندم النجاب على ما فرط فيه من أمر الرغيف » .

وكان القاضى بكار من الفقهاء المحدثين والقراء ، ويعد من أبناء الطبقة الرابعة فى رواية الحديث . وكان يحكم بمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان إذا فرغ من الحكم خلا بنفسه وعرض عليها جميع ما حكم به ، ويبكى ويقول : « يا بكار قدم إليك رجلان فى كذا وكذا وحكمت بكذا وكذا فما جوابك غدا إذا وقفت بين يدى الله تعالى » . ويقول ابن زولاق حدثنى بعض شيوخ مصر قال ، مررت على منزل القاضى بكار فى الليل فوجدته يصلى ثم فرغ من صلاته فبكى وقرأ (كلا أنها لظى نزاعة للشوى) . وكان القاضى بكار رحمه الله ، حريصا ألا تشوب أحكامه شائبة حتى أنه كان يصل به الأمر فى بعض الأحيان إلى حد التزمت فى قبول شهادة الشهود .

فمن ذلك ما حكاه ابن أخيه إذ قال : قدم على عمى رجل من أهل البصرة فأكرمه

وأثنى عليه وقال ، هذا كان معى فى المكتب . ومضى الرجل إلى حال سبيله وجاء بعد أيام فى شهادة عند القاضى بكار ومعه شاهد آخر من أهل مصر ، فقبل شهادة الرجل الذى كان معه ، ولم يقبل شهادة الآخر ، فقلت له ، يا عم هذا الرجل أثنيت عليه خيرا فلم لم تقبله ؟ فقال يا ابن أخى ما رددت شهادته إلا لأمر فقال وما هو ، قال : كنا على المائدة ونحن صغار وفيها أرز وفيه عسل فأخذت بأصبعى من وسط الأرز فجرى العسل حتى دخل وسط الأرز ، فقال : أخرقتها لتغرق أهلها ؟ فقلت أتهزأ بكتاب الله فأمسكت عن كلامه مدة ، فما قدرت على قبول شهادته وأنا أذكر ذلك منه . وكثيرا ما كان يقف القاضى بكار مع المتقاضيين موقف الواعظ المرشد فمن ذلك ما حكاه الإمام أبو جعفر الطحاوى ، إذ قال سمعت الكوفى يقول ، حضرت يوما عند بكار بن قتيبة فدخل إليه رجلان يختصمان ، أحدهما أبو الآخر فنظر إليهما وأنشد :

تعاطيتما ثوب العقوق كلاكما ‏ ‏ ‏ ‏ أب غير بر وأبنه غير واصل

وقد شارك القاضى بكار فى الأحداث السياسية التى وقعت فى مصر فى عهده ، إذ لم يقبل أن يوافق أحمد بن طولون فى خلع الموفق أخى الخليفة العباسى المعتمد من ولاية العهد وذلك ردا على الخطاب الذى أرسله الأخير إلى أحمد بن طولون ، يخبره بعزله عن ولاية مصر وكانت النتيجة الطبيعية لعدم إجابة القاضى بكار إلى طلب ابن طولون فى خلع الموفق أن حكم عليه بالسجن مدى الحياه .

ويحدثنا ابن الداية الذى أرخ لسيرة ابن طولون ، فيقول : بعث الموفق إلى الأقاليم يطلب المال بأمر من الخليفة ، فحمل إليه المال من كل إقليم وبلدة إلا أحمد بن طولون فإنه لم يرسل شيئا . فكاتبه الموفق ، فلم يجبه بشئ وعصى أمر الموفق ، وكان ابن طولون بمصر فجمع العساكر وركب فى مائة ألف وعشرين ألفا وخرج إلى دمشق وملك أكثر الشام وأحضر قضاة الأمصار وأمرهم أن يخلعوا الموفق وأن يسجلوا على أنفسهم أن الموفق خارجى ،

---

(١) سيرة ابن طولون ص ٢١٧ .

فأجابوه كلهم إلا بكارا فإنه قال لا يثبت عندى ذلك ، فأعاده إلى مصر » ويستمر ابن الداية فى سرد تفاصيل ما حدث بين ابن طولون والموفق ، حتى يأتى إلى ما حدث بالنسبة إلى بكار نتيجة لعدم إستجابته لرغبة ابن طولون فى خلع الموفق ، فيقول : « لما رجع ابن طولون واستقر فى قصره بعث إلى بكار فجاء إليه ، وكان عند بكار يتيم يكفله فلما أحضره أوقفه فى مجلس الشرطة وأقام اليتيم معه فقال له اليتيم ، أنت أكلت مالى وأسمعه كلاما قبيحا فقال بكار ، اللهم إن كان كاذبا فاسلبه عقله ، فرئى من ليلته يرجم الناس بالحجارة فى الطرقات ، ثم سجن القاضى بكارا فوقف أهل الحديث إلى ابن طولون وقالوا على من نقرأ وقد سجنت بكارا ؟ فقال ، أذهبوا إلى السجن وأقرءوا عليه ، فكان الناس يأتون السجن ويقرءون على بكار الحديث » .

ويصف لنا ابن الزيات ما كان يفعله القاضى بكار فى سجنه فيقول : وكان بكار يغتسل فى وقت الجمعة ويتوضأ ويأتى إلى باب السجن فيقول له السجان ما أمرت بخروجك ، فيقول بكار اللهم فاشهد ، ثم يعود إلى مكانه . ولم يزل القاضى بكار فى السجن حتى احتضر ابن طولون ، فقال لإبنه خمارويه إذهب إلى القاضى بكار . فقل له : أبى يسلم عليك ويسألك أن تدعوا له فخرج من عنده حتى أتى القاضى بكار فوجده يصلى فلما سلم من صلاته قال له أن أبى يسلم عليك وأنه يسألك الدعاء فقال له « قل له أنه عليل أشرف على قبره ، وأنا شيخ فان أشرفت على حفرتى ، والمجتمع بينى وبينه بين يدى الله تعالى » فعاد خمارويه فوجد والده قد اشتد به المرض ثم مات . ومات بكار بعده بمدة يسيرة . ويقول جماعة من علماء وفقهاء عصر ابن طولون منهم ابن أخى العطايا وابن الجباس ومجد الدين الناسخ أنهم جميعا رأوا فى منامهم رؤيا مؤداها ، أن ابن طولون رئى فى حال سعيدة ، فقيل له ما فعل الله بك فقال شفع فىّ القاضى بكار .[1]

وقد عرف عن بكار الزهد والتقشف فى مأكله وملبسه حتى أنه لم يكن فى حاجة إلى راتبه الذى يتقاضاه فكان يوزعه عن آخره ولا يحتفظ لنفسه إلا بالنذر اليسير الذى يكفى

(١) ترتيب الزيارة ص ٥٢ .

سد رمقه، أما المبالغ الطائلة والجوائز السخية التى كان يرسلها له أحمد بن طولون ، فقد احتفظ بها سالمة غير منقوصة فقد كان ابن طولون يبعث إليه فى كل سنة ألف دينار ، فلما جرى بينهما ما جرى قال أحمد بن طولون ، وأين جوائزى التى كنت أرسلها إليك ؟ قال : فى المكان الذى كان يضعها رسولك فيه فابعثه يأخذها من مكانها ثم قرأ القاضى بكار « إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا » ، قال جاء الرسول فوجدها ستة عشر كيسا ، ما نقص منها شئ فأعطاها الرسول قائلا ، هذه جوائز القاضى بكار التى كان يأخذها من ابن طولون .



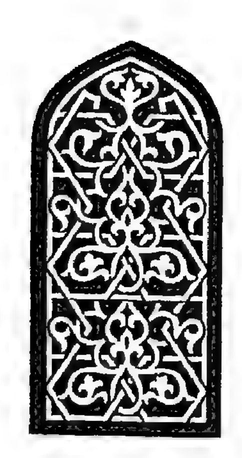
وصف الضريح

توفى القاضى بكار سنة ٢٧٠ هـ ودفن فى الحومة ، التى دفن فيها جده بشر ابن أبى بكرة بن الحارث ابن مخلدة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويؤكد هذه الرواية ، الكندى إذ يقول : مات بشر بن أبى بكرة بمصر وقبره عند قبر ولده بكار ، وفى هذا يقول أبو جعفر الطحاوى : سمعت أبا العلى الكوفى يقول ، كان القاضى بكار يقول لى ، إنطلق معى حتى أزور قبر جدى فيأتى إلى مكان قبره فيزوره ويقول هذا من التابعين .

أما عن مكان ضريحه فيحدده ابن الزيات[1] فيقول هو المشهد المقابل للسور بعد خروجك من باب القرافة مما يلى المجرى الكائنة بالسور . ويقول الشيخ شرف الدين بن الجباس هو مشهد استجد ولكن دفنه قديم . ويقع مشهد القاضى بكار بالقرب من جامع سيدى عقبة بن عامر الجهنى بقرافة الإمام الليث ، وهو ضريح متهدم وبحالة سيئة حتى كادت جدرانه أن تتلاشى وتزول .

---

(١) ترتيب الزيارة ص ٥٧



مشهد طباطبا
بقرافة الإمام الشافعى

ينسب هذا المشهد إلى ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه . ويقول ابن خلكان[1] أنه لا خلاف على صحة هذا النسب عند علماء النسب ، إلاَّ أنه يضيف فيقول ، إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة . ويقول ابن الزيات[2] أن طباطبا سمى بهذا الاسم لرته كانت فى لسانه ، قال أبو بكر الخطيب لما قدم بغداد فى خلافة هارون الرشيد ، سمع به فبعث إليه فظن أن أحدا قد وشى به فدخل على الرشيد ، فقام الرشيد وأجلسه إلى جانبه وقال له ما جاء بك يا أبا إسحق ، فقال ظلمنى صاحب الطبا يعنى صاحب القبا فكان يقلب القاف طاء . وللسيد إبراهيم طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرسى ، والرسى هذه نسبة إلى الرس وهى قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب إليها .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٥٧ .

(٢) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ص ٥٩

ويذكر ابن خلكان أن القاسم الرسى جاء إلى مصر فى أوائل القرن الثالث الهجرى ولما دخلها جلس بالجامع العتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجمعوا له المال فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة . وكانت له دعوة مجابة . وقد وصف العبيدلى النسابة الشيخ القاسم الرسى فقال : أنه كان أبيض اللون مقرون الحاجبين كثير الخشوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث ، وكان القاسم أكثر أهل زمانه علما وحديثا ، وقيل إنه عاد إلى الحجاز ومات بالرسى سنة عشرين ومائتين ، كما قيل أنه مدفون فى مصر ؛ ومن أحاديثه التى يرويها عن جده الإمام على بن أبى طالب قال : « حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن الحسن المثنى عن أبيه الحسن السبط عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أنه قال من أراد البقاء ولا بقاء فليلتحف الرداء وليباكر الغداء ، وفى رواية ولا يكاثر الغداء وليقل من مجامعة النساء ، وخير نسائكم الطيبة الرائحة » .

ومن أولاد ابراهيم طباطبا المدفونين بهذا المشهد كما يقول ابن الزيات على بن الحسن ابن طباطبا الذى كانت له مكانه ومقام كبير عند أمراء مصر ، وقيل أنه بلغ ماله بعد موته ثلاثة قناطير من الذهب وسبعة قناطير من الفضة ومائة عبد ومائة أمة وكان قد أوصى بنصف ماله صدقه ، وتوفى رضى الله عنه فى سنة خمس وخمسين ومائتين وبهذا المشهد أيضا قبر الإمام أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا ، كان جليل القدر وله مكانة مرموقة ، ويعد من شعراء عصره وقيل أنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق فكان يأكل فى اليوم والليلة مرة واحدة فلما بلغ ذلك ابن طولون منحه قرية من قرى مصر . وكانت كلمته مجابة عند ابن طولون فكان يشفع عنده ويمشى فى قضاء حوائج الناس فيقضيها ، وفى ذلك يقول ابن زولاق[1] لم ير فيمن نزل مصر من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعيا فى قضاء حوائج الناس من أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا . ويذكر ولده عبد الله عن أبيه الرواية التالية : قال : شفع أبى عند صاحب مصر شفاعة فى قوم كان قد طلب منهم مالا فأبى أن يقبل شفاعته ، فلما كان الليل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقبل شفاعته .

---

(١) ابن زولاق ص ١٥٩ .

ودفن فى هذا المشهد كذلك الإمام عبد الله بن طباطبا الذى ترجم له ابن[1] النحوى فقال كان عبد الله شريفا عفيفا فصيحا جميلا وكان له رباع وضياع ونعمه دائرة متسعة ، وكان كثير الافتقار للفقراء والأرامل والمنقطعين » . ويروى ابن زولاق عن عبد الله الرواية التالية قال عبد الله : رأيت فى المنام كأن طاقة فى السماء فصعدت إليها ومشيت فرأيت سريرا عليه إمرأة فعلمت أنها السيدة خديجة فسلمت عليها فقالت من تكون ، فقلت عبد الله ابن أحمد بن طباطبا ، فصاحت يافاطمة قد جاءك من أولادك ولد فخرجت من بيت على يسار السيدة خديجة فقمت إليها فقالت مرحبا بالولد الصالح ثم أقبل إثنان أعلم أنهما الحسن والحسين فقبلت يد الواحد فقال عمك وأشار بيده إلى الحسن ثم خرج رجل عليه سكينه ووقار فقال أحدهما جدك على بن أبى طالب ثم رأيت رجلا أقبل جليلا جميلا فانكببت على رجليه أقبلهما فمنعنى وقال لا تفعل هذا يا أحمد ، مرحبا بالولد الصالح ، وجلسوا يتحدثون فما أنسيت طيب حديثهم إلى الآن . فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قم فأخذ بيدى وأنزلنى من الطاق ويدى فى يده وهو يقول لى بلغت الأرض فأقول لا إلى أن بلغ إبهام رجلى الأرض فلما وصلت رجلى الأرض انتبهت كالمصروع لا أعقل شيئا فجاء أهلى بالمعبرين وعلقوا علىّ التعاويذ فبلغ الحديث إلى أبى عبد الله الزيدى ، فجاءنى وسألنى عن قصتى فحدثته فقال ليتنى كنت معكم .

ويحدثنا ابن النحوى عن العلاقة الوثيقة التى كانت تربط عبد الله بن طباطبا بكافور الأخشيد فيقول : كان عبدالله يرسل إلى كافور فى كل يوم رغيفين وجامتين من الحلوى فقال بعض المقربين لكافور أن هذا ينزل من قدرك فقال له : ياشريف لا ترسل إلىّ شيئا بعد هذا اليوم فتركه » فلم يكد يمض بضعة أيام حتى أحس كافور بالضعف والخور يعتريه وأخذت صحته تزداد سوأ يوما بعد يوم ، فأرسل كافور إلى عبد الله يطلب إليه إرسال ما كان يرسل من قبل ، فرد عليه عبد الله قائلا : إنى ما كنت أرسل إليك إستحقارا بك ، وإنما لى والدة صالحة تعجن بيدها وتقرأ عليه القرآن ، قال صدقت ، فكان كافور لا يأكل بعد ذلك إلا منه » .

---

(١) ابن النحوى : الرد على أولى الرفض والمنكر فيمن كنى بأبى بكر ص ٩٦

ويذكر العبيدلى النسابة عند حديثه عن المشاهد التى يستجاب عندها الدعاء فيقول فى سنة نيف وأربعمائة نام رجل فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له يا رسول الله إنى مشتاق إلى زيارتك وليس لى ما يوصلنى إليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زر عبد الله أحمد بن طباطبا تكن كمن زارنى » . وقد توفى عبد الله بن أحمد بمصر سنة ثمان وأربعين وثلثمائة .

ولم يقتصر المشهد على الرجال فحسب ، بل دفن به كذلك بعض أفراد عائلة طباطبا من النساء ، فيذكر ابن الزيات[1] « وبهذا المشهد عند باب القبة السيدة خديجة إبنة محمد ابن اسماعيل بن ابراهيم بن طباطبا ، وكانت خديجة هذه زاهدة عابدة كثيرة الزهد صلى عليها عبد الله السابق ذكره وهو بعلها ، وكان يقول عنها : كانت تسابقنى إلى الصلاة بالليل وما رأيتها ضحكت قط ، وتوفيت سنة عشرين وثلثمائة . وقد ذكر ابن الجباس[2] عن لسانها القصة التالية : قالت : جئت مع بعلى عبد الله إلى دار له على جانب النيل وكان فيها أثاث وقماش فوجدت رجلا فتح الباب وضم جميع ما كان فى البيت وجعله على رأسه وكنت فى الدار فأردت أن أتكلم فأشار إلى زوجى بالسكوت فجعل يزاحمنا فى السلالم وزوجى يلوى عنه الحائط حتى لا تصيبه ، فلما نزل قلت له هذا متاعنا فلم تدعه يأخذه وينصرف فقال : وما يدريك أن يكون ذلك سببا لتوبته ، فلم يمض وقت طويل حتى جاء زوجى رجل ومعه عبيد وحشم فقال له : ياسيدى أريد أن أخلو بك ، فقال له هل تذكر الرجل الذى كنت تلوى عنه الحائط بيدك ، قال نعم ، قال يا سيدى أنا هو ولقد بورك لى فى متاعك حتى أن جميع ما تراه منه ومعى آلاف ، وقد جئت إليك بهذه الألف درهم وعبدين وجاريتين فتبسم وقال له منذ رأيتك دعوت لك بالبركة ، فوالله لا أقبل منك شيئا ثم تضيف السيدة خديجة فتقول « ثم جاء إلىَّ بعلى فأخبرنى بقصة الرجل » .

وفى هذا المشهد عند الحائط الغربى قبر أبى الحسن على بن الحسن بن طباطبا المعروف باسم صاحب الحورية ، ويفصِّل لنا ابن الزيات السبب فى هذه التسمية فيقول : كان أبو

---

(١) ترتيب الزيارة ص ٦١

(٢) ابن الجباس : فضائل الأشراف ص ٧٩ .

الحسن فى أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة وما فيها من الحور فأعجبته حوراء فقال لها لمن أنت ؟ قالت لمن يعطى ثمنى فقال لها : وما ثمنك ؟ قالت له مائة ختمة فقرأها ، ولما فرغ منها رآها فى المنام فقال لها قد فعلت ما أمرتنى به ، فقالت له : ياشريف أنت ليلة غد عندنا ، فأصبح الشريف وجهز نفسه ودعا الناس لجنازته وأعلمهم بموته فمات من يومه ذلك .

وبالمشهد أيضا قبر أبى محمد الحسن بن على بن طباطبا المتوفى سنة أربع وخمسين وثلثمائة وبهذا المشهد أيضا يس بن الحسن وليس بالمشهد من عليه عمود غيره كما يوجد قبر سليمان بن على بن عبد الله المبتلى المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة وهو من خدام المشهد . ومن داخل قبة المشهد يوجد قبر الشريف طباطبا الأصغر وهو أخو عبدالله بن أحمد المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . كما يوجد فى المشهد جميع كبير من أهل العلم والصلاح والتقوى

* * *

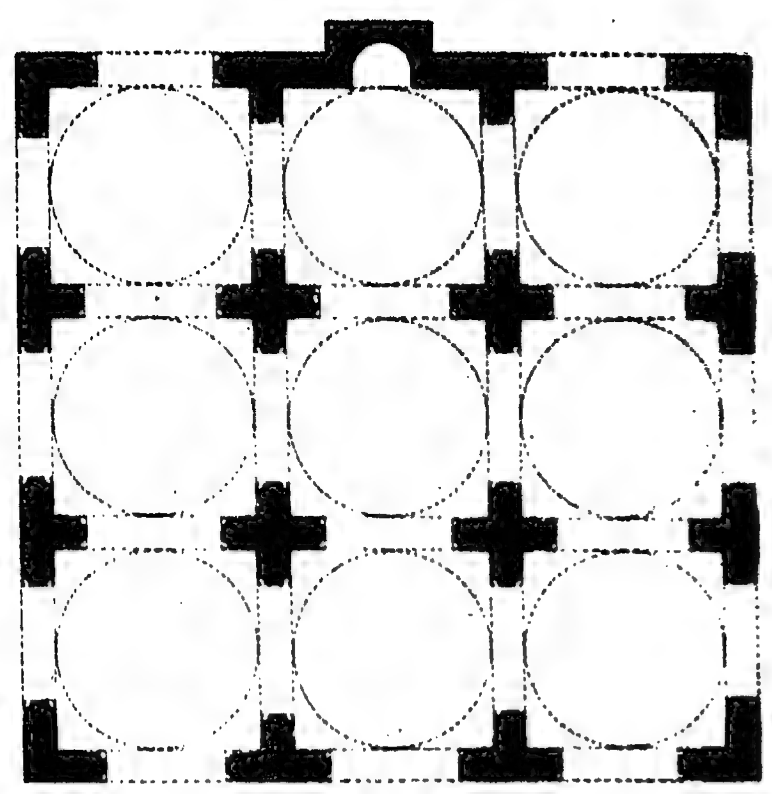
وصف المشهد

يوجد مشهد طباطبا على بعد (٥٠٠ متر) إلى الغرب من مسجد الإمام الشافعى وعلى بعد (٢٣٠ مترا) من شمال عين الصيرة . والمشهد عبارة عن مستطيل غير منتظم يبلغ طوله ٣٠ × ٢٠ عرضا ، وفى نهايته الجنوبية يوجد قبتان ، وفى الجزء الشمالى الشرقى من سور المشهد يوجد المدخل ، وإلى يساره يوجد مبنى حديث عبارة عن حجرة مربعة يغطيها قبة ، وبهذه الحجرة يوجد بئر يغذى المشهد بالمياه . ويتصل بجدار حجرة البئر مبنى مستطيل مقسم إلى ست حجرات صغيرة بعضها مربع والآخر مستطيل . وقد اختلفت تغطية هذه الغرف باختلاف أحجامها فالغرف المربعة مغطاة بالاقبياء المتقاطعة والقباب ، أما الحجرات المستطيلة فمغطاه بالاقبياء . وبهذه الغرف الست يوجد مقابر عائلة طباطبا . وتتصل بمكان الصلاة بباب فى الجهة الغربية .

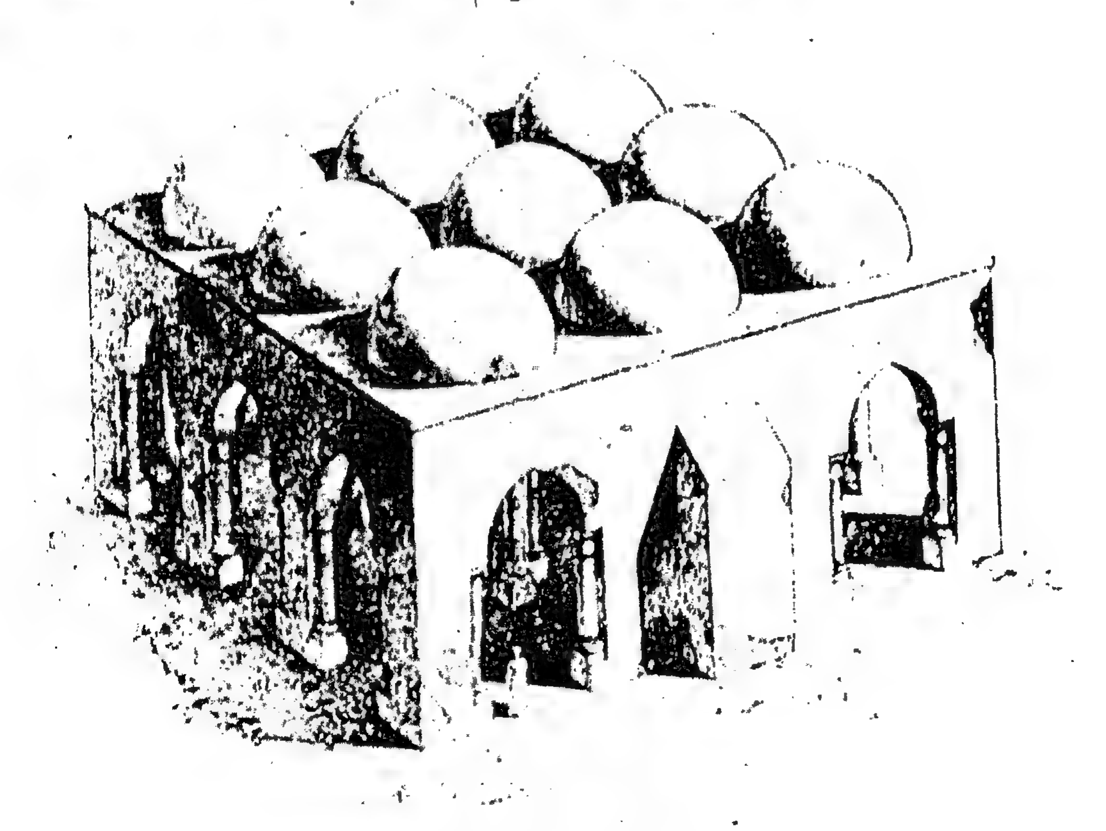
أما مكان الصلاة فيتكون من مربع يبلغ طوله ١٨ متر تقريبا مبنى من الآجر وفى الجدار الشرقى يوجد المحراب . ويقسم المربع إلى ثلاثة أروقة صفان من الدعائم المتعامدة بأركانها أربعة عمد ملتصقة . ويغطى كل المسجد تسع قباب بكل رواق ثلاث منها . ويشبه هذا المشهد فى تصميمه مشهد السبعة وسبعين ولى بأسوان وكذا مئذنة بلال بالقرب من السد العالى .

ويرجح الأستاذ كزويل أن هذا المشهد قد بنى فى (سنة ٣٣٤ هـ – ٩٤٣ م) وهو تاريخ وفاة الشريف طباطبا الأصغر .

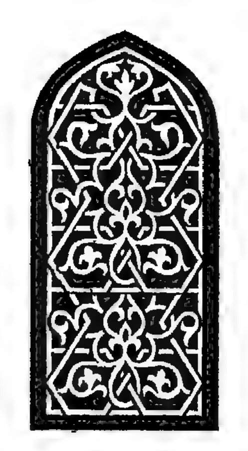
Creswell : The Muslim Architecture of Egypt. Vol. I P. — 217.



شكل رقم (٥) مشهد ابن طبا طبا



شكل رقم (٦) إعادة بناء مشهد ابن طبا طبا



الجامع الازهر

أتم جوهر تأسيس مدينة القاهرة بعد عام من فتح الفاطميين لمصر ، وكان أول أعماله بناء الجامع الازهر ، وقد ورد فى المقريزى[1] إن القائد جوهرا بدأ عمارته فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ ولما أتم تشييده بعد عامين فتح للصلاة فى شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ (يونيه – يوليه سنة ٩٧٢) م ويعد الأزهر أول عمل فنى معمارى اقامه الفاطميون ولا يزال قائما حتى اليوم .

ويقع الأزهر فى الجنوب الشرقى من قاهرة المعز لدين الله الفاطمى على مقربة من القصر الكبير ، الذى كان موجودا حينذاك بين حى الديلم وحى الترك فى الجنوب . وقد ورد فى المقريزى نص النقش الذى كتبه جوهر بدائرة القبة وان كان قد اندثر الآن .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٤٩

وفى هذا الجامع أمر جوهر بقطع الخطبة لبنى العباس وحرم لبس السواد شعار العباسيين وأمر بلبس البياض وغير الأذان إلى حى على خير العمل كما أمر أن يقال فى الخطبة ، اللهم صل على محمد المصطفى ، وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله » . انقطعت بذلك دعوة بنى العباس من مصر والحجاز واليمن والشام ، وظلت الدعوة لبنى عبيد فى هذه الاقطار حتى سنة ٥٦٥ هـ .

ومعرفة التخطيط الأصلى لهذا الجامع تعد من الأمور الصعبة التى لا يمكن الاهتداء اليها ، فقد زاد كثير من خلفاء الفاطميين فى بنيانه ، واعيد تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية كما اضيفت اليه زيادات عدة . وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود المنكسرة التى تعد من مميزات العمارة الفاطمية فإن جل أجزائه الحالية من عصور متأخرة .

بقى الأزهر يشغل المكانة الرفيعة فى العالم الاسلامى ، فقد كان منار العلم وموئل المتعلمين حتى جاءت الدولة الأيوبية فبدأ نجمه فى الأفول ، فقد عمل الأيوبيون على محاربة الشيعة ونشر المذهب السنى ، ومن ثم أبطلت الخطبة من الجامع الأزهر واكتفى باقامتها بجامع الحاكم عملا بالمذهب الشافعى ، وظل الحال على ذلك مدة قرن من الزمان حتى العصر المملوكى .

كان الجامع الازهر وقت انشائه يتوسط العاصمة الفاطمية على النحو الذى كان متبعا فى انشاء القواعد الاسلامية الأولى . أنشئ الجامع الأزهر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة ومنبرا لدعوتها الدينية ورمزا لسيادتها الروحية .

اما فكرة الدراسة بالأزهر . فقد كانت حدثا ترتب على فكرة الدعوة المذهبية وغلب الحدث العارض شيئا فشيئا على صفته الأولى حتى أسبغ عليه ثوبه الجامعى الخالد . فى سنة ٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م فى أواخر عهد المعز لدين الله ، جلس قاضى القضاة أبو الحسن على

ابن النعمان بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه فى فقه الشيعة ، فى جمع حافل من العلماء والكبراء ، وأثبت أسماء الحاضرين فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر .

ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فكر فى اتخاذ الجامع الأزهر معهدا للدرسة المنظمة المستقرة فقد استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله سنة ٣٧٨ هـ - ٩٨٨ م فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يعقدون مجالسهم بالازهر فى كل جمعة بعد الصلاة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها . . ورئيسهم ومنظم حلقتهم العقبة أبو يعقوب ، قاضى الخندق ، ورتب لهم أرزاقا وجرايات شهرية حسنة ، وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر ، وخلع عليهم فى يوم الفطر وحملهم على بغلات تشريفا لهم وتكريما .

وعلى ذلك فإننا نستطيع القول بان الأزهر اكتسب صفته العلمية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة وانه بدأ حياته الجامعية الحافلة منذ أوائل العصر الفاطمى . وما كادت حلقات الدراسة تنتظم فى الأزهر حتى ظهر منافس شديد الوطأة ، الا وهى دار الحكمة التى انشأها الخليفة الحاكم ، على أن كلا من المعهدين كانت له رسالة خاصة ، فبينما كان الأزهر مركزا للثقافة الدينية المحضة ، إذ بدار الحكمة تقوم بجانب مهمتها فى نشر المذهب الشيعى ، بتدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وما إليها .

وإلى جانب المكانة العلمية التى كان يتمتع بها الأزهر كانت له فوق ذلك أهمية رسمية خاصة ففيه كان جلوس قاضى القضاة فى أيام معينة وفيه كان مركز المحتسب العام وفيه كان يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية .

على أن قطع خطبة الجمعة من الجامع الازهر فى العصر الايوبى لم يبطل صفته الجامعية فقد لبث محتفظا بصفته كمعهد للدرس والقراءة ، ومع انه لم يكن يحظى فى ذلك العصر بكثير من هيئته العلمية القديمة فنراه مقصد علماء بارزين مثل عبد اللطيف البغدادى الذى وفد على مصر سنة ٥٨٩ هـ ، أيام الملك العزيز ولد السلطان صلاح الدين ، وتولى التدريس بالأزهر بضعة أعوام حتى وفاه الملك العزيز فى سنة ٥٩٥ هـ .

وفى عهد الدولة الايوبية بدئ بإنشاء المدارس فى مصر ، واقتدى السلطان صلاح الدين فى ذلك بما فعله الملك العادل نور الدين زنكى فى الشام ، من إقامة المدارس فى دمشق وحلب . وكانت أول مدرسة أقيمت بمصر على هذا النحو ، المدرسة الناصرية التى أنشأها السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ بجوار المسجد الجامع (جامع عمرو) لتدريس الفقه الشافعى وفى نفس العام أنشأ السلطان على مقربة منها ، مدرسة لتدريس الفقه المالكى عرفت بالمدرسة القمحية نظرا لما كان يغدق على طلابها من قمح تغله ضيعتها بالفيوم ، وهى المدرسة التى تولى التدريس فيها فيما بعد المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ثم توالى انشاء المدارس فى مصر والقاهرة على أيدى السلاطين والامراء والكبراء وكثر عددها فى القرنين السابع والثامن كثرة ظاهرة . وكان إنشاؤها فى أول الأمر يجرى فى الغالب على قاعدة التخصص ، فبعضها ينشأ للشافعية والبعض الآخر للحنفية أو المالكية أو الحنبلية وينشأ البعض لتدريس الفقه أو الحديث أو علوم القرآن وقليل منها ينشأ على قاعدة التعميم كالمدرسة الصالحية التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤١ هـ . ورتب فيها دروسا للطلاب من المذاهب الاربعة .

وقد كان لقيام هذه المدارس وكثرتها خلال القرنين السابع والثامن ، أثر كبير فى سيرة الدراسة بالجامع الأزهر ، فقد نافسته منافسة شديدة واجتذبت اليها الطلاب من كل صوب ، كما اجتذبت اليها اعلام الاساتذة ، وكانت تمتاز على الأزهر بجدتها ووفرة أوقافها واستئثارها برعاية السلاطين والكبراء من منشئيها ومن اليهم . ومن ثم كان الأزهر فى هذه المدة الطويلة يمر بفترة ركود ، بيد أنه كان يضم من الطلاب دائما العدد الجم نظرا لاتساع مجال الدراسة فيه وتنوعها ، إذ كان مفتوحا للطلاب من كل مذهب ، وتدرس به سائر العلوم الدينية واللغوية ، وهو ما لم يكن مسورا فى مدارس أنشئت على قاعدة التخصص . ومن جهة اخرى فقد كان الأزهر مقصد الطلاب الغرباء من كل صوب وكان يقطن فى أروقته عدد كبير منهم .

وقد بلغت الحركة العلمية والأدبية فى مصر الإسلامية ذروتها من التقدم والأزدهار فى أواخر القرن الثامن الهجرى وأوائل القرن التاسع ، وحفل القرن التاسع بالأخص بعدد كبير من الاساتذة البارزين فى سائر العلوم والفنون وساهم الأزهر إلى جانب المدارس الأخرى

بنصيبه فى إعداد عناصر هذه الحركة وفى تخريج العدد الجم من أبنائها ، على أنه يوجد مع ذلك فى أنباء العصر ما يدل على أن الأزهر كان فى خلال هذه الحقبة يحتفظ بمكانته الخاصة يعاونه فى ذلك اتساع حلقاته وأروقته ، وتنوع دراساته وهيبته القديمة ، وما يلاقيه الطلاب من أسباب التيسير فى الدراسة واحيانا فى الإقامة ، وقد غدا الأزهر منذ أواخر القرن السابع ، أى منذ عفت معاهد بغداد وقرطبة كعبة الاساتذة والطلاب من سائر انحاء العالم الإسلامى العامة .

ومنذ القرن الثامن الهجرى تبوأ الأزهر فى مصر وفى العالم الإسلامى نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية وفى أنباء هذا القرن ما يدل على أن الأزهر كان يتمتع فى ظل دولة المماليك برعاية خاصة وكان الأكابر من علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ ، ويشغلون وظائف القضاء العليا ويستأثرون بمراكز التوجيه والارشاد ، وكان هذا النفوذ يصل أحيانا إلى التأثير فى سياسة الدولة العليا ، وأحيانا فى مصاير العرش والسلطان .

وربما كانت هذه الفترة فى الواقع هى عصر الأزهر الذهبى من حيث الإنتاج العلمى الممتاز ومن حيث تبوؤه مركز الزعامة والنفوذ .

وفى أواخر القرن التاسع أخذت الحركة الأدبية فى مصر الإسلامية فى الإضمحلال ، وذلك تبعا لإضمحلال الدولة المصرية والمجتمع المصرى ، وكانت دولة المماليك قد شاخت وأخذت تسير نحو الإنهيار بخطى سريعة وتصدع بناء المجتمع المصرى وأخذ فى الأنحلال والتفكك واضطربت أحوال المعاهد والمدارس المصرية وتضاءلت مواردها ، وفقد كثيرا مما كانت تتمتع به من رعاية السلاطين والامراء ، وأصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود . ولم يمض على ذلك غير قليل حتى وقعت المأساة المروعة فإنهارت الدولة الدولة المصرية ، وفقدت مصر استقلالها التالد وسقطت صريعة الغزو العثمانى سنة ٩٢١ هـ (١٥١٧ م) .

وكان الفتح العثمانى لمصر أقس ضربة أصابت المدنية الإسلامية منذ قضى التتار على الدولة العباسية فى منتصف القرن السابع الهجرى وقوضوا صروح المدنية الإسلامية فى المشرق

وكانت مصر مستودع هذا التراث الباذخ ولاسيما بعد أن سقطت قواعد الأندلس المسلمة فى يد اسبانيا النصرانية ، وعفت معاهدها وحضارتها الشهيرة وسقطت غرناطة آخر معاقلها قبل الفتح العثمانى لمصر بنحو ربع قرن فقط . وكانت المدنية الإسلامية تتألق بعلومها وفنونها فى ظل دولة المماليك مدة ثلاثة قرون ، فجاء الفتح التركى بولايته ليطفئ هذا السراج المنير مدى ثلاثة قرون أخرى . وأصاب الأزهر ما أصاب الحركة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور ، واختفى من حلقاته كثير من العلوم التى كانت زاهرة به من قبل ، وكذلك العلوم الرياضية لم تكن تدرس به فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى وقد لاحظ ذلك الوزير أحمد باشا والى مصر سنة ١١٦١ هـ (١٧٤٨ م) وأبلغه للشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر يومئذ فى حديث أورده الجبرتى أدلى فيه بما آلت إليه أحوال الدراسة بالأزهر خلال العصر التركى من التأخر والركود .

على أن الجامع الأزهر كان يقوم عندئذ باعظم واسمى مهمة اتيح له أن يقوم بها ، فقد استطاع خلال المحنة الشاملة أن يستبقى شيئا من مكانته وان يؤثر بماضيه التالد وهيبته القديمة فى نفوس الغزاة أنفسهم . فنجد الفاتح التركى يتبرك بالصلاة فيه غير مرة ، ونجد الغزاة يبتعدون عن كل ما يضر به ، ويحلونه مكانة خاصة ويحاولون استغلال نفوذ علمائه كلما حدث اضراب أو ثورة داخلية . وفى خلال ذلك يغدو الأزهر ملاذا أخيرا لعلوم الدين والفقه واللغة . ويغدو ، بنوع خاص ، معقلا حصينا للغة العربية ويحتفظ فى أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، ويدرأ عنها عادية التدهور النهائى ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ومقاومتها ، وردها عن التغلغل فى المجتمع المصرى .

وهكذا استطاع الأزهر فى تلك الاحقاب المظلمة أن يسدى إلى اللغة العربية أجل الخدمات وإذا كانت مصر قد ظلت خلال العصر التركى ملاذا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية من سائر انحاء العالم العربى والعالم الإسلامى فاكبر الفضل فى ذلك عائد إلى الأزهر إذ استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمى هذا التراث نحو ثلاثة قرون حتى انقضى العصر التركى بمحنة وظلماته ، وقيض لها أن تبدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر

حياة جديدة يمازجها النور والأمل . وربما كانت هذه المهمة السامية التى ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر ، فى تلك الأوقات العصيبة فى حياة الأمة المصرية والعالم الإسلامي بأسره ، هى أعظم ما أدى الأزهر من رسالته ، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل .

* * *

أما عن نظام الدراسة بالأزهر فقد بدأ نظام الدرس به على نفس النمط الذى كان متبعا فى مصر وباقى العواصم الإسلامية يومئذ ، ونعنى به نظام الحلقات الدراسية ومجالس الدروس الخاصة ، وقد اشتهر نظام الحلقات الدراسية بمصر منذ القرن الثانى للهجرة ، وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع منذ القرن الأول مركزا للدراسة الممتازة وكانت هذه الدراسة فى البداية دينية فقهية .

فكان الاستاذ يجلس ليقرأ درسه فى حلقة من تلاميذه والمستمعين إليه ، وتنظم الحلقات فى الزمان والمكان طبقا للمواد التى تدرس ، ويجلس استاذ المادة من فقه أوحديث أو تفسير أو نحو أو بيان أو منطق أو غيرها فى المكان المخصص لذلك من اروقة الجامع أو ابهائه ، وامامه الطلبة والمستمعون يصغون إليه ويناقشونه فيما يعن لهم . وقد استقر هذا النظام بالأزهر واستمر طوال العصور وغدا خلال العصور الوسطى أيام الازهر الزاهرة نوعا من المحاضرة الجامعية الممتازة . وكان لهذه الطريقة على بساطتها كثير من مزايا الدراسة الجامعية لإنها كانت تجمع بين الاساتذة والطلاب فى جو من البساطة وعدم الكلفة وتفسح لهم كبير مجال للمناقشة والمحاجة .

وكان أول درس التى بالجامع (سنة ٣٦٥ هـ - ٩٧٥ م) ، وفى (٣٧٨ هـ - ٩٨٨ م) طلب الوزير يعقوب بن كلس من الخليفة العزيز بالله أن تعد مرتبات للفقهاء ، وتعد دار لسكناهم بجانب الجامع ، فإذا كان ايوم الجمعة حضروا إلى الجامع وبخضروا حلقات دروسهم بعد الصلاة وكان عددهم ٣٥ فقيها .

اما المصادر المالية التى كان يعتمد عليها الأزهر فى حياته كمسجد وكمعهد للدرس فهى الاحباس العامة والخاصة ، وكانت الاحباس فى ظل الدولة الفاطمية تحت اشراف قاضى القضاة ولها ديوان خاص . وقد نما هذا المصدر واتسع فيما بعد فى ظل دولة المماليك حتى غدا أخصب مورد للجامع الأزهر .

على أنه كانت للازهر فى العصر الفاطمى غير الاحباس موارد اخرى لا تقل عنها أهمية ، بل لعلها كانت فيما يتعلق بطلبة العلم أخصب واجدى فى النفقة عليهم وتيسير سبيل العيش لهم ، وتلك هى الاعطية والصدقات العامة والخاصة وكانت هذه الاعطية والصدقات مالية ونوعية معا . اما المالية فكانت تشمل نصيب الازهر من مال النجوى وهو جعل اختيارى قدرى ثلاثة دراهم يؤديه إلى داعى الدعاة من شاء من المستمعين لمجالس الحكمة . وكان يحصل منه مال كثير ينفق منه على الدعاة ويؤدى بعضه إلى الجامع الأزهر ليفرق على فقراء الطلاب ، وتشمل ايضا كل ما يجود به الكرماء من المال لهذا الغرض . أما الصدقات النوعية فكانت كثيرة تشمل ما كان أولو الأمر والكبراء ، يوزعونه من الأطعمة والحلوى على الطلبة والمساكين بالازهر وغيره من المساجد ، الجامعة فى مواسم معينة .

على أن بعض نظام الاعطية الذى كان مستعملا فى العصر الفاطمى لا يزال يتبع فى الازهر حتى العصر الاخير يغدقها الازهر على اساتذته وطلابه فى شكل كميات من الخبز يومية أو شهرية تعرف (بالجراية) والتى استبدل بها اليوم أعطية مالية مماثلة .

واستمرت الاعطية العامة والخاصة تنمو على مر العصور وتوالت أوقاف السلاطين والامراء ، والكبراء على الجامع الازهر ، وكانت هذه الاوقات ترتب اما بصفة عامة أو تخصص لأساتذة المذاهب أو الأروقة المختلفة وطلبتها أو للانفاق على تدريس مادة معينة ولا سيا علوم القرآن والحديث . وما زالت هذه الاوقاف فى نمو مطرد حتى اجتمع بالأزهر منها نصيب وافر يعاونه اليوم معاونة قيمة على اداء مهمته الدينية والثقافية .

وكان شيخ الجامع يشرف على هذه الأوقاف ونظارتها ، وفى العهود الاخيرة تولت ، وزارة الاوقاف ، وكانت تسمى فيما قبل ديوان الاوقاف ، النظارة على هذه الاوقاف .

ويرجع إنشاء ديوان الاوقاف إلى عهد الخليفة الآموى هشام بن عبد الملك سنة ١١٨ ﻫ أى قبل إنشاء الازهر باكثر من مائتين واربعين عاما . فقد تولى قضاء مصر توبة بن نمر فى زمن هشام بن عبد الملك ، وكانت أوقاف المسلمين فى أيدى اهلها أو فى أيدى اوصيائهم فقال توبة : ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أضع يدى عليها حفظا لها من الالتواء والتوارث ، وكان ذلك عام ١١٨ ﻫ . ومن ثم صار للاحباس فى مصر ديوان خاص. وتعتبر « وقفية » الخليفة الفاطمى الحاكم بامر الله أول ميزانية ثابتة للازهر ، فقد أوقف الحاكم عام ٤٠٠ ﻫ على الجامع الأزهر وجامع المقس والجامع الحاكمى ودار العلم وقفية مشتركة تقسم على ستين سهما للازهر فيها ، على حد تعبير الوقفية ، الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع .

وقد أورد المقريزى فى خططه تفاصيل هذه الوقفية . وقد رأيت أن أنشرها لأنها تعطينا معلومات صحيحة واضحة ، يندر ان نجدها مجتمعه فى مرجع من المراجع التاريخية عن الحياة الاجتماعية فى مصر فى ذلك العصر . وفيما يلى بيانها :

دينـــار	
٨٤	للخطيب
١٠٨	ثمن ١٣٠٠٠ ذراع حصر مضفورة لفرش هذا الجامع فى كل سنة عند الحاجة ولثمن ١٠٠٠ ذراع حصر عبدانية تكون عدة له عند الحاجة .
١٢	لما ينقطع من حصره .
١٢	ثمن ثلاثة قناطير دجاج وفرخها .
١٥	ثمن عود هندى للبخور فى شهر رمضان وايام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع .
٧	ثمن نصف قنطار شمع .
٥	لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة .
١	ثمن مشاقة لسراج القناديل .

١/٢ ثمن فحم للبخور عن قنطار واحد .

١/٤ ثمن ملح للقناديل .

= ثمن سلب ليف واربعة احبل وست دلاء .

١/٢ ثمن خرق لمسح القناديل .

١ ١/٤ ثمن ١٠ قفاف للخدمة ، ١٠ ارطال قنب لتعليق القناديل وثمن ٢٠٠ مكنسة لكنس هذا الجامع .

٣ ثمن أزيار فخار مع أجرة حمل الماء .

٣٧ ١/٢ ثمن زيت وقود هذا الجامع ، راتب السنة ١٢٠٠ رطل مع أجرة الحمل .

٥٥٦ ١/٣ لارزاق المصلين يعنى الأئمة وهم ثلاثة ، واربعة قومه و ١٥ مؤذنا منها لكل امام ديناران وثلثا دينار وثمن دينار فى كل شهر من شهور السنة والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران فى كل شهر .

٢٤ للمشرف على الجامع فى كل سنة .

١ لكنس المصنع[1] بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين الوسخ .

٦٠ لمومة ما يحتاج إليه هذا الجامع .

٨ ٥/٦ ثمن ١٨٠ ١/٢ حمل تبن جارية لعلف رأس بقر للمصنع الذى لهذا الجامع .

٤ لمخزن يوضع فيه التبن بالقاهرة .

٧ ثمن فدانين قرط لرأسى البقر المذكورين فى السنة .

١٥ لأجرة متولى العلف واجرة السقا والحبال والقواد وما يجرى مجرى ذلك .

١٢ لأجرة قيم الميضاة . . أن عملت بهذا الجامع .

٢٤ لمؤونة الناس والسلاسل والتنانير والقباب فوق سطح الجامع .

وكان الازهر منذ بدأت الدراسة فيه مفتوح الباب لكل مسلم ، يقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يضم بين طلبته دائما إلى جانب الطلاب المصريين عددا

---

(١) المصنع هنا بمعنى البئر والساقية .

كبيرا من ابناء الأمم الإسلامية ، يتلقون العلم ، وتجرى عليهم الارزاق وتقيم كل جماعة منهم فى مكان خاص بها ، وهذا هو نظام الاروقة الشهير الذى بدأ بالازهر منذ العصر الفاطمى ، والذى استمر قائما حتى العصر الاخير ، وما زالت بقية منه بالجامع الازهر إلى اليوم ، ومعظم سكان الاروقة الباقية اليوم من الطلبة الغرباء . ويذكر المقريزى أن عدد الطلبة الغرباء الذى كانوا يلازمون الإقامة بالازهر فى الاروقة الخاصة بهم فى عصره أى فى القرن التاسع الهجرى – الخامس عشر الميلادى – بلغ سبعمائة وخمسين ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة . وهو رقم كبير يدل على ضخامة العدد الذى كان يضمة الازهر بصفة عامة من طلاب مصر وطلاب الامم الإسلامية المختلفة فى تلك العصور .

وكان النظام التعليمى للأزهر فى العصور الوسطى يتلخص فيما يلى :

١ – كان هناك أستاذ أكبر للمادة يشرف على من دونه ، وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم حتى الممات ، وكل أمنيتهم أن يصلوا إلى مثل مرتبته العلمية ، فالسيوطى ، مثلا ، يحدثنا عن نفسه فيقول « لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور : أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر » .

٢ – كان الطالب يصح أن يجاز فى مادة ويرجأ فى أخرى ، فهو فى مادة أستاذ معلم وفى أخرى طالب تحت الاجازة .

٣ – كانت الشهادات تعطى من الأساتذة وتسمى أجازة ، وكان الطالب إذا آنس من نفسه القوة فى العلم والقدرة على التدريس والافتاء طلب من شيخه أن يجيزه ، وننقل هنا صورة اجازة من هذه الأجازات التى منحت لطالب فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) « استخير الله تعالى فى الايراد والاصدار واعتصم به من آفتى التقصير والاكثار ، واستغفر الله فيما فرط فى الجهر والاسرار ، وأقول : إنى ذكرت فلانا زينة الله بالتقوى وحرصه فى السر والنجوى ، فى فنون من العلوم الشرعية العقلية ، فالفيته يرجع إلى معقول صحيح ومنقول صريح واطلاع على المشكلات ، واضطلاع بحل المعضلات ، لاسيما فى فقه المذهب

فإنه أصبح فيه كالعلم المذهب ، وقام بعلم العربية والتفسير وصار فيها الفاضل التحرير ، وقد أجبته إلى ما التبسه وإن كان غنيا بما حصل واقتبس فليدرس مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه لطالبيه . وليجب المستفتى بقلمه وفيه ثقة بفضله الباهر وورعه الوافر ، وفطرته الوقادة والمعيته النقادة والله تعالى ينفعنا واياه بما علمناه ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه » .

٤ – كان للطالب منتهى الحرية فى اختيار المادة والأستاذ وله الحرية أيضا فى الغياب والحضور .

٥ – كان لكل كتاب قارئ غالبا ، وكان الأستاذ قبل أن يلقى درسه يتوجه إلى الله يستلهمه العون مفتتحا درسه باسم الله الرحمن الرحيم ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ، ويرشد إلى المصادر التى رجع إليها فى درسه ويسند كل رأى أو اعتراض أو جواب لقائله . وكان تلقين الطالب المعلومات يأتى أما عن طريق الرواية أو عن طريق الدراية . وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب .

والطلبة بالأزهر الآن ينقسمون كما كان الحال تماما منذ العصور الوسطى إلى قسمين قسم داخلى وآخر خارجى وينقسم القسم الداخلى بدوره إلى عدة أقسام اقليمية وما زال كثير من هذه الأقسام هى الاروقة والحارات محتفظا باسمه حتى اليوم ، والحارات هى الأماكن التى ، يحفظ فيها الطلبة أمتعتهم كما كان المفروض أن يناموا بها وإن كان الذى يحدث غالبا أن ينام الطلبة فى الفناء أو فى الاروقة حيث توجد المكتبات . أما لفظ الرواق فمعناه المعمارى هو المكان المحصور بين صفين من البوائك ، وفى هذه الاروقة تلقى الدروس وتقام الزكور وتدار المناقشات والمناظرات . وقد كان عدد الاروقة والحارات فى القرن الماضى ٢٦ رواقا ، و ١٥ حارة والأسماء التى تطلق على هذه الاروقة تنقسم إلى ثلاثة أقسام تبعا للجنس أو المذهب أو الإقليم ، نذكر منها : (١) رواق الصعايدة ومعظمهم على المذهب المالكى (٢) الحرمين (أى مكة والمدينة) (٣) الدكرنة (نسبة إلى أهالى سنار ودارفور وكردفان) (٤) الشوام (٥) الجاوة (أندونيسيا ارخبيل الملايو) (٦) السليمانية (تضم أبناء افغانستان

وخراسان) (٧) المغاربة (٨) السنارية (أنشأه محمد على) (٩) الأتراك (١٠) البرنية (١١) الجبرتية (أبناء الصومال) (١٢) اليمنية (١٣) الأكراد (١٤) الهنود (١٥) البغدادية (١٦) البحيرية (نسبة إلى مديرية البحيرة (١٧) الفيومية (١٨) اقبغاوية (١٩) الشناوانية (جنوب الدلتا) (٢٠) الحنفية (٢١) الفشنية(٢٢ !)ابن معمر (تضم طلبة من جميع الأجناس) (٢٣) البرابرة (٢٤) دكارنة صليح (لأهل بحيرة تشاد) (٢٥) الشرقاوية (٢٦) الحنبلية .

وكان عدد طلبة الأزهر فى عام ١٩٤٥ – ١٩٤٦ ، ١٤٧١٤ طالبا وقد بلغ عددهم حسب التعداد الأخير لعام ١٩٥٨.نحو الأربعين ألفا موزعين كالآتى :

طلبة القسمين الابتدائى والثانوى	٢٧٦٨٩	طالبا
طلبة معهد البعوث الإسلامية	١٣٢٦	طالبا
طلبة المعاهد الحرة	٤٥٢٢	طالبا
طلبة كلية الشريعة	١٣٩٨	طالبا
طلبة كلية أصول الدين	١١٤٠	طالبا
طلبة كلية اللغة العربية	٣٠٠٧	من الطلاب
طلبة معهد القراءات	٦٦٣	طالبا

****

أما عن مواد الدراسة والكتب فقد كانت علوم الدين واللغة دائما فى المقدمة وكان للعلوم الدينية بنوع خاص أوفر نصيب فعلوم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب ، وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ هذه كلها كانت زاهرة خلال العصور الوسطى .

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالأزهر ولاسيا فى عهد الدولة الفاطمية فقد كان لعلوم الشيعة وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول . وفى أواخر القرن

السادس أى بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية نرى الأزهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم المدنية ، إلى جانب العلوم الدينية بصورة منتظمة ، فنرى مثلا[1] بين أساتذة الأزهر فى هذه الفترة العلامة عبد اللطيف البغدادى يدرس الطب والفلسفة والمنطق .

بيد أنه لاريب أن صفة الأزهر الدينية كانت ومازالت تغلب على كل صفة أخرى . وأن علوم الدين كانت ومازالت خلال العصور تحتل المقام الأول . على أن هذه الخاصة لم ينفرد بها الأزهر وحده ، فقد كانت الحركة الفكرية فى العصور الوسطى ترتبط فى جميع الأمم بالدين أشد ارتباط . فقد كانت الأديرة مراكز الدراسة فى أوروبا والاحبار هم قادة الفكر . ولما تقدمت الحركة الفكرية وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئا فشيئا .

أما عن الكتب ، فقد كانت الكتب الأولى التى قررت للتدريس بالأزهر هى كتب الشيعة وهو المذهب الرسمى للدولة وشدد فى ذلك بادئ ذى بدء حتى أنه فى سنة ٣٨١ هـ قبض على رجل وجد عنده كتاب «الموطأ» للإمام مالك وجلد من أجل احرازه .

وكذلك كان يدرس بالأزهر كثير من الكتب الفقهية التى كانت تدرس بدار الحكمة ومصنفات أعلام الأساتذة الذين انتهت إليهم الرياسة فى بعض العلوم أو الذين تولوا التدريس بالأزهر .

وكان للجامع الأزهر خزانة كتب كبيرة ذات أهمية خاصة ، فإن ابن ميسر يقول لنا فى أخبار سنة ٥١٧ هـ أنه قد أسند إلى داعى الدعاة منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب ، واسناد الاشراف على خزانة الكتب إلى داعى الدعاة ، وهو أكبر رئيس دينى بعد قاضى القضاة ، دليل على قيمتها وأهميتها .

وقد تولى التدريس بالأزهر عدة من الأساتذة الأعلام الذين تولوا الدراسة بالأزهر فى العصر الفاطمى وكان فى مقدمة أولئك الأساتذة بنو النعمان قضاة مصر ، فكان القاضى أبو الحسن ابن النعمان أول من درس بالأزهر ، وكان فوق تضلعه فى فقه آل البيت أديبا شاعرا توفى سنة ٣٧٤ هـ . ودرس بالأزهر أيضا أخوه القاضى محمد بن النعمان المتوفى

سنة ٣٨٩ هـ. ثم ولده الحسين ابن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله . ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ كان من الذين تولوا التدريس بالأزهر يومئذ فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته ، ثم صديق ولده العزيز من بعده ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمى الجديد .

وهناك من أعلام التفكير والأدب فى هذا العصر من كانت لهم بلا ريب صلة علمية بالأزهر فتلقوا دراستهم أو تولوا التدريس فيه ، فمنهم المسبحى الكاتب والمؤرخ الشهير وهو الأمير المختار عبد الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحدانى . ولد بمصر ٣٦٦ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان من أقطاب الأمراء والعلماء ، وتولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه وأخذ بقسط وافر فى مختلف علوم عصره . ومن المعقول أن يكون المسبحى وهو من أولياء الدولة الفاطمية وأقطاب علمائها من أساتذة المعهدين الفاطميين دار الحكمة والأزهر . وشغف المسبحى بتدوين التاريخ وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الآثار والعجائب كما كتب المسبحى كتبا أخرى فى التاريخ والأدب والفلك .

وكذلك درس بالأزهر أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمحدث والمؤرخ وله مصنفات عدة فى الحديث والفقه والتاريخ منها « الشهاب » . و« سند الصحاب » وهما فى الحديث وكتاب « مناقب الإمام الشافعى » و « أنباء الأنبياء » و « عيون المعارف » وهما مختصران فى التاريخ وكتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره .

كذلك درس الحوفى النحوى اللغوى وقد ألف كتبا كثيرة فى النحو والأدب . ومنهم ابن بابشاد النحوى الشهير ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى تلميذ القضاعى ، وكان أيضا من أئمة اللغة والنحو ، ومنهم العلامة المقرئ الشهير أبو القاسم الرعينى الشاطبى الضرير الذى برع فى علوم القرآن واشتهر بالأخص بالتضلع فى علم القراءات .

ومنهم الفقيه العلامة الحسن بن الخطير الفارسى ، كان من أقطاب الفقه الحنفى والتفسير وكان أيضا عارفا بالرياضة والطب وعلوم اللغة والتاريخ .

ولعل من المفيد أن ننقل هنا مقتطفات من تصدير السيوطى فقد يعطينا فكرة واضحة عن طرق البحث والدرس فى القرن التاسع الهجرى أى الخامس عشر الميلادى .

كان موضوع الدرس تفسير قوله تعالى :

(أنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا) .

فقال : الكلام على هذه الآية من جهات . الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه . الثانية علم اللغة الثالثة علم الاعراب . الرابعة علم المعانى . الخامسة علم التفسير . أقول قدمت أولا الكلام على النزول ومايتعلق به . ومناسبة تقديمه ظاهرة وثنيت باللغة . وقدمتها على الإعراب لأنها تبين المعنى والإعراب فرعه ويتوقف على معرفته . وثلثت بالإعراب وقدمته على المعانى الذى ثمرة الاعراب ثم تلاه المعانى . ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد .

وقد تناول كلا من هذه الموضوعات فى بيان واف مدعم بالأدلة النقلية والعقلية ، من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد أدبية ومراجع لغوية ، فأعطانا هذا التصدير رغم صغر حجمه فكرة واضحة عن الطرق التى كانت تعتمد عليها المدارس الإسلامية ، وتطور الدراسات الإسلامية وأساليبها ، فقد بدأ السيوطى درسه بذكر المراجع التى طالعها فقال (طالعت على هذا التصدير ، الكشاف ، وتفسير الامام الرازى ، وتفسير الامام ابن العربى ، والبحر لأبى حيان وأسباب النزول للواحدى . وتفسير السجاوندى وينبوع الحياة لابن ظفر ، وصحاح الجوهرى .

وللأزهر مكتبة فيها كتب قيمة مابين مخطوط ومطبوع وكانت قبل ذلك خزانة كتب وقد تأسست المكتبة سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م - وكان بها عند انشاها ٧٧٠٠ مجلد . وفى أوائل هذا القرن كان عدد مجلداتها ٣٦٫٦٤٢ منها ١٠٫٩٣٢ من المخطوطات وكان فى الاروقة مكتبات لطلابها ، فيها ٣٠٫٠٠٠ مجلد ضمت إلى مكتبة الأزهر فبلغ عدة مافيها ٦٦٫٦٤٢ مجلدا .

لبث الأزهر أيام الدولة الفاطمية فضلا عن صبغته الجامعية التى استقرت وتوطدت على ممر الأيام ، وفضلا عن إقامة الجمع والصلوات الرسمية فيه ، مركزا لكثير من المظاهر والمناسبات الرسمية الأخرى .

فمن ذلك أنه كان مركز المحتسب وكان منصب المحتسب من أهم المناصب الدينية فى الدولة الفاطمية وهو الثالث عندهم بعد قاضى القضاة وداعى الدعاة وعمله يتناول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة وله نواب فى جميع أنحاء القطر ويجلس بالجامع الأزهر وجامع مصر (جامع عمرو) يوما بعد يوم . وكانت مجالس القضاة تعتقد قبل قيام الجامع الأزهر بجامع عمرو والجامع الطولونى .

ومن ذلك أنه كان مركز الاحتفال الرسمى بالمولد النبى الكريم ففى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول يركب القاضى بعد العصر و عه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة صوانى الحلوى التى أعدت بالقصر لتفرق على أرباب الرسوم ، كقاضى القضاة وداعى الدعاة وقراء الحضرة والخطباء وغيرهم ، فيجلسون فى الجامع مقدار الختمة الكريمة ثم يعودون فى موكبهم إلى القصر ، وينتظرون تحت المنظرة التى يجلس فيها الخليفة ثم تفتح إحدى طاقات المنظرة ويبدو منها وجه الخليفة ، ثم يخرج واحد من الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليه السلام ، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء بترتيب معلوم ، فإذا انتهى الحفل أخرج الأستاذ يده مشيرا برد السلام كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس .

وكان الاحتفال المحزن بيوم عاشوراء ، أو مأتم عاشوراء يقام بالجامع الأزهر قبل انشاء المشهد الحسينى فى سنة ٥٤٩ هـ ، وكان هذا الحفل من أغرب المظاهر المذهبية التى رتبتها الدولة الفاطمية لاحياء ذكرى الحسين ، ففى العاشر من محرم يحتجب الخليفة عن الناس ،

وفى الضحى يركب قاضى القضاة والشهود ، وقد ارتدوا ثياب الحداد ، إلى الجامع الأزهر أو المشهد الحسينى فيما بعد فى حفل من الأمراء والأعيان وقراء الحضرة والعلماء ثم يأتى الوزير فيتبوأ صدر المجلس ويجلس إلى جانب قاضى القضاة وداعى الدعاة والقراء يتلون القرآن ثم ينشد أشعارا فى رثاء الحسن والحسين وآل البيت . ويضج الحضور بالبكاء والعويل ، ثم ينصرف الوزير إلى داره ويستدعى القوم إلى القصر وقد فرشت أروقته بالحصر بدل البسط ، فيجدون صاحب الباب فى انتظارهم فيجلس القاضى والداعى إلى جانبه والناس على اختلاف مراتبهم ويقرأ القراء وينشد المنشدون على النحو السابق . ثم يمد فى القاعة سماط الحزن عند الظهر ، وليس فيه سوى العدس والألبان والأجبان الساذجة وأعسال النحل والخبز الأسود . ويدخل من شاء لتناول الطعام ، فإذا انتهى القوم انصرفوا إلى دورهم ، ويعم الحزن والنواح القاهرة فى ذلك اليوم وتعطل الأسواق ويعكف الناس حتى العصر ثم تفتح الأسواق وتسترد العاصمة شيئا من نشاطها ومظهرها العادى ..

وفى ليالى الوقود الأربع وهى ليلة أول رجب نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه ، كان الخليفة يقصد فى المساء منظرة الجامع الأزهر ، وكانت بجواره من الجهة القبلية وتشرف عليه . ويجلس الخليفة فى هذه المنظرة ومعه حرمه وذلك لمشاهدة الزينات المضيئة والاحتفالات الفخمة التى كانت تقام فى تلك الليالى الشهيرة ، وإليك كيف يصف لنا المسبحى بعض هذه الليالى : قال فى حوادث شهر رجب سنة ٣٨٠ ﻫ « وفيه يخرج الناس فى لياليه على رسمهم فى ليالى الجمع وليلة النصف إلى جامع القاهرة » يعنى جامع الأزهر « عوضا عن القرافة وزيد فيه الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم كل سنة . والأطعمة والحلوى والبخور فى مجامر الذهب والفضة وطيف بها . وحضر القاضى بن النعمان ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد ، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون الناحة وأقام إلى نصف الليل وانصرف إلى داره بعد أن قدم إلى من معه أطعمة من عنده وبخرهم .

وقال فى حوادث شعبان فى نفس السنة « وفى ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان فى جميع

شهوده ووجوه البلد وأوقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفى مجالس العلماء وحمل إليهم العزيز بالله الأطعمة والحلوى والبخور فكان جمعا عظيما » .

وهكذا كانت ليالى الوقود من المناسبات العامة التى يتبوأ فيها الجامع الأزهر مكانة خاصة فيخرج الناس إليه من كل فج ، ويبدو فيها المسجد كأنه شعلة من نور وتضاء فى جوانبه وعلى حافاته المشاعل والوقدات الساطعة ويعقد فى صحنه مجلس حافل من القضاة والعلماء .

كذلك كان الجامع مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية وكان يحضرها الخليفة فى معظم الأحيان ، وكان يقوم بالقاء الدروس كبراء الدولة كالوزراء وغيرهم من العلماء وكان يعهد بأمر الاشراف على تنظيم هذه الدعوة وبثها إلى داعى الدعاة كما وضع لهذه المجالس نظم ورسوم خاصة ، وكان النساء يحضرن هذه المجالس فى الأزهر أيضا وكانت الدعوة تنظم طبقا لمستوى الطبقات العلمية .

ومما هو جدير بالملاحظة أن أثر الأزهر فى توجيه الحياة السياسية فى المرحلة الأولى من حياته لم يكن عظيما ذلك أن الدولة الفاطمية كانت تحرص على سلطانها السياسى أشد الحرص وتغرق فى التمسك بعصبيتها ولا تفسح كبير مجال لنفوذ العلماء ورجال الدين، ولم تكن عنايتها بنشر دعوتها الدينية إلا توطيدا لدعوتها السياسية . أما فى عصر سلاطين المماليك فقد لعب الأزهر دورا لايستهان به فى توجيه السياسة المصرية فقد كان السلاطين يلتجئون إليه تثبيتا لسلطانهم أو تأييدا لهم على أعدائهم أو رغبة فى إصدار فتوى فى صالحهم .

ومن المواقف الخالدة للأزهر فى العصر الحديث ذلك الدور الذى قام به ابان الحملة الفرنسية فقد تزعم رجاله الحركة الوطنية التى أدت فى النهاية إلى طرد الحملة الفرنسية من الأراضى المصرية

وكان رجال الأزهر يعتبرون ممثلى الأمة فى معنى من المعانى ، وكان منهم أعضاء الديوان الذى ألفه الفرنسيون لحكم مدينة القاهرة وكان لهم نفوذ واضح فى سير الحوادث فى ذلك الحين .

كان الاشراف على شئون الجامع الأزهر يجرى على نفس النمط الذى اتبع من قبل فى الاشراف على شئون المساجد الجامعة ، وكان هذا الاشراف يرجع غالبا إلى ولى الأمر سواء مباشرة أو بطريق غير مباشر. أما فيما يتعلق بإصلاحه وعمارته والانفاق عليه فأمره يرجع إلى الخلفاء أو من يختارونه لذلك من الأمراء والوزراء . وما تعلق بشئون الصلاة فيرجع إلى الخطيب وإلى عدد من الائمة والقوّمة والمؤذنين . وكان الخطيب فى الواقع هو الرئيس الدينى وهو الذى يتولى الخطابة فى الصلوات الجامعة والحفلات الدينية الرسمية بين يدى الخليفة أو نائبه . ويدير شئون المسجد الدينية بوجه عام .

وأخذت وظيفة « خطيب الجامع الأزهر » تنمو فى الأهمية على مر الزمن تبعا لأهمية الأزهر نفسه ، فنراها فى أواخر الدولة الفاطمية تسند إلى رجال من أصحاب المناصب الدينية الرفيعة مثل داعى الدعاة ، أما إدارة المسجد الداخلية من فرش وتنظيف وتجميل فترجع إلى المشرف ومعاونيه من العمال والخدم .

واستمر هذا النظام فى الاشراف وإدارة الأزهر متبعا فى جوهره إلى العصر المملوكى ، فقد كان يلى الخطابة فى الأزهر أكابر القضاة والعلماء ، كما يشغل منصب الإمام أيضا بعض العلماء وصاحبه يلى الخطيب فى الأهمية ويعاونه فى القيام بشئون العبادات وثمة منصب هام آخر هو منصب الواعظ ويليه أيضا جماعة من أكابر العلماء .

أما نظام مشيخة الجامع فإنما هو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى أوائل العصر التركى .

ومازال هذا النظام ، نظام المشيخة قائما بالجامع الأزهر إلى يومنا ، حيث يقوم شيخ الأزهر على رياسته الدينية والادارية .

ويمت نظام المشيخة إلى التغيرات التى أحدثها العثمانيون فى الوظائف الدينية الكبرى وقد كان لشيخ الجامع الأزهر وعلمائه نفوذ خاص يستعينه ولاة الأمر كلما اقتضت الظروف والحوادث ، وقد بلغ هذا النفوذ فيما بعد مبلغ الرياسة والزعامة فى أواخر القرن الثالث عشر

الهجرى (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) ولاسيا وقت مقدم الحملة الفرنسية حيث كان لشيوخ الأزهر رأى بارز فى معظم الحوادث والشئون الداخلية .

وإذا كنا لم نوفق إلى العثور على أسماء العلماء الذين تولوا مشيخة الأزهر قبل أوائل القرن الحادى عشر الهجرى لنقص الوقائع والمراجع ، وذلك لأن العصر التركى هو أكثر العصور فى تاريخ مصر الإسلامية غموضا واضطرابا وأقلها وثائق ومراجع فإنا نورد فيما يلى قائمة بأسماء شيوخ الجامع الأزهر من القرن الثانى عشر الهجرى مرتبة ترتيبا زمنيا مع ذكر نبذة صغيرة عمن ترجم له منهم :

شيوخ الأزهر

١ — الشيخ محمد عبد الله الخرشى المالكى توفى سنة ١١٠١ هـ . نسبة إلى بلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة . وكان كريم النفس ورعا زاهدا . وله شرح على متن خليل .

٢ — الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وبقى فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٦ هـ .

٣ — الشيخ محمد النشرتى المالكى : توفى سنة ١١٢٠ هـ .

٤ — الشيخ عبد الباقى القلينى . مالكى : توفى سنة ١١٢٣ هـ .

٥ — الشيخ محمد شنن . مالكى : توفى سنة ١١٣٣ هـ وكان الشيخ شنن هذا أغنى أهل زمانه بين أقرانه .

٦ — الشيخ إبراهيم موسى الفيومى . مالكى : توفى سنة ١١٣٧ هـ وله شرح على العزية فى الفقه فى مجلدين .

وبعد الشيخ الفيومى انتقلت المشيخة إلى الشافعية فتولاها .

٧ ـ الشيخ عبد الله الشبراوى : شافعى . توفى سنة ١١٧١ هجرية وكان محدثا عالما فى أصول الأدب والاحترام ، وصار لأهل العلم فى مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام . ولم يزل يدرس ويملى ويفيد ، حتى صار إماما عظيما وكان مقبول الشفاعة . وهاداه الأمراء وعمّر دارا عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعى ومن آثاره (شرح الصدر فى غزوة بدر) و (مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف) .

٨ ـ الشيخ محمد بن سالم الحفنى الخلواتى : شافعى توفى سنة ١١٨١ ﻫ كان عابدا ومن مؤلفاته حاشية على شرح العضد للسعد .

٩ ـ الشيخ عبد الرؤوف السجينى : نسبة إلى سجين قرية من مديرية الغربية توفى سنة ١١٨٢ ﻫ .

١٠ ـ الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى : نسبة إلى دمنهور توفى سنة ١١٩٢ ﻫ ومن مؤلفاته شرح الجوهر المكنون .

١١ ـ الشيخ أحمد العروسى شافعى : توفى سنة ١٢٠٨ ﻫ .

١٢ ـ الشيخ عبد الله الشرقاوى شافعى : توفى سنة ١٢٢٧ ﻫ .

وكان عهده من أكثر العهود اضرابا وفيه كانت الحملة الفرنسية ، ويعتبر من أعظم الشيوخ الذين تولوا هذا المنصب وهو من الطويلة ، قرية صغيرة جهة العرين من مديرية الشرقية وبعده انقسم الشيوخ . فبعضهم اختار الشيخ المهدى الكبير وكان شيخا بالاسم ، لأنه لم يصدق على مشيخته وسرعان ما خلفه .

١٣ ـ الشيخ محمد الشنوانى ، من شنوان قرية بالمنوفية كان شافعى المذهب ، وكان درسه بالجامع المعروف بالفاكهانى بجوار سكناه بحوش قدم ، وكان مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس . وكان يشمر ثيابه ويخدم نفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل . ولما اختاروه لمشيخة الأزهر هرب إلى مصر العتيقة فأحضروه قهرا عنه وقلدوه المشيخة . ولم يترك ملازمة الجامع الفاكهانى كعادته . وأقبلت عليه الدنيا

فلم يحفل بها وكان يتعلل بالمرض أشهرا ثم انقطع فى داره إلى أن توفى رحمه الله ، وصلى عليه فى الجامع الأزهر فى مشهد رهيب ودفن بتربة المجاورين وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء (الجوقة) فى الليالى ، وله حاشية مشهورة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرية .

١٤ ـ الشيخ محمد العروسى توفى سنة ١٢٤٥ هـ .

١٥ ـ الشيخ أحمد بن على الدمهوجى توفى سنة ١٢٤٦ هـ نسبة إلى دمهوج قرية قرب بنها .

١٦ ـ الشيخ حسن بن محمد العطار : توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

كان أبوه فقيرا عطارا له المام بالعلم وكان يستخدم ابنه هذا فى صغار شئون الدكان ويعلمه البيع والشراء فاختلف إلى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجد فى التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير . ولما دخل الفرنسيون مصر فر إلى الصعيد كجماعة من العلماء ، ولما رجع اتصل بهم فكان يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان يقول «إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف مما ليس فيها وتستفيد مما وصلت إليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق الاستفادة . ثم ارتحل إلى الشام وكان يقول الشعر بدون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء . وله رسائل فى الطب ، والتشريح ، والرمل ، والزابرجة وكان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية .

١٧ ـ الشيخ حسن القويسنى : نسبة إلى قويسنا توفى سنة ١٢٥٤ هـ كان مع انكفاف بصره مهيبا جدا عند الأمراء وغيرهم .

١٨ ـ الشيخ أحمد الصائم السفطى ـ نسبة إلى سفط العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا توفى سنة ١٢٦٣ هـ .

١٩ — الشيخ إبراهيم الباجورى من الباجور — بمديرية المنوفية — توفى سنة ١٢٧٧ هـ كان قويا فى علمه ضعيفا فى إدارته وكان المرحوم عباس باشا الأول يزوره فى درسه . وبعد موته بقى الأزهر مدة بلا شيخ وكان يشرف عليه مجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رياسة الشيخ مصطفى العروسى . وهم : الشيخ العدوى المالكى والشيخ الحلبى الحنفى والشيخ خليفة القاشنى ، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعيان . وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشيخ الباجورى وكثرت حوادث الأزهر ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ تقلد المشيخة .

٢٠ — الشيخ مصطفى العروسى : كأبيه وجده إلى عام ١٢٨٧ هـ ولقد أبطل الشيخ العروسى كثيراً من البدع كالشحاذه بالقرآن وعزم على إدخال الامتحانات بالأزهر ففجأه العزل عن المنصب فنفذها خلفه .

٢١ — الشيخ محمد العباسى المهدى الحنفى : وهذا أول انتقال للمشيخة للحنفية فسار فيها سيرا حسنا ودان له الخاص والعام من أهل الأزهر . وقلت على يده الشرور وكثرت فى عهده المرتبات ، وكان الخديوى اسماعيل يؤيده تأييدا قويا ، وتقهقر وقتا ما أمام الشيخ الامبابى فى فتنة سنة ١٢٩٩ هـ ولكن سرعان ما عاد إلى منصبه وظل فيه إلى ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ فخلفه .

٢٢ — الشيخ محمد الامبابى : كان خصما قويا لكل تجديد ، وفى عام ١٣١٣ هـ ترك منصبه فخلفه .

٢٣ — الشيخ حسونة النواوى الحنفى : وأضيف إليه منصب الافتاء بعد وفاة الشيخ محمد المهدى العباسى المفتى عام ١٣١٥ هـ وأقيل أول عام ١٣١٧ هـ وخلفه ابن عمه .

٢٤ — الشيخ عبد الرحمن النواوى الحنفى : فى عام ١٣١٧ هـ وتوفى بعد شهر من توليته .

٢٥ — الشيخ سليم البشرى المالكى : وظل فيها إلى أن استقال منها فى سنة ١٣٢٠ هـ .

٢٦ — الشيخ السيد على الببلاوى : المالكى ولى المشيخة بعد استقالة الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٣٢٠ هـ وظل فيها إلى أن استقال منها فى أول عام ١٣٢٣ هـ فخلفه .

٢٧ ـ الشيخ عبد الرحمن الشربينى : واستقال سنة ١٣٢٧ هـ فعاد إلى المشيخة .

٢٨ ـ الشيخ حسونة النواوى : للمرة الثانية واستقال فى السنة نفسها فتولاها ثانية .

٢٩ ـ الشيخ سليم البشرى : ولما توفى فى سنة ١٣٣٥ هـ تولاها .

٣٠ ـ الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى : إلى سنة ١٣٤٦ هـ ثم خلفه .

٣١ ـ الشيخ محمد مصطفى المراغى : إلى أن استقال فى سنة ١٣٤٨ وخلفه .

٣٢ ـ الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى : وظل بها إلى أن استقال منها فى عام ١٣٥٤ هـ فعاد إليها .

٣٣ ـ الشيخ محمد مصطفى المراغى : للمرة الثانية وظل فيها إلى أن توفى فى عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٥ م فخلفه .

٣٤ ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق : وظل فيها حتى توفى سنة ١٩٤٧ م وخلفه .

٣٥ ـ الشيخ محمد مأمون الشناوى : فى سنة ١٩٤٨م وظل فيها حتى توفى سنة ١٩٥٠م وخلفه

٣٦ ـ الشيخ عبد المجيد سليم : فى سنة ١٩٥٠ م وأعفى منها فى سنة ١٩٥١ م وخلفه .

٣٧ ـ الشيخ إبراهيم حمروش فى سنة ١٩٥١ م وأعفى منها فى سنة ١٩٥٢ م وخلفه للمرة الثانية .

٣٨ ـ عبد المجيد سليم فى سنة ١٩٥٢ م واستقال منها فى السنة نفسها وخلفه .

٣٩ ـ الشيخ محمد الخضر حسين : فى سنة ١٩٥٢ م واستمر فيها إلى أن استقال منها فى سنة ١٩٥٤ م وخلفه .

٤٠ ـ الشيخ عبد الرحمن تاج : فى سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٨ م وخلفه .

٤١ ـ الشيخ محمد شلتوت : فى سنة ١٩٥٨

٤٢ ـ الشيخ حسن مأمون فى سنة ١٩٥٨ م إلى سنة ١٩٧٠ م

٤٣ ـ الشيخ محمد الفحام فى سنة ١٩٧٠ وحتى الآن

ونلاحظ أن الحنابلة لم يتعين أحد منهم شيخا للأزهر فى تاريخه . وذلك راجع إلى قلتهم وأن النزاع قام على أشده غير مرة بسببها .

هذا وقد أشرنا إلى بعض الإصلاحات التى تمت فى عهود بعض هؤلاء الشيوخ فى الفصل الاتى :

لما قدم المصلح الإسلامى الكبير السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر سنة ١٨٧١ م وأخذ يعقد حلقاته المشهورة ، ويشرح فيها علوم الكلام والفقه والفلسفة والمنطق وغيرها بطريقة عصرية مبتكرة إلتف حوله عدة من نوابغ الطلاب والشيوخ الأزهريين . فكانت هذه الحلقات حدثا فكريا . وكانت عاملا فى تغذية الروح الجديد الذى سرى إلى الحركة الفكرية الإسلامية ، وفى هذه الفترة بالذات ظهرت الآثار الأولى لهذا التطور فى الأزهر . وأصاب الأزهر قسط من الإصلاح وصدر أول قانون نظامى للأزهر سنة ١٢٨٨ هـ – ١٨٧٢ م فى عهد الشيخ محمد المهدى العباسى وقد نظم هذا القانون طريقة الحصول على الشهادة العالمية ، ونصَّ على أن يمنح الناجح من الدرجة الأولى كسوة التشريف العلمية ، وكان هذا القانون أول خطوة عملية فى تنظيم الحياة الدراسية بالجامع الأزهر .

وفى نهاية القرن التاسع عشر بدأت الحكومة فى إصلاح الدراسة بالأزهر فبعد أن كانت الدراسة مقصورة على العلوم الدينية أضيفت إليها مواد أخرى بمقتضى قانون صدر فى سنة ١٣١٤ هـ – ١٨٩٦ م حتى تتمشى مع ركب الحضارة وتساير الزمن ويرجع الفضل فى ذلك إلى الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، فقد عمل على أن تقوم الدراسة بالأزهر على دعائم ثابتة وذلك بأن تخصص الحكومة مرتبات ثابتة للمدرسين كما عمل على إنشاء كثير من المعاهد الدينية التابعة للأزهر بعواصم المديريات .

وفى عام ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م صدر قانون آخر نقل إلى الأزهر جميع المواد التى كانت مقررة فى المدارس الإبتدائية والثانوية وبعض المدارس العليا ما عدا اللغات الأجنبية .

وقد ظل الأزهر لا يدرس هذه اللغات حتى أدخلها الشيخ محمود شلتوت عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) كمادة من المواد الأساسية فى الدراسة .

وقد توالت قوانين الإصلاح فى الأزهر ، فصدر القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ فى عهد المشيخة الثانية للشيخ سليم البشرى ، فانتقل به الأزهر إلى مرحلة أخرى من التنظيم ، إذ نص فيه على اختصاص شيخ الجامع الأزهر ، وأنشئ للجامع مجلس تحت رياسة شيخه يسمى (مجلس الأزهر الأعلى) ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة .

وعندما أنشئت كلية دار العلوم وكذلك الجامعة المصرية ، كان على الأزهر أن يخطو خطوة جديدة حتى يستطيع أن يقف أمام هذه المعاهد المنشأة فصدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ فى عهد الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ينظم الدراسة بالأزهر نظاما جديدا . فقسمت الدراسة به إلى ثلاث مراحل : المرحلة الابتدائية ومدتها أربع سنوات والمرحلة الثانوية ومدتها خمس سنوات والمرحلة الثالثة ومدتها أربع سنوات وتنقسم إلى ثلاث كليات : كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية ، ثم بعد ذلك سنتان للتخصص وللحصول على شهادة العالمية .

ونقل هذا القانون الطلاب من المساجد إلى المبانى النظامية . واستبدل بنظام الحلقات نظام المحاضرات وأصبح يطلق عليها اسم « الجامعة الأزهرية » .

وفى سنة ١٩٣٦ م فى عهد الشيخ محمد مصطفى المراغى صدر قانون اختصر مناهج بعض العلوم الحديثة وجميع المواد المتجانسة بأقسام التخصص بعضها إلى بعض .

وفى عام (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) نقل الشيخ محمود شلتوت معهد القراءات للدراسة داخل الأزهر ، مع إعداد برنامج دراسى خاص فى موضوعات إسلامية تعيد للأزهر طابعا يمتاز به وهو تمكين الناس من طلب العلم . غير مقيدين بزمن ولا منهج ولا امتحان .

وهكذا يظل الأزهر مصدر إشعاع علمى ، سواء فى داخل المسجد أو فى مبانى الكليات والمعاهد أو وفى مدينة البعوث الإسلامية .

ومسايرة لركب الحضارة واستكمالا لرسالة الأزهر أنشئت مدينة الأزهر الجامعية قريبا منه . وقد بنيت طبقا لأحدث ما وصل إليه فن المعمار فى بناء المدن الجامعية وفيها مساكن الطلبة المشتملة على كل وسائل الراحة وزودت بالمكتبات وقاعات المحاضرات والعرض التى تتسع لآلاف الطلبة . وقد أصبحت هذه المدينة بحق رمزا لعظمة الأزهر ورسالته التى يضطلع بها فى أنحاء العالم الإسلامى .

وفى سنة ١٩٦١ م صدر قانون جديد بتنظيم الأزهر وهو القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ولقد صدرت عدة قوانين بتنظيم الأزهر ولكن لم يكن من بينها قانون كهذا القانون تناول الأزهر من جذوره إلى قمته بالتنظيم والتغيير فى أسسه ونظمه وخططه فتناول جمعيات المحافظة على القرآن الكريم وعهد بالإشراف عليها إلى الأزهر وجعل من طلبتها الخلية الأولى لتغذية الأزهر ومعاهده العلمية كما تناول كليات الطب والزراعة والهندسة إلى جانب كليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية والعربية وبذلك جمع بين علوم الدنيا والدين وفتح الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر .

وبهذا التنظيم الجديد لن يكون خريجو الأزهر بعد اليوم رجال دين فحسب « يتخذون منه حرفة ومهنة ويعيشون باسمه ورسمه » بل سيكونون رجال دنيا ودين لهم من ثقافتهم وخبرتهم وكفايتهم ما يهئ لهم فرص العمل فى كل ميدان من ميادين العلم والعمل وفى كل مجال من مجالات الإنتاج فى المجتمع الذى يعيشون فيه بل فى العالم الإسلامى يحققون مطالبه ويلبون حاجاته .

وفى الحق أن هذا القانون يعد بعثا جديدا من شأنه أن يجدد أمجادا لنا سلفت يوم كان من علماء الإسلام الاولين علماء فى الطب وفى العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية وغيرها كما كان منهم أصحاب فن ومهنة يعيشون للدين ويشاركون فى الحياة ويتفاعلون معها .

ومن حسنات هذا القانون أنه قرر إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية ، يشترك فيه علماء المسلمين من كل البلاد الإسلامية فهو جماعة إسلامية عالية تقوم بمناقشة البحوث الإسلامية فى مختلف بلاد المسلمين وتجديد ثقافة الإسلام والدعوة إليه والذود عنه .

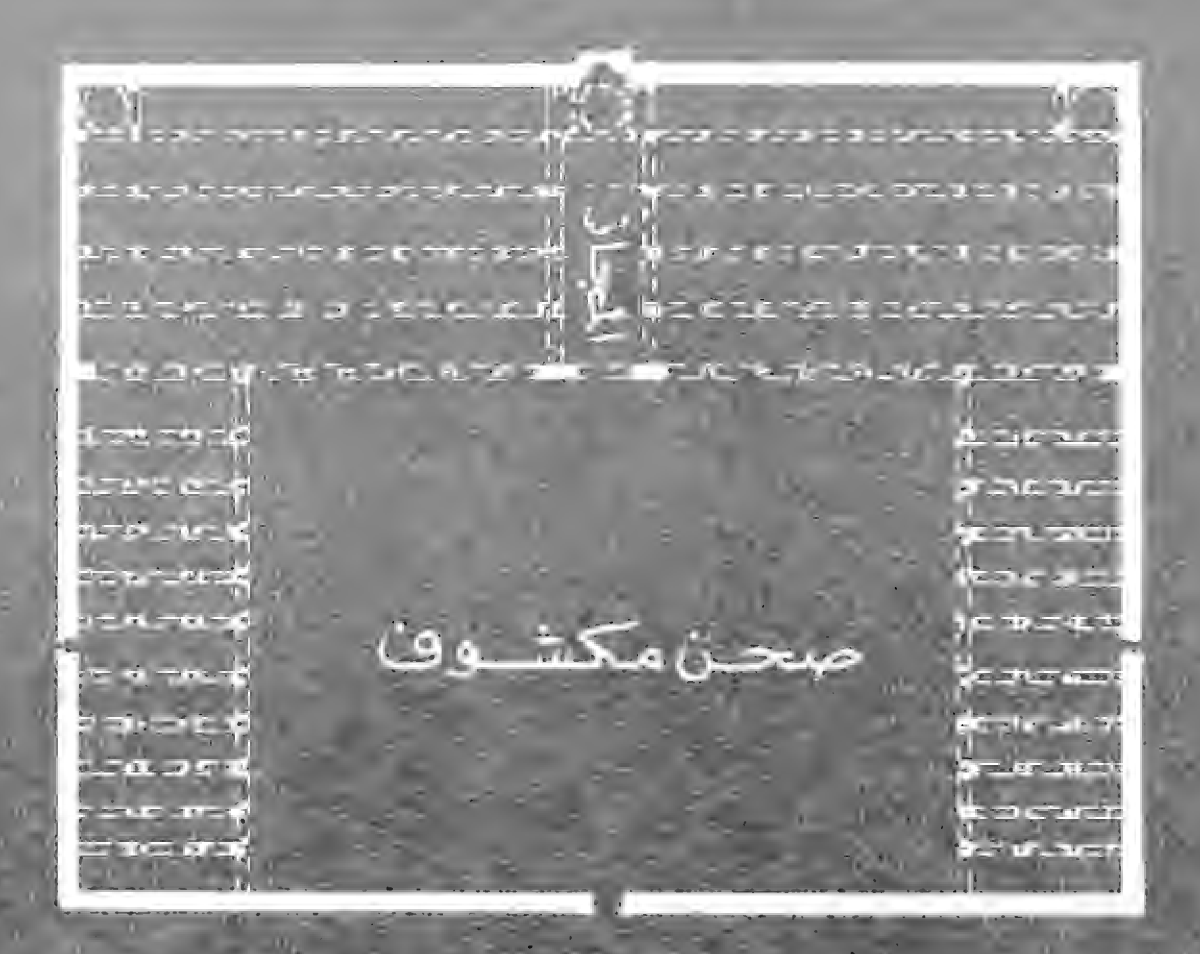
وقد قال عنه فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت رحمة الله عليه أن هذا التنظيم الجديد للأزهر الذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية الفاضلة ، والذى يفتح لأبناء الأزهر أبواب العمل فى جميع نواحى الحياة ويحقق آمال المسلمين فى بقاع الأرض فى معهدهم العتيق ليعتبر الحد الفاصل بين أزهر المعز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر .

* * *

وصف الجامع

إذا كان جامع عمرو بن العاص أول جامع أسس بالفسطاط فالجامع الأزهر أول جامع أسس بالقاهرة ، ولكل منهما زعامته ورسالته ، والجامع الأزهر الذى نراه اليوم ليس هو الجامع الفاطمى وحده الذى وضع أساسه جوهر الصقلى سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م). بل هو مجموعة من الآثارضمت إليه فى أزمنة مختلفة سأشير إليها فى حينها .

كان مسطح الجامع عندما بناه جوهر الصقلى يقرب من نصف مسطحه الحالى ثم ما لبث أن أضيفت إليه بنايات أخرى فى أزمنة متعددة ، حتى وصل إلى الحالة التى هو عليها الآن. وأول ما يقابل الداخل إليه من الناحية البحرية (المواجهة لميدان الأزهر الآن) بابان متجاوران يعرفان ببابى المزينين أنشأهما الأمير عبد الرحمن كتخدا بسنة ١١٧٦ هـ (١٧٥٢ م وهما يؤديان إلى مجاز محصور بين مدرستين أحداهما اليسرى (الشرقية) وتعرف باسم « المدرسة الاقبغاوية نسبة إلى منشئها الأمير (أقبغا عبد الواحد) سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) وتشغلها الآن مكتبة الأزهر . وبهذه المدرسة محراب زينت حنيته ، أى محرابه ، وكوشة العقد الفسيفساء المذهبة والمتعددة الألوان ، ويعد محراب هذه المدرسة من أبدع محاريب القاهرة . والمدرسة الثانية هى « المدرسة الطيبرسية » نسبة إلى منشئها الأمير (طيبرس العلائى) سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩ م) وقد جعلت الآن كملحق للمكتبة وبها محراب مزخرف بالفسيفساء الرخامية والأعمدة الخزفية ذات اللون الرجوازى النادر بطريقة تعتبر آية فى الدقة والابداع . وقد أصلح واجهة هذه المدرسة الأمير عبد الرحمن كتخدا . إلا أنه احتفظ



الجامع الأزهر الفاطمى الأصلى

بشبابيكها المكونة من أشكال هندسية صنعت من النحاس المصبوب الذى لم يستخدم إلا فى بضعة آثار أخرى .

وينتهى المجاز من الناحية القبلية بباب تجاوره مئذنة وكلاهما (الباب والمئذنة) من إنشاء السلطان قايتباى سنة ٨٧٣هـ (١٤٥٨م) وفيها بلغت صناعة الزخرف فى الحجر غاية الإبداع. ومن المرجح أن يكون هذا الباب قد حل محل الباب الأصلى للجامع حين إنشائه ومنه نصل إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل تحيط به الأروقة من ثلاث جهات خمسة منها فى الرواق الشرقى ، وثلاثة فى كل من الرواق القبلى والبحرى، أما الرواق الغربى، فخلو منها، وواجهات الأروقة الأربعة محمولة على عقود ذات زوايا منكسرة . وفى وسط الرواق الشرقى مجاز يتجه عاموديا على المحراب القديم . ويعلو مقدمة هذا المجاز من عند الصحن ، قبة محمولة على أعمدة وأكتاف . وعقود هذا المجاز تعتبر أقدم عقود فى هذا الرواق . وعقود المجاز وسقفه مرتفع عن باقى الرواق(١)، وقد حليت عقوده وواجهاتها بنقوش نباتية جميلة وكتابات كوفية مزهرة . وبأعلى الجدار الأصلى للجامع توجد شبابيك ، القديمة منها ذات عقود مستديرة ، وهى جصية ومفرغة بأشكال هندسية يتخللها زجاج متعدد الألوان . ويحيط بهذه النوافذ إفريز من الخط الكوفى المزخرف بآيات من القرآن الكريم . ومازالت بقايا هذه الشبابيك تحدد الجامع القديم من جهاته الثلاث الشرقية والجنوبية والشمالية. وكان طرفا الرواق الأول ينتهى بقبتين غير موجودتين الآن ، ولكنا استنتجنا وجودهما من قبل من عدة أمور .

أولا – من تصميم جامع الحاكم .

ثانيا – مما جاء فى المقريزى خاصا بهذه القباب .

ثالثا – مما جاء فى حجة وقف الحاكم على المسجد ونصه : « ما قدر لصيانة القباب فوق السطح » .

أما الجزء المرتفع الكائن خلف هذا الإيوان حتى الجدار القبلى الحالى فهو من إنشاء عبد الرحمن كتخدا أيضا ، وهو صاحب المدفن الكائن غربى هذا الجزء داخل باب الصعايدة.

---

(١) تعرف هذه العقود فى الانجليزية باسم (Keel arch) .

كذلك توجد فى الجهة الجنوبية الشرقية للجامع المدرسة الجوهرية التى أنشأها جوهر القنقبابئى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ثم زاوية العميان المنشأة سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) وفى النهاية نجد مدفنا صغيرا .

ويعلو واجهة الجامع الأزهر مئذنة عالية تقع فى اليسار من مئذنة قايتباى تكاد تكون فريدة بين مآذن مصر ، فبدنها العلوى مكون من ستة عشر ضلعا بينما أضلاع باقى المآذن لا تتجاوز الثمانية ، كما أن هذه المئذنة كسيت من الخارج ببلاطات من القيشانى الجميل ، وتنتهى المئذنة برأسين بدل رأس واحد ، ولم يسبقها إلى ذلك سوى منارة مدرسة السلطان أبى النصر جانبلاط التى أنشأها تجاه باب النصر حوال سنة ٩٠٥ هـ (١٥٠٠ م) ثم منارتين اخريين بناهما الأمير قانى باى السيفى أمير اخور سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) أما منارة الأزهر ذات الرأسين فقد بناها السلطان الغورى آخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) .

ومن الأساطير التى يرويها المقريزى عن الأزهر ، أنه كان به طلسم فلا يسكنه عصفور ولا يمام وكذا سائر الطيور ، وهو صور ثلاثة طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فكان منها صورتان فى مقدمة الجامع بالرواق الخامس والصورة الثالثة على أحد العمودين اللذين على يسار سدة المؤذنين .

أما الإصلاحات التى أدخلت على الجامع الأزهر فى العصور المختلفة ففيما يلى بيانها :

إصلاحات العصر الفاطمى

وعلى الرغم من الأعمال الشاذة التى كان يقوم بها الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ابن العزيز بالله ، فانه عنى عناية خاصة بالمساجد والجوامع فقد جدد الأزهر وأوقف عليه وعلى الجامع الحاكمى وغيرهما عدة أوقاف ، كما جعل للجامع الأزهر تنورين وسبعة

وعشرين قنديلا من فضة وشرط أن تعلق فى شهر رمضان وتعاد إلى مكان جرت العادة أن تحفظ به. وقد بقى من عمارة الحاكم بأمر الله للأزهر ، حتى الآن ، باب ذو مصراعين من خشب قرو تركى ، مكون من حشوات مزخرفة بزخارف نباتية وهندسية محفورة حفرا عميقا حتى أنها تبدو وكأنها مفرغة ، ويبلغ ارتفاع الباب ٣٫٢٠ متر ، ويعلو الباب حشوات عليها شريط من الكتابة بالخط الكوفى الزهر ونصه : « مولانا أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه » وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

ومن الخلفاء الذين قاموا بعمارات كبيرة فى الجامع الأزهر الخليفة الآمر بأحكام الله ، فقد أمر أن يعمل محراب له فعمل له محراب من خشب قرو تركى ، أما الحشوات فمن خشب النبق ، وقد زخرف بنقوش نباتية وهندسية غاية فى الدقة والإبداع ، وعلى جانبى تجويف المحراب عمودان رشيقان . ويعلو المحراب لوح مكتوب فيه بالخط االكوفى ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . مما أمر بعمل هذا المحراب المبارك (فى الأصل المبراك) برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة ، مولانا وسيدنا المنصور ابن على الإمام الآمر باحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الامام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الطاهرين بنى الهداة الراشدين وسلم تسليما إلى يوم الدين فى شهور سنة تسع عشرة وخمسمائة الحمد لله وحده » . والمحراب محفوظ بمتحف الفن الإسلامى .

وأول عمارة غيرت من معالم الجامع الأصلى ، حدثت فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، فقد بقى الجامع على حالته حتى تراءى للحافظ أن يزيد فى مساحة الأروقة وذلك فى سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) فلم يجد متسعا سوى الصحن ، فأضاف إليه رواقا يحيط من جهاته الأربع وأقام على رأس المجاز قبة ، وهى التى ما تزال قائمة حتى الآن ، وقد حفلت جوانبها وقبتها بالنقوش الجصية البارزة الجميلة وكذا بالكتابات الكوفية ، وكلها آيات قرآنية من أول سورة يس ، وآية الكرسى وغيرها . ويحيط بالمقرنصات التى ترتكز عليها رقبة

القبة ، شريط من الكتابة الكوفية « بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض ، إلى قوله تعالى : ادعو ربكم تضرعا وخفية » .

كذلك أنشأ الآمر بأحكام الله مقصورة جميلة تجاور الباب الغربى عرفت باسم مقصورة فاطمة . وتروى الأساطير عن بسبب هذه التسمية أن السيدة فاطمة الزهراءرضى الله عنها رؤيت بها فى المنام .

وكان آخر خلفاء الدولة الفاطمية هو العاضد الذى توفى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) . وبموته انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مائتى سنة وثمان سنين وخمسة أشهر .

الأزهر فى العصر الأيوبى

لقد أفل نجم الجامع فى العصر الأيوبى ، فقد حارب صلاح الدين منذ اللحظة الأولى التى استقل فيها بحكم مصر سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) المذهب الشيعى ثم عمل جاهدا على مؤازرة المذهب السنى ، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر عملا بالمذهب الشافعى وهو امتناع خطبتين للجمعة فى بلد واحد ، إكتفاء بإقامتها بجامع الحاكم . وظل الأزهر مهملا مدة مائة عام تقريبا ، إلى أن أعيدت إليه الخطبة فى أيام السلطان الظاهر بيبرس إلبندقدارى لهذا لم يعن بالجامع من الناحية المعمارية ولم تتناوله يد الإصلاح والتعمير فى هذا العصر . واستمرت الحال على ذلك حتى كانت سنة ٦٦٥ هـ حين جدد الأمير عز الدين إيدمر الحلى الأجزاء التى كانت قد تصدعت فى الجامع وكان الدافع المباشر لهذه العمارة ، هو أن الأمير عز الدين كان مجاورا بالسكنى للجامع ، إذ كانت داره مكان المدرسة الإقبغاوية الآن ، فراعي حرمة هذا الجوار ، وانتزع الأرض التى كانت قد اغتصبت من ساحة الأزهر ، كما جمع له كثيرا من التبرعات والأموال كذلك أطلق له السلطان مبلغا كبيراً من المال . ثم شرع الأمير عز الدين فى تجديده ، فعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيضه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه ، حتى عاد للجامع بعض رونقه ودبت فيه الحياة وعاد حرما بعد أن

كاد البلى أن يأتى عليه . كذلك استحدث فيه الأمير عز الدين مقصورة كما أنشأ به الأمير بيلبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على المذهب الشافعى ومحدثا بشرح الأحاديث النبوية ووقف على ذلك الأوقاف الدرارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ومدرسا. وأقيمت فيه الجمعة يومئذ وحضرها الأمراء والكبراء وكان يوما مشهودا وبعد الفراغ من أداء فريضة الجمعة قام الأمير إلى داره ومعه الأمراء والعلماء وعلية القوم ، فقدم لهم ما لذ وطاب من أصناف الطعام ، ثم أخذ من العلماء مخطوطا بجواز الجمعة فيه ، وقد وجد الناس فى ذلك تيسيرا لهم ورفقا بهم لقرب الجامع الأزهر من الحارات والمساكن التى يقيمون فيها ، إذ أنه يتوسط مدينة القاهرة وكانت الخطبة قد انقطعت من الأزهر فى أيام صلاح الدين الأيوبى ، كما قلنا، وأقرت فى الجامع الحاكم. وكان متولى وظيفته قاضى القضاة فى ذلك الوقت صدر الدين عبد الملك ابن درباس ، فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد كما هو المذهب الشافعى ، ولم يزل الجامع الأزهر هكذا معطلا من إقامة الجمعة نحو مائة عام ، فلما استولى الملك الظاهر بيبرس على الملك ، أعيدت فيه الخطبة ، وكان أن تحدث فى إعادتها مع قاضى القضاة ، ابن بنت الأعز فأبى وأصر على رأيه فعزله وولى مكانه قاضيا حنفيا فأذن فى إعادتها .

الأزهـــر فى العصر المملوكى

لقد عنى ملوك وأمراء العصر المملوكى بالجامع الأزهر فاعادوا إليه الخطبة وإقامة صلاة الجمعة ، ثم اهتموا بعمارته وتجديده ، كما أنهم أنشأوا به كثيرا من الإضافات والزيادات نلخصها فيما يلى :

من الأعمال التى قام بها الظاهر بيبرس والتى لا تزال آثارها باقية حتى اليوم منبر لم يبق منه إلا لوحته التذكارية المحفوظة بمتحف الجزائر ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا المنبر المبارك لجامع الأزهر مولانا السلطان الملك الظاهر المجاهد المرابط المؤيد المنصور وركن الدنيا والدين أبى الفتح بيبرس الصالح قسيم أمير المؤمنين بالديار المصرية أعز الله أنصاره ، بتاريخ الثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وستين وستمائة من الهجرة النبوية .

كذلك لا تزال الزخارف الجصية الدقيقة التى أجراها الظاهر بيبرس ، والتى تعلو المحراب القديم ، باقية حتى اليوم ، وكذا الكسوة الخشبية التى كانت تغطى طاقيته بزخارفها .

وفى عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) حدث بمصر زلزال شديد سقطت بسببه أجزاء كثيرة من الجامع الأزهر وكذا من جامع الحاكم وجامع عمرو وغيرها من المساجد بمصر فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع ، فتولى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة جامع الحاكم ، وتولى الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح طلائع وتولى الأمير سلار عمارة الجامع الأزهر فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها .

وفى سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) بنيت المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بالديار المصرية فى دولة الناصر محمد بن قلاوون . ويحكى عنه ، أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا إليه كشفا يبين مقدار ما أنفقه فى بنائها من مال ، فطلب طستا به ماء وغسل أوراق الحساب كلها من غير أن يقف على شئ منها وقال : « شئ خرجنا منا لله لا نحاسب عليه ، وقد أوقف عليها أوقافا جليلة » .

وقد وصفت هذه المدرسة فى الخطط المقريزية بأنها : من المدارس الملحقة بالجامع الأزهر وهى غربية مما يلى الجهة البحرية ، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس وجعلها مسجدا لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء سبيل ترده الدواب ، وتأنق فى رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت فى أبدع زى وأبهج ترتيب وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ ، وكان لها بسط تفرش فى يوم الجمعة وكان لها إمام راتب ، وكان فيها خزانة كتب وخزن كثيرة . ولما توفى سنة ٧١٩ هجرية دفن بالطيبرسية » .

وفى سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) جددها الأمير عبد الرحمن كتخدا ، بعد أن ذهبت كل الأوقاف التى أوقفت عليها ، كما جددت مرة ثانية سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وفى سنة ١٣١٤ هـ اتخذت ملحقا لمكتبة الأزهر ، بعد أن نقلت طلبتها إلى الرواق العباسى .

وفى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) جددت عمارة الأزهر على يد القاضى نجم الدين محمد بن حسين بن على الاسعودى محتسب القاهرة ، وفى سنة ٧٤٠ هـ أنشئت المدرسة الأقبغاوية وهى التى تشغلها الآن جزء من مكتبة الجامع الأزهر، كما سلف القول، وقد بنى هذه المدرسة الأمير علاء الدين أقبغا مقدم المماليك فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ويصف المقريزى[1] هذه المدرسة فى خططه فقال: « إن المدرسة الإقبغاوية بجوار الأزهر على يمنة الداخل إليه من بابه الكبير الغربى (باب المزينين الآن) تجاه المدرسة الطيبرسية. وكان موضعها دار الأمير الكبير إيدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر . كما أنشأ الأمير أقبغا ميضأة للجامع الأزهر وجعل بجوارها قبلة ومنارة ، ويقول المقريزى أيضا أنها : مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادة شئ البتة ، ويفسر سبب ذلك فيقول : إن اقبغا عبد الواحد أقرض ورثة إيدمر الحلى مالا ، وأمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم فى الطلب إلى أن أعطوه دراهم . فهدمها (أى دار الأمير إيدمر الحلى) وبنى موضعها هذه المدرسة فبناها بأنواع من الغصب وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية . ويضيف ابن تغرى[2] بردى فيقول : وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين وجميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يوما فى كل أسبوع بغير أجرة، وجعل عليهم مملوكا من مماليكه . وهنا يعلق المقريزى[3] فيقول . ولم ير الناس أظلم منه ، ولا أعتى منه ، ولا أقسى قلبا منه ، فلقى العمال منه مشقات لا توصف . وحمل إليها (المدرسة) سائر ما تحتاج إليه من خشب وحجر ودهان ورخام من غير أن يدفع ثمنا البتة وأتم بناءها سنة ٧٤٠هـ ورتب لها الخدمة فكان لها إمام راتب ،

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٦٩

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٧٣

(٣) الخطط جـ ٤ ص ٧٦

ومؤذن ، وفراشون وقومة ومباشرون . وكان للمدرسة ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق الفيومية ، والثانى لزقاق الميضة والثالث للباب الرئيسى (باب المزينين الآن) .

أما الآن فيوجد للمدرسة بابان أحدهما يفتح على القبة ، وللقبة باب للدركة أى الردهة التى أمام باب المزينين، وهو مستعمل الآن. والثانى للدركة وهو مغلق الآن. وفى سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦ م) اتخذت هذه المدرسة مكتبة للجامع الأزهر ، ونقلت طلبتها إلى الرواق العباسى .

والباقى من المدرسة القديمة الآن . هو مدخلها ووجهة القبة ومحرابها ومحراب المدرسة والمنارة . وقد أكملت إدارة حفظ الاثار العربية سنة ١٩٤٥ قمة المئذنة . وتدل الأجزاء الباقية من المدرسة على ما كانت تحفل به من النقوش والزخارف البديعة الدقيقة الصنع . وعلى مبلغ ما صرف عليها من أموال ، فقد حفلت محاريبها بالرخام الملون الدقيق الصنع والفسيفاء المذهبة والمتعددة الألوان وقد كتب على باب المدرسة تاريخ البدء فى بنائها بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالى السيفى أقبغا الأوحدى أستادار العالية الملكى الناصرى. وكان ابتداء العمل المبارك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة »

أما تاريخ الإنتهاء منها فوجد مكتوبا بداخل القبة وعلى المئذنة وهو سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)

وفى سنة ٧٦١ هـ (١٣٥٩ م) جددت عمارة الأزهر عندما سكن الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى فى دار الأمير فخر الدين أبان الزاهرى الصالحى النجمى بخط الابارين بجوار الأزهر ، وقد أوحى إليه قربه من الأزهر أن يترك فيه أثرا صالحا وكان يتولى الإشراف عليه (أى الجامع الأزهر) فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون فى عمارته ، فأذن له فى ذلك فبدأ الطواشى عمله بإزالة المقاصير العديدة التى استجدت بالجامع ، كما أخرج الخزائن والصناديق التى وضعت به حتى

ضاق المكان بها وزحمت رحاب الجامع فنزع كل ذلك وتتبع جدران المسجد وسقوفه بالإصلاح حتى عاد إليها رونقها وبدت وكأنها جديدة . كما طلى الجامع بالدهان وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلى حانوتا لسبيل الماء العذب فى كل يوم . وجعل فوق الحانوت مكتبا لتعليم الأيتام قراءة كتاب الله العزيز كما رتب لفقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم .

كذلك قرر فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسهم لإلقاء الفقه فى المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة .

ولما انتهت دولة المماليك البحرية وجاءت بعدها دولة المماليك الجراكسة عمل ملوكها ، كذلك ، منذ البداية على الاهتمام بالجامع الأزهر والعناية بعمارته والأخذ بيد الدارسين به والمشرفين عليه ، مما أدى إلى زيادة إزدهاره وذيوع صيته وعلو شأنه فى أنحاء العالم الإسلامى فى ذلك الوقت .

وكان أول من تولى سلطنة دولة المماليك الجراكسة هو الملك الظاهر أبو سعيد برقوق ، وكان ذلك سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨١ م) وفى هذه السنة تولى الأمير الطواشى بهادر مقدم المماليك ، وكانت وظيفة هامة ، السلطانية ، نظارة الجامع الأزهر ، فنفذ مرسوم السلطان برقوق ، الذى ينص بأن من مات من مجاورى الجامع الأزهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا (ثروة) فإن أملاكه تؤول إلى زملائه من مجاورى الأزهر . وقد نقش نص هذا المرسوم على لوحة من الرخام وضعه عند الباب الغربى الكبير . وقد عثر الأستاذ حسن عبد[1] الوهاب على هذا اللوح الرخامى ، وهو موجود الآن بالجامع الأزهر ، ونصه .

« بسم الله الرحمن الرحيم رسم بالأمر الشريف السلطانى الملكى الظاهر أبو سعيد برقوق عز نصره أن يكون موجود من يتوفى إلى الله تعالى من الفقراء المجاورين وأرباب وظائفه ولم يكن له وارث شرعى يكون لصالح جامع الأزهر بمقتضى العلامة الشريفة بتاريخ سابع شهر ربيع الأول سنة إثنين وتسعين وسبع مائة » .

---

(١) تاريخ المساجد ص ٦٥

وفى سنة ٨٠٠ هـ هدمت مئذنة الأزهر القديمة لأنها كانت قصيرة ولا تتناسب مع ضخامة الجامع واتساعه . وأقام السلطان الظاهر برقوق مئذنة أخرى طويلة ، وقد بلغت جملة ما أنفقه السلطان فى بنائها عشرة آلاف درهم نقره ـ أى فضة نقية ـ وكان يوم تمام بنائها فى شهر ربيع الآخر من السنة نفسها ، فاحتفل بذلك اليوم إحتفالا مشهودا فعلقت القناديل بالمئذنة ، وأوقدت حتى شملها الضوءُ من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان . ولم تزل هذه المئذنة قائمة حتى شوال سنة ٨١٨ هـ ثم هدمت لظهور ميل بها وأقيمت مئذنة أخرى من الحجر .

وقد بنيت المئذنة الجديدة على الباب البحرى (الرئيسى) بعد أن هدم الباب القديم وأعيد بناؤه من الحجر وأقيمت المئذنة فوق عقده . وقد قام بعمارة مئذنة الجامع الأزهر وكذا الباب الأمير تاج الدين الشوبكى وإلى القاهرة ومحتسبها ، على أن هذه المئذنة الجديدة لم تلبث غير قليل حتى مالت وكادت تسقط فهدمت سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) وأعيد بناوءها وكان ذلك فى عهد السلطان الأشرف برسباى ، وفى تلك السنة ابتدئ كذلك فى عمل صهريج للمياه فى وسط الجامع ، وعندما حفر للأساس وجد هناك آثار فسقية قديمة كما وجدت بقايا رفات للموتى .

وقد عمل بأعلى الصهريج قبة على رقبة مرتفعة ، وكان الماء يسيل من تلك القبة أشبه ما يكون بالنافورات التى نراها حديثا . وقد غرس بصحن الجامع أربع شجرات ولكنها لم تفلح وماتت . ويقول المقريزى : إنه لم يكن للجامع ميضأة وقت إنشائه ثم عملت ميضأة فى المكان الذى أقيمت عليه المدرسة الإقبغاوية فيما بعد . ويضيف المقريزى: وأما هذه الميضأة التى بالجامع الآن (أى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى) فإن الأمير بدرالدين جنكل بن البابا هو الذى بناها » .

ومن الحوادث الهامة التى وقعت لأهل الأزهر ولطلبته المجاورين ، فى عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق ، أنه لما تولى الأمير سودوب حاجب الحجاب نظارة الأزهر سنة ٨١٨ هـ ، وكان عدد طلبته يومئذ ٧٥٠ رجلا من عجم وزيالعة ومغاربة وأهل ريف مصر ،

وكان الأزهر يومئذ عامرا بتلاوة القرآن ، وتدريس العلوم الدينية كالفقه والحديث والتفسير والنحو وغيرها من العلوم المدنية كالطب والرياضة والجبر والفلسفة ، هذا إلى جانب مجالس الوعظ والإرشاد . حتى صار الأزهر مقصد أهل العلم وطلابه كما كان يقصده أرباب الأموال للتبرك وكانوا يصلون أهله ويمدونهم بالمال من الذهب والفضة إعانة للمجاورين فيه والمنقطعين إلى عبادة الله تعالى وحدث أن أمر الأمير سودوب ، بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من المبيت به ، وأن يحملوا معهم ما كان لهم من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف ، وقد حل بفقراء المجاورين بلاء شديد ، فقد حدث فى الليلة التى نوى الأمير طردهم فيها أن جاءهم بعد العشاء وهجم عليهم ومعه من الغلمان والأعوان وغوغاء العامة وغيرهم ممن يريد النهب فضربهم ونهب فراشهم وعمائمهم وسلبت نقودهم - فتشتت شملهم وتفرقوا فى القرى والأرياف وأصبحوا فى ذل الحاجة بعد أن كانوا أعزاء مصونين وفى رغد من العيش . وبذلك فقد الأزهر كثيرا من طلابه ، وامتنع كثير من العلماء والفقهاء من الوفود إليه . على أن هذه الحال لم تدم طويلا لأن الله عاجل الأمير سودوب بالإنتقام ، إذ قبض عليه السلطان وسجنه عقابا له علي ما اقترف فى حق الأزهر وأهله من ظلم وطغيان .

وفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) أنشأ الأمير جوهر القنقبائى خازندار الملك الأشرف برسباى ، مدرسة فى الطرف البحرى لجدار الجامع الشرقى عند باب السر للجامع الأزهر . وعلى الرغم من صغر هذه المدرسة فى مساحتها إلا أنها اشتملت على كل تفاصيل المدارس فهى تحتوى على أربعة إيوانات يتوسطها صحن أرضيته من الرخام الملون ، وكذا أرضية الإيوانات . وتمتاز المدرسة الجوهرية بتماثل أجزائها تماثلا تاما ، كما تمتاز بأن نوافذها العليا مغطاة بجص مفرغ خلفه زجاج ملون ، يضفى على المكان جوا شاعريا خلابا عندما تسطع الشمس فى النهار أو عندما يضئ القمر فى الليل . أما أبواب هذه المدرسة ودواليبها الحائطية فقد عنى بنجارتها عناية فائقة فقد حفرت فى أخشابها زخارف نباتية وهندسية وأشرطة كتابية كما طعمت بالعاج والصدف والأبنوس فجاءت تحفة فنية رائعة .

وفى الطرف القبلى الغربى للمدرسة الجوهرية توجد غرفة مربعة صغيرة فرشت أرضيتها بالرخام الملون ، ويعلو الغرفة قبة نقش عليها من الخارج زخارف نباتية جميلة وتعتبر

القبة أصغر قبة فى مصر بعد قبة المدرسة القاصدية . وفى وسط هذه القبة يوجد قبر منشى المدرسة جوهر القنقبائى .

على أن أهم العمارات التى اجريت فى دولة المماليك الجراكسة تلك التى قام بها السلطان قايتباى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨م) فقد هدم الباب الغربى الكبير للجامع وهو الباب القديم الذى اقيمت عليه المئذنة ، وبنى بابا آخر (هو الموجود حاليا) واقام على يمينه مئذنة جميلة ورشيقة . وفى سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) زار السلطان قايتباى الجامع الأزهر وامر بتجديد الاجزاء والحوائط المتداعية فيه وترميمه واصلاحه . كما امر بهدم الخلاوات التى كانت بسطح الجامع وتجديد دورات المياه .

وفى سنة ٩٠٠ هـ استأذن الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى السلطان قايتباى فى اجراء بعض الاصلاحات بالجامع الازهر ، فاذن له فكان من الاصلاحات التى قام بها رستم ، عمل مقصورة خشبيه تحيط بالايوانات الثلاث التى تشرف على الصحن . وقد اثبت هذه الاصلاحات فى لوحة تذكارية مكتوب فيها :

« امر بتجديد هذا الجامع سيدنا ومولانا السلطان الملك الاشرف قايتباى على يد الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود بن الحواجا رستم غفر الله لهم بتاريخ شهر رجب عام احدى وتسعمائة » وقد صرف الخواجا رستم على هذه العمارة من ماله الخاص وبلغ مقدار ما صرفه نحو خمسة عشر الف دينار .

وفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) انشأ الملك الاشرف قايتباى ميضاة بالجامع الأزهر وفسقية وقد استبدلت الفسقية سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) كما انشأ سبيلا ومكتبا على باب الجامع وقد ازيل المكتب فيما بعد . كذلك انشأ قايتباى رواق الشوام ، ورواق الاتراك وجدد رواق المغاربة .

وفى سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩ م) رتب السلطان الملك قانصوة الاشرف الخزيرة[1] بالجامع

---

[1] الخزيرة : عبارة عن عصيدة بلحم

الازهر فى شهر رمضان ولما جاء الملك قنصوة الغورى ضاعف فى مقدار ما يقدم للازهر من انواع الطعام ، فقرر صرف مبلغ ستمائة وسبعين دينارا على مطبخه ، كما قرر صرف مائة قنطار من العسل وخمسمائة اردب قمح .

ومن الاعمال الجليلة التى قام بها السلطان الغورى سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) بناء مئذنة جديدة للجامع الازهر ، وهى مئذنة ضخمة ، وقد جاء وصفها فى ابن اياس «أقام الغورى منارة ضخمة ذات الرأس المزدوجة ، وهى عالية امتازت بتلبيس القاشانى ببدن دورتها الثانية ، كما امتازت بوجود سلمين فيما بين دروتيها الاولى والثانية لا يرى الصاعد فى احداهما الآخر ، وهى احدى النكت فى العمارة الإسلامية » .

الأزهر فى العصر العثمانى

وفى سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ذكر ابن اياس أن السلطان سليم بعد أن تم له فتح مصر دخل الجامع الازهر يوم الجمعة وتصدق هناك بمبلغ كبير من المال ، كما زار الازهر السلطان عبد العزيز . وعلى الرغم مما أصاب الازهر فى العصر العثمانى من التأخر والتدهور فى الناحية الثقافية ، إلا أنهم لم يهملوه من الناحية المعمارية فقد عنوا بصيانته وتجديده كما اهتموا باهله وبالدارسين فيه ، فقد قام الشريف محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) وهو من الباشوات الذين تولوا على مصر من قبل آل عثمان ، بعمارة الجامع وجدد ما تخرب منه ، كما رتب به مقدارا من العدس يطبخ كل يوم للفقراء فتسامع ذوو الحاجة بذلك فأتوا إليه ن كل فج عميق .

وفى سنة ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م) عمّر حسن باشا الدفتردار أحد الباشوات الذين تولوا من قبل السلطان ، الجامع الازهر ، وجدد مقام السادة الحنفية وفرش ارضيته بالبلاط وكان حسن باشا ، حسن السيرة رضى الخلق ، فاتفق أهل مصر على محبته .

كذلك جدد سقف الجامع وكان قد آل إلى السقوط ، اسماعيل بك بن ايواظ بك الذى تولى الإمارة والصنجقية سنة ١١٣٤ هـ . ومن آثاره كذلك انشاء مسجد سيدى الدسوقى وسيدى على المليجى .

وفى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥) بنى الأمير عثمان كتخدا زاوية للعميان خارج الازهر ولكنها هدمت فيما بعد ، كما عمّر رواق الاتراك ورواق السليمانية (الافغانيين) وزاد فى رواق الشوام ، ويقول محب الدين الخطيب وكذا الجبرتى انه رتب للازهر مقررات خيرية .

وفى سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) اهدى الوزير احمد باشا كور والى مصر الجامع مزولتين لا تزالان موجودتين به ، احداهما موضوعة فى الوجهة الغربية للصحن ومكتوب عليها :

مزولة متقنـــة	نظيرهـا لا يوجد
راسها حاسبها	هذا الوزير الامجد
تاريخها اتقنها	وزير مصر احمد

سنة ١١٦٣ هـ

على أن اكبر عمارة أجريت للجامع الازهر فى العصر العثمانى كانت التى قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) فقد زاد فى مساحة الازهر زيادة كبيرة وذلك باضافة الاروقة خلف المحراب . وقد اشتملت هذه الاروقة على خمسين عمودا من الرخام وترتكز على هذه الاعمدة خمسون بائكة معقودة ، وكلها منحوته من الحجر ، اما سقف هذه الاروقة فمن الخشب الجيد ، وقد جددت هذه الاروقة سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) . كما بنى بهذا الجزء محرابا من الرخام الدقيق الصنع وفوقه قبه ، واقام به منبرا خشبيا وعلى يسار المنبر (الآن) لوحة رخامية ثمانية الشكل مكتوب فيها بالخط الكوفى المربع : الله . محمد واسماء العشرة المبشرين بالجنة وقد كانت هذه اللوحة موجودة فى الاصل فى مدفن عبد الرحمن كتخدا الموجود بالازهر . ثم نقلت إلى جوار المحراب . وبجانب هذا المحراب يوجد محراب آخر صغير عرف بمحراب الدردير ، وبالقرب منه محراب انشأئه ادارة حفظ الآثار العربية لتركيب الكسوة الخشبية التى كانت تغطى المحراب القديم .

وفى النهاية القبلية لهذا الايوان ، انشأ عبد الرحمن كتخدا بابا عظيما جهة حارة كتامة المعروف بالدوداری وهو مشهور اليوم باسم باب الصعايدة ، وبنى أعلى هذا الباب حجرة مقامة على اعمدة رخامية معقودة ، وجعل هذه الحجرة مكتبا لتعليم الاطفال لأيتام القرآن الكريم ، وبداخل باب الصعايدة توجد رحبة كبيرة وصهريج عظيم وسقاية لشراب الناس . وبهذه الرحبة عمل عبد الرحمن كتخدا مدفنا له ، وجعل عليه قبة ، وبهذا المدفن كانت توجد اللوحة الرخامية التى تحتوى على أسماء العشرة المبشرين بالجنة والتى نقلت كما قلنا إلى أروقة المسجد ، كذلك نقش على الجانب الشرقى من المدفن : ان عليا كرم الله وجهه كان إذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، إلى أن قال ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم اجود الناس صدرا ، إلى أن قال واكراهم عشيرة لم أر قباله ولا بعده مثله : كما نقش على الجدار القبلى للمدفن بيتان من الشعر :

بروض نعيم فاز كهف مكرم ... وحاز بفضل الخير جنات رضوان

هنيئا له فالحور فى الخد أرخت ... لقد فاق فى الفردوس عبد الرحمن

كذلك نقش على جدران المدفن كتابات اخرى ، ويقال انه لما بنى المكتب والمدفن جعل من المكتب قناة توصل غسيل الواح الأطفال إلى قبره ، وقد سدت تلك القناة عندما جدد المكتب والباب .

وبنى امام مدفنه رواقا خاصا بمجاورى اهل الصعيد المنقطعين للعلم بالازهر وجعل بهذا الرواق مرافق ومنافع ومطبخا ، وخزائن للكتب ومخادع ، كما انشأ بجوار باب الصعايدة مئذنة ، وانشأ بابا آخر فى الطرف الشمالى الشرقى من جدار القبلة جهة مطبخ الجامع وهو المشهور باسم باب الشربة ، واقام بجواره كذلك مئذنة .

ومن اعماله الهامة كذلك بالجامع الازهر تجديد واجهة المدرسة الطيبرسية وقد أبقى بها نوافذها النحاسية وكذا بلاطة مستديرة من القاشانى بها (الملك لله وحده) .

وأنشأ الباب الكبير المعروف (الآن) بباب المزينين الذى يقول عنه الجبرتى : وبهذا الباب ضمت المدرستان الطيبرسية والاقبغاوية إلى الازهر – واقام على يمينه مئذنة وبنى فوق الباب مكتبا (كما فعل فى باب الصعايدة) وبداخل الباب على يمين الداخل انشأ ميضأة وعمل لها ساقية ، وقد جاءت المبانى التى انشأها فى الواجهة الغربية للجامع ، وهى الباب وما بداخله من المدرسة الطيبرسية والاقبغاوية من احسن المبانى من حيث العظم والفخامة وقد ارخ بعضهم ذلك بهذه الابيات :

تبارك الله باب الازهر انفتحا ... وعاد أحسن مما كان وانصلحا

تقرعينا إذا شاهدت بهجته ... باخلاص بان له للعلم والصلحا

وادخل على أدب تلق الهداة به ... قد قرروا حكما يزانها رجحا

بالباب قد بدأ الأكوان أرخه ... بعبد الرحمن باب الازهر انفتحا

والباب محلى بكتابات ونقوش وزخارف قوامها بلاطات من القاشانى نقشت عليها رسوم على شكل شجرة السرو التى ترمز إلى الحياة الخالدة عند الاتراك ، وغير ذلك من الرسوم الدقيقة والجميلة . ومما يسترعى النظر براعة الخطاط فى كتابة :

« الصلاة عماد الدين عجلوا بالصلاة قبل الفوت » .

وفى سنة ١٨٩٦ م هدم الكتاب والمئذنة وفكت مبانى الباب واعيد بناؤه . وكان ذلك عندما اريد توسيع الشارع وعند بناء الرواق العباسى .

كذلك جدد عبد الرحمن كتخدا للمكاويين والتكروريين وزاد فى مرتبات الازهر وفى خبزه . ورتب لمطبخه وخاصة فى شهور رمضان خمسة أرادب من الارز الابيض يوميا وقنطار سمن ورأس جاموس كما رتب له الزيت والوقود للمطبخ وزاد فى طعام المجاورين وامر أن يطبخ لهم الهريسة يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

ولم تكن اعمال كتخذا فى عمارة الازهر واصلاح امره هى كل ما قام به من الاعمال الانشائية الخيرية بل ان له مآثر اخرى كثيرة ، فقد جدد مشهد سيدنا الحسين وهو

المشهد الذى بنى فى العصر الفاطمى (ولم يبق منه الآن إلا الباب المعروف بالباب الاخضر) وانشأ به صهريجا كما زاد فى مرتباته وقد اثبت عبد الرحمن كتخدا تاريخ عمارته على عتب رخامى نصه :

مسجد للحسين اصل المعالى　　لا يضاهيه فى البقاع عـــلاء

فيه فضل الرحمن للعبد نادى　　زُر وأرخ الهنـــا والرضـــاء

كما بنى جامعا للمغاربة وانشأ مكتبا وسبيلا عند بابه . وانشأ مدفنا للست السطوحية وكذا السبيل والمكتب اللذين فى شارع بين القصرين (شارع المعز بالصاغة الآن) كذلك انشأ مسجدا ومنارة وصهريجا ومكتبا تجاه باب الفتوح وبنى جامعا وصهريجا ومكتبا وحوضا عند باب البرقية المعروف الآن بباب الغريب . وجدد المشهد الزينبى ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة سكينة ، الذى هدم سنة ١٣١٩ هـ وجدده مرة اخرى ، وجامع الرباط تجاه عابدين ، وجامع ابى السعود الجارحى ، وجامع الكردى بالحسنية وجامع المطهر بالسكة الجديدة . كذلك اهتم بالمنشآت العمرانية فجدد البيمارستان المنصورى وغيره من المكاتب والاسبلة والاحواض والقناطر والربط والجسور ، حتى سمى بحق صاحب الخيرات والعمائر فى مصر والشام . ولما توفى سنة ١١٩٠ هـ دفن فى مدفنه الذى اعده لنفسه بالازهر ، الذى سبق ذكره .

ويقول محب الدين الخطيب فى كتابه الازهر إنه فى سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) انشئ بالازهر رواق السنارية بناء على طلب محمد وداعه السنارى . وقد بنى الرواق مكان ربع ضم إلى الازهر وجعل اسفله حانوتين وقفا عليه .

وفى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) انشئ رواق لاهل بلد الشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الازهر ، مكان بيوت مملوكة لاصحابها اشتريت واقيم مكانها الرواق المذكور والذى يعرف باسم رواق الحنفية .

وفى سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٠ م) جدد باب الصعايدة الذى اقامه عبد الرحمن كتخدا والمكتب الذى فوقه ، ثم نقش على وجهته من الخارج بالخط الثلث المملوكى المذهب اربعة أبيات من الشعر نصها :

باليمن أقبل باب سعد الازهر	وسمت محاسنه باعجب منظر
وغدا مجازا للحقيقة بالهدى	موصول مورده جميل المصدر
باب شريف للنجاح مجرب	انشاءه نادى بخير الاعصر
فى دولة اسماعيل داور عصرنا	يمن يسر كمال باب الازهر

وفى سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) اقيمت عمارة كبيرة بالازهر ، إذ جدد الإيوان الذى بناه عبد الرحمن كتخدا خلف الايوان الشرقى القديم . كما رمم جزء كبير من الايوان الشرقى القديم . وكذا رواق الصعايدة ورواق الحرمين ، والعقود التى تحيط بصحن الجامع جددت زخارفها مع الابقاء على طرازها الاصلى القديم . وفى سنة ١٨٩٠ م جددت عقود واكتاف الايوان الغربى كما جددت الكتابات الكوفية التى تحيط بعقوده وكذا الزخارف الجصية به ، وعمرت القبة الفاطمية التى تعلو مقدم المجاز .

وفى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٨ م) جددت الواجهة الغربية للجامع بما فيها الباب الغربى الكبير (باب المزينين) وانشئ الرواق العباسى .

* * *

أروقة الأزهر وحاراته

يبلغ عدد أروقة الأزهر التى لا تزال باقية حتى الآن ٢٩ رواقا و ١٤ حارة سنتكلم عن كل منها بايجاز :

الرواق العباسى :

وهو أحدث الاروقة وأكبرها ، بنى فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ومن هنا اخذ اسمه . وكان شيخ الجامع الازهر فى ذلك الوقت الشيخ حسونة النواوى وقد احتفل بافتتاحه فى ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هـ . وكان بناء هذا الرواق على الطراز العثمانى الجميل من حيث تخطيطه ونقوشه واوضاع نوافذه وابوابه وقد انفقت عليه وزارة الاوقاف ستة آلاف وثمانين جنيها مصريا . ويقع الرواق العباسى فى الجهة الغربية للجامع فى حذاء الباب الغربى الكبير ، فهو لذلك يطل على الشارع . ويشتمل الرواق على ثلاث طبقات ، الطبقة الاولى وهى فسيحة وقد اعدت لكى يجتمع فيها مجلس إدارة الازهر وبها محراب جميل غشى بالرخام الملون الجميل ، كما نقشت عليه رسوم نباتية وهندسية بالرخام الملون الجميل. كما نقشت عليه رسوم نباتية وهندسية وبهذه الطبقة مكان للمكتبة وكانت الحفلات الرسمية تقام فى هذه الطبقة وينتهى سقفها بقية تنتهى بانتهاء سقف الجامع ، اما الطبقة الثانية فمقسمة إلى عدة اقسام وقد روعى فيها الناحية الصحية مراعاة تامة ، وهى تشتمل على قاعة للميقاتية بجوار السلم وقاعة اخرى للجندى المكلف بحراسة الازهر ، وبعد ذلك نجد رواقا متعدد الحجرات أعد لطلاب اليمن وحجرة خاصة بطبيب وصيدلى الازهر ،

وكان أول طبيب للازهر هو الدكتور عباس حلمى . كذلك نجد بها رواقا آخر لطلبة الفيومية ، وآخر لطلبة الطيبرسية (الذين نقلوا من المدرسة الطيبرسية بعد أن اتخذت المدرسة مكتبة للجامع الازهر) ورواقا رابعا للبحاروة ، وخامسا لأهل الاسكندرية ، كما نجد بهذه الطبقة دفترخانة الجامع الازهر. والطبقة الثالثة اعد فيها مكان لمفتى الديار المصرية . وأمين الافتاء وكتبة الفتاوى كما تحتوى على رواق مكون من اربع غرف لطلبة الاكراد ولطلبة الاقبغاوية (بعد أن نقلوا من المدرسة الاقبغاوية بعد اتخاذها ملحقا لمكتبة الازهر الموجودة فى المدرسة الطيبوسية) .كذلك يوجد رواق آخر للدكارنة وآخر للهنود وآخر للبغداديين.

رواق الطيبوسية .

جاء فى الخطط المقريزية أن هذه المدرسة من المدارس الملحقة بالازهر أنشأها الأمير علاء الدين طيبرسى (وقد سبق الكلام عليها) وجعلها مسجدا لله تعالى . وقرر بها درسا للفقهاء الشافعية ، وانشأ بجوارها ميضأة وسبيل ماء وحوضا ترد إليه الدواب ، وكان لها بسط تفرش يوم الجمعة وكان لها امام راتب وكان فيها خزانة كتب .

رواق الاقبغاوية .

وهى المدرسة الاقبغاوية ، وقد سبق الكلام عليها ، وقد اتخذت ملحقا لمكتبة الأزهر ولذلك نقل طلابها إلى الرواق العباسى ، كما ذكرنا ذلك .

رواق الاكراد .

ويقع على يمين الداخل من باب المزينين بجوار رواق اليمينية . وكان بالطابق الثانى للرواق مساكن للطلبة ، ازيلت ونقل الطيه إلى الرواق العباسى .

رواق الهنود .

كان يقع إلى يمين الداخل من باب المزينين كذلك ، وكان يتكون من مسكن بالدور الارضى واربعة مساكن بالدور العلوى وقد ازيلت جميعها ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى .

رواق البغداديين .

وكان يوجد بالدور الثانى برواق الهنود وكان يشتمل على مسكنين ومطبخ ودورة مياه وقد نقل طلابه إلى الرواق العباسى .

رواق البرنيــه .

يوجد هذا الرواق فى الرحبة المتقوفة خارج باب الاتراك بين رواق الاتراك ورواق اليمنية ، وهو يشغل الدور الارضى الذى كان يشغله طلبة الاتراك .

رواق اليمنيــة .

كان بجوار رواق البرنيه ، له باب على الرحبة المسقوفة خارج باب الاتراك ، وقد ازيل ، وسكنت طلبته الرواق العباسى .

رواق الجبرت .

ويقع داخل رواق البرنيه وهو أوسع منه وقد هدم وجدد . والجبرت اسم لمدينة بالحبشة.

رواق الأتراك :

انشأه السلطان قايتباى وجدده الامير كتخدا وانشأ به زيادات وكان يحتوى على ستة عشر عمودًا من الرخام ، واثنى عشر مسكنا بالطابق العلوى ، وكان له خزانة كتب عظيمة جامعة ، وكان له مطبخ وبئر وحنفية داخلية ، وقد أوقف على هذا الرواق اوقاف كثيرة يستحقها كل مجاور من وافد من الدوله العثمانيه .

رواق السنارية :

ويقع على يسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الاتراك وكان يحتوى على مساكن فى الطابق العلوى .

رواق المغـــاربة :

ويقع على يمين الداخل من باب المغاربة ، وكان له بابان ؛ باب فى صحن الجامع وباب فى ردهة باب المغاربة ، وكان يشتمل على خمس عشرة بائكة ترتكز عقودها على أعمدة رخامية ، وكان يحتوى على مساكن فى الدور العلوى ، وعلى كتبخانة وكان له مطبخ وبئر وحنفية داخلية ، وكان للرواق بواب وجاب وكاتب مثل رواق الاتراك ، وله أوقاف كثيرة يستحقها كل مجاور مغربى .

رواق السليمانية :

يقع بين باب الشوام ورواق جاوه ، وكان به خمسة مساكن وخزانة كتب كبيرة

رواق جـــاوة :

كان بين رواق السليمانية ورواق الشوام وبه خزانة كتب .

رواق الشوام .

يقع على يمين الداخل من باب الشوام ، انشأه السلطان قايتباى وزاد فيه الامير عثمان كتخدا ثم جدده الامير عبد الرحمن كتخدا حتى صار اكبر من رواق الصعايدة . وكان بالطابق العلوى نحو ثلاثين غرفة لمجاروى الشوام ، وبه خزانة كتب كبيرة وحنفية وبئر . وقد أوقف عليه كل ن الاميرين السابقين أوقافا كثيرة .

رواق الصعايدة .

وهو من أشهر اروقة الأزهر ، ويقع على يمين الداخل من باب الصعايدة ويتكون من إيوان متسع بوسطه عمود من الرخام . وبه مكتبة كبيرة وله مطبخ وحنفية داخلية ويوجد تحت الرواق صهريج كبير يشرب منه أهل الأزهر . ولهذا الرواق شيخ خاص وقد استقرت مشيخه هذا الرواق عدة قرون فى المشايخ العدوية ولهذا الرواق أوقاف كثيرة وقد سبق أن ذكرنا ن عبد الرحمن كتخدا هو الذى انشأ هذا الرواق .

رواق الحرمين .

ويقع إلى يمين المنبر القريب من باب الصعايدة ويشتمل على قاعة بالدور الأرضى وثلاث حجرات بالدور العلوى . ويسكن هذا الرواق أهل مكة والمدينة والطائف وغيرها من بلاد الحجاز . وقد انشأه عبد الرحمن كتخدا

رواق البرابرة .

وهو عبارة عن مخزن ودواليب يحفظ فيها الطلبة أشياءهم وكتبهم . ويقع على شمال الداخل من باب الشربة

رواق دكارنة سليح .

وهو يشبه رواق البرابرة إذ انه مجرد مخزن به دواليب لحفظ أشياء الطلبة وكتبهم ويقع بجوار رواق الشراقوة وقد نقلت طلبته إلى الرواق العباسى

رواق الشراقوة :

يقع فى النهاية البحرية من الإيوان القديم وقد أنشأه الوالى ابراهيم بك سنة ١٢٢٥ هـ تلبية لرغبة شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوى . ويقال إن الشيخ الشرقاوى وسّط امرأة عمياء فقيهه تحضر عنده فى درسه . فى مقابلة الست عديلة هانم ابنة ابراهيم بك . وزوجة ابراهيم بك الوالى رجاء أن تكلم زوجها فى أمر انشاء رواق خاص بطائفة ابناء الشرقية . فأجاب ابراهيم بك هذا الرجاء وانشأ رواق الشراقوة وكان المجاورن من الشراقوة يسكنون بمدرسة الطيبرسية ورواق معمر فلما تشاجروا مع أهل الطيبرسية منعهم شيخها من الدخول ، فكان ذلك من الأسباب المباشرة فى إنشاء رواقهم

رواق الجوهرية :

وهو المدرسة الملحقة بالازهر ، وسبق الكلام عليها ، وهى تقع نجاه زاوية العميان وهى مدرسة صغيرة من حيث المساحة ، وليس بها عمد بل تشتمل على ايوائين متقابلين

وبينهما فسحة صغيرة مفروسة بالرخام الملون محكم الصنع ، وفى الايوان الشرقى يوجد محراب نقش على عقده شريط من الخط لثلث المملوكى الجميل ، « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت إذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » وبالدور العلوى توجد خلوتان ، وبالمدرسة كثير من الدواليب الحائطية وهذه الدواليب من خشب الساج المزخرف بطريقة الحشوات المجمعه قد حفر داخل الحشوات زخارف نباتية غاية فى الدقة والابداع ثم طعمت بالصدف والعاج والابنوس فجاءت تحفا فنية رائعة . وهذه الدواليب الحائطية التى كثر استعمالها فى بيوت مصر طوال العصور الوسطى قد اصبحت الآن من احدث ما وصل إليه فن المعمار فى توفير مساحة المكان وفى تقليل قطع الأثاث التى تشغل حيزا من فراغ الغرف وكان يشغل ويشغل المدرسة الجوهرية إلى عهد قريب معلمو الخطوط العربية وكذا يدرس بها بعض العلماء . وقد أنشأ هذه المدرسة جوهر القنقبائى الجركسى الطواشى الحبشى الخازندار الزمام بالباب السلطانى . وقد بناها عند باب السر للجامع الازهر وفتح لها شباكا فى جدار الجامع وقد افتاه بذلك جماعة من العلماء ولكن الشيخ العينى امتنع عن الافتاء ولما مات منشئها دفن بها سنة ٨٤٤ هـ

رواق زاوية العميان

ويقع خارج المدرسة الجوهرية ويفصل بينهما حارة كما يصل وبينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضيئها . وتحتوى الزاوية على اربعة أعمدة من الرخام ولها قبلة ومبيضأة وثلاثة عشر مرحاضا . وبالدور العلوى توجد ثلاث غرف لا يسكنها غير العميان . ولهذه الزاوية شيخ يشترط فيه ان يكون ضريرا ، ولطلبة الزاوية وشيخها مرتبات ثابتة تصرف لهم ، ومنشئ هذه الزاوية هو الامير عثمان كتخدا ، صاحب السبيل والمسجد بجهة الازبكية .

رواق الحنابلة

ويقع بجوار زاوية العميان وقد انشأه عثمان كتخدا منشئ زاوية العميان ، ويحتوى الرواق على ثلاثة مساكن بالدور العلوى ، جدده الامير راتب باشا سنة ١٢١٧ هـ وأجرى على أهله مرتبات كبيرة

رواق معمـــر

اخذ هذا الرواق اسمه من ابن معمر ، ويقع الرواق عن يمين الداخل إلى دورة مياه الأزهر العمومية ، وهو رواق مشهور لكثرة من يأوى إليه إذ أنه لا يخص طائفة بعينها على خلاف غيره من الاروقة .

رواق الفشنية

كان يقع بين رواق الحنفية ودورة مياه الازهر وقد ازيل ولم يبق منه سوى خزن ودواليب لحفظ اشياء المجاورين .

رواق الحنفيـــة

يقع بين رواق الفشنية والشنوانية ، وكان لهذا الرواق باب فى صحن الجامع يدخل منه إلى سرداب طويل ضيق ، وقد أخذ هذا السرداب من رواق الفشنية بعد أن عوض أهله عنه . وقد أزيل السرداب كما أزيل غيره من الأروقة المجاورة له واصبحت محرد مخازن لحفظ أمتعة المجاورين. انشأ هذا الرواق الأمير راتب باشا سنة ١٢٧٩ هـ ، وكان موضعه بيوتا مملوكة لاصحابها ، اشتريت وهدمت ، وبنى مكانها رواق لأهل بلد الشيخ الباجورى شيخ الجامع الازهر فى ذلك الوقت . وقد أكمل بناء الرواق راتب باشا من ماله الخاص وجعله رواقا للحنفية . وهو رواق متسع يحتوى على أربعة أعمدة من الرخام وبه كثير من الدواليب الحائطية لحفظ أمتعة مجاوريه . وبالطابق العلوى توجد ثلاث عشرة غرفة للمتازين من مجاوريه وبه خزانة كتب جامعة عين لها قيم (أمين). وكان للرواق باب ينفذ إلى الميضأة العامة فلما انشئ للرواق حنفية للوضوء سد ذلك الباب . وقد أوقف راتب باشا على هذا الرواق أوقافا عظيمة وجعل النظر عليه لمفتى الديار المصرية من المذهب الحنفى. ولما تولى الافتاء الامام الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٧ هـ ، زاد فى مرتبات أهله ، ورفع من مستواهم الثقافى ، فشكل لجنة لامتحان من يريد الإنتقال من درجة إلى اخرى أعلى منها .

رواق الشنوانية

ويقع فى الركن الشرق من صحن الجامع بجوار رواق الفيومية وهو الآن مجرد مخزن ودواليب لخزن أمتعة مجاوريه .

رواق الفيومية

وهو يقع كذلك فى الركن الشرقى من صحن الجامع بجوار زاوية البحاروة ، ولم يبق منه سوى مخزن لأشياء المجاورين ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى .

رواق البحـــاروة

وهو خاص بمجاورى أهل البحيرة ، لا يشاركهم فيه غيرهم وللرواق شيخ ونقيب وقد خصص لمجاورى الرواق وشيخه ونقيبه مرتبات ثابتة . وقد أزيل الرواق الآن ولم يبق منه سوى المخزن والدواليب لحفظ أمتعة المجاورين . ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى .

حارات الأزهر وميضاته

ويبلغ عدد حارات الازهر ثلاث عشرة حارة هى : حارة البيجومية ، حارة العفيفى ، حارة الزراقنة ، حارة البشاشة ، حارة السليمانية ، حارة الجيزاوية ، حارة الدكة والمنبر ، حارة الممشى ، حارة النفاورة، حارة الزهار، حارة الواطية، حارة الشنوانية ، حارة المناصرة .

وكان لكل حارة شيخ ونقيب وخزان ومجاورون ، وكان لكل من هؤلاء مرتبات ثابتة كالاروقة .

وكان بالازهر ستة حمامات بها مغاطس ، وثلاث ميضات ، الاولى الميضأة الكبيرة وقد أبدلت فسقيتها بحنفيات ، والثانية ميضأة الطيبرسية ، وقد اندرست معالمها والثالثة ميضأة زاوية العميان . كذلك كان يوجد بالازهر ستة صهاريج للمياه أربعة فى صحن

الجامع والخامس فى رواق الصعايدة وهو صهريج كبير يشغل المساحة أسفل الرواق والدركاه وجزءا من الإيوان . وقد انشأها عبد الرحمن كتخدا .

أما الصهريج السادس فكان تجاه باب المغاربة . على يسار الداخل إلى درب الاتراك ، وكان عدد مراحيض الأزهر اربعة وثلاثين مرحاضا .

وكان من تقاليد الأزهر ان يجدد فرشه من الحصر كل سنة مرة ومنذ أوائل القرن العشرين صار يجدد فرشه كل ستة أشهر ، وكان أول من استن هذه السنة الحسنة هو الشيخ النواوى شيخ الجامع الأزهر ، فقد فرش المسجد بحصر جيد من السمار .

محاريب الأزهر

ويوجد بالأزهر ثلاثة عشر محرابا وذلك بالإضافة إلى المحاريب الموجودة بالمدارس الملحقة بالجامع ، ومن هذه المحاريب اثنان فى إيوان القبلة الجديد الذى أضافه عبد الرحمن كتخدا ، الكبير منهما يصلى فيه امام الجامع الصلوات الخمس وهو مالكى المذهب وأمام المحراب توجد ستة أعمدة ترتكز عليها قبة تغطى المحراب . والمحراب الثانى وهو صغير ويوجد إلى شمال المنبر وبه كثير من النقوش والزخارف ، ويعرف بقبلة الشيخ الدردير . وفى إيوان القبلة القديم يوجد محراب واحد وهو المحراب الأصلى القديم ، وعنده ينتهى المجاز الذى يبد من صحن الجامع ويقسم أروقة إيوان القبلة إلى قسمين متساويين ويكون عموديا على القبلة ، كما يمتاز بعلو شقفه على سقف الأروقة الجانبية ويعرف بالمحراب القديم . ويقوم بالصلاة فيه إمام آخر للجامع وهو شافعى المذهب . وكان يوجد إلى عهد قريب عن يمين هذا المحراب صندوق موضوع على رف يقال إن به قطعة من خشب سفينة نوح وقطعة من جلد بقرة بنى اسرائيل . ويروى أهل الأزهر عن هذه المخلفات كثيرا من القصص والأساطير . وكان يوجد بهذا الإيوان القديم كذلك قبلة بالقرب من باب الشوام كانت تعرف بقبلة الشيخ الباجورى شيخ الجامع الأزهر وذلك لأنه كان يكثر الصلاة عندها .

وبالقرب من رواق الشراقوة قبلة صغيرة من الخشب تعرف بقبلة الخطيب الشربينى ويحيط بها كتابة بالخط النسخى تبين انها ترجع إلى سنة ٦٢٧ هـ . وكان يوجد بصحن الجامع أربعة محاريب صغيرة . أحدها يلى رواق معمر وقد نقش عليه اسم مجدده . « جدد هذا المحراب السعيد على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الخواجة مصطفى بن الخواجة محمود بن جلبى غفر الله له وللمسلمين » . ويكتنف باب المجاز بايوان القبلة محرابان نقش على أحدهما بالخط الكوفى « لا إله الا الله محمد رسول الله » وبالقرب من الباب الثانى لايوان القبلة يوجد محراب مكتوب عليه « أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا ومولانا الامام الاعظم والملك الاكرم السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباى » . وكان فى رواق الاتراك محراب صغير مغشى كله ببلاطات القاشانى ، وقد أزيل القاشانى الآن .

صحن الأزهر ومآذنه

يتكون صحن الجامع من مستطيل تحيط به البوائك من جهاته الاربع وكانت أرضيه، مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى المنحوت . وتحت هذا الحجر توجد اربعة صهاريج كبيرة للماء العذب ، ولهذه الصهاريج فوهات من الرخام ناتئة عن سطح الأرض بما يقرب من متر ، مما يضفى على الصحن منظرا جميلا . وكان المجاورون يجلسون فى الصحن فى فصل الشتاء للمطالعة والتمتع بحرارة الشمس ويبيتون فيه فى فصل الصيف للاستمتاع بالهواء العليل

وكان بالازهر ست مآذن ، منها مئذنة خارج باب المزينين وعلى يمين الداخل إلى الجامع وهى من انشاء عبد الرحمن كتخدا ، وكان يتوصل اليها من باب الميضأة الصغيرة القريبة من المدرسة الطيبرسية وقد ازيلت وكذا الميضأة وبنى مكانهما الرواق العباسى وإدارة الأزهر .

وهناك ثلاث مآذن تطل على صحن الجامع ، أحداها مئذنة المدرسة الاقبغاوية وهى أول مئذنة عملت فى مصر من الحجر المنحوت بعد المدرسة المنصورية وكانت المآذن قبل ذلك تبنى من الآجر ، وقد أنشأ هذه المئذنة الأمير علاء الدين اقبغا عند بنائه

المدرسة . والمدرسة الثانية تقع على يمين الداخل وهى التى انشأها السلطان الاشرف قايتباى ، والثالثة تلى مئذنة قايتباى وقد أنشأها السلطان الغورى وهى أعلى منارات الأزهر وأعظمها ، ويصعد إلى المئذنتين الأخيرتين من باب صغير فى صحن الجامع يصل إلى سطح الرواق الغربى ولكل من المئذنتين باب خاص .

وفى الضلع الشرقى للجامع توجد مئذنتان أحداهما عند الطرف الجنوبى الشرقى ويتوصل إليها من رواق الصعايدة ، والثانية عند الطرف الشمالى الشرقى يتوصل إليها من باب الشوربة ، وهما من انشاء عبد الرحمن كتخدا

ومن التقاليد المرعية بالجامع الأزهر أن يكون المؤذن ضريرا ، محافظة على عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر ، وكان لكل مئذنة خلوة ينتظر فيها المؤذن حتى يحين موعد الآذان ، وكان المؤذن لا يؤدى الأذان إلا بعد التبين الميقاتى الذى كان يستدل عليه من سبع مزاول موجودة بالجامع الأزهر ، اربع منها بالصحن لمعرفة وقت الظهيرة وثلاث جهة رواق معمر لمعرفة وقت العصر . وقد اندثرت هذه المزاول ولم يبق منها غير مزاولة على يمين الداخل من باب المزينين واخرى مهملة على السطح . وهما من عمل احمد باشا كور متولى مصر سنة ١١٦١ ﻫ وقد نقش عليها هذه الأبيات :

مزولـة متقنـــة نظيرها لا يوجـد
راسمها حاسبهـــا هذا الوزير الأمجد
تاريخهـــا اتقنهـــا وزير مصر أحمد

أبواب الأزهر

للجامع الأزهر تسعة أبواب ، أهمها الباب الرئيسى المعروف بباب المزينين وهو يتكون من بابين لكل منهما مصرعان ، والسبب فى تسميته بهذا الاسم هو أن المزينين كانوا يجلسون فى الممر الموجود بين المدرسة الطيبرسية والأقبغاوية والذى يفصل بين الباب الخارجى والباب الأصلى القديم . ويحلقون رؤوس المجاورين . وقد انشأ عبد الرحمن كتخدا باب المزينين ، وقد نقش عليه بماء الذهب تاريخ انشائه فى هذه الأبيات :

إن للعلم أزهـــرا يتسامى — كسماء ما طاولتها سماء

حيث وفاه ذا البناء ولولا — سنة الله ماتسامى البنــاء

رب ان الهدى هداك وآيا — تك نور تهدى به من تشاء

مذ تناهى أرخت باب علوم — وفخار به يجاب الدعــاء

١٤٦٥

٨٨٧ ٧ ١٦ ١٠٦ — ١١٦٧ هـ

أما الباب الأصلى للجامع وهو المواجه للداخل ممايلى الصحن فقد جدده السلطان الأشرف قايتباى ، وقد نقش عليه اسم منشئه وتاريخ انشائه .

بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذا الباب والمئذنة الشريف مولانا السلطان الأشرف

قايتباى بتاريخ شهر رجب ثلاثة منه سنة ٨٨٨ هـ وفوق هذه الكتابة نقش « لا اله الا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب » بخط ثلث مملوكى جميل وفوق هذا النص نجد نصا آخر « وانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .

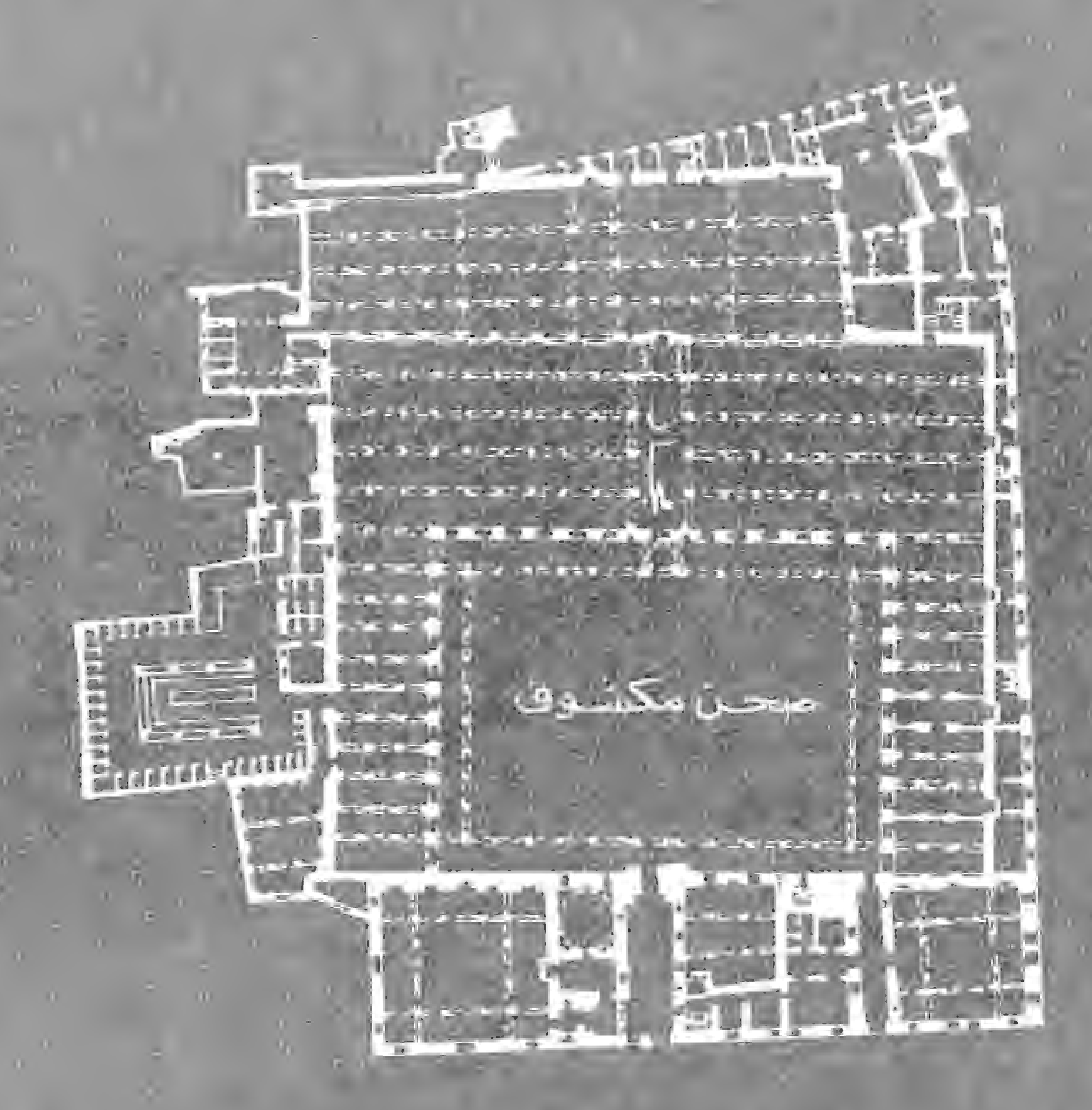
والباب الثانى هو الباب العباسى وهو كذلك فى الواجهة الغربية للجامع وقد أقامته وزارة الأوقاف عندما انشأت الرواق العباسى وهو باب ضخم شاهق الإرتفاع نقش على واجهته الحجرية من الخارج هذه الأبيات التى تبين تاريخ انشائه :

للأزهر المعمور باب مواهب ظهر الفتوح به لكل الناس
فأتى السعود يقول فى تاريخه بشر خديونا بباب عباس

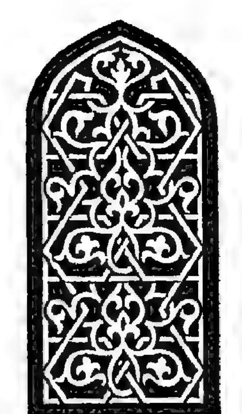
كما نقش عليه بماء الذهب كثير من الآيات القرآنية والجمل الدعائية .

والباب الثالث هو باب المغاربة ، وهو تجاه درب الاتراك ويتوصل منه إلى صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة ورواق السنارية والاتراك ، ويعرف الباب الرابع باسم باب الشوام ، وهو فى الضلع الجنوبى للجامع ، فى مواجهة وكالة قايتباى ويتوصل منه إلى ايوان القبلة القديم . وباب الصعايدة وهو فى الضلع الجنوبى للجامع كذلك يطل على حارة الباطلية ، ويتكون من بابين على غرار باب المزينين وذلك لأن منشئهما هو عبد الرحمن كتخدا ومنه يتوصل إلى إيوان القبلة الجديد الذى انشأه كتخدا . والباب السادس يعرف باسم باب الحرمين وهو يسلك من رواق الحرمين وهو مغلق دائما وانشأه كتخدا . اما باب الشوربة فأنه يقع فى الطرف الشمالى الشرقى لحائط القبلة وهو يوصل إلى إيوان القبلة الجديد وقد عرف بهذا الاسم لقربه من مطبخ الشوربة الذى كان يطبخ فيه الارز فى شهر رمضان ويوزع على فقراء الجامع

وباب الجوهرية وهو باب صغير يقع فى الضع الشمالى للجامع وهو يوصل إلى ايوان القبلة الجديد بعد المرور بالمدرسة الجوهرية ، ويطل على شارع الشنوانى امام مسجد العدوى ميدان سيدنا الحسين الآن وقد انشأه جوهر القنقبائى . أما الباب التاسع ويعرف بباب الميضأة وهو يوصل إلى ميضأة الجامع



جامع الأزهر الآن



جامع الحاكم بأمر الله

ينسب جامع الحاكم إلى الخليفة الفاطمى الثالث الحاكم بأمر الله ، لأنه هو الذى أتم بناوءه أما منشئه الأول فهو العزيز بالله والد الحاكم . والعزيز بالله هو ابن المعز لدين الله ، ولد بالمغرب وأمضى بها عهد الصبا والشباب المبكر ، ثم شارك أباه فى تحمل مسئوليات الدولة وأعبائها .

وكان شغل العزيز لدين الله الشاغل فى ذلك الحين هو النجاح فيما يحققه أسلافه وأجداده . وهو فتح مصر تمهيدا لمد النفوذ الفاطمى إلى الجزيرة العربية وبلاد الشام حتى حتى تحل الدولة الفاطمية مكان الدولة العباسية التى دب فيها الضعف والاضمحلال .

تتبع العزيز بالله أمر فتح مصر منذ مولده وساهم فيه حتى كتب له النجاح ، فخرج العزيز بالله مع أبيه الخليفة المعز إلى الله مصر التى استقر فيها مع أبيه بحيث لم يمض عامان على قدومة اليها حتى تولى فيها الخلافة الفاطمية وأصبحت الدولة الفاطمية فى عهده امبراطورية كبرى.

رحب المصريون بقدوم المعز وولى عهده العزيز ، فقد كان تغيير الحكم فى مصر عاملا على تحسين احوالهم الداخلية ، إذ أن المصريين قد وصلوا تحت حكم الدولة العباسية إلى درجة كبيرة من البؤس والعناء ، لذا أبدى المصريون رضاءهم لقيام الدولة الفاطمية فى مصر ، ورضوا بالعهد الذى قطعه لهم جوهر الصقلى الذى أمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم ووقايتهم من غارات القرامطة الذين طالما تعدوا على حجاج مصر .

وبعد أن انتهى جوهر الصقلى من فتح مصر ، بدأ فى انشاء حاضرة جديدة للخلافة الفاطميه تحل مكان الفسطاط والعسكر والقطائع . فوضع أساس العاصمة الجديدة فى ليلة ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ وسماها (المنصورية) تخليدا لذكرى المنصور والد المعز ، وظلت تحتفظ بهذا الاسم حتى قدم المعز بعد أربع سنوات فسمى عاصمته القاهرة[1] .

توفى المعز لدين الله فى شهر ربيع الثانى سنة ٣٦٥ بعد أن حكم اربعا وعشرين سنة منها سنتان فى مصر وبعد أن عهد لابنه العزيز بالله بالخلافة من بعده .

تولى العزيز بالله الخلافة فى شهر ربيع الثانى سنة ٣٦٥ هـ ، وهو فى الثانية والعشرين من عمره وهو خليفة شاب فى دولة فتية ، ولذا أصبح عهده العصر الذهبى للدولة الفاطمية .

يجمع المؤرخون على امتداح العزيز بالله ، فى اخلاقه وعقله ، وسياسته وتسامحه ويعتبرونه آخر الخلفاء الفاطميه الأقوياء العظماء . فقد أصبحت الدولة الفاطمية فى عهد العزيز امبراطورية عظمى واستقرت الأحوال الداخلية ، فلم تقم ثورات داخلية وأصبحت الدولة الفاطمية موضع احترام وهيبة من جميع دول العالم .

يجمع المؤرخون على أن عصر الخليفة العزيز بالله كان أكثر العصور التاريخية فى مصر تسامحا فقد أطلق الحرية فى المسائل الدينية والسياسية ، إد اعتمد على كثير من أهل الذمة واتخذ اطباءه منهم .

وإلى جانب سياسة التسامح الدينى التى انتهجها العزيز بالله ، نرى تسامحا عنصريا ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيـان جـ ٢ ص ١٢٤

فلم يفرق العزيز فى المعاملة بين العناصر المختلفة التى كانت تقيم فى مصر وفى سائر أقاليم الدولة الفاطمية ، بل عمل على حفظ التوازن بينها وجنبها الصراع العنصرى أو الطبقى حتى تعيش هذه العناصر كلها فى مجتمع واحد متماسك .

فكان جيش العزيز بالله يتألف من جنود من عناصر مختلفة منهم العرب وقبائل المغرب من البربر ، ومن الصقالية ، ومن الاتراك والديلم . ولم يكن العزيز بالله بقادر على أن يهمل المغاربة ، التى قامت الدولة الدولة الفاطمية فى المغرب على كواهلهم بالإضافة إلى أنهم يعتنقون المذهب الفاطمى الذى قامت على أساسه الدولة . ومن القبائل المغربية المذكورة قبيلتا كتامة وزويله كما اعتمد العزيز على الاتراك إذ عهد إلى برجوان بتربية وتثقيف ابنه وولى عهده الحاكم بأمر الله ، وولى بعضهم المناصب الإدارية .

عنى العزيز بالله بتحقيق رفاهية الشعب المصرى فقام باصلاحات كثيرة وعنى بالناحية الإدارية عناية فائقة وحرص على دعوة المصريين إلى الولائم التى كان يقيمها فى قصوره فى جميع المناسبات الدينية والقومية ، كما اهتم بالاعياد التى اعتاد المصريون احياءها وخاصة الاحتفال بوفاء النيل الذى كان من أبهر الاحتفالات الفاطمية . وحرص العزيز بالله على تنفيذ ما تعهد به جوهر الصقلى للمصريين عند فتحه مصر ، وأمر الخليفة بأن يسكن المغاربة بأطراف القاهرة ونهاهم عن مضايقة المصريين .

ظهرت المذاهب الاسلامية السنية بمصر وبرغم من أن مذهب الإمام أبى حنيفة هو أقدم المذاهب إلا أن مذهب مالك هو الذى دخل مصر أولا وانتشر بها ، وظل الحال كذلك إلى أن قدم مصر الامام أبو عبيد الله محمد بن ادريس الشافعى سنة ١٩٨ هـ واعلن مذهبه الجديد بها وجعله يلائم الحياة المصرية فانضوى تحت لوائه الكثير من المصريين ونبغ من المصريين كثير فى فقه المالكية والشافعية

كان المذهب الشيعى هو الاساس الذى قامت عليه الدولة الفاطمية ، ولذا عمل الخلفاء الفاطميون على نشر مذهبهم بين المصريين ، ولما كانت المذاهب الدينية لا تفرض بالقوة او بحد السيف بل بالإقناع والترغيب ، فقد عمل الخلفاء الفاطميون على تشجيع المصريين

واغرائهم على اعتناق المذهب[1] الشيعى وذلك بتقليد الشيعيين منهم المناصب الكبرى وخاصة القضاء ، كما جعل الخليفة العزيز بالله مراكز كثيره لنشر الدعوة الشيعية منها الجامع الأزهر وجامع أحمد بن طولون وجامع عمرو بن العاص ، وكانت رياسة هؤلاء الدعاة لرجل يسمى (داعى الدعاة) يعاونه أثنا عشر نقيبا ونواب فى سائر المدن المصرية وأصبح القضاة يصدرون احكامهم وفق المذهب الشيعى .

أجمع المؤرخون الأقدمون والمحدثون على امتداح الخليفة العزيز بالله ، فلم يعرف عنه انه شرب الخمر ، أو مارس ما كان يمارسه بعض الخلفاء من عبث أو مجون ، بل انصرف إلى شئون دولته والإهتمام برعاياه وجمع حوله طائفة من العلماء والفقهاء والشعراء وقد وصف المؤرخ ابن الأثير الخليفة العزيز بالله فقال إنه كان أسمر اللون طويلا ، أصهب الشعر ، أزرق العينين كبيرهما ، عريض المنكبين ، عارفا بالخيل والجواهر[2] .

سار الفاطميون على نهج الخلفاء الأمويين والعباسيين فى تولية ابنائهم العهد فكان الخليفة الفاطمى إذا ادرك قرب وفاته عهد بالخلافة إلى أحد أبنائه ، ثم تتجدد هذه البيعة بعد وفاته .

وكان الفاطميون ينظرون إلى الخليفة الفاطمى باعتباره إماما يرث أباه عن طريق التعيين بالنص ، وأنه لابد أن يعين الخليفة أو الإمام ولى عهده قبل وفاته حتى لا يخلو العالم من إمام . وقد سن هذا النظام الخليفة الفاطمى القائم ففرض على كل من الخلفاء الفاطميين أن يعين من يخلفه قبل أن يدفن سلفه بيده ، وأن يشهد هذا التعيين أخلص الناس إليه وذلك وفقا لتعاليم المذهب الإسماعيلى . فقد قال الخليفة الفاطمى المنصور لإبنه المعز حين عهد إليه : « والله ما أنا آثرتك بما آثرتك به ، بل الله آثرك واختصك وأعطاك واجتباك[3] » .

---

(١) المقريزى : خطط جـ ٢ ص ٢٨٦

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٩ ص ٨١

(٣) النعمان : المجالس والمسايرات جـ ١ ص ١٥٢

اقتفى الخليفة العزيز بالله السياسة التى رسمها خلفاء الفاطميين فى تعيين خلفائهم فعندما اشتد عليه المرض وكان ذلك فى مدينة بلبيس وكان قد خرج على رأس الجيش الفاطمى لقتال القرامطه استدعى إليه القاضى محمد بن النعمان المغربى ، وأبا محمد الحسن ابن عمار زعيم كتامة واستشارهما فى تولية ابنة المنصور أبى على الذى أصبح لقبه بعد توليه الخلافة (الحاكم بأمر الله) وكانت وفاة الخليفة العزيز بالله فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٦٨ ﻫ وكان لنبأ وفاته وقع شديد بالقاهرة فقد ودعته قبيل خروجه على رأس الجيش الفاطمى لقتال البيزنطيين فى احتفال رائع كانما هو الوداع الأخير . ثم ها هى تستقبل الحاكم بأمر الله الخليفة الجديد الذى دخل القاهرة وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة ، وبين يديه جثة أبيه الذى دفن باحدى حجرات[1] القصر الشرقى الكبير مع أبيه المعز .

يعتبر الحاكم من الشخصيات التى حار المؤرخون فى تقديرها والحكم عليها وذلك لتصرفاته المتناقضة وأوامره المتعارضه . وقد اتهمه المؤرخون بالجنون أو الشذوذ ونفى بعضهم عنه ذلك. والواقع انه مصاب بنوع من جنون العظمة ، من ذلك تأييده لمن نادوا بالوهيته وان كان لا يؤمن تماماً بفكرة التألية ، ولكنه يعتبرها وسيلة لاحترام رعيته له . وقد دافع ابن خلدون عن الحاكم فنفى[2] عنه اتهام المؤرخين له بالكفر فقال (وأما ما يرمى به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلوات فغير صحيح ولا يقوله ذو عقل ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته).

تمتعت مصر فى عهد الحاكم بزخاء اقتصادى أدى إلى ترف ورفاهية وبالتالى إلى الدعه والتراخى ونوع من الفوضى الاجتماعية ، الأمر الذى رأى الحاكم معه أن يقضى على هذه الفوضى ويقر الآداب العامة ومكارم الأخلاق . من ذلك ما رآه من أن يضع حدا لشرب الخمر فمنع استيراد الزبيب أو بيعه كما أمر كل فرد بالا يشترى أكثر من أربعة أرطال عنب فى كل مرة . كما أمر باتلاف اشجار الكروم .

---

(١) كانت تعرف باسم تربه الزعفران .

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٤ ص ٦٠

أمر الحاكم ألا يصطاد الصيادون سمكا بغير قشر حرصا على الثروة السمكية فى البلاد . كما منع ذبح البقر الا فى عيد الاضحى مدفوعا فى ذلك بالرغبة فى تنمية الثروة الحيوانية . كما تلجأ الحكومات الحديثة إلى نفس هذه الاجراءات حفاظا على الثروة الحيوانية والسمكية[1] .

لم يكن الحاكم شريرا أو شاذا فى كل أطواره إذ نرى أنه مال إلى التقشف والزهد فى حياته العامة والخاصة ومنع الناس من ذكر عبارة (سيدنا ومولانا) فى المكاتبات الوارده إليه وحتم عليهم أن يلقبوه بأمير المؤمنين . كما أمر بالا يقبل أحد له الأرض ولا يقبل يده ، كما منع ضرب الطبول والأبواق حول القصر الفاطمى ،ونهى عن إقامة الزينات فى طريقه إلى المصلى الذى أقامه بجبل المقطم . وصار يخرج للصلاة فى أبسط المظاهر .

أولى الحاكم اهتمامه بالقضاء وتطهيره من الرشوة كما طارد العابثين بالأمن . هذا بالاضافة إلى أن الحاكم كان زاهدا فى اموال الدولة رغم ما تكدس له منها من أموال وتحف[2] .

وقد اختلف المؤرخون فى مقتل الحاكم بأمر الله ، فذكر بعضهم أن أخته ست الملك هى التى أوعزت بقتله . وقد تصدى المقريزى[3] للرد على مؤيدى هذا الرأى فقال : « فلما كان لليلتين بقيتا من شوال سنة عشر وأربعمائة فقد الحاكم وقيل ان أخته قتلته وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وببعة أشهر وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهرا ، وكان جوادا سفاكا للدماء قتل عددا لا يحصى ، وكانت سيرته من أعجب السير وخطب له على منابر مصر والشام وافريقية والحجاز . وكان يشتغل بعلوم الأوائل . وينظر فى النجوم وعمل رصدا واتخذ بيتا فى المقطع ينقطع فيه الناس لذلك ، ويقال إنه كان يعتريه جفاف فى دماغه ، فلذلك كثر تناقضه وما أحسن ما قاله فيه بعضهم : كانت أفعاله لا تعلل ، واحلام وساوسه لا تؤول » .

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٦٠

(٢) جمال سرور : مصر فى عهد الدولة الفاطمية ص ٦٤

(٣) الخطط : جـ ٤ ص ٧٤

ويقول المسبحى[1] فى مقتل الحاكم « فى محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بنى حسين ثار بالصعيد الأعلى ، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله فى جملة أربعة أنفس تفرقوا فى البلاد ، وأظهر قطعة من جلدة رأسه وقطعة من الفوطة التى كانت عليه فقيل لم قتلته ؟ فقال غيرة لله وللاسلام ، فقيل كيف قتلته ؟ فأخرج سكنتا ضرب به فؤاده فقتل نفسه ، وقال هكذا قتلته ، فقطع رأسه وأنفذ به الحضرة مع ما وجد معه » ويعلق المقريزى على رواية المسبحى فيقول : وهذا هو الصحيح فى خبر قتل الحاكم لا ماتحكيه المشارقة فى كتبهم من أن أخته قتلته .

---

(١) المسبحى : تاريخ مصر

جامع الحاكم

يصف المقريزى[1] جامع الحاكم فيقول : هذا الجامع خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المومنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد ، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله. فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم ، صار جامع الحاكم داخل القاهرة ، وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ، ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور » .

وقد جاء فى تاريخ مصر للمسبحى[2] « وفى شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلى باب الفتوح من خارجه . وبدئ فى البناء فيه وتحلق فيه الفقهاء والذين يتحلقون فى جامع القاهرة (أى جامع الازهر) وخطب فيه العزيز بالله » .

ويقول فى حوادث سنة ٣٨١ هـ « ولاربع خلون من شهر رمضان صلى العزيز بالله فى جامعة صلاة الجمعة وخطب ، وكان فى مسيرة بين يديه اكثر من ثلاثة آلاف ، وعليه طيلسان وبيده القضيب (عصا) وفى رجله الحذاء وركب لصلاة الجمعة فى رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة إلى جامعه ،ومعه ابنه منصور (هو الحاكم بأمر الله) فجعلت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة » . وقال فى حوادث سنة ٣٩٣ هـ : وأمر الحاكم بأمر الله

---

(١) الخطط ج ٤ ص ٥٥

(٢) المسبحى تاريخ مصر ص ١٦٣

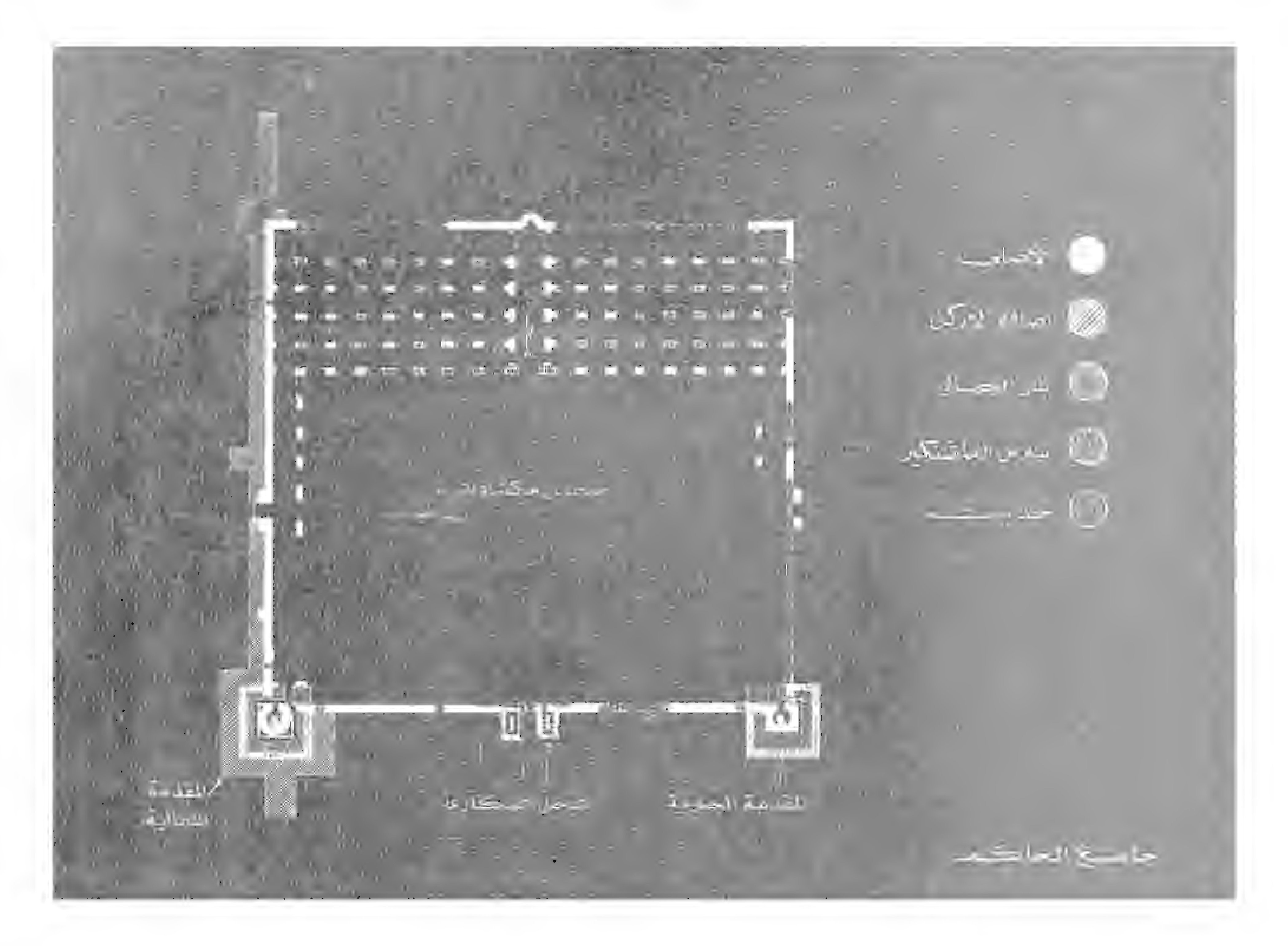
أن يتم بناء الجامع الذى كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ فى بنيانه عند باب الفتوح ، فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فابتدأ فى العمل فيه . وفى سنة ٤٠١ هـ زيد فى منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركان طول كل ركن مائة ذراع وفى سنة ٤٠٣ هـ ، أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل فكان مقاس ما فرش من الحصر ، ستة وثلاثين ألف ذراع بلغت نفقتها خمسة آلاف دينار » ويضيف المسبحى فيقول : وقد تم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور[1] دبيقية عملت له وعلق فيه تنانير (ثريات) فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة ، وفرش جميعه بالحصر التى له ، ونصب فيه المنبر ، وتكامل فرشه وتعليقه ، وأذن فى ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ٤٠٣ هـ لمن بات بالجامع الأزهر أن يمضوا اليه فمضوا ، وصار الناس طول ليلهم يمشون من كل جامع من الجامعين إلى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر ولا أصحاب الطوف إلى الصبح . وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة . وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه . وفى سنة ٤٠٤ هـ حبس عليه الحاكم عدة قياسر وأملاك للصرف والأنفاق عليه .

وقد سجل على باب الجامع وكذا منبره ، اسمه وتاريخ البدء فى اتمامه فقد ذكر ابن عبد الظاهر : وعلى باب الجامع الحاكمى مكتوب بانه أمر بعمله أبو منصور فى سنة ٣٩٣ هـ وعلى منبره مكتوب انه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكمى فى سنة ٤٠٣ هـ » .

وقد توالت يد التجديد والتعمير على هذا الجامع ، ففى عهد الخليفة المستنصر عندما جدد سور القاهرة الشمالى وأدخل جامع الحاكم داخل الأسوار جددت بعض أجزاء المئذنة الشمالية الغربية وقد سجل ذلك عليها ، إذ كتب عليها ان ذلك بنى سنة ثلاثين وأربعمائة فى زمن المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش . وقد تصدعت بعض جدران المسجد أثر الزلزال الذى حدث سنة ٧٠٢ هـ فأمر برم ما تهدم منه الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وأعاد ما سقط من البدنات وأقام سقوف الجامع وبيضه حتى عاد جديدا وجعل له عدة

---

(١) نسبة إلى مدينة دبيق بالمنزلة التى اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية الفاخرة .


المئذنة الشمالية
المئذنة الجنوبية
جامع الحاكم

أوقاف بناحية الجيزة وفى الصعيد والاسكندرية . كما رتب فيه دروسا أربعة لقراءة الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة وقرر درسا للحديث النبوى وجعل لكل درس مدرسا وعددا كبير من الطلبة .

وقد جدد الجامع وبلط جميعه فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأضيف إلى أوقافه قطعة أرض من ناحية طنتدا (طنطا) قدرها خمسمائة وستون فدانا . ويقول المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ « والجامع الآن متهدم وما من زمن الا ويسقط من سقوفه شئ فلا يعاد . فكانت ميضأته صغيرة فأنشأ شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلى الفسقيه التى فى الميضأة الجديدة سنة ٧٨٠ هـ وبيض مئذنتيه واستجدت المئذنة التى بأعلى الباب المجاور للمنبر سنة ٨٢٧ هـ

ويقول على مبارك[١] وفى سنة ١٢٢٢ هـ جدد به نقيب الاشراف السيد عمر مكرم أربع بوائك من مؤخره فجعلت مسجدا به منبر وخطبة ومطهره وأخلية .. وله فى الروزنامجة بعض احكار وباقى الجامع خرب . ويضيف على مبارك فيقول : وبجوار جامع الحاكم من الجهة الغربية مدفن بناه الحاكم لنفسه ولم يدفن به ، وعرف فيما بعد بمدفن الساعى ، وهو بناء متسع تعلوه قبة ومبخرة مرتفعة ، وفيه شواهد على أسماء الموتى المدفونين هناك.

أما التخطيط الأساسى لجامع الحاكم فيتكون من صحن مكشوف تحيط به من جهاته الاربع أروقة مسقوفة ، ويتكون ايوان القبلة من خمسة صفوف من العقود المحمولة على دعائم مستطيلة اركانها مستديرة على هيئة أعمدة ملتصقة . ويشتمل كل من الرواق البحرى والقبلى على ثلاثة صفوف من الدعائم ، أما الرواق الغربى فيشمل على صفين من الدعائم فقط . ويتوسط رواق القبلة مجاز مرتفع ينهى بقبة امام المحراب ، وفى طرفى جدار القبلة

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٨١

أقيمت قبتان ، جددت رقبة الجنوبية منهما ولم يبق من الاخرى سوى ركن واحد من أركانها ولكن مصلحة الآثار اعادتها إلى حالتها الأولى . أما المحراب الأصلى فلم يبق منه غير تجويفة فقد نقلت إدارة لجنة حفظ الآثار العربية الكسوة الرخامية التى كسى بها عمر مكرم هذا المحراب إلى متحف الفن الاسلامى .

ويمتاز جامع الحاكم بأن المدخل الرئيسى للجامع يبرز عن سمت واجهته الغربية ، وهذه الظاهرة ليس لها مثيل الا فى جامع المهدية بتونس الذى يرجع إلى أوائل القرن الرابع الهجرى ، ثم وجدت بعد ذلك فى جامع الظاهر بيبرس البندقدارى. وتنتهى الواجهة الغربية ببرجين يتكون كل منهما من مكعبين يعلو أحدهما الاخر ، المكعب الأول يرجع إلى وقت انشاء الجامع والمكعب الثانى من عمل بيبرس الجاشنكير . ويوجد فى البرج السمالى مئذنة اسطوانية الشكل اما فى البرج الجنوبى فتوجد مئذنة أخرى تبدأ مربعة ثم تنتهى بمثمن . وقد نقش على بدن المئذنتين زخاف نباتية وهندسية غاية فى الدقة والابداع ، كما حليت بأشرطة كتابية بالخط الكوفى المزهر





مشهد
القباب السبع
أو السبع بنات
بالقرافة الكبرى جنوب الفسطاط

يقول المقريزى[1] هذه القباب بآخر القرافة الكبرى مما يلى مدينة مصر (أى مصر القديمة) وجاء فى كتاب المُغرب[2] ، أن القباب السبع مشهورة بظاهر الفسطاط وهى عبارة عن مشاهد على سبعة من بنى المغربى قتلهم الخليفة الحاكم بعد فرار الوزير أبى القاسم الحسين بن على بن المغربى وفى ذلك يقول أبو القاسم المغربى :

إذا شئت أن ترنو إلى ألطف[3] باكيا   فدونك فأنظر نحــو أرض المقطم
تجد من رجال المغربى عصابـــــة   مضمخة الأجسام مــن حلل الـدم
فكم تركوا محراب أى معطــــل   وكم تركــوا مــن سورة لم تختم

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٤٥٩

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص ٦٩

(٣) الطف البقعة التى قتل فيها الأمام الحسين بكربلاء

وبنو المغربى أصلهم من البصرة صاروا إلى بغداد وكان أحد أفرادها وهو أبو الحسن على بن محمد قد تقلد منصب ديوان المغرب فى الدولة العباسية ببغداد ، فنسب به إلى المغرب . كما تقلد ولده الحسين الذى ولد ببغداد أعمالا كثيرة فى الدولة العباسية ، ومنها تدبير أمر الدولة فى بغداد ، وكان أخو زوجته أبو على هارون بن عبد العزيز الآوارجى من أصحاب أبى بكر محمد بن رائق ، فلما لحق ابن رائق مالحقه بالموصل ، صار الحسين بن على المغربى إلى الشام حيث التقى بأمير مصر محمد بن طغج الأخشيد فأقام عنده ثم حمله هو وجميع أفراد أسرته ممن كانوا ببغداد إلى مصر . ولكن ابن المغربى لم يلبث طويلا فى مصر فقد خرج منها إلى حلب ولحق به سائر أهله ونزلوا عند سيف الدولة الحمدانى وبقوا عنده مدة حياته . ثم شجر بين ابن المغربى وبين ابن سيف الدولة شجار ففارقه وصار إلى (بكجور) بالرقة فحسن له مكاتبة العزيز بالله نزار الخليفة الفاطمى بمصر والتحيز إليه ، فلما وردت على العزيز بالله مكاتبة (بكجور) قبله واستدعاه وخرج من الرقة يريد دمشق فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق وخلفه فتسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة ابن المغربى فلم يتم له الأمر ، فقال لابن المغربى : غررتنى فيما أشرت به علىّ وتنكر له ففر ابن المغربى إلى الرقة ومنها إلى الكوفة وهناك كاتب الخليفة الفاطمى العزيز بالله يستأذنه فى القدوم ، فأذن له وقدم إلى مصر فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة .

وقد أكرم العزيز بالله وفادة أبى الحسن على بن الحسين بن المغربى ، ورتب له فى كل سنة ستة آلاف دينار ، وصار من شيوخ الدولة ، وقد استطاع بفضل الأموال الكثيرة التى كانت تغدق عليه شراء كثير من الأراضى والأملاك ، لعل من أهمها المنطقة التى تقع جنوب القاهرة من الجهة الشرقية فى الطريق إلى المعادى والتى تعرف باسم البساتين ، والتى عرفت بعد أن اشتراها ابن المغربى باسم (بساتين الوزير) .

ويحدثنا المقريزى عن هذه البساتين : فيقول : هذه البساتين فى الجهة القبلية من بركة الحبش وهى قرية فيها عدة مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة ، وعرفت البساتين باسم الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن المغربى .

وكان لأبي الحسن بن المغربي هذا ولد أسمه أبو القاسم ذو همة وفطنة وذكاء شديد إلى الحد الذى أزعج والده ، فقال لمؤدب ولده ، وهو على بن منصور المعروف بأبي الحسن دوخله القادح ، سرا : « أنا أخاف همة إبنى أبي القاسم أن تؤدى بنا إلى موارد الهلاك ،

فإن كانت الأنفاس مما تحفظ وتكتب فاكتبها واحفظها وطالعنى بها » . ولم يمض وقت طويل حتى صدق حدس أبي الحسن المغربي ، فقد حدث فى يوم من الأيام أن قال أبو القاسم لمؤدبه هذا إلى متى نرضى بالخمول الذى نحن فيه ، فقال له وأى خمول هذا ، تأخذون من مولانا فى كل سنة ستة آلاف دينار وأبوكم من شيوخ الدولة ، فرد أبو القاسم قائلا : أريد أن تصير إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ، ولاأرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان . فقص المؤدب ابن دوخلة القادح ، ما قاله أبو القاسم على والده ، فقال أبوه ، ما أخوفنى أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على لحيته وهامته . وعلم ذلك أبو القاسم فصارت بينه وبين مودبه وحشة وكان ذلك فى خلافة الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله » . ويكمل المقريزى القصة فيقول : وتحدث القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر ، وكان الحاكم قد أكثر من قتل رؤساء دولته وصار يبعث إلى القائد كلما قتل رئيسا برأسه ويقول هذا عدوى ، وعدوك ، فقبض على أبي الحسن على بن الحسين المغربي والد الوزير أبي القاسم الحسين وعلى أخيه أبي عبد الله محمد بن الحسين وعلى محسن ومحمد أخوى الوزير المذكور لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربعمائة وفر الوزير أبو القاسم الحسين بن المغربي من مصر فى زى حمال ولحق بحسان بن الجراح .

وصف الضريح

إلى الجنوب من الفسطاط (مصر القديمة) يوجد أربعة أضرحة فَقَدت جميعها القباب المقامة عليها وكذلك بعض أجزاء من جدرانها . وتقع الأضرحة الأربعة على محور واحد وكلها متشابهة من حيث التصميم المعمارى ، إذ يتكون كل منها من مربع طول ضلعه حوالى (٦ر٥) أمتار من الخارج و (٤ر٢٥) أمتار من الداخل وكل منها يحتوى على محراب إلا واحد منها يحتوى على محرابين . ويحتوى كل ضريح على ثلاث طوابق ، الأسفل مربع الشكل وفى وسط كل ضلع فتحة معقودة . ويمثل الطابق الثانى مرحلة الإنتقال من المربع إلى المثمن ويتكون من أربعة مقرنصات كبيرة فى الأركان الأربعة وبينها أربع نوافذ معقودة . أما الطابق الثالث فهو مثمن الشكل ويكون الرقبة التى تقوم فوقها القبة وفى كل ضلع من أضلاع المثمن يوجد فتحة صغيرة ، أما القبة فللأسف قد سقطت فى جميع الأضرحة . ونلاحظ أن الطابقين العلويين كل منهما داخل فى الطابق الذى أسفله وذلك من الخارج ، أما فى الداخل فلا نلاحظ ذلك .

وقد بُنى الدور الأول من الأضرحة بالحجر المنحوت ، أما الطابقان الثانى والثالث فمن الآجر وقد غطيت المبانى بطبقة سميكة من الجص زال معظمها من الخارج وبقيت أجزاء كثيرة منه فى الداخل . ويحيط بكل ضريح فناء منفصل مربع الشكل كذلك، ولكل مدخله فى الضلع الشمالى منه .

وقد قامت لجنة حفظ الآثار الإسلامية بالكشف عن ضريحين من الأضرحة الثلاثة الباقية وبذلك يكون الموجود حاليا ستة أضرحة أما الضريح السابع فقد إندثر تماما .



مسجد أبو المعاطى بمحافظة دمياط

مدينة دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المعروف بفرع دمياط وقد خضعت للحكم الإسلامى منذ فتح العرب مصر ، فقد ورد فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عمير بن وهب الجمحى إلى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهله ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط . ومنذ أن دخل العرب مصر ، أخذت بعض القبائل العربية تنزح إليها لإستيطانها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص ، وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم إقطاعيات فى جميع الولايات والأعمال . فانتقلت بطون من قريش ، ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوازن ، ومنذ سنة ٦٤٢ م بدأت دمياط تتعرف على العرب المهاجرين إليها من شبه الجزيرة العربية وإلى المرابطين من رجال الجيش الفاتح ، كما بدأت إقامة المساجد بها ، ولا يزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى جامع فاتح يقال أنه يرجع إلى عهد عمرو بن العاص ، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية الأصلية .

على أنه من الواضح أن العرب لم يجدوا فى دمياط وتنيس وسائر جزر بحيرة المنزلة ما يرغبهم فى الهجرة إليها فى جموع كثيرة ، ولعل ذلك راجع إلى اشتغال أهلها بالملاحة والصناعة وهى حرف تركها العرب لأربابها ، جريا على السياسة التى استنوها لأنفسهم ، وهى ترك الحرف والصناعة والإدارة فى أيدى أهلها وأن يتولوا هم الإشراف والحرب . ولذلك فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادى من القبط .

ولما تولت الدولة الفاطمية كان أول ما وجهت إليه عنايتها بعد استقرار الأمور هو وضع نظام جديد للضرائب ، وتحصيل ما تأخر منها ، فقد جمع من دمياط وتنيس والأشمونين فى يوم واحد أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار ، وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل . وقد أدت حالة الهدوء والاستقرار التى نعمت بها البلاد فى العصر الفاطمى إلى إزدهار الصناعة والتجارة ولاسيما فى المدن العريقة كدمياط ومدن بحيرة المنزلة التى اشتهرت منذ أقدم العصور بصناعة المنسوجات الجميلة ، والتى أفرد لها كل من تكلم عن مصر من مؤرخى العصور الوسطى صفحات طوال يعدد فيها أنواع منسوجات دمياط وخاماتها وطرزها وأثمانها وما إلى ذلك . فيقول المقدسى : أما الثياب الشطوية (شطا قرية بين دمياط وتنيس) فلا يمكن أن ينسج منها أى شئ إلا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ولا تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تحمل إلى من يطويها ، ثم إلى من يشدها بالقشر ثم إلى من يشدها بالسنط وإلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند إقلاعها .

ولم تقتصر نهضة دمياط وكورها فى العصر الفاطمى على الناحية الفنية والصناعية فحسب بل شملت كذلك الناحية الثقافية ، فقد كانت مساجدها حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب ، الذين سجل بعضهم مشاهداتهم كما فعل المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم) ومن القضاة أبو الفتح العسقلانى الذى تولى القضاء فى دمياط فى القرن الخامس الهجرى . ومن أدباء دمياط أشعر شعراء الدولة الفاطمية ، ابن قادوس الدمياطى والانبا ميخائيل أسقف دمياط وله عدة مؤلفات أخلاقية ودينية .

ولما استقل صلاح الدين بحكم مصر ، وكانت الأنباء قد وصلت باستعداد جديد للفرنج لغزو دمياط أمر بتحصين قلعة تنيس وأسوارها وترميم سور دمياط وتزويد برجها بالمقاتلة ، تعرضت دمياط لحملة لويس التاسع التى انتهت بالفشل الذريع بالنسبة للصليبيين وأسر فيها لويس التاسع وأنزلوه فى دار ابن لقمان فى المنصورة . وكان من أثر هذه الحملات المستمرة على دمياط التى انتهت بغزوة لويس التاسع أن تخربت المدينة مما دعا إلى إنشاء بليدة صغيرة بالقرب منها تسمى بالمنشية وكانت ذات أسواق وحمامات ، ومازال بدمياط حتى اليوم حى بهذا الاسم يعرف بالقرية القديمة . وكانت دمياط فى القرن الثالث عشر ملجأ للمهاجرين من أهل العراق يجتمعون ويترافقون ويخرجون من دمشق إلى مصر ، فكان أكثرهم ينزل إلى البحر ويجئ من جهة دمياط ويدخلون مصر وهم فى أتعس حال .

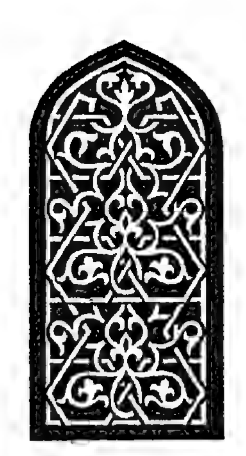
ولما ضعفت دولة المماليك الشراكسة فى القرن السادس عشر ، أضحت دمياط منفى للمتمردين من المماليك ، وأهمل أمرها ووقفت حركة التصدير نتيجة لفرض الضرائب الباهظة ولانتشار الظلم وعبث القراصنة ، وظلت كذلك حتى دخل العثمانيون مصر ، واستولوا عليها سنة ١٥١٧ م . وقد عانت دمياط فى العصر العثمانى ما عانته كافة البلاد ولكنها كانت بمنأى نسبيا عن الفتن والصراع بين الهيئات الثلاث الحاكمة ، وهى الوالى والديوان والمماليك . ولما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فى القرن الثامن عشر ، أدلت دمياط بدلوها فى الدفاع عن كيانها والذود عن إستقلالها ، ولكنها اضطرت فى النهاية إلى التسليم . وقد تولى الجنرال كليبر أمر الإشراف على تحصين دمياط خشية إستيلاء الإنجليز أو العثمانيين عليها .

وما زالت دمياط تحتفظ بالكثير من آثارها الإسلامية ، فهناك مسجد المعينى الذى ينسب إلى محمد بن محمد الملقب معين الدين الفارسكورى الأصل ، الدمياطى المولد والدار والمتوفى سنة ٨٦٠ هـ. وكان معين الدين من كبار التجار فى دمياط ، وكان أبوه مشرفا على قاعدة تجار دمياط ، كما كان ينوب عن قضاتها ، وقد بنى بدمياط كثيرا من العمائر أهمها المسجد والمدرسة المعروفين بأسمه ، وجاء فى الخطط التوفيقية أنه كان

مولى جوهر العينى . ومن المساجد الهامة بدمياط كذلك مسجد البحر الذى عرف بهذا الاسم لوقوعه على فرع دمياط مباشرة ، ويدل أسلوب عمارته على أنه بنى فى العصر العثمانى .

وقد أزالت وزارة الأوقاف مسجد البحر حديثا وأنشأت مكانه مسجدا جديداً يعتبر من من روائع العمارة الإسلامية فى القرن العشرين . ويعد مسجد المدبولى كذلك من المساجد الهامة ، فقد جاء فى الخطط التوفيقية : جامع المدبولى ، وهو المدرسة المدبولية التى أنشأها قايتباى لسيدى إبراهيم المدبولى بعدالثمانمائة من الهجرة » ولكن طرازه المعمارى يدل على أنه قد أعيد بناؤه فى العصر العثمانى فى القرن الثامن عشر . وقد عثر على تاريخ على باب المسجد هو سنة ١٨١٤ م مما يدل على أنه جدد مرة ثانية فى القرن التاسع عشر » . وإلى جانب هذه المساجد الأثرية يوجد كذلك مجموعة كبيرة من الزوايا والأضرحة أهمها زاوية الرضوانية وضريح جمال الدين شيخه وزاوية البدرى .

أما مسجد أبو المعاطى فيعتبر أقدم مساجد دمياط وأكبرها إذ تبلغ مساحته ما يقرب من فدان ، هذا بالإضافة إلى المحلات التى أدخلت فيه بعد إنشائه . وقد بنيت جدران المسجد الأربعة بحيث تواجه الجهات الأصلية مواجهة تامة دون إحراف ، ولذلك جاءت قبلته فى وضع غريب فى الزاوية الجنوبية الشرقية الحادثة من تقابل الضلع الجنوبى والضلع الشرقى لهذا المسجد وهذا أمر نادر الحدوث . ويتكون المسجد من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات ، وتحتوى الجهة الجنوبية وهى إيوان القبلة على أربعة أروقة أما الإيوانان الشرقى والغربى فيحتوى كل منهما على رواقين أما الإيوان الشمالى فلا أروقة به . ومما يجدر ملاحظته أن أعمدة هذه البوائك مختلفة الألوان ومتعددة التيجان والأشكال كما أن عقودها غير منتظمة الإتجاه أو الشكل مما يدل على كثرة الإصلاحات والتجديدات التى أجريت لهذا المسجد. ويوجد بالمسجد بعض الكتابات التذكارية التى تثبت بعض التجديدات ، فقد عثر حديثا على كتابة على أحد الأعمدة يدل أسلوب خطها الكوفى المزهر على أنها ترجع إلى العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى . كما عثر على إفريز خشبى يحيط بالقاعة التى تواجه الباب الغربى ، كتب عليه تاريخ إحدى العمارات التى تمت سنة ١٠٧٢ هـ . وبالقرب من الباب الغربى توجد مئذنة المسجد وهى مبنية من الحجر وكذا المسجد كله. وكان المسجد يحتوى على مائة وستين عمودا لكن الباقى منها الآن (١٤٤) عمودا .



مسجد التوبة ببوصير بمركز الصف محافظة الجيزة

الجيزة من المدن القديمة التي أنشئت وقت الفتح العربي ، قال عنها ياقوت في معجم بلدانه ، الجيزة بالكسر لغة العرب أي أفضل موضع فيه كله .. والجيزة بليدة في غربي فسطاط مصر وقبالتها على الضفة الغربية لنهر النيل ، ولها كورة كبيرة واسعة وهي من أفضل كور مصر ، وجاء في الخطط المقريزية ، الجيزة الناحية والجانب والجيز جانب الوادي، وقد يقال أفضل موضع فيه، ثم قال. والجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة الفسطاط ويقول ابن دقماق الجيزة مدينة إسلامية بنيت سنة ٢١ هـ ، وأنها تقع خلف العمود (المقصود هنا العمود الذي يتوسط بئر مقياس الروضة) وكان الطريق إليها من الجزيرة (أي جزيرة الروضة) على جسر إلى أن قطعة الخليفة الفاطمي .

ويقول مؤرخو مصر في العصور الوسطى عن السبب الذي من أجله أنشئت مدينة الجيزة إن عمرو بن العاص لما رجع من الاسكندرية بعد فتحها ونزل الفسطاط ، جمع طائفة من

جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية . فلما استقر عمرو فى الفسطاط ، أمر الذين خلفهم فى الجيزة أن ينضموا إليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله وأقمنا به ، ما كنا بالذين نرغب عنه ، ونحن به منذ شهر ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك ، فرد عليه عمر كيف رضيت أن تفرق بينك وبين أعوانك وأصحابك فتجعل بينك وبينهم بحرا ، لا تدرى ما يفاجئهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فأجمعهم إليك ولا تفرقهم ،.فإن أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فىء المسلمين . فجمعهم عمرو بن العاص وأخبرهم .بما جاء فى كتاب عمر بن الخطاب . فامتنعوا عن الخروج من الجيزة ، مادام أمير المؤمنين قدترك لهم الخيار . عند ذلك أمر عمرو ببناء الحصن عليهم ، فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن أحصن لنا من سيوفنا . ولكن عمرو أصر على تنفيذ أمر عمر بن الخطاب فأقرع عمرو بين قبيلة همدان ويافع ، وهما القبيلتان اللتان كرهتا بناء الحصن . فوقعت القرعة على يافع فقامت ببناء الحصن سنة ٢١ ﻫ وفرغت من بنائه سنة ٢٣ ﻫ ولما تم بناء الحصن أمرهم عمرو بالخطط بها فاختطت كل قبيلة خطة لها .

ويقول المقريزى ، أن أول مسجد جامع بنى بالجيزة أنشأه محمد بن عبد الله الخازن سنة ٣٥٠ ﻫ بأمر الأمير على بن الأخشيد وأشرف عليه كافور ، وكان الناس قبل ذلك يصلون الجمعة فى مسجد همدان . ثم بنيت بعد ذلك عدة جوامع أشهرها الجامع القديم المعروف بجامع أمير الجيوش بدار الجمالى فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فى القرن الخامس الهجرى .

وجاء فى الجبرتى ، أن بالجيزة جامعا يعرف بجامع أبى هريرة الذى جدد فى القرن الثانى عشر الهجرى ، على أن أبا هريرة هذا ليس هو الصحابى المعروف ، فقد ذكر السخاوى فى تحفة الألباب ، أن أبا هريرة الصحابى مات على بعد فراسخ من المدينة وحمل إليها ودفن بالبقيع .

ويقول الرحالة ابن جيبر أنه حدث فى القرن الثامن الهجرى أن منع السلطان الناصر محمد بن قلاوون وزيره أن يتعرض إلى شئ مما يتحصل من مال الجيزة ، فصار جميعه

يحمل إليه وأصناف : وبخارج الجيزة موضع يعرف بأبى هريرة فيظن من لا علم له أن أبا هريرة الصحابى وليس كذلك ، بل هو منسوب إلى ابن إبنته .

ويصف على مبارك الجيزة فى القرن التاسع عشر فيقول ، الجيزة مدينة كثيرة الأسواق والوكائل والخانات وجوانيت مملوءة بالتجارة والبضائع من جميع الأصناف ، كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف ، فيوجد بها تجار البز والحرير والنحاس والعقاقير والدخان ومعاصر الزيوت وطواحين بخارية ومعامل للفخار وأنوال النسيج القطن وغيره . وقد اتخذت الجيزة سكنا للأمراء المماليك وكبار رجال الدولة منذ العصر العثمانى .

ومن العلماء الذين ينتسبون إلى الجيزة بهاء الدين أبو الحسن على بن هبة الله خطيب مصر أهل زمانه ، كان كثير الصحبة بالملك الصالح نجم الدين أيوب ، ولما سافر إلى الحج أهدى إليه ملك اليمن هدية فحنق عليه الملك الصالح وفارق صحبته . ومنهم الطبيب على بن رضوان بن على بن جعفر كان عالم مصر فى أيام المستنصر بالله الخليفة الفاطمى وكان أول أمره منجما ، ثم قرأ شيئا فى الطب وشيئا فى المنطق وصنف كتبا بلغت إثنين بعد المائة كلها مبتكرة مستنبطة .

* * *

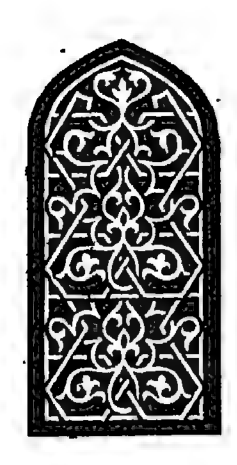
وصف المسجد

ومما تقدم يتبين لنا أن مدينة الجيزة هى ثانية إثنتين أختطهما العرب بعد فتح مصر ، الأولى مدينة الفسطاط (مصر القديمة الحالية) سنة ٢١ ﻫ والثانية الجيزة سنة ٢٣ ﻫ . ومن الآثار الإسلامية الهامة التى ما تزال باقية حتى اليوم المسجد الموجود ببوصير من أعمال الجيزة والمعروف باسم مسجد موسى أو مسجد التوبة . وقد اختلف الكتاب والمؤرخون فى تسميته وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى خرجت فى كثير من الأحيان عن التاريخ الواقعى والقصة المقبولة أو المعقولة إلى حد الخرافة والأسطورة . ومن القصص التى يرويها المقريزى عن هذا المسجد ما يلى : الجيزة ، يقال أن مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذى قذفته أمه فى النيل ، وبه النخلة التى أرضعت السيدة مريم تحتها طفلها اليسوع عليه السلام . كما يضيف المقريزى نقلا عن القضاعى الرواية التالية : سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة ، أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان. وفيه أثر نبين أحدهما سجن يوسف ، الذى قيل أن يوسف عليه السلام سجن به سبع سنين ، وكان الوحى ينزل عليه فيه ، والنبي الآخر موسى عليه السلام وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أو مسجد التوبة .

ولا يعنينا فى هذا البحث أن نحقق ما جاء فى هذه القصص ، وذلك لإستحالة إثباتها ماديا أو أثريا أو تاريخيا ، ولكن الذى نستطيع أن نقول به أن هذه المنطقة ظلت طوال العصر الإسلامى ينظر إليها كمنطقة مباركة « يرجى أن يستجاب فيها الدعاء » ويقول

القضاعي فى ذلك ، أن كافور الأخشيدى سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف بإجابة الدعاء ليدعو فيه ، فأشار عليه بالدعاء على سطح سجن يوسف ثم يضيف ، وكان لسجن يوسف وقت يمضى إليه الناس يتفرجون عليه . وذكر المسبحى فى حوادث سنة ٤١٥ هـ أن الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله ، خرج وعدى فى سائر عساكره إلى الجيزة فى أربع عشاريات (سفن) وأربع عشرة بغلة من بغال النقل ، ومعه خاصته وحرمه إلى سجن يوسف عليه السلام ، وأقام هناك يومين وليلتين .

ومما يؤكد عناية الفاطميين بهذا المكان ، وجود بقايا لمسجد قديم إندثر معظم أجزائه ولم يبق منه غير السور الخارجى والمحراب وهما من عمائر الدولة الفاطمية ويقع المسجد على سفح الجبل الشرقى بمركز الصف فهو بذلك يشرف على المناطق المجاورة كما تراه السفن العابرة فى نهر النيل . وبجانب المسجد القديم يوجد مسجد مجدد يعرف باسم مسجد التوبة عبارة عن بناء مربع فى أركانه مقرنصات كبيرة حولت المربع إلى مثمن أقيمت فوقه رقبة مثمنة فتحت فى أضلاعها نوافذ لإضاءة المكان . ويعلو الرقبة قبة مدببة . ومن المرجح أن تكون القبة كذلك من أعمال العصر الفاطمى إلا أن أعمال الإصلاح والترميم قد غيرت الكثير من معالمها الأصلية .



الجامع العتيق بمحافظة سوهاج

سوهاج مدينة مصرية قديمة فى الصعيد الأوسط ، كانت تابعة لكورة القوصية فى العصر الفاطمى ثم أعمال القوصية فى العصر المملوكى ، وبعد أن ألغيت ولاية القوصية سنة ١٥١٧ م أصبحت تابعة لولاية جرجا ، وفى القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا ، وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت عاصمة سوهاج .

وجاء فى القاموس[1] الجغرافى أن سوهاج قرية صغيرة كان أسمها فى العصر الفرعونى (بونباى) كما وردت فى لوحة تذكارية جنائزية منقولة من سوهاج ، أما أسمها المدنى فهو (باهو) وأسمها القبطى (بونباهى) . ووردت فى معجم البلدان ، سوهاى قرية بمصر من قرى أخميم وردت باسم سوهاى فى قوانين الدواوين لابن مماتى . وإن جاءت فى بعض معاجم البلدان محرفة باسم سوماى وقد استمرت باسم سوهاى فى دفاتر الروزنامة القديمة وتاريع (أى دفاتر تقدير الريع أى ما تغله الأرض) سنة ١٢٣١ هـ ، ثم حرف إلى سوهاج ،

---

(١) القاموس الجغرافى ص ٩٨ .

فوردت به لأول مرة فى قائمة مساحة سنة ١٢٧٢ هـ ولا يزال هذا آسمها إلى اليوم ، ووردت باسم شوهاى فى كتاب السلوك للمقريزى ولعله تصحيف لاسم سوهاى .

وكانت سوهاج تشتهر بصيد السمك منذ أقدم العصور ، الذى كان يعمل منه نوع من الطعام يعرف باسم الملوحة ، ويقبل أهل الصعيد عامة وأهل سوهاج خاصة على تناوله ، وهو يقابل (المش) عند أهل الدلتا . ويقول الفيروزبادى عن الملوحة أنها تصلح المعدة ، أما القزوينى فيقول أن التمضمض بها نافع فى إزالة النتن من الفم .

وفى جزيرة التبل شرقى مدينة سوهاج ، توجد نزلة صغيرة يسكنها جماعة من عرب بنى واصل يقال لهم أولاد محروس ، وقد عمّر أولاد محروس النزلة وبنوا فيها المساجد والبيوت وغرسوا النخيل والأشجار ، وزرعوا قصب السكر وأنواع الخضر التى كانوا يبيعونها لسوهاج وأخميم . كما كانوا يزرعون أنواعا من الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون ، وكان مشهورا فى القاهرة باسم الأفيون الأخميمى .

وبمدينة سوهاج مساجد جامعة وزوايا عامرة ، وأكبر مساجدها الجامع القديم الذى يرجع إلى العصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى ، إلا أن التجديدات والإضافات التى عملت له فى القرن التاسع عشر غيرت معالمه الأصيلة . كما الحق بالجامع كتاب فأصبح يشبه مساجد القاهرة فى العصر العثمانى . ومن أشهر مساجد سوهاج ، مسجد الشيخ العارف بالله تعالى ، وهو مسجد كبير متسع به ضريح للشيخ العارف ويضم كتابا لتعليم الأطفال الصغار كما يضم مكتبة تحوى الكثير من المخطوطات والكتب الدينية والدنيوية ، ومن حسنات الشيخ العارف أنه رتب للأطفال جرايات فى الصباح ، وثريدا فى المساء واستمرت ذريته من بعده تؤدى هذه الجرايات للأطفال .

ويقول الجبرتى أنه كان للشيخ العارف رزقه (عزبة) مرصودة على البر تبلغ مساحتها ستمائة فدان يزرعها وينفق منها على الفقراء والمستحقين كأهل العلم والمتعلمين ونحوهم . ويضيف الجبرتى فيقول : « وكان (أى العارف) مشهورا كأسلافه معتقدا فى تلك الناحية وغيرها،

ومنزله محط لرجال الوافدين والقاصدين من الأكابر والاصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى كلا بما يليق به .

ولايكتفى بذلك بل يرتب لضيوفه المرتبات والاحتياجات ، وعند انصرافهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام ، وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على الدوام » .

وجاء فى الخطط التوفيقية أنه يوجد بجوار مسجد الشيخ العارف بالله مدافن للأمراء والصناجق ممن تولى حكم مصر من قبل دولة المماليك ومن قبل باشوات الدولة العثمانية . كما يوجد قبر مراد بك الذى حرض المماليك ضد محمد على عند تولية الحكم ثم فر إلى الصعيد واستقر به المقام فى مدينة سوهاج ، وهناك مرض بالطاعون ودفن بجوار الشيخ العارف .

وصف الجامع

على أن أقدم مساجد سوهاج الأثرية التى ما تزال تحتفظ بكثير من معالمها الأثرية الجامع العتيق ، الذى يرجع إلى العصر الفاطمى كما هو ثابت فى لوح تذكارى من الرخام مقاسه (٨٠×٥٠) سم نقش عليه بالخط الكوفى المزهر الجميل الذى يعتبر من مميزات الخط العربى فى ذلك العصر ، النص الآتى : « وعمارته ولى عهد أمير المؤمنين ابن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، شيد الله أركان الإسلام بعزائمه وأمضى فى أعناق الدعاوى شغار صوارمه ، وأنفذ فى أقطار البسيطة أحكامه وضاعف صلاته وسلامه ، إبتغاء ثواب الله ومرضاته ، وتكثر البيوت عبادته ، وإشعارا بنزول النصر على جنده المنصورة وميقاته وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ويتكون المسجد من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، ويحتوى إيوان القبلة على أربعة صفوف من الدعائم المبنية تقسم الإيوان إلى أربعة أروقة ، وتقوم على الدعائم عقود مدببة يحيط بها من وجهيها أفريز مكون من صفين من الآجر الأحمر . وبهذا الإيوان يوجد محراب مجوف زخرفت تواشيحه وكذا طاقيته بطريقة الطوب المنجور أو المكحل ، وهى عبارة عن إحاطه قالب الآجر بمونة ملونة قد تكون بيضاء أو سوداء . وقد انتشرت هذه الطريقة فى زخرفة واجهات العمائر فى الصعيد وكذا سواحل مصر وخاصة رشيد والاسكندرية . أما الإيوانات الثلاث الأخرى التى تحيط بصحن الجامع فيتكون كل منها من صفين من الدعائم تقسمه إلى رواقين .

وقد توالت يد الإصلاح والتجديد على هذا المسجد خلال العصور فتغيرت معالم مئذنته القديمة الفاطمية الطراز وحلت محلها مئذنة ترجع إلى العصر المملوكي وتتكون من أربع طبقات تنتهي على شكل مبخرة . ويعرف المسجد العتيق الآن باسم الجامع الفرشوطي ، ولم أجد لهذه التسمية من تعليل مقبول ، اللهم ألا أن يكون واحد ممن تولى الإمامة والقراءة أو الخدمة فيه من مدينة فرشوط بمحافظة قنا ، أو أن تكون قد أوقفت عليه أوقاف في مدينة فرشوط.

ويحتوى المسجد على لوحة تذكارية كتب عليها مرسوم صادر من السلطان الغورى يثبت فيه ملكية أصحاب الحرف فى عهده للأملاك التى أوقفها عليهم ، ولكى يضمن لهذا المرسوم الإعلان والدوام أثبته فى المسجد حتى يكسبه هيبة دينية . والحقيقة أن هذه الطريقة فى الإعلان والدعاية فى القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر تعتبر حدثا يستحق الالتفات والتنويه وخاصة من الجهات القائمة على الأعلام . فقد اختار السلطان الغورى أهم وأقدم مساجد المدينة وذلك لكثرة إقبال المصلين عليه ، كما أنه خصص مسجدا جامعا للإعلان عن مرسومه وهنا يجب أن نذكر كلمة وجيزة عن الفرق بين المسجد والمسجد الجامع ، فالمسجد الجامع كل مكان تؤدى فيه الصلاة ، أما المسجد الجامع فهو المسجد الرسمى للدولة الذى يؤم فيه الخليفة أو من ينوب عنه المسلمين فى صلاة الجمعة .

أما ما جاء فى هذا المرسوم ، خاصا بوقف بعض الممتلكات فى مدينة سوهاج لرعاية بعض العمال وأصحاب الحرف وصغار التجار وحمايتهم من العوز والضياع فظاهرة اجتماعية لها قيمتها وقدرها فى ذلك الوقت ، فهى تدل على أن عمال مصر كانوا على أقل تقدير منذ القرن الخامس عشر موضوع رعاية وعناية الدولة . وقد كتب المرسوم على لوح من الرخام مقاسه (١٢٥ × ٥٠ سم) وثبت على قاعدة المئذنة وفيما يلى نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم رسم بأمر مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوة الغورى خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته ، بمنع من يتعرض للبزازين (صناع النسيج) والصناعية الفرازين والإسكافية بناحية سوهاج فى وقف الشهيد الأشرف قايتباى رحم الله عهده ، المنتهى بنظر المقر لاتابك قيمة أتابك العساكر المنصورة أعز الله أنصاره . وأن المغرم الذى عليهم مقطوع لوالد الولد إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم ، واستجلابا لدعاء المجابا فى الصحائف الشريفة يسر الله تعالى بتاريخ ....) .



الجامع العمرى بواحة سيوة بمحافظة مرسى مطروح

عرفت واحة سيوة منذ أقدم العصور باسم جنة الصحراء ، فقد قصدها الملوك والغزاة الفاتحون طلبا للراحة والاستجمام الجسدى والروحى ويؤيد هذا القول ما تركته من معابد وآثار . ويرجع تاريخ إتصال سيوة بالعالم إلى سنة ١٥٠٠ م ، فقد بلغت شأنا عظيما فى عهد رمسيس الثالث وظلت خاضعة للحكم المصرى حتى سنة ٥٥٠ ق.م . وفى سنة ٥٢٥ ق.م حاول قمبيز ملك الفرس غزوها فسير إليها جيشا من جنوده وفرسانه الأقوياء . وكان هدفه من إرسال هذا الجيش تحطيم معبد آمون إلا أن الجيش هلك عن آخره ولم يبق من جنوده من يعود إليه ليحكى له المصير الرهيب الذى لقيه الجيش . وفى سنة ٣٣١ ق.م يمم الاسكندر المقدونى وجهه شطر سيوة مخترقا الصحراء من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ولم يكن غرضه من هذه الزيارة التدمير والتخريب كقمبيز ، ولكنه كان يبغى التودد إلى المصريين عن طريق آمون وكهنته . ولما جاء الرومان إلى مصر استعمروا الواحة كذلك فقد كانت تمدهم بالحاصلات الجيدة من الزيتون والبلح .

ولما ظهرت المسيحية وبدأ عهد الاضطهاد الدينى الذى كان يلقاه المسيحيون على أيدى أباطرة الرومان ، فر كثير من القساوسة والرهبان إلى سيوة واتخذوها ملجأ لهم وأنشأوا فيها الكنائس والأديار واستتبع ذلك دخول كثير من أهلها فى الدين المسيحى .

وفتح العرب مصر سنة ٦٤١ م ، إلا أن واحة سيوة ظلت مجهولة حتى سنة ٥٠ ه فقد حدث فى عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان أن أخبره بعض العرب أنهم ضلوا طريقهم فى الصحراء ، وأنهم عثروا على بلد غنى بالمحصولات والفواكه ، فأرسل عبد العزيز جيشا للبحث عنها ، ولكن الجيش عاد بعد شهر دون أن يعثر على الواحة المختفية فى الصحراء وظلت سيوة مجهولة لا يدركها أحد ، حتى سنة ٨٠ ه إذ عثر عليها موسى بن نصير بعد مسيرة سبعة أيام ، وأشرف عليها فرأى مدينة حصينة أبوبها صعبة المرتقى حاول أن يغزوها ولكن جهوده باءت بالفشل ، فحاصرها وظل على حصارها مدة طويلة ولم يفلح فى دخولها واضطر أخيرا إلى العودة دونها ، وفى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى تمكن العرب من دخولها عن طريق بنى هلال وبعض القبائل العربية . ومن ثم بدأ انتشار الإسلام بها ، إلا أنها لم تخضع خضوعا تاما للحكم الإسلامى إلا فى أواخر العصر الفاطمى سنة ١١٠٠ م .

ومنذ نهاية العصر الفاطمى إنقطعت أخبار سيوة ولم نسمع عنها شيئا يذكر حتى سنة ١٨٣٠ م حين اشتد الخلاف بين أهلها وانقسموا فريقين واستنجد فريق منهم بوالى مصر ، فأرسل إليها جيشا أخضعها خضوعا تاما وضمت سيوة إلى حكم مصر نهائيا ، وفرضت عليها الجزية . وظلت سيوة على هذا الحال حتى ظهر السنوسى الكبير ، فنشر تعاليمه فى أرجاء سيوة وأقام فيها كثيرا من الزوايا ، وامتد سلطانه بين العرب حتى أقام فى الواجهة محكمة لمعاقبة المذنبين . وفى أواخر أيامه قدم القاهرة وعسكر بالقرب من أهرام الجيزة حيث استقبل إستقبال الملوك . وجاء فى الخطط التوفيقية أن « سيوة كانت قاعدة الواحات البحرية التابعة لمديرية البحيرة . وفى سنة ١٩١٧ م ضمت لمحافظة الصحراء الغربية وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت تتبع محافظة مرسى مطروح .

وقد وردت سيوة فى المراجع العربية باسم (سنتريه) فيقول المقريزى أن مدينة (سنتريه) من جملة الواحات وهى الآن ، أى فى القرن الخامس عشر ، بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية وهى تقرب من لغة زناتة . وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك من كرم كثير . وبها الآن (فى القرن الخامس عشر) نحو عشرين عينا تسبح بماء عذب . ومن طريف ما يقوله المقريزى عن أهلها « وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن » .

وجاء فى معجم البلدان : « سنتريه بلد فى غربى الفيوم دون فزان السودان وهى آخر أعمال مصر وتعد من نواح واح الثالثة ، وهى قصبة الواحة ، وقد نسب إليها بعض أهل العلم . وقال البكرى ، : سنتريه كثيرة الثمار والعيون والحصون وأهلها كلهم بربر لاعرب فيهم » .

وواحة سيوة عبارة عن منخفض عظيم فى صحراء ليبيا يحدها شرقا واحة الزيتون وغربا ناحية المراعى . والأرض المنزرعة بها تبلغ ربع مساحتها والباقى عبارة عن أرض سبخة وتلال رملية وبحيرات مالحة ، وتتألف الواحة نفسها من عدة واحات صغيرة أهمها واحة سيوة وتنقسم إلى سيوة شرق وسيوة غرب ، وواحة الأغورمى ، والمراغى وخميسة وأبو الشروف وقوريشت والزيتون . ويتبعها إداريا عدة واحات صغيرة متلاصقة من الشرق والغرب وتسمى الحطايا . وللوصول إلى سيوة عدة طرق ويسمى العرب هذه الطرق بالمسارب التى تسمى عادة بأسماء الآبار التى تقع عليها . على أن أهم المسارب وأحسنها هو طريق مطروح سيوة وهو الطريق الذى سلكه الأسكندر المقدونى ، ويحتوى على كثير من الخزانات للمياه التى يرجع معظمها إلى العهد الرومانى ، والتى أعيد حفرها حديثا بعد أن كان قد طمس معظمها

وأهالى سيوة وشعبها بسطاء وديعون نشأوا على الفطرة ، وكان لانقطاعهم عن العالم مدة طويلة تأثير على أخلاقهم ، ولذلك فإن الكثير من معتقداتهم هى فى الواقع رواسب الماضى البعيد ، الذى يرجع إلى عهد الفراعنة ، ففى سيوة يكثر المنجمون والسحرة من

الرجال والنساء ، وهم متخصصون فى كتابة الأحجبة والتمائم بأنواعها ويعتقدون فيها إعتقادا كبيرا ، ويحملها الجميع بلا استثناء ، وهم يعتقدون فى تناسخ الأرواح فيؤمنون بتقمص الأرواح الشريرة فى الحيوانات كالماعز والبقر والحمير ، وإنها إذ قابلت إنسانا أخذت فى التضخم حتى تبلغ أبواب السماء

ولأهل سيوة تقاليد خاصة بهم ، منها أن العروس تتوجه بعد عقد القران إلى العين تستحم وتلبس رداء أبيض وتمكث فى حجرة منفردة بحيث لا تراها العذارى . ويطلقون على الأرملة اسم (الغولة) ويتجنبون رؤيتها مدة أربعين يوما من وفاة زوجها . وعندما يريد الرجل السفر ترش والدته أو أقرب الناس إليه لبنا وتدير رغيفا من الخبز حول رأسه سبع مرات وكل من تسلم عليه من النساء تضع فى يده بيضة ويخرج معه الرجال بعد صلاة العصر إلى خارج البلد ويدعون له بالسلامة والتوفيق ثم يؤذن أحدهم الآذان الشرعى ثم ينصرفون وعند عودته ينتظر خارج البلد ويرسل رسولا إلى أهله فيخرج أهله إلى مقابلته .

* * *

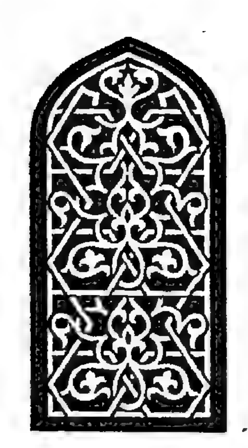
وصف الجامع

ومن الآثار الإسلامية التى ما تزال باقية حتى الآن بسيوة الجامع العمرى العتيق ، ويقال أنه يرجع إلى العصر الفاطمى ، أى أنه قد مضى عليه نحو ألف عام . ويتكون المسجد من مربع يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الأورقة من ثلاث جهات . وتقع القبلة فى الإيوان الشرقى الذى يحتوى على صفين من الدعائم تقسم الإيوان إلى ثلاثة أروقة ويعلو الدعائم عقود مدببة ، أما السقف فمن جذوع النخيل . وبكل من الإيوان الشمالى والجنوبى صف واحد من الدعائم ، أما الجهة الغربية فخالية من الأروقة . والمسجد مبنى كله من الطوب اللبن والطمى (الجالوص) . وللمسجد ثلاثة أبواب ويقع الرئيسى منها فى الجهة الغربية المقابلة لإيوان القبلة ، وإلى اليسار من هذا المدخل توجد المئذنة وهى مخروطية الشكل وتشبه إلى حد كبير مآذن مساجد محافظة أسوان وقوص وأسنا والجيوشى وكلها ترجع إلى العصر الفاطمى . ويطلق أهل سيوة على المئذنة اسم الصومعة وهو نفس الاسم الذى يطلقه مسلمو شمال أفريقية على المآذن .

ويعتبر المسجد فى واحة سيوة إلى جانب وظيفته الدينية مقر الحكم ففيه يجتمع رؤساء القبائل وأعيان الواحة ، كما أنه مقر القضاء . والنظام القضائى هناك مستمد من النظام القضائى الذى وضعه المسلمون فى شمال أفريقية والأندلس منذ فتحهم لتلك البلاد . ويقال

أن القانون المعمول به سجل بالخط الكوفى وبقى فى الواحة تتوارثه طبقة معينة من القضاة. وكان القانون يتألف من ست وثلاثين مادة ، ولما أضمحل نفوذ القضاة نتيجة للاستعمار العثمانى والإيطالى لصحراء ليبيا بطل تنفيذ القانون القديم وحل محله القضاء بالعرف واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٨٧٣ م حين شكل مجلس من الأعيان عرف بالمجلس الكبير ، ومجلس آخر يضم مشايخ الواحة عرف بمجلس المشايخ يعمل تحت إشراف مجلس الأعيان . ولما أصبحت سيوة تتبع مديرية البحيرة وضع لها قانون جديد وفى سنة ١٩٤٦ تقرر تعميم القضاء المصرى فى أنحاء الصحراء .





مشهد
السبعة وسبعين وليّا
بمدينة أسوان

يقول الأدفوى : وقدخرج من أسوان بخلائق كثيرة لا يحصون من أهل لعلم والرواية والأدب . ويقال أن قاضى قوص ذهب مرة لزيارة أسوان فخرج لاستقباله أربعمائة راكب بغلة للقائه . ويضيف : وكان بها ثمانون رسولا من رسل الشرع ، كما أخبرت عن مخطوط فيه أسم أربعين شريفا خاصا ومخطوطا آخر فيه سبعون شريفا دون غيرهم . كما حصلت على مخطوط به أسماء أربعين من أبناء الصحابة مؤرخ بعد العشرين وستمائة .

وقد انتشر الإسلام بأسوان منذ بدء ظهوره ، فقد عثر بها على شاهد قبر يرجع إلى سنة ٣١ هـ كما عثر على شواهد قبور أخرى مكتوب عليها الاسم ، ثم يجئ بعده كلمة الأنصارى ، ومعنى ذلك أن مدينة أسوان سكنها أقوام أتوا من شبه الجزيرة العربية من القرن الأول الهجرى ممن عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام .

إزدهرت أسوان فى العصر الإسلامى ، إذ ظلت منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى

طريقا إلى عيذاب حيث تبحر السفن إلى الحجاز والهند ، واشتغل أهلها بالتجارة وخاصة العطارة وسن الفيل والصمغ وريش النعام ، كما كانت تمتاز بالتمر ، ويقول المقريزى فى ذلك : والبلد كثير النخل ، خصيب كثير الخير ، تودع النواه فى الأرض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ، ويقول القاضى الفاضل ، أن متحصل ثغر أسوان فى سنة واحدة ثلاثون ألفا أردب من التمر .

وكانت حدود أسوان متداخلة مع بلاد النوبة ، ولذلك كان على من يملك من أهلها ضياعا داخلة بأرض النوبة أن يؤدى خراجها إلى ملك بلاد النوبة ، وقد أبتيعت هذه الضياع من بعض رجال النوبة فى صدر الإسلام فى عهد الدولة الأموية وأوائل العصر العباسى . وقد أغار ملك النوبة سنة ٣٤٤ ﻫ فى العهد الأخشيدى على أسوان فخرج إليه محمد ابن عبد الله الخازن بجنوده برا وبحرا وهزمه وأسر وسبى كثيرا من النوبيين وسار جنوبا حتى وصل (أبريم) وفتحها . وكان ثغر أسوان حتى نهاية العصر الفاطمى خاضعا خضوعا تاما للدولة ، فقد كان بأسوان دائما قوات من الجيش على أهبة الاستعداد لحمايته ضد غارات النوبة والسودان ، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل أمر الثغر ، مما شجع ملك النوبة على الهجوم والاستيلاء علية .

وقد سكن أسوان واستوطن بها بنو الكنز ، وهم بطن من ربيعة بن نزار ، وكانوا ينزلون اليمامة ، وقدموا مصر فى خلافة المتوكل على الله العباسى سنة ٢٤٠ ﻫ فى أعداد كبيرة ونزلت طائفة منهم بأعالى الصعيد ، ويقول عنهم الأدفوى : وكان بها (أسوان) بنو الكنز أمراء أصائل من ربيعة ، أهل فتوه ومكارم ممدحون ممقصودون من البلاد الشاسعة والأماكن المتباعدة صنع لهم الفاضل أبو الحسن على بن عرام الأسوانى سيرة وذكر مناقبهم وحالهم وجمع أسماء من مدحهم من أهل ثغر أسوان ، ومومن ورد عليهم . وقد أدركنا منهم (الأدفوى) فخر الدين لمكا وابن أخيه نجم الدين عمر وكانا مشهورين بالمكارم والإحسان .

ويقول ابن عرام الأسوانى فى مدح كنز الدولة بن متوج :

رضيت بسلطان الهوى متسلطا على مهجتى فى الحكم بالجور لا العدل

بقلبى سهم لا بقلبك صائب رميت به من سحر أعينها النجل

تنام خلى البـــال مـمـا يحسه شبح كحلت عيناه بالسهد لا الكحل

وفى القرن السادس الهجرى وصل بنو الكنز من القوة والثراء فى أسوان درجة كبيرة مما جعلهم يعتقدون أنه فى استطاعتهم مناوءة الدولة الأيوبية واسترجاع خلفاء الدولة الفاطمية ، فقد ورد فى حوادث سنة ٥٧٠ هـ فى كتاب السلوك للمقريزى : وفيها جمع كنز الدولة وإلى أسوان العرب والسودان وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأنفق فى جموعه أموالا جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين فخرج فى قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادى ، وأخذ بلاد قوص وانتهب أموالها ، فجهز صلاح الدين أخاه الملك العادل فى جيش كثيف ومعه الخطير مهذب ابن مماتى ، فلقى كنز الدولة بناحية طود ، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة ، بعد ما قتل أكثر عسكره ، ثم قتل كنز الدولة ، وقدم العادل إلى القاهرة .

مما تقدم يتبين لنا أن بنو الكنز كانوا متشيعين للفواطم ، ولذلك فمن المرجح أن يكون المسجد الذى يعرف الآن لدى أهل أسوان باسم (السبعة وسبعين وليا) بناه بنو الكنز فى العصر الفاطمى بالقرب من قباب وأضرحة موتاهم من الشخصيات الورعة التقية وهم كثرة ، خاصة وأنهم وفدوا على أسوان منذ سنة ٢٤٠ هـ . هذا بالإضافة إلى أن التصميم المعمارى للمسجد يثبت أنه فاطمى كما سنوضح ذلك فى حينه .

وعلى أثر إنكسار جيش كنز الدولة ، تقدم جيش صلاح الدين إلى أسوان ودخلوا بيوت بنى الكنز فوجدوا بها قصائد فى مدحهم منها :

وينجده إن خانه الدهر أو سطا أناس إذا ما انجـــد الذل اتهموا

أجاروافما تحت الكواكب خائف وجادوا فما فوق البسيطة معـــدم

فقال الملك العادل أخو صلاح الدين ، قائد الجيش : وما عند هذا البدوى (كنز الدولة يجازى به على هذه القصيدة ، فوجد أنه أجازه عليها بألف دينار .

ويضيف الأدفوى فيقول : وأخبرت أنه أوقف علية ساقية تساوى ألف دينار وإنما وقف عليهم إلى الآن « أى فى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) » .

ومنذ العصر الأيوبى أصبح ملوك وسلاطين مصر ينظرون إلى بنى الكنز نظرة شك وريبة ولذا كانوا كثيرا ما يصادرون أملاكهم وأموالهم حتى يضعفوهم ويكسرون شوكتهم ، ففى عصر الناصر محمد بن قلاوون ، طلب الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة إذاك ، نجم الدين الكنزى ، فقال له : والله ما أعطيك حبة ، فحبسه بالقلعة مدة ، فرتب نجم الدين لمن معه فى الحبس ، لكل محبوس رغيفين وزبدية فى كل يوم ، ولم يجد فى المكان سقاية فجعل به سقاية نقرا فى الحجر .

وكان بنو الكنز أهل جود وكرم فقد جاء فى كشف الغمة للمقريزى : لما كان زمن الغلاء فى سنة أربع وتسعين وستمائة ، قام (بنو الكنز) بفقراء أسوان وأعطوا الغلال حتى نفذت ثم الثمار حتى فرغت تم ذبحوا الغنم حتى خرج الغلاء . ولهم بأسوان آثار جميلة وأوقاف على وجوه البرجزيلة .

وفى سنة ٧٩٠ ﻫ إستطاع بنو الكنز أن يستردوا ثغر أسوان من ملك النوبة ولكنهم احتفظوا به لأنفسهم فقامت بينهم وبين ولاة أسوان من قبل دولة المماليك عدة حروب حتى كانت محنة سنة ٨٠٦ ﻫ عندما انخفض منسوب النيل وحدثت مجاعة وخرب إقليم الصعيد ، وتخلت الدولة عن أسوان ، ولم يبق للسلطان فى المدينة وال . واستمر الحال على ذلك بضع سنين حتى زحف أهل هوارة على بنى الكنز سنة ٨١٥ ﻫ وهزموهم وهدموا سور المدينة وتركوها خرابايبابا . وفى نهاية القرن التاسع الهجرى استعادت المدينة مكانتها التجارية .

وكما كانت أسوان مركز تجاريا ، كانت كذلك مركزا ثقافيا مهما فى القرنين السادس والسابع للهجرة ، فقد كان بها ثلاث مدارس لتدريس علوم الشريعة واللغة العربية

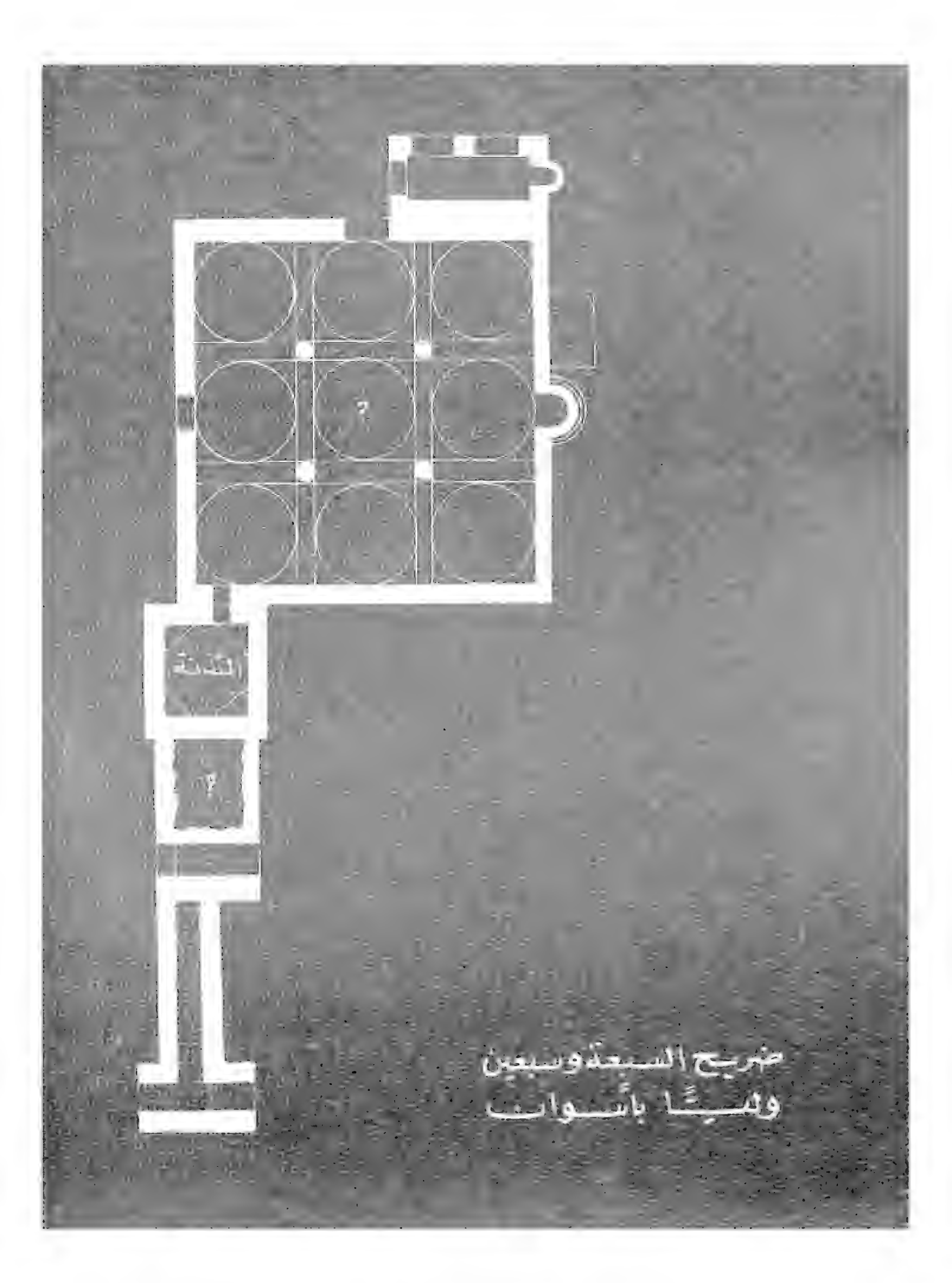
أقدمها مدرسة أسوان ، وقد درس بها العلامة إسماعيل بن محمد بن حسان الأنصارى ، والمدرسة السيفية وقد تولى التدريس فيها العلامة عمر بن محمود الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٧ هـ ، والمدرسة النجمية (نسبة إلى الأمير الكنزى نجم الدين عمر) وقد درس بها علماء أجلاء منهم العلامة الحسن بن محمد بن عبد العزيز المفضل المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ، وقد تخرج فى هذه المدارس عدد كبير من العلماء والأدباء .

وقد يكون من الطريف أن نذكر أن فكرة بناء خزان بأسوان نشأت فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى فى أوائل القرن الخامس الهجرى (١١ م) ، فقد بلغه أن الرياضى الكبير والمهندس البصرى الحسن بن الهيثم قال : لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملا يصلح به النفع فى كل حالة من زيادة ونقص ، فأرسل إليه الحاكم ، يدعوه إلى الحضور ويرغبه فى ذلك ، فلما وصل إلى الشلال وعاين الموقع الذى تخيره ، ولامر ما امتنع عن تنفيذ فكرته وتظاهر بالجنون .

وصف المشهد

وقد احتفظت لنا جبانة أسوان بعدد كبير من القبور وشواهدها التى يمتد تاريخها من القرن الثانى للهجرة حتى نهاية العصر المملوكى . وبهذه الجبانة توجد أول محاولة لإقامة القباب على الأضرحة فى مصر فى العصر الفاطمى ، ومن أهم آثار أسوان الإسلامية (السبعة وسبعين وليا) الذى يقول عنه الأسوانيون أنه ضريح ، ولكنه فى الواقع مسجد كما يتضح من تخطيطه ، فهو يتكون من شكل رباعى تبلغ مساحته (١٢) مترا مربعا يقسمه صفان من البوائك إلى ثلاثة أروقة ، وتتكون كل بائكة من عمودين من الجرانيت تعلوها عقود تقوم فوقها قباب ضحلة ، وهكذا نرى أن المسجد قد غطى بتسع قباب . وللمسجد مدخلان فى مواجهة حائط القبلة يؤديان إلى ردهة بعرض المسجد تتقدم الأروقة .

ويشبه مسجد (السبعة وسبعين وليا) مشهد ابن طباطبا بالقاهرة ، غير أن الدعائم ذات التخطيط المتعامد قد حل محلها أعمدة من الجرانيت فى أسوان ، كما أن المحراب فى أسوان مستدير من الخارج بخلاف طباطبا فهو مربع وبذلك يمكن إرجاع هذا الأثر إلى العصر الفاطمى .



ضريح السبعة وسبعين
وليًّا بأسوان



الجامع العتيق
بإسنا
بمحافظة قنا

إسنا مدينة مصرية قديمة بالصعيد الأعلى ، ذكرها جويتية فقال ، إن أسمها المقدس (Hat Khnounmou) ومعناها قصر الإله خنومو وهى ترمز للسماء ، وأسمها المدنى (aount) أو aounit أو (Tasn) وهو أسمها فى العصر الرومانى ومنه أخذ أسمها القبطى (Seni) أو (Sna) أو (Esna) ومنه أسمها العربى وهو إسنا . أما أسمها الرومانى فهو (Latopolis)

وكانت فى العصر الفاطمى قاعدة كورة[1] وفى العصر المملوكى كانت من أعمال القوصية ، وفى العصر العثمانى أصبحت من أعمال ولاية جرجا . وفى سنة ١٨٣٣ أصبحت إسنا قاعدة مأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هذه المأمورية تضم أحيانا إلى قنا ويتكون منهما مديرية واحدة . وفى سنة ١٨٦٨[2] فصلت إسنا عن قنا وأصبحت مديرية إسنا ، وكانت

(١) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٠

(٢) القاموس الجغرافى جـ ٤ ص ١٥٢

تتكون من أربعة أقسام وهى إسنا وإدفو والكنوز وحلفا . ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية فى السودان ألغيت مديرية إسنا وأضيفت إلى مديرية قنا وكان ذلك سنة ١٨٨٨ م .

كانت إسنا ولا تزال مدينة عظيمة بلغ عدد منازلها فى القرن (١٤) ثلاثة عشر ألف منزل كلها مبنية بالآجر ، وكان بها سبعون[١] حارة كبيرة . وكان بها ثلثمائة وسبعون فدانا مغروسة نخيلا وكرما وقصبا ، قال الأدفوى[٢] ، إنه كان يتحصل سنويا من إسنا أربعون ألف أردب تمرا وإثنا عشر ألف أردب زبيبا . وكان بها كثير من المتاجر والحوانيت والحانات ترد إليها البضائع من القاهرة والأقاليم القبلية وأهمها الأقمشة ، كالبرد والأردية المسماه الشقق الخاصة بالرجال والنساء ، وكان بها كثير من الحرف كصناعة المنسوجات الصوفية السميكة المعروفة (بالكليم) وصناعة المقاطف ونحوها مما يصنع من سعف النخيل ، كذلك كان يرد إلى إسنا القوافل الآتية من سنار تحمل إليها الحاصلات السودانية كما كانت تشتهر بأبراج الحمام[٣] .

ومن الأحداث التاريخية الهامة التى وقعت بأسنا وذكرها ابن تغرى[٤] بردى ، خروج ابن الصوفى العلوى بالصعيد ودخوله إسنا سنة ٢٥٥ هـ فنهبها وقتل أهلها ، وكان الوالى على مصر فى ذلك الوقت هو أحمد ابن طولون ، فبعث إليه بجيش إلتقى مع ابن الصوفى فى ناحية (هو) فانهزم جيش ابن طولون ، فأرسل إليه جيشا آخر فالتقيا بأخميم وانهزم ابن الصوفى وفر إلى أسوان ثم إلى مكة .

ويقيم باسنا عدد غير قليل من الأقباط ، ولذلك فإننا نجد بها الكثير من الكنائس والأديرة ولعل أهمها دير وكنيسة منعزلان عنها وفى الجهة القبلية ، وتعرف الكنيسة مقتلة النصارى نسبة لاستشهاد كثير منهم بها فى العصر الرومانى[٥] كما أن ديرها كان من أشهر أديرة الصعيد الأعلى .

---

(١) معجم البلدان جـ ٩ ص ٢٢٩
(٢) الطالع السعيد ص ١٧
(٣) الخطط التوفيقية جـ ٨ ص ٦٠
(٤) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٦
(٥) أبو صالح الارمينى ص ٨٧

وبالمدينة كثير من المساجد الجامعة أقدمها الجامع العمرى الكبير[1] الذى يحتوى على لوحة تأسيسية منقوش عليها اسم بدر الجمالى سنة ٤٧٠ هـ فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

ومن المساجد الهامة هناك ، جامع الضوى نسبة إلى الشيخ الضوى المدفون بقبة متصلة بالجامع . وكان باسنا كثير من البيوت المعروفة بالأصالة والرياسة والفضل حتى قيل إنه كان بها فى وقت واحد سبعون شاعرا ، وخرج منها عد جمع كبير من أهل العلم والأدب . ومن بيوتها العريقة بنو السديد وبنو الخطيب وبنو اشواق وبنو النضر ، فقد تولى معظم أعضائها مراكز رئيسية وهم الذين بنو جامع الخطبة سنة ٤٢٠ هـ ، ثم أضافوا إليه زيادة سنة ٤٩٥ هـ ، وإن كانت يد الإصلاح والتعمير قد توالت عليه فلم تترك أثرا للمبنى القديم . وكان المذهب الشيعى منتشرا باسنا حتى العصر المملوكى ، وقد استطاع الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطى عندما وفد إليها أن يخفف من حدة التشيع .

---

(١)

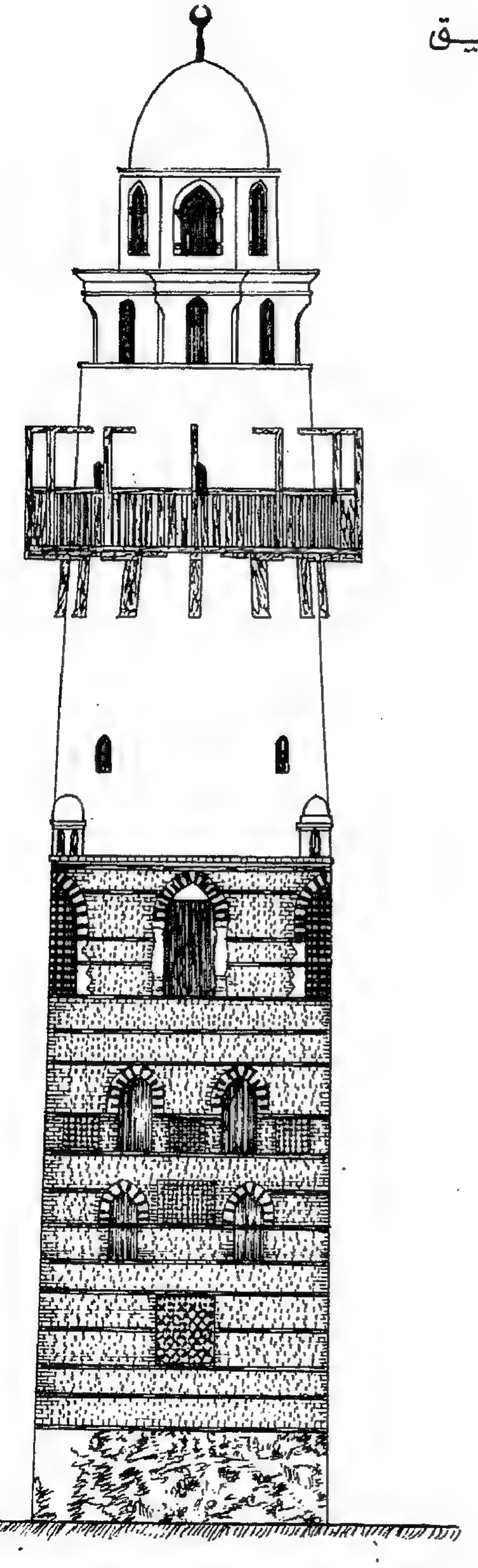
وصف الجامع

ومن أهم مساجد إسنا الجامع العتيق ، ويعرف كذلك باسم الجامع العمرى ، وهذه التسمية الأخيرة تكاد تطلق على أقدم مسجد فى كل إقليم أو منطقة من مناطق مصر وذلك نسبة إلى أن جامع عمرو بن العاص هو أول مسجد أنشئ فى مصر الإسلامية .

يرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر الفاطمى ، وقد تهدم المسجد القديم وجُدد عدة مرات فتغيرت معالمه الأصلية ولم يبق منه غير المئذنة التى تقع فى الركن القبلى من الواجهة الغربية للمسجد . وقد طرأ على قاعدتها بعض التغير أثناء العمارة التى أجريت للباب الغربى سنة ١٢٩٥ هـ . وعلى قاعدة المئذنة مزولة من عمل خليل أفندى إبراهيم مهندس الخريطة الفلكية سنة ١٢٨٧ هـ . وقد ثبت على يمين المحراب لوح من الرخام مقاسه ٢٩ × ٥٨ سم مكتوب عليه بالخط الكوفى « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

صلوات الله وبركاته على مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمارة هذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيش سيف الإسلام ناصر أبو النجم بدر المستنصرى أدام الله قدرته ، وأعلى كلمته القاضى أبا الحسن على بن أحمد بن النضر فأسس فى النصف من ذى الحجة سنة تسع وستين وأربع مائة

اسنا - منارة جامع العمرى أو العتيق



وسقف فى النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربع مائة وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته كما يصرف إهتمامه إلى عمارته »..

وقد احتوى النص التذكارى اسم (ابن النضر) على اعتبار أنه قام بعملية التعمير من قبل بدر الجمالى ، ويحدثنا الأدفوى[1] عن بنى النضر فيقول « وبنو النضر رؤساء أعيان وهم الذين بنو جامع الخطبة باسنا بعد العشرين وأربعمائة » ويضيف على ذلك فيقول « وبنى الزيادة التى فيه على بن محمد منهم فى سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وكان ذلك ناظر الأحباس بالأعمال القوصية » .

يتبين لنا من هذا النص الأخير أن الذى عمّر هذا الجامع هم بنو النضر سنة ٤٢٠ ﻫ ثم زادوا فى عمارته سنة ٤٥٩ ﻫ ، وليس بدر الجمالى كما يقول حسن عبد الوهاب[2] ، ولكن من المرجح أن يكون قد أعيد بناء بعض أجزاء الجامع كما هو ثابت فى اللوحة التأسيسية بدر الجمالى ذلك على يدى على بن النضر .

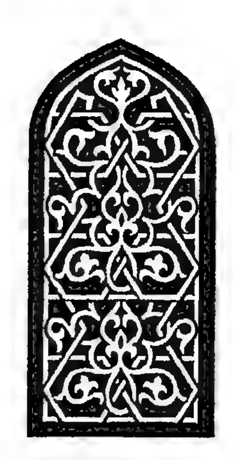
وتعتبر مئذنة جامع إسنا من أقدم المآذن المؤرخة فى مصر الإسلامية ، وعلى غرارها أنشئت مآذن الوجه القبلى ، كما بقيت اللوحة التذكارية لإنشائها وهى مثبته على يسار المحراب مكتوبة بالخط الكوفى ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . أمر بإنشاء هذه المئذنة الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج المعالى ذو العز بن حسام أمير المؤمنين أبو منصور سارتكين الجيوشى نصره الله وظفره وأحسن عونه فى شهور سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، إبتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه ورجاء الدار الآخرة والامن عقابه رحمه الله تعالى وحشره مع مواليه صلوات الله عليهم أجمعين ورحم من ترحم عليهم آمين يارب العالمين » .

---

(١) الطالع السعيد ص ١٧

(٢) تاريخ المساجد الأثرية ص ٦٦



مسجد
زاوية الجيوشى
بسفح جبل المقطم

لقد كان للسياسة التى اتبعها خلفاء الدولة الفاطمية فى اعتمادهم على أجناس مختلفة فى تأليف جيشهم أسوأ الأثر فى أمن البلاد واستقرارها ، فقد أدت هذه السياسة إلى قيام التنافس المستمر بين تلك الأجناس ، وإذا كان خطر تلك السياسة لم يظهر فى عهدالخلفاء الأقوياء ، الا أنه ظهر واضحا جليا عندما بدأت البلاد تتعرض للأخطار الخارجية . ومما زاد الحالة سواء تلك المجاعة التى بدأت بانخفاض النيل سنة ٤٥٧ هـ واستمرت سبع سنين ، مما أدى إلى قلة الاقوات بمصر والقاهرة وغلت الأسعار حتى بلغ ثمن الرغيف من الخبز أربعة عشر درهما وأردب القمح ثمانين دينارا والبيضة الواحدة دينارا ، وكان ذلك فى عهد الخليفة المستنصر بالله حتى عرفت تلك الازمة باسم الشدة المستنصرية .

إزاء تلك الظروف جميعها اضطر الخليفة المستنصر سنة ٤٦٦ هـ أن يبعث إلى بدر الجمالى وإلى عكا يطلب منه القدوم ليتولى تدبير شئون الدولة فى مصر ويصلح ما فسد منها فاشترط أن يحضر معه من يختاره من جنوده وعساكره بالشام حتى يستغنى تماما عن طوائف الجند

المتنافسة التى تكوّن جيش الخلافة بمصر . ولما قبل الخليفة شرطه بل رحب به ، أبحر بدر الجمالى من عكا ومعه جند كثير من بنى جلدته من الأرمن وغيرهم ونزل مع جنده بدمياط ، ثم واصل سيره حتى وصل إلى قليوب ، وهناك بعث الى المستنصر يقول له إنه لن يدخل القاهرة الا بعد قتل القائد التركى ، الذى كان سببا فى إثارة كثير من المتاعب والشغب فوافقه الخليفة على طلبه .

وبدر الجمالى الملقب بأمير الجيوش ، هو أبو النجم بدر الجمالى كان مملوكا أرمينيا لجمال الدولة بن عمار ، فلذلك عرف بالجمالى ومازال يأخذ بالجدوالهمة والعزم فى كل ما يوكل إليه ويباشره وينتقل فى الخدم من درجة إلى أخرى حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ثم تقلد نيابة عكا سنة ستين ، فلما كانت الشدة بمصر من شده الغلاء وكثرة الفتن ، والاحوال بحاضرة الدولة قد فسدت ، كتب اليه المستنصر كما سبق القول ، يستدعيه ليكون المتولى لتدبير أمر دولته .

ويصف المقريزى رحلة بدر الجمالى البحرية من مكا إلى مصر بشئ من التفصيل ليبين انه كان حسن الحظ دائما حتى فى مواطن الهلاك فيقول : « وركب البحر من عكا وسار بمائة مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر فى الشتاء لهيجانه ، ولخوف التلف . فأبى عليهم وأقلع فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعدّ من سعادته فوصل إلى تنيس ودمياط ، واقترض المال من تجارها ومياسيرها ، وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة ، وسار إلى قليوب فنزل بها وأرسل إلى المستنصر يقول : لا أدخل مصر حتى تقبض على (بلدكوش) وكان أحد الأمراء الاتراك ، فقبض عليه المستنصر واعتقله بخزانة البنود » .

ويسير المقريزى فى سرد قصة مجئ بدر الجمالى إلى مصر حتى ينتهى إلى وصف ، كيف تمكن بدر من التخلص من الامراء والقواد المشاغبين فى أول ليلة وطئت فيها أقدامه القاهرة فيقول : « فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة وذلك انه لما قدم لم يكن لاعند الامراء

علم باستدعائه فما منهم الا من أضافة وقدم إليه فلما انقضت نوبتهم فى ضيافته استدعاهم إلى منزله فى دعوة صنعها لهم ، وبيت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل فانهم لابد يحتاجون إلى الخلاء فمن قام منهم يقتل هناك . ووكل بكل واحدا واحدا من أصحابه ، وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال وضياع وغيره » .

ويصف المقريزى مظاهر الحفاوة والكرم التى استقبل بها بدر الامراء بداره بحارة برجوان (بحى الجمالية الآن) حتى يجئ إلى كيفية القضاء عليهم فيقول[1] : « فصار الامراء إليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طلع ضوء[2] النهارحتى استولى أصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤوسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم أمره وخلع عليه الخليفة المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد فى القابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين » .

ويصف ابن تغرى بردى حالة الخلافة فى وزارة بدر الجمالى فيقول : وقد تحكم فى مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر ، واستبد بالأمور فضبطها أحسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها إلا خالقها ، الا انه عمّر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من أهلها . وكانت له محاسن منها أنه أباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا فى أيامه . ومنها حضور التجار إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها فى أيام الشدة ، ومنها كثرة كرمه .

ولعل من أهم آثار بدر الجمالى التى ما تزال باقية بالقاهرة والتى تشهد له بالقوة والجبروت الابواب الثلاث الباقية بالسور الثانى الذى أقامه حول القاهرة وهى باب النصر وباب الفتوح فى الشمال وباب زويله فى الجنوب . ويحدثنا المقريزى عن سور القاهرة فيقول إعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات : الاولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه لأمير الجيوش بدر الجمالى فى أيام الخليفة المستنصر ، والمرة الثالثة بناه الأمير الخصى بهاء الدين قرقوش الأسدى فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب » .

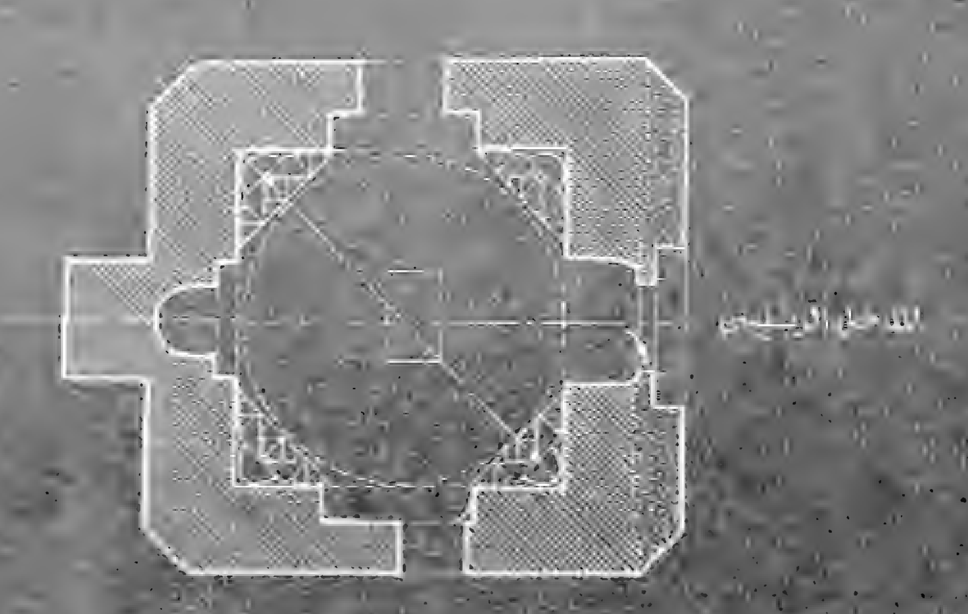
---

(١) الخطط جـ ١ ص ٣٨٢

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٦٣

ويفصل فى وصف السور الثانى فيقول : بناه أمير الجيوش فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التى فيما بين بابى زويلة وباب زويلة الكبير ، وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن . وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم إلى باب النصر الآن . وجعل السور من الطوب اللبن وأقام الأبواب من الحجارة » .

وتوفى بدر الجمالى فى سنة سبع وثمانين واربعمائة وكانت مدته بمصر إحدى وعشرين سنة وهو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر . وقد اختلف المؤرخون فى تحديد مكان قبره فبعضهم قال انه دفن بزاويته بسفح جبل المقطم ، ولكن الغالبية العظمى ينفون ذلك ويؤكدون دفنه فى مقبرة خارج باب النصر .



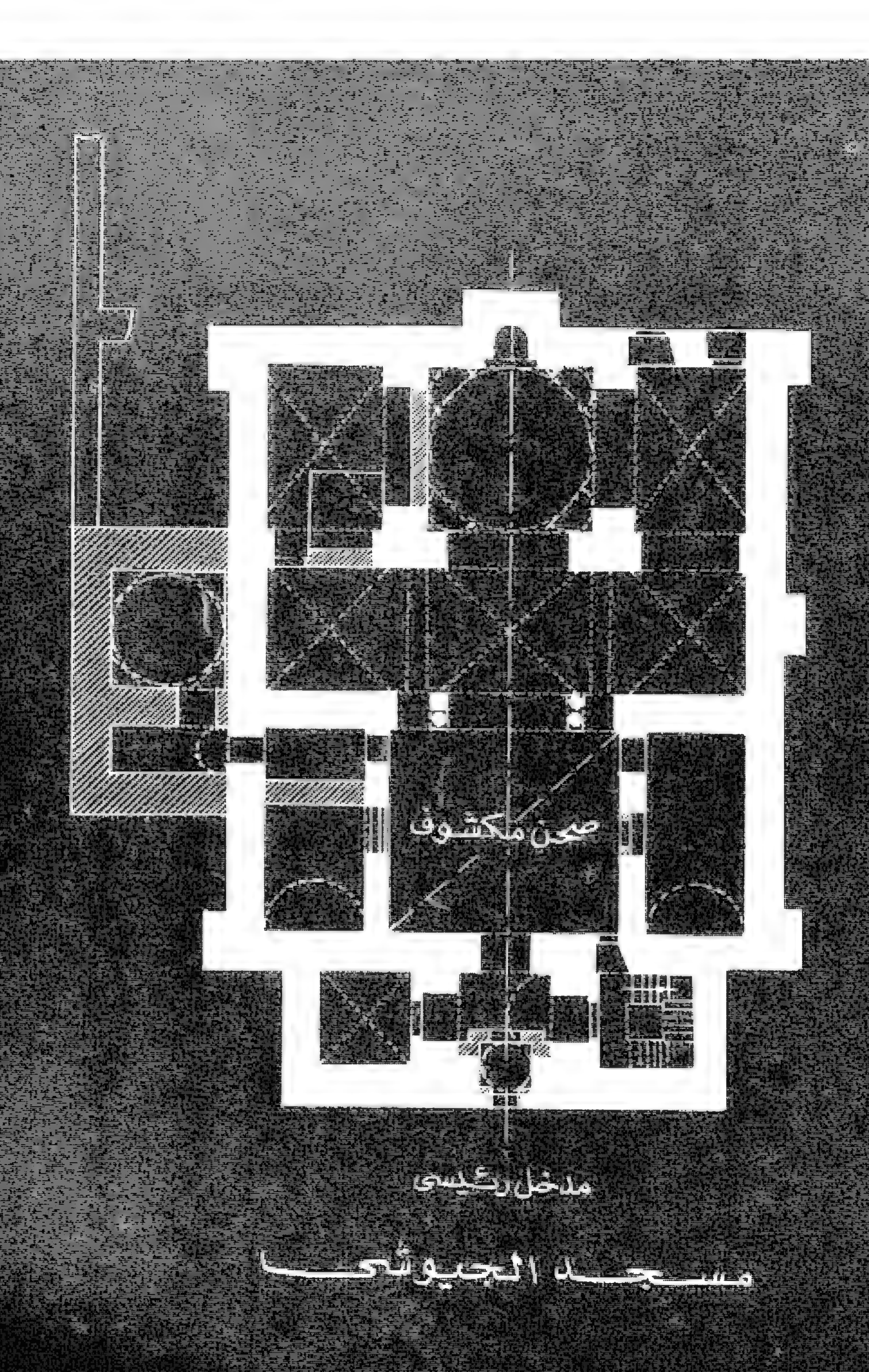
ضريح الشيخ يونس
"محسن بدر الجمالي"

وصف المسجد

تقع زاوية الجيوشى على قمة جبل المقطم فى مواجهة قلعة صلاح الدين وفوق جامع أخيه يوسف مباشرة ، وهى بموقعها هذا تشرف على منطقة القرافة الصغرى بالإمام الشافعى والجزء المطل على النيل من مصر القديمة والمراعى الخضراء بمنقطة البساتين .

وهى عبارة عن مستطيل يقسمه محور إلى نصفين متماثلين تماما ، اللهم الا الجانب الشمالى الشرقى حيث اضيف إليه فيما بعد بئر . وتبلغ مساحة الزاوية خمسة عشر مترا عرضا فى ثمانية عشر مترا طولا ، ويقع المدخل الرئيسى فى الواجهة الشمالية الغربية تحت المئذنة مباشرة . ويتكون المدخل من باب صغير يعلوه عقد مدبب يؤدى إلى ردهة مقبية فوقها ردهة أخرى مغطاة بقبة صغيرة موضوعة على الجدران المربعة مباشرة دون مقرنصات . وعلى جانبى الردهة يوجد حجرتان صغيرتان ، اليسرى منهما مغطاة بقبو متقاطع ، وبها نافذة فى أعلى الجدار الشمالى ، وتحتوى هذه الحجرة على (بيارة) . أما الحجرة اليمنى فهى مكشوفة وبها درج يؤدى إلى سطح الزاوية .

وندخل من الردهة الخارجية عن طريق عقد مدبب إلى صحن الزاوية الذى تبلغ مساحته (٦٫٥) — (٥٫٥) متر وعلى جانبه غرفتان مستطيلتان يدخل اليهما من فتحتين معقودتين بالصحن . وقد اقتطع جزء من الغرفة اليسرى وغطى بقبو مستعرض وفتح له فتحة فى الجدار الشمالى ليؤدى إلى (البيارة) .



صحن مكشوف
مدخل رئيسى
مسجد الجيوشى

وبالجهة الشرقية للصحن يوجد مدخل ذو ثلاثة عقود مدببة المتوسط منها متسع والجانبيان صغيران ، وتعتمد العقود على عمودين متجاورين من الرخام وهى مختلفة الأحجام والتيجان وتؤدى هذه الواجهة ذات الثلاثة عقود إلى ردهة كبيرة مستطيلة مغطاة بثلاثة عقود متقاطعة ، وتؤدى هذه الردهة الكبيرة بدورها إلى ثلاثة عقود ، العقد المتوسط يؤدى إلى مربع مغطى بقبة ، وفى صدره المحراب والمربعان الجانبيان مغطيان بأقباء متقاطعة . وبالمربع الأيسر يوجد قبر أحد الشيوخ وان كانت العامة تقول انه قبر سيدى الجيوشى على اسم منشئ الزاوية .

ولعل أجمل ما فى هذا المحراب الزخارف الجصية التى تحيط بالمحراب والتى تشبه زخارف الجامع الأزهر . ويتكون المحراب من حنية مستديرة يعلوها عقد مدبب يرتكز على عمودين فقدا الآن ويحيط بالمحراب شريط من الكتابة بالخط الكوفى المزهر كما يوجد شريط من الكتابة من سورة الفاتحة يحيط بالمربع الذى تعلوه القبة ، كما نقش على شكل دائرة فى سمت القبة الآية (٣٩) من سورة يس « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » وفى الوسط نقش اسم محمد وعلى مكررين ثلاث مرات على شكل نجمة ذات ستة رؤوس .

وتتكون المئذنة من برج مربع بارتفاع (١٤ر١٨) مترا ويعلو ذلك صفان من الدلايات مبنية من الآجر والجص ، وفى داخل هذا المكعب يوجد مكعب صغير به اربع نوافذ معقودة ويعلو هذا رقبة مثمنة بكل وجه منها نافذة معقودة ويعلو ذلك قبة صغيرة . وبذلك يكون ارتفاع المئذنة كلها (٢٠) مترا ، وهى تحتوى على طابقين من الداخل .

اما تاريخ الزاوية فمنقوش على لوحة من الرخام تعلو عتب المدخل الرئيسى . وتتكون الكتابة من خمس سطور من الخط ، جاء فيها انشأ هذه الزاوية مولى أمير المؤمنين الأمام المستنصر بالله أمير الجيوش فى المحرم من سنة ثمانية وسبعين وأربعمائة .



مسجد
الشيخ عطية عز الدين بن يحيى
المعروف بأبى الريش بمدينة دمنهور

ينتهى نسب الشيخ عطيه عز الدين إلى الإمام ادريس بن عبد الله بن الحسن العلوى الذى فر إلى بلاد المغرب الأقصى حيث أسس دولة الادراسة . وكان ذلك فى عهد الخليفة هارون الرشيد على إثر محاربة العباسيين للعلويين والانتصار عليهم فى موقعة (فخ) التى استشهد فيها عدد كبير من العلويين واتباعهم . وقد بقيت أسرة شيخنا فى فرشلة بالمغرب الاقصى فى كنف أجدادهم الادراسة حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ولما بدأت دولة الادراسة يدب فيها الضعف بسبب مناوئة الفواطم لهم ، رحل جد الشيخ عطيه يحيى بن محمود الفرشلى إلى مكة المكرمة حيث أنجب ولده عز الدين وكان ذلك سنة ٣١١ هـ فى عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله . وقد بقى عز الدولة فى مكة حتى بلغ الواحد والسبعين من عمره ثم رحل منها إلى المدينة المنورة وكان ذلك فى عهد الوالى الحسن بن طاهر بن مسلم من أحفاد الحسين ، المعين من قبل الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى مصر . وقد كان مجئ عز الدين إلى المدينة بناء على رغبة الحسن بن طاهر الملحة فى الحضور إليه لما سمعه عنه من الورع

والتقوى وسداد الرأى والتفاف بنى الحسن حوله . وقد لعب عز الدين والد شيخنا دورا فعالا فى تاريخ المدينة السياسى فى ذلك الوقت كان له أكبر الأثر فى بقائها فى يد الشيعة الفواطم ، فقد نحدث فى عهده أن حاول الخليفة العباسى أن يغرى والى مكة والمدينة بالمال والخلع التى بعثها اليهما كما وعدهما بالعمل على ابقاء الحكم وراثيا فى ابنائهما من بعدهما لكنهما رفضا تلك العروض جميعا قائلين له : إن الخطبة فى مكة والمدينة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله دون سواه » .

وفى المدينة المنورة ولد الشيخ عطية أبو الريش سنة ٣٩٤ هـ حيث أمضى طفولته ومعظم شبابه وتلقى العلم على أيدى فقائها وعلمائها ولم يتقيد فى دراساته الدينية والفقهية بمذهب آبائه واجداده الشيعى بل درس وتفقه فى المذهب السنى المالكى . وفى مدرسة الإمام مالك بالمدينة ظهر أمز شيخنا خاصة وهو العلوى النسب . ولعل السبب فى اختيار الشيخ عطيه مذهب مالك فى ذلك الوقت دون غيره من مذاهب السنة الأخرى هو أن الإمام مالك اعتمد فى مذهبه على أصليين هما قول الصحابي وعمل أهل المدينة وهما الأمران اللذان صبغا مدرسته الفقهية بتضييق الرأى إذا قورنت بغيرهما من مدارس الفقة المعاصرة . وقد خلّف لنا مالك كتاب (الموطأ) وفيه أحاديث جمعها من خمسة وتسعين رجلا كلهم مدينون الا ستة ، ومما رواه عن الستة قليل . ورغبة فى الاطلاع على آثار مالك غير المباشرة ، التى جمع منها أسد بن الفرات تلميذ مالك ستة وثلاثين ألف مسألة فقهية وحملها إلى العراق ، رحل الشيخ عطيه إلى بغداد ولكنه لم يستطع البقاء هناك طويلا نظرا لاضطراب الأحوال بسبب الخلاف الدائم بين الخلفاء العباسيين وبين بنى بويه وخاصة بعد وفاة بهاء الدولة البويهى فى عهد الخليفة القادر بالله العباسى سنة ٤١٦ هـ فتركها وحضر إلى مصر .

وكان مجئ الشيخ عطيه إلى مصر فى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى الذى اتسم عهده باللين والتسامح ازاء السنيين إذ ترك لهم مطلق الحرية فى أداء شعائرهم ، كما أهملت بعض المظاهر الشيعية ، فصار المؤذنون لا يحرصون على ذكر عبارة حى على خير العمل فى الآذان وصارت تعاليم مذهب الإمام مالك والإمام الشافعى والإمام احمد بن حنبل تدرس فى عهده

فصار الخليفة الظاهر يراعى مذهب الإمام مالك ومن سأله الحكم به اجابه ، **كما يقول** القلقشندى[1] اما مذهب الإمام أبوحنيفة فلم يلق تأييدا من الفاطميين لأنه مذهب العباسيين .

وفى مصر نزل الشيخ عطيه بمسجد عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط وهناك درس المذهب الشافعى وتفقه فيه حتى كان يفتى ويقضى به فى الجامع العمرى. وكان الشيخ عطيه ورعا تقيا دمث الاخلاق ولذا كثر تلاميذه ومريدوه . ولما سمع به الخيلفة الظاهر استدعاه إلى مجلسه وكان يظهره على الأمراء والوزراء ، بل يقال إنه كان يتردد عليه فى خلوته التى اتخذها له فى الجيزة بالقرب من الأهرام . ولما عرف أمره لعرب الشرقية أتوا إليه بالمسجد العمرى وطلبوا إليه الحضور إلى الشرقية حيث ينتفع به كثير من القبائل العربية التى تسكن تلك الجهة . وقد استجاب لهم الشيخ عطيه وذهب إلى الشرقية حيث أقام فترة من الزمن ، وما يزال يوجد بالقرب من مدينة بلبيس خلوة تعرف باسم خلوة أبو الريش . وقد عرف الشيخ عطية باسم أبو الريش لأنه رحمة الله عليه كانت به حكة لا يستطيع معها أن يلبس أو يفترش الصوف لذلك فإنه كان يحشو غطاءه ووسادته بالريش ويحرص دائما أن يحملها على ظهره أينما رحل ولذا فإن ملابسه كانت دائما مملوءة بزعب الريش فعرف به .

ولما عرف الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بسفر الشيخ أبو الريش إلى الشرقية أرسل فى استدعائه خشية أن يكون قد ألم به أذى فى القاهرة ، فلما حضر الشيخ وعرف الخليفة منه انه إنما ذهب إلى الشرقية نزولا على رغبة جميع القبائل العربية هناك ، أمره بالبقاء فى القاهرة بقصد التبرك والانتفاع منه ولكن الحقيقة أن الخليفة خشى من بقاء أبو الريش فى الشرقية أن يتأثر بمذهبه الشافعى القبائل العربية هناك .

وقد بقى الشيخ أبو الريش معزرا مكرما بمدينة القاهرة حتى تقلد بدر الجمالى الوزارة فى أواخر عهد الخليفة المستنصر ، وكان مغاليا فى مذهبه الشيعى ، واظهر روح العداء والكراهية ازاء أهل السنة . وأمر بإضافة حى على خير العمل إلى الآذان ، كما أعاد بدر

---

(١) القلقشندى صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٩٥ .

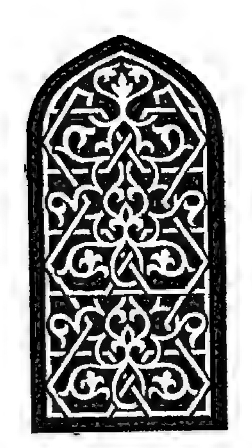
الجمالى نقش عبارات تتضمن لعن الصحابة على الجدران واصدر أوامره أن يكون التكبير على الميت خمسا طبقا للمذهب الشيعى ، كما جاء فى النجوم الزاهرة . وازاء هذه التصرفات العدائية الشديدة اضطر الشيخ أبو الريش أن يرحل سرا إلى الدلتا وكان ذلك سنة ٤٧٨ هـ وأخذ ينتقل من بلدة إلى أخرى حتى استقر به المقام فى نهاية تلك السنة فى مدينة دمنهور واتخذ له خلوة وانقطع فيها للعبادة وبقى كذلك حتى توفى لا يخرج من خلوته إلا فى المناسبات والأعياد ، ولما توفى سنة ٤٨٤ هـ دفن بتلك الخلوة .

وقد صحب الشيخ أبو الريش معه فى رحلته إلى دمنهور زوجته التى بنى بها منذ قدومه مصر وهى أبنة أحد اشراف اليمن من الزيديين ورزق منها بخمسة أولاد . وبقيت عائلته بعد وفاته فى مدينة دمنهور . ولما توفى أبنه الأكبر محمد شمس الدين قضيب دفن بجوار والده من الجهة الشرقية ودفن ابنه الثانى محمد الشبلى بجواره من الجهة الجنوبية . ويقول على مبارك أن الاحتفال بمولد الشيخ أبو الريش بدمنهور يأتى فى المرتبة الثانية بعد مولد سيدى ابراهيم الدسوقى .

وصف الجامع

ومما يؤسف له ان وزارة الأوقاف قد ازالت الضريح الذى بنى للشيخ أبو الريش فى العصر الأيوبى تماماً عندما أقامت المسجد الحديث . ويتكون المسجد الحالى من تخطيط مربع الشكل يتوسطه صحن مربع مغطى بسقف يشبه (الشخشيخة) ويقوم السقف على أربع دعائم كبيرة وبجوارها اعمدة صناعية ويعلو الدعائم وكذا الأعمدة تيجان ذات طراز إسلامى جميل على شكل دلايات . ويحيط بالصحن من جهاته الأربع ما يشبه الايوانات فى المدارس الايوبية والمملوكية إلا أنها غير مقفلة الجوانب وغير مغطاة باقباء بل يغطيها سقف خشبى مسطح أقل ارتفاعا من سقف الصحن ، وقد نقش سقف المسجد كله برسوم زيتيه قوامها زخارف هندسية ونباتية محورة باسلوب الارابيسك . وبكل ضلع من اضلاع المسجد عدا جدار القبلة نوافذ قندلية غشيت بزجاج معشق متعدد الألوان وبجانب المحراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الحشوات المجمعة . والمدخل الرئيسى للمسجد يوجد بالجهة الشمالية الغربية المواجهة لحائط القبلة ، ويتكون المدخل من ثلاث أبواب معقوده والباب الأوسط منها اكبرها ويتقدمها ظلة يصعد إليها بخمس درجات وللمسجد مدخل ثان فى الجهة الشمالية الشرقية .

أما ضريح الشيخ أبو الريش فيوجد خلف جدار القبلة جنوب المنبر ، وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة على رقبة مرتفعة فتحت بها ثمان نوافذ للإضاءة وإلى جانب الضريح من جهته اليسرى يوجد ضريح أبنه محمد شبل وعلى يمين المحراب يوجد ضريح ابنه الأكبر محمد شمس الدين قضيب .



جـامع
أبى الفضـل الوزيـرى
بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية

المحلة من المدن المصرية القديمة أسمها القبطى (دقلا) ولما فتحها العرب سموها محلة دقلة . وعرفت بمحلة شرقيون ثم سميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة بمصر . وذكرها المقدسى باسم المحلة الكبرى وقال أنها مدينة على نهر الاسكندرية (أى فرع رشيد) بها جامع لطيف وليس بها أسواق كثيرة غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر تقابلها صندفا عامرة كذلك وبها جامع ، شبيها بمدينة واسط الا أنه ليس بينهما جسر بل يعبرون فى المراكب . ووصفها الادريسى قال : المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة . وذكرها ياقوت ، المحلة عدة مواضع بمصر منها محلة دقلة وهى أكبرها وأشهرها وتقع بين القاهرة ودمياط . ووصفها ابن دقماق وصفا شاملا ، قال ، وتعرف بمدينة المحلة وهى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية . وولايتها تعرف قديما بالوزارة الصغيرة . ثم يضيف ، وفى بلاد مصر نحو المائة قرية تعرف كل منها بالمحلة تتميز بلقب تعرف به به أو بنسبة تعرف بها . والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ، ومنارة ويشقها نهر من النيل » .

ويصف على مبارك فى خططه المحلة الكبرى فى القرن التاسع عشر فيقول ، وبها نحو خمس وعشرين ساقية بعضها بأرض المزارع وبعضها داخل السكن لبعد مائها عن سطح الأرض وقت التحاريق . وفيها أرباب حرف كثيرون من جميع الصنائع وخاصة صناعة الحرير ونسجه ، ففيها أنوال كثيرة لنسج عصائب الحرير وثياب الكريشة الحريرية والملآت . وفيها تجار مشهورون يتجرون فى جميع بضائع القطر ومزارعون ، وزمام أطيانها نحو أربعة آلاف فدان » . ويضيف على مبارك فيقول : ثم أن هذه المدينة على غاية من من حسن الموقع وطيب الهواء تورث الطباع سلامة والأذهان جودة فإن للبقاع تأثيرا فى الطباع فلذا كانت متبعا لكثير من الافاضل ومنشأ للعلماء الجهابذة الأماثل وإن ولم ينسب إليها إلا الجلال المحلى لكفاها فخرا ، الذى ولد سنة ٧٠١ هـ واشتغل وبرع فى الفنون فقها وكلاما واصولا ونحو ومنطقا وغيرها » .

وتحتفظ المحلة الكبرى لحسن الحظ بالكثير من آثارها الإسلامية بعضها دينى كالمساجد وتبلغ نحوا من أربعين مسجدا غير الزوايا الصغيرة وأكثرها عامر تقام فيه الشعائر كالجمعة والجماعة ، والآخر مدنى كالوكالات والخانات والقيساريات وما شابه ذلك . ومن أقدم آثارها مسجد الغمرى فهو يرجع إلى العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى ، وقد أعيد بناؤه عدة مرات فتغيرت معالمه الأصلية ، والمسجد الحالى بحالة سيئة ، ولم يبق من المسجد الأصيل غير لوحته التأسيسية وهى مثبته بجوار المحراب . وقد نقش عليها بالخط الكوفى المزهر ، تاريخ الإنشاء واسم المنشئ ، والنص كما يأتى : بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر إلى . . . المهتدين . مما أمر بعمله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين وأمتع بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وأنفذ فى البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده ومملوكه القاضى . . أبو الفتح المسلم بن على بن الحسن متولى الحكم الشريف فى الغربية فى المحرم سنة ثمان وخمس مائة . وهناك لوحة رخامية أخرى مثبته على واجهه المسجد نقش عليها بالخط الكوفى الجميل آيات من القرآن الكريم وبعض الألقاب والأسماء وقد محيت هذه الاسماء عن عمد .

ومن المساجد الهامة بمدينة المحلة كذلك مسجد الطريني الكبير المعروف باسم المتولى الذى أنشأه الشيخ أحمد بن على بن يوسف الشهاب أبو العباس المحلى بالمشهور بالطرينى ، كما أنشأ مدرسة بجوار المسجد . وقد جاء فى الضوء اللامع للسخاوى أنه توفى فى ربيع الأول سنة ٨٣١، وجاء فى الخطط التوفيقية أن مسجد المتولى أعيد بناء معظم أجزائه ورمم فى القرن التاسع عشر وكان ذلك بمعرفة شرفى بيك والشيخ محمد الجمل ناظر مدرسته . وتبلغ مساحة المسجد نحو فدانين وهو بذلك أكبر مساجد المحلة ، بل مساجد المحافظة كلها . ويتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربع ، وتعتمد عقود الأيونات على أعمدة بعضها من الجرانيت والبعض الآخر من الرخام مما يدل على أنها أخذت من عمائر قديمة بالمنطقة . وبالمسجد منبر خشبي طعمت بعض حشواته المجمعة بالعاج والصدف كما نقش عليه اسم منشئه : أنشأ هذا المنبر الشريف الفقير إلى الله تعالى ابراهيم مراوح فى شهر جمادى الآخر سنة ١١٢٧ هـ . ويوجد بالمسجد منارة فى الركن الشمالى الشرقى منه وتتكون من قاعدة مربعة تعلوها طبقة مثمنة الشكل ثم مثمن ثان تعلوه خوذة مخوصة ، وتعد هذه المئذنة من أجمل المآذن التى ترجع إلى العصر المملوكى .

ومن العمائر المدنية الهامة فى مدينة المحلة الوكالة التى أقامها السلطان الغورى سنة ١٥١٠م وأوقف عليها كثيرا من الأراضى الزراعية الموجودة بمحافظة الغربية . ومن العمائر الأثرية الكثيرة الإنتشار بالمحلة الحمامات ، إذ يبلغ عدد الباقى منها خمسة . ويشتمل الحمام عادة على مدخل مربع الشكل تقريبا تتوسطه فسقية مغطاة بسقف محمول على أربعة أعمدة من الرخام كما يحيط بها منطقة من الفسيفساء الرخامية . ويحيط بالفسقية أربعة ايوانات مفروش أرضيتها بالرخام الملون وبجوانبها مصاطب معدة لاستراحة المستحمين ، ومن الأجزاء الهامة فى الحمام خلوة المغطس . وأهم الحمامات الباقية فى المحلة حمام جاويش وحمام عليش وحمام المتولى وأكبرها وأهمها حمام حسن إبراهيم عزب .

ومن آثار العصر العثمانى الهامة فى المحلة مسجد الحاج عبد الله عاصى الذى انشئ سنة ١١٣٥ هـ ، وقد زالت الآن معظم معالمه ولم يبق غير مئذنته .

وصف الجامع

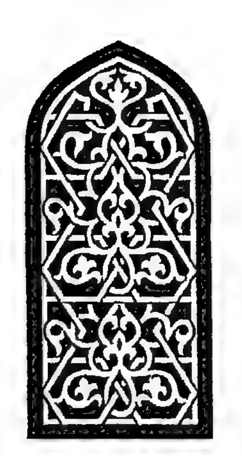
ومن أهم وأشهر مساجد المحلة الأثرية المسجد المعروف باسم مسجد أبي الفضل الوزيرى الذى أنشأه الشيخ أبو الفضل الوزيرى بسويقة النصارى وكان ذلك فى القرن الثامن الهجرى. وقد بنى أبو الفضل مسجده بجانب ضريح قديم لأحد أولياء الله الصالحين وهو أبو عبد الله النفيس بن الاسعد فضائل الذى عاش فى العصر الأيوبى فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكان الضريح عبارة عن بناء صغير مربع الشكل تعلوه قبة تقوم على مقرنصات فى الأركان تشبه إلى حد كبير قباب الدولة الفاطمية فى جبانة أسوان القديمة . وقد اندثرت القبة الآن ولم يبق منها غير عمود القبر وهو من الرخام مقاسه ٦ر١ ، ٣ر متر وقد سجل عليه اسم صاحب الضريح وتاريخ وفاته : بسم الله الرحمن الرحيم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الراجى عفو الله أبى عبد الله النفيس ابن الأسعد فضائل ، توفى فى شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وستمائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه . وعلى الوجه الآخر من العمود نقش ما يأتى : هذا عمل الحكم على بن أبى العز المرخم رحم الله من دعى له بالتوبة . وقد حفرت هذه الكتابة على العمود حفرا بارزا بالخط النسخى الجميل .

أما المسجد الذى أقامه أبو الفضل فقد تغير كثير من معالمه عندما رمم فى العصر العثمانى سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف على يدى محمود الشعار . على أن وزارة الأوقاف قد أزالت المسجد القديم فى النصف الثانى من القرن العشرين عندما وجدت مبانيه قد تصدعت ولم تعد

تحتمل الترميم وأقامت مكانه مسجدا جديدا يعد تحفة فنية حوت كل مميزات عمارة المساجد فى مصر فى القرن العشرين . وقد زادت مساحة المسجد الجديد كثيرا عن مساحة المسجد القديم فقد تنازل أصحاب المنازل المجاورة عنها لكى تضاف إلى مساحة المسجد كما تركوا أمامه مساحة كبيرة تفصله عن المبانى المجاورة .

ويتكون المسجد الحالى من تخطيط مربع تقريبا به ست بوائك من الأعمدة قسمت المسجد إلى سبعة أروقة موازية لحائط القبلة . وتحمل الأعمدة عقودا مدببة يعلوها سقف مسطح من الخشب طلى بنقوش زيته مكونة من زخارف هندسية قوامها الطبق النجمى . وفى وسط المسجد توجد قبة تقوم على أربعة دعائم وبين كل دعامتين يوجد عمودان ، ويعلو هذه الدعائم والأعمدة رقبة مربعة تحولت إلى مثمن عن طريق مثلثات كروية فأصبح من السهل إقامة القبة فوقها . وقد فتح فى رقبة القبة ثمان نوافذ ملئت بزجاج معشق جميل . أما باطن القبة فقد طلى بزخارف زيتيه مماثلة لسقف المسجد . وللمسجد مدخلان رئيسيان أحدهما فى الجهة الشرقية وآخر فى الجهة الغربية ، أما مئذنة المسجد فتوجد فى الركن الجنوبى الشرق . ويوجد ضريح أبى عبد الله النفيس بن الأسعد فضائل فى الجهة الغربية .

* * *



جامع الأولياء بالقرافة الكبرى

عرف جامع الأَولياء فى العصر الفاطمى باسم جامع القرافة وكان موضعه عند فتح مصر بخِطه (بحى) المغافرة وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع بن مورع عرف بمسجد القبة .

ويحدثنا القضاعى عن هذا الجامع فيقول : كان القراء يحضرون فيه ثم بُنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة المعزية فى سنة ست وستين وثلثمائة وهى أم الخليفة الفاطمى العزيز بالله نزار ولد المعز لدين الله أم ولد ، يقال لها تغريد وتدعى (درزان) . قام ببنائه لها الحسن بن عبد العزيز الفارسى المحتسب فى شهر رمضان من السنة المذكورة » ويستطرد القضاعى فى وصف الجامع فيقول : « وهو على نحو بناء الجامع الأَزهر بالقاهرة ، وكان بهذا الجامع بستان لطيف وصهريج فى غربيه . وبابه الذى يدخل منه ذو المصاطب الكبير الأَوسط ، يقع تحت مئذنة الجامع المرتفعة ، وهو باب خشبى مصفح بالحديد ويؤدى إلى مجاز يمتد عموديا حتى المحراب . اما إيوان القبلة فله عدة أبواب عدتها أربعة عشرة بابا

يتقدم كلا منها سقيفة مقبية تقوم على عمودين من الرخام وهو مكندج[1] مزوق باللازورد والزنجفر والزنجار وأنواع الأصباغ . وسقوف الجامع مدهونة ومزوقة بألوان متعددة كذلك زخرفت حناياه وعقوده بالدهانات وأنواع الأصباغ من صنعه البصريين وعلى رأسهم شيخ المزوقين الكتامى والنازوك . وكان يوجد أمام الباب السابع قنطرة مزوقة تنتهى عند حافة شاذروان (فسقية) من الرخام مدرج بدرج » .

وقد أطنب صاحب كتاب « طبقات المصورين المنعوت بضوء النبراس وأنس الجلاس فى اخبار المزوقين من الناس) فى وصف النقوش والتزاويق التى زخرفت بها الجامع وكذا التصاوير التى نقشت على جدران قصر القرافة ، فيقول : وكان اليازورى قد أحضر بمجلسه المصوران القصير وابن عزيز ، فقال ابن عزيز أنا أصوّر صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ، فقال القصير لكن أنا أصورها فإذا نظرها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ، فقالوا هذا أعجب فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به فصوّرا صورة راقصتين فى تجويف حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى وكأنها داخلة فى الحائط وتلك ترى وكأنها خارجة من الحائط فصور القصير راقصة بثياب بيض فى تجويف حنية دهنها أسود كأنها داخلة فى تجويف الحنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة صفراء كأنها بارزة من الحنية فأستحسن اليازروى ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيرا من الذهب .

ويضيف المقريزى فى وصف جامع الأولياء فيقول : وكان هذا الجامع من محاسن البناء وكان بنو الجوهرى يعظون بهذا الجامع على كرسى فى الثلاثة أشهر فتمر لهم مجالس مبجلة تروق وتشوق ويقوم خادمهم زهر البان وهو شيخ كبير ومعه « زنجلة » إذا توسط أحدهم فى الوعظ يقول :

وتصدق لا تأمنى أن تسألى   فإذا سألت عرفت ذل السائل

---

(١) مكندج : كلمة أعجمية معربة من كنده ومعناها مجوف .

(٢) الخطط جـ ٢ ص ٣١٨

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١١٣ ، المقريزى جـ ٢ ص ٣١٩

ثم يدور على الرجال والنساء فيلقى له فى الزنجلة ما يسره الله تعالى فإذا فرغ من الطواف وضع الزنجلة أمام الشيخ فإذا فرغ من وعظه فرق على الفقراء ما قسم لهم وأخذ الشيخ ما قسم له وهو الباقى ونزل من الكرسى » . ويضيف المقريزى فى وصف حالة الجامع فى عصره فى القرن الخامس عشر فيقول : « وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون به فى ليالى الصيف للسمر فى ضوء القمر فى صحنه ، اما فى الشتاء فإنهم ينامون فى داخل إيوان القبلة عند المنبر وكانت تقدم لهم الأشربة والحلوى وغير ذلك » .

وفى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون البطائحى وكيله أبا البركات محمد بن عثمان ان يجدد هذا الجامع ويرمه وأن يعمر بجانبه طاحونا للسبيل ويبتاع لها الدواب ويتخير من الصالحين الساكنين بالقرافة من يجعله أمينا عليه ويطلق له ما يكفيه مع علف الدواب وجميع المؤن ويشترط عليه أن يواسى الضعفاء ويحمل عنهم كلفة طحن اقواتهم ويؤدى الأمانة فيها .

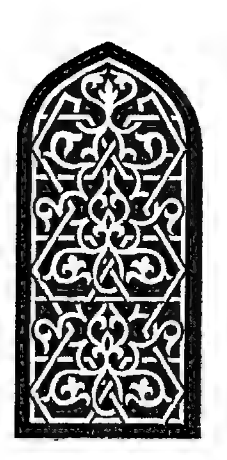
ويتحدث ابن تغرى بردى عن حالة جامع الأولياء فى عهده فيقول : ولم يزل هذا الجامع على عمارته إلى أن احترق فى السنة التى احترق فيها جامع عمرو بن العاص سنة اربع وستين وخمسمائة عند نزول مرى ملك الفرنج على القاهرة وحصارها . ويضيف ابن تغرى بردى فيقول : « وكان الذى تولى احراق هذا الجامع ابن سماقة بإشارة الأستاذ مؤتمن الخلافة جوهر ، وهو الذى أمر المذكور بحرق جامع عمرو بمصر ولما سئل عن ذلك قال : « لئلا يخطب فيه لبنى العباس ، ولم يبق من هذا الجامع بعد حريقه سوى المحراب الأخضر . وكان مؤذن هذا الجامع فى أيام المستنصر بن بقاء المحدث ابن بنت عبد الغنى بن سعيد الحافظ . وقد أدركته لما كانت القرافة الكبرى عامرة بسكنى السودان التكارنة وهو مقصود للبركة فلما كانت الحوادث والمحن فى سنة ست وثمانمائة قل الساكن بالقرافة وصار هذا الجامع طول الأيام مغلوقا وربما أقيمت فيه الجمعة .

ويقول أحمد رمزى[1] : أما اليوم فيعرف جامع الأولياء باسم (حوش أبى على) وقد زال ولم يبق منه إلا آثار بعض جدرانه . وفى الجنوب الشرقى لهذا الجامع يوجد مسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة آثاره قائمة فى الفضاء الواقع بين جبانة سيدى عقبة ومصر القديمة .

وأنى أهيب بمصلحة الآثار وكذا وزارة الأوقاف وجميع الجهات المعنيه بالآثار الإسلامية أن تعيد بناء هذا المسجد ففيه احياء لأقدم مسجد فاطمى بمدينة الفسطاط ، خاصة وأنه ما يزال واضح المعالم .

* * *

(١) هامش النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١١٣



مسجد خضرة الشريفة

يقع هذا المصلى منفردا فى القرافة الكبرى جنوب شرقى الفسطاط وعلى بعد ٧٥٠ مترا من مشهد القباب السبع . وبرغم أن المبنى بحالة لا بأس بها ويدل على أنه يحوى جدث شخصية لها قيمتها الا أن أحدا من المؤرخين أو كتاب السر أو التراجم لم يذكر شيئا ذا قيمة عن صاحب هذا المصلى أو الضريح . فقد ورد ذكره فى كتاب الخطط للمقريزى(١) ضمن المصليات التى بالقرافة الكبرى فقال : مصلى الشريفة بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطه الصدف ، بناه أبو محمد عبد الله بن الارسوفى الشامى التاجر سنة سبع وسبعين وخمسمائة » .

ويقول ابن الزيات(٢) عند الكلام عن أضرحة القرافة « وبحارة العواتمة تربى لطيفة على شرعة الطريق بها قبر السيدة الشريفة الخضراء ومعها قبر الشيخ على الفانى التكرورى امام

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٥٤

(٢) الكواكب السيارة : ص ١٧٨

الجامع ذكره ابن الملقن فى طبقات الأولياء ، توفى سنة احدى وسبعين وستمائة » . كذلك ذكر هذا المصلى على مبارك فى خططه عند الحديث عن جامع القرافة المعروف باسم الأولياء ، فقال : جامع الأولياء بالقرافة الكبرى. كان موضعه يعرف بخطه المعافر وهو مسجد بناه عبد الله بن مانع مورع ويعرف بمسجد القبة . ثم بنى عليه المسجد الجامع الجديد بنته السيدة تغريد زوجة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله وأم الخليفة العزيز بالله سنة ست وستين وثلثمائة » . وبعد أن ينتهى على مبارك[1] من وصف جامع الأولياء يقول : وبجواره من الجهة الشمالية محل يعرف بالشريفة مبنى من الحجر المتين وبه محراب كبير تكتنفه أربعة محاريب صغيرة وليس به سقف وفى غربيه بنحو ألف متر محل يعرف باصطبل عنتر جعل اليوم جبخانة » .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٦٣

وصف المسجد

يتكون المسجد من مستطيل تبلغ مساحته ٣٠×٢٠ مترا وتقويه دعائم سانده باركانه الأربعة يبلغ كل منها ١ر٤٠ مترا وتبرز عن سمت الجدران الخارجية بمقدار ٣٦ر مترا . ويبلغ أرتفاع المصلى ٦ أمتار تقريبا . ويقع المدخل الرئيسى للمبنى فى الركن الشمالى الغربى منه ويبرز عن الواجهة بمقدار ٥ر٥ مترا ، ويؤدى إلى ردهة أولى تؤدى إلى ردهة ثانية بها بابان أحدهما معقود ويؤدى إلى الصحن والثانى صغير ويؤدى إلى درج يصعد بنا إلى غرفة صغيرة فى الدور الثانى – أندثر معظمها الآن وربما كانت تعلوها مئذنة الجامع ، مساحة الصحن ١٧ر٣٥ ٢٢ر٨٠ متر .

وبجهة الفعله يوجد ثلاثة أيوانات أو غرف المتوسطة منها أكبرها وهو مربع الشكل إذ تبلغ مساحته ٦ر٤٠ مترا مربعا فى صدره محراب كبير وعلى جانبيه حنيتان مربعتان . وبهذا الإيوان توجد مقبرة لعلها مقبرة السيدة خضرة الشريفة ويعلو الإيوان الأوسط قبة كبيرة ، أما الإيوانان الجانبيان فمستطيلا الشكل وبهما بقايا زخارف جصية ومن المرجح ان سقفهما كان من الخشب . وبالإيوان الجنوبى منهما توجد مقبرة لعلها مقبرة الشيخ على الفاقى التكرورى أمام المسجد المتوفى سنة احدى وسبعين وستمائة .

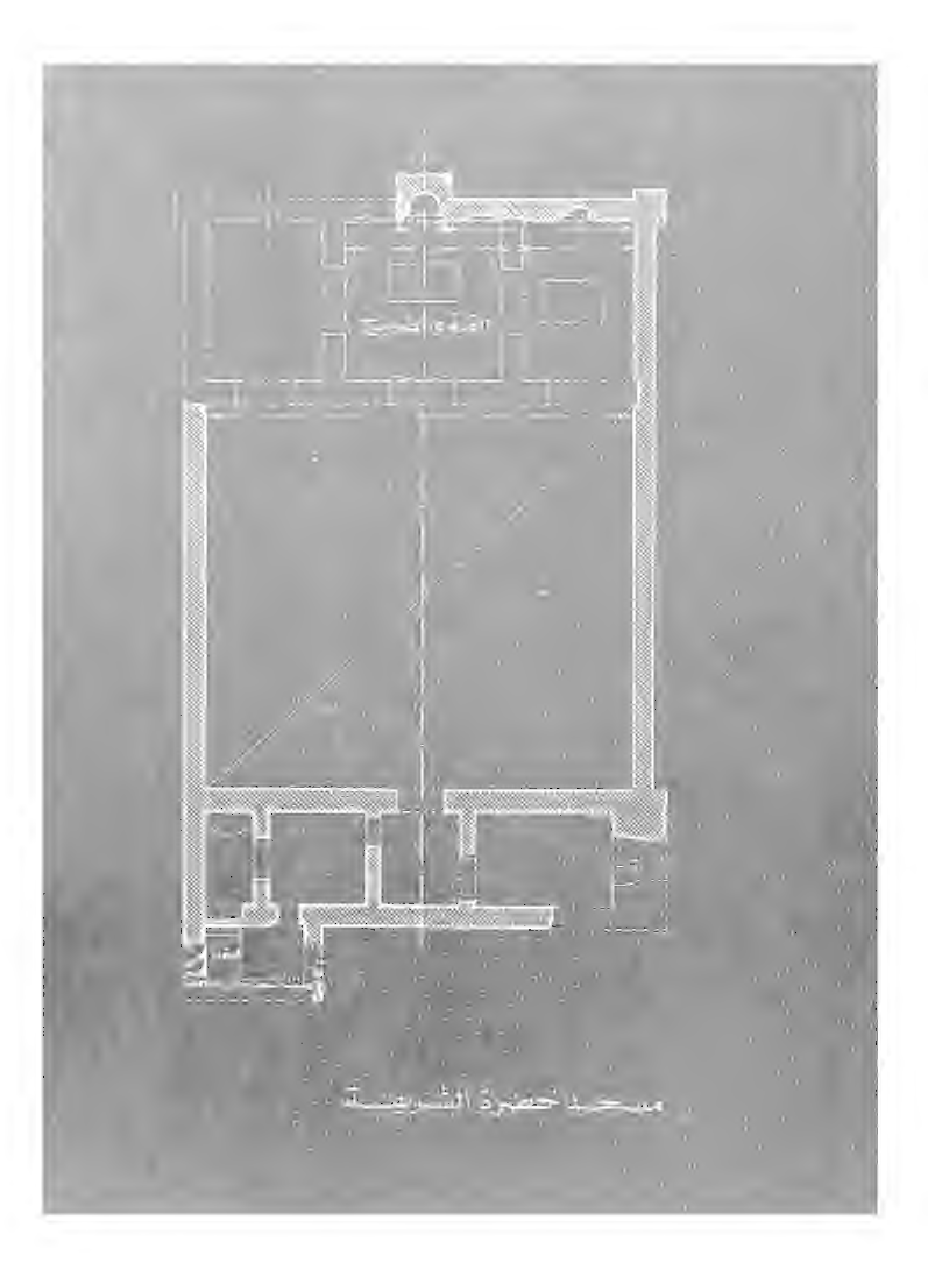
على أننى لا أميل إلى تسمية هذا المسجد باسم مصلى ، إذ أن مساحته تبلغ (٦٠٠) مترا مربعا ، كما أنه يحتوى على كل مقومات المسجد ، فهو يشتمل على ثلاثة محاريب ،

ومن المرجح بل المؤكد أن جوانب المسجد الثلاثة كانت تحتوى على بوائك وأروقة للمصلين كما أننى أرجح أن يكون الدرج المؤدى إلى الدور الثانى هو درج مئذنة المسجد التى سقطت واندثرت معالمها بعد أن أخذ أهالى البساتين المجاورة أحجارها وأخشابها .

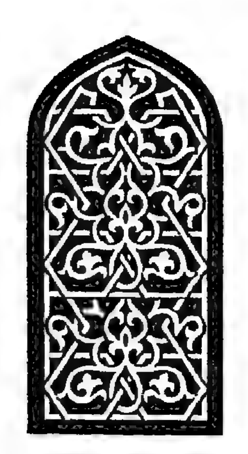
كما أن ليس من المعقول أو المقبول عقلا ومنطقا أن يعين إماما له قيمته ويترجم له ، مثل الشيخ الفانى التكرورى ، لمصلى بل المعروف أن الإمامة تكون للمساجد الجامعة أو المساجد الهامة .

أما من حيث الأسلوب المعمارى بالنسبة للمبنى القائم الآن ، فهو مملوكى الطراز ، فمن الواضح أنه يشبه إلى حد ما جامع الظاهر بيبرس الذى أنشئ سنة ٦٦٦ هـ وكذا ضريح القاضى العز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . فمسجد حضرة الشريفة وكذا جامع الظاهر قد قسم رواقهما المجاور للمحراب إلى ثلاثة أقسام وغطى الأوسط منها بقبة تتقدم المحراب ، كما أن كلا منهما يحتوى على صحن مكشوف تحيط به الدروقة من ثلاث جهات .

والذى أرجحه بالنسبة لشخصية صاحب الضريح الموجود والذى عرف المسجد باسمه وهو (خضره الشريفه) أن تكون أحد أفراد آل البيت ممن أتوا إلى مصر قبل مجئ الدولة الفاطمية ، ولما ماتت دفنت بخطه المعافر وبنى عليها عبد الله بن مانع قبه وألحق بها مسجدا فعرف بمسجد القبه ، كما هو ثابت فى المراجع التاريخية السابق ذكرها . وإلى جوار مسجد القبه أقامت السيدة تغريد زوجة الخليفة المعز لدين الله جامعها المعروف باسم جامع الأولياء . ولما احترقت مدينة الفسطاط فى نهاية العصر الفاطمى وكذا ما بها من المساجد والعمائر مثل جامع عمرو وجامع الأولياء ، احترق مسجد القبة بطبيعة الحال . وكما يقول المقريزى فقيد أعيد بناء مسجد القبة فى العصر الأيوبى سنة ٥٧٧ على يدى أبو محمد عبد الله الدسوقى الشاص . وفى العصر المملوكى أعيد بناؤه للمرة الثالثة ، وذلك اعتمادا على أسلوبه المعمارى القائم الآن ، وكذا تاريخ وفاة إمامه الشيخ التكرورى سنة ٦٧١ هـ .



مسجد حضرة الشريفة



جامع الرفاعي بالقلعة

الإمام أحمد الرفاعي هو ابن صالح أحمد محي الدين بن العباس ، ولد الرفاعي يتيما بجزيرة أم عبيدة قرب واصل بالعراق سنة ٥١٢ هـ ، إذ توفى والده وهو فى بطن أمه فكفله خاله الشيخ منصور البطائحى . وينسب الرفاعى إلى جده السابع رفاعة ، الذى هاجر إلى المغرب هربا من اضطهاد العباسيين للعلويين فى المشرق ، فهو بذلك علوى . واستقر رفاعه باشبيلية حيث تزوج وأنجب عددا كبيراً من الأولاد . وقد سافر حفيده يحي إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وبعد إقامة قصيرة فى مكة رحل بعدها إلى البصرة حيث استقر به المقام وأنجب ولديه الحسن الرفاعى وأحمد الرفاعى . وقد تلقى الرفاعى علومه الدينية وحفظ القرآن وهو ما يزال حدثا صغيراً ، ويقال أنه بدأ يتردد على حلقات على يد كبار العلماء وهو فى السابعة من عمره وفى مقدمتهم خاله الشيخ منصور البطائحى وعلى الواسطى . كما كان يتردد كثيراً على الإمام الخرنوبى ويقيم عنده كل عام فترة من الزمن يتتلمذ على يديه وينهل من علمه وورعه واستمر على هذا حتى توفى (الخرنوبى) .

على أن تردد الرفاعى على أئمة الصوفية وفقائها لم يشغله عن أن يكسب قوته بعرق جبينه فقد زاول الرفاعى كل الحرف حتى لايعتمد على أحد وحتى لا يكون عالة الغير . فقد عمل الرفاعى حطابا كما عمل فى حمل المياه إلى المنازل وخاصة بيوت الأرامل والعجزة والمساكين فى قرية أم عبيدة . ولذلك فقد كان يشترط على تلاميذه ومريديه أن يكون لهم عمل فإن لم يكن فليبحث ، فإن عجز ساعده هو على إيجاد عمل أو حرفة له ، وكان يقول رضى الله عنه : لاينضم إلى صفوفنا عاطل . وفى الخامسة والعشرين من عمره توفى خاله الشيخ منصور البطائحى بعد أن ولاة خلافة طريقته فأخذ يلقى دروسه فى المسجد الكبير بالبصرة وقد عبر عن طريقه فى أقوال واضحة صريحة فهو يقول : طريقى دين بلا بدعة وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وقلب بلا شغل ونفس بلا شهوة

ومثل هذه الكلمات الصريحة الواضحة ومثل حياة الرفاعى البسيطة التى قضاها فى أعمال وحرف شاقة تدعونا أن نعرض إلى ماينسب إلى الطائفة الرفاعية من كرامة مسك الثعابين واختراق جسد الانسان بمواد صلبة مثل السيخ من غير أحداث جرح أو اراقة دماء . ولكننا لم نعثر فى ترجمة الإمام الرفاعى على ذكر أو على إشارة من قريب أو بعيد أنه أتى بمثل هذه الكرامات ، غير ماجاء منها من أتباعه كما يقول ابن خلكان :

« ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهى حية النزول فى التنانير وهى تتضرم بالنار فيطفئونها » . ويعلق فريد وجدى على ذلك بقوله : « أما مايروى عن أتباع الرفاعى من أكل النار والجلوس عليها وغير ذلك فيظهر أنه صحيح . وهو حين يدخل الانسان فى حالة غير اعتيادية سواء أكانت بالذكر أو بالتنويم المغناطيسى » . على أننا إذا رجعنا إلى الديانات الهندية القديمة لوجدنا فى الديانة الجينية التى تجعل الجسد فى خدمة الروح ، مايفسر بعض مايأتيه الرفاعية من أعمال غريبة . فإن معتقدى الديانة الجينية يقومون بأعمال خارقة تشبه السحر . وقد أشار الصوفى ابن العربى إلى نوع من الرياضة الجسمانية والروحية يؤهل مزاوليها على الاتيان بأعمال خارقة . وفى العصر الحاضر تعرف هذه الرياضة الجسمانية (بالجودو) .

وقد ترك لنا الرفاعى الكثير من الاوراد والكتب فى مختلف العلوم الدينية فى التوحيد والتفسير والحديث والتصوف والفقه مثل كتاب (البهجة وشرح التنبيه فى الفقه الشافعى) . وتوفى الرفاعى فى قرية أم عبيدة سنة ٥٧٢ هـ ودفن فى ضريحه هناك .

أما رفاعى مصر فهو أحد أحفاده وهو على أبو الشباك ، وفد والده على مصر سنة ٦٨٣ هـ وتزوج حفيده الملك الأفضل أحد أمراء المماليك فى عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، فأنجب منها ولده على . وقد رحل أحمد الصياد حفيد الإمام أحمد الرفاعى عن مصر قبل أن يولد ابنه على ، فبقى علىّ فى كنف أمه وأهلها فى مصر واتخذ طريقة جده الصوفية وأخذ يدعو لها وجعل من سكن أسرته وعائلته فى سوق السلاح مقرا للطرق الرفاعية

على أن « على أبى الشباك » حفيد الرفاعى ، لم يكن هو أول من دعا إلى الرفاعية فى مصر فقد سبقه إلى ذلك الشيخ أبو الفتح الواسطى الذى وفد إلى مصر من العراق فى أوائل القرن السابع الهجرى ، أى قبل على الشباك بنصف قرن تقريبا ، فأقام بمدينة الاسكندرية وبدأ ينشر الصوفية على الطريقة الرفاعية .

وصف الجامع

أما مسجد الرفاعى الحالى فقد كان يشغل جزءا من أرضه مسجد قديم يرجع إلى العصر الفاطمى عرف باسم مسجد الذخيرة قال عنه المقريزى : يقع مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون . انشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ومتولى الحسبة سنة ست عشرة وخمسمائة » ويضيف المقريزى : وقد عرف هذا المسجد أيضا باسم (لا بالله) وذلك لأن ذخيرة الملك جعفر كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفونه ويقولون (لابالله) فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة ، ولم يعمل فيه منذ إنشائه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتب عليه هذا البيت المشهور :

بنى مسجدا لله من غير حلة وكان بحمد الله غير موفق

وجاء فى الخطط التوفيقية ، أنه كان يشغل جزءا آخر من مسجد الرفاعى ، زاوية كانت تعرف باسم الزاوية البيضاء أو الزاوية الرفاعية ، كان بها عدة أضرحة منها ضريح سيدى على أبى الشباك وسيدى يحيى الأنصارى والسيد حسين الشيخونى شيخ سجاده الرفاعية سابقا . وكان يرد لزيارة سيدى علىّ أبى الشباك (حفيد الامام الرفاعى) هذا خلق كثير من مصر وغيرها وخصوصا المصابين بالأمراض العصبية المعروفة عند العامة (بالرياح

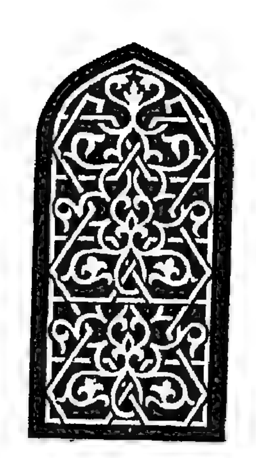
الطبيعية). وفى سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية أشترت السيدة خوشيار والدة الخديو اسماعيل أرض مسجد الذخيرة والأماكن الواقعة بجوار زاوية الرفاعى من الجهات الأربع فشملت حوش بردق المعروف بحوش الحدادين والحمام الذى كان هناك . ويقول على مبارك ، ولكنه لم يعرف باسم السيدة خوشيار بل بقى باسم الرفاعى نسبة إلى زاوية الرفاعى ، وأمرت أن يعمل ضريح لسيدى علىّ أبى الشباك الرفاعى وسيدى يحيى الأنصارى ومدافن لها ولمن يموت من ذريتها .

ويتكون تخطيط مسجد الرفاعى من مربع تبلغ مساحته ١٧٦٧ مترا به صفان من الدعائم بأركانها الأربعة أعمدة ملتصقة . وتقسم الدعائم المسجد إلى ثلاثة أروقة . أقيم على عقود الرواق الأوسط ، وفى وسط المسجد رقبة بها نوافذ تعلوها قبة كبيرة . وفى وسط الجدار الشرقى يوجد محراب كبير يكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن ، وحلى باطن المحراب وكذا تواشيحه بفسيفساء من الرخام الدقيق والصدف ، ويعلوه شريط من الكتابة بالخط الثلث الجميل « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » وفوق الكتابة ثلاثة صفوف من المقرنصات المذهبة . وقد كسيت جدران المسجد جميعها وكذا الدعائم بالرخام أما الأعمدة فكلها من الرخام المستورد من تركيا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا،والجزء الأكبر منه مقطوع من محاجر بنى سويف وخاصة الأخضر منه : وبالمسجد منبر وكرسى للمصحف مصنوعان من خشب الساج الهندى بطريقة الخرط والحشوات المجمعة المطعمة بالعاج والصدف والأبنوس .

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية ، منها واحد فى الجهة الشرقية يؤدى إلى ردهة مستعرضة يتوسطها إيوان يؤدى إلى ضريح الشيخ علىّ أبى الشباك الرفاعى . وعلى الجانب الشمالى من الردهة ومن المسجد كله يوجد مقابر ذرية خوشيار . وفى الجهة الجنوبية من المسجد يوجد البابان الآخران وبينهما ضريح الشيخ يحيى الأنصارى . والأبواب الثلاثة معلقة إذ يصعد

إليها بمجموعة من الدرجات وبالمسجد مجموعة كبيرة ونادرة من المشكاوات الزجاجية ومن الثريات المعدنية المكفتة بالذهب والفضة . وقد استغرق بناء هذا المسجد ثلاثة وأربعين عاما ، فقد بدأ انشاؤه سنة ١٢٦٨ هـ وانتهى سنة ١٣٢٩ هـ والسبب فى ذلك يرجع إلى وفاة السيدة خوشيار فتوقف العمل به فترة طويلة ثم استؤنف مرة ثانية . وقد بلغت تكاليف بناء هذا المسجد (١٣٢٥٠٠) جنيه هذا بالإضافة إلى ثمن السجاد والأبسطة وكذا الثريات المعدنية والمشكايات الزجاجية وأجور الأيدى العاملة المصرية .

* * *



جامع الأمير زياد بقرية الشيخ زياد بمحافظة المنيا

١

المنيا مدينة مصرية قديمة ، أسمها القديم (مونى) ومعناه المرضعة ، وذلك نسبة إلى الأعتقاد الذى كان يسود تلك المنطقة قديما من أن أُم موسى بعد أن ألقت برضيعها فى اليم استقر بها المقام فى المنيا حيث عثر عليها فرعون مصر لتتولى ارضاع موسى ، ومن هنا عرفت المدينة باسم مدينة المرضعة فى اللغة المصرية القديمة . وهناك جمهور آخر من مؤرخى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى يقول بأن كلمة المنيا اسم عربى ، فقد جاء فى الخطط المقريزية (منية الخصيب نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل الخليفة العباسى هارون الرشيد . وجاء فى قوانين الدواوين لأبن مماتى ، منية بنى خصيب من أعمال الأشمونين ، وهى قرية عامرة حولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة ومتنزهات ومبان حسان . وقال ياقوت ، منية أبى الخصيب مدينة كبيرة على الشاطئ الغربى للنيل فى الصعيد الأدنى بمصر ، وهى ذات مرئى (مناظر) جميلة وبها مدارس وحمامات وأسواق ، وأضاف ، ويقال أن الخصيب عمرّها أيام ولايته وأنشأها لأبنه وسماها باسمه فعرفت به .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته ، قصة طريفة عن مدينة المنيا رأيت أن أذكرها على ما فيها من أحداث تشبه الأساطير : يقال أن بعض خلفاء بنى العباس تغير على أهل مصر فأراد أن يوليها أحقر عبيده إذلالا لهم وتنكيلا بهم ليسير فيهم سيرة سوء ، وكان أحقر عبيده هو الخصيب إذ كان يتولى تسخين الحمام ، فخلع عليه ولاية مصر . فلما استقر خصيب بمصر سار فى أهلها أحسن سيرة واشتهر بالكرم فكان أكابر أهل البلاد وأقارب الخلفاء يفدون إلى مصر من أقصى بلاد العالم الإسلامى وأدناها ، ويقصدونه فيجزل لهم العطايا . وافتقد الخليفة (هارون الرشيد) يوما بعض أقاربه وغاب عنه ثم حضر بعد مدة فسأله عن مغيبه فذكر أنه قصد خصيبا بمصر ، وذكر له ما أعطاه ، وكان مبلغا كبيرا من الدنانير وقدرا عظيما من منتجات البلاد وأثنى عليه فغضب الخليفة وأمر بسمل عينى خصيب واخراجه من مصر إلى بغداد ، وأن يطرح فى أسواقها . فلما أتاه الأمر بالقبض عليه ، حيل بينه وبين دخول منزله ، وكان معه ياقوته عظيمة فخبأها عنده وخاطها فى قميصه ليلا . ثم اقتيد إلى بغداد بعد أن سملت عيناه وطرح فى السوق ، فمر عليه بعض الشعراء وهو مطروح ، فقال ياخصيب ، إنى كنت قد قصدتك من بغداد إلى مصر ممتدحا فوافقت انصرافك عنها ، وأحببت أن تسمع القصيدة التى نظمتها فيك ، فقال كيف لى بسماعها وأنا على ماتراه ، قال الشاعر : انما قصدى سماعك لها ، اما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت لهم جزاك الله خيرا وأنشد :

أنت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

فلما أتى الشاعر على آخر القصيدة ، قال له الخصيب ، افتق هذه الخياطة ففعل، فقال خذ هذه الياقوتة فأبى ، فأقسم عليه فأخذها وذهب إلى سوق الجوهريين ليبيعها فلما عرضها عليهم قالوا له هذه لا تصلح إلا للخليفة ، فرفعوا أمرها إليه فأمر بإحضار الشاعر واستفهم عن أمر الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر باحضاره بين يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ، ففعل فسكنها خصيب إلى أن توفى وأورثها عقبه . وكلمة مينة اختصار لكلمة ميناء ، إذ أن المدينة تقع على شاطئ النيل الغربى .

وصف الجامع

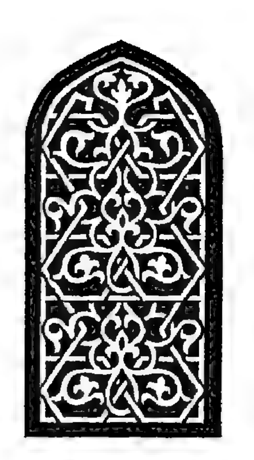
ومن أقدم مساجد محافظة المنيا وأشهرها مسجد الأمير زياد الموجود بقرية الشيخ زياد بمركز مغاغه ، وكان اسم قرية الشيخ زياد الأصلى ديروط بلهاسة وكانت تتبع اقليم البهنسا ، ثم تغير اسمها إلى الشيخ زياد وذلك لوجود ضريح الشيخ زياد بن المغيرة بها . وقد جاء فى المقريزى أن بها جامعا أنشأه زياد بن المغيرة بن عمر العتكى ، الذى توفى فى المحرم من سنة ١٩١ هـ فدفن بها .

أما المسجد الموجود حاليا فيرجع تاريخ انشائه على أقل تقدير إلى العصر الفاطمى ، كما هو ثابت من الكتابة الموجودة على الأعمدة الرخامية التى عثرت عليها مصلحة الآثار فى احدى الحجرات المتخربة بالمسجد ، والكتابة مؤرخة سنة ٥١٧ هـ كما أن اسلوب الخط تظهر به بداية الخط النسخ الذى ظهر فى أواخر العصر الفاطمى ، أى فى القرن السادس الهجرى . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن كثيرا من الأعمدة الرخامية الموجودة الآن فى المسجد المجدد فاطمية الطراز وتشبه تلك التى عثر عليها فى الحجرة المتخربة سواء أكان من ناحية المادة الخام أم من ناحية طراز زخرفة تيجان الأعمدة .

ومن الثابت أن السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى قد أعاد بناء هذا المسجد كما هو مدون على اللوحة المثبتة بداخل الضريح المدفون به زياد بن المغيرة بن عمرو العتكى

جدران الضريح إلا أن القبة المقامة عليه ما تزال حافظة لأصلها . وقد تهدم معظم ويتكون الضريح من حجرة مربعة الشكل تقريبا بها دخول من الجهة الجنوبية الشرقية حيث يوجد المحراب وهى بذلك تشبه شكل الإيوان إلا أنها قليلة العمق . ويعلو جدران المربع سبعة صفوف من المقرنصات الجميلة حولت فى النهاية المربع إلى مثمن أقيمت فوقه القبة المدببة . أما من الخارج فإن الجزء المحصور بين المربع والقبة فيبدو على شكل ثلاث درجات تتجه إلى الداخل وهى مرحلة تحويل المربع إلى مثمن يسهل إقامة القبة المستديرة فوقه .

* * *



جامع الأقمر

أنشأ هذا الجامع الخليفة الآمر بأحكام الله ابن المستعلى بالله أبى القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر بالله على بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله ولد فى أول[1] سنة تسعين وأربعمائة ، واستخلف وله خمس سنين وبقى فى الملك تسعا وعشرين سنة وتسعة أشهر .

ويصف لنا المقريزى الهيئة التى بويع بها الآمر بالخلافة فيقول : « وأحضره الأفضل ابن أمير الجيوش وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله وركب الأفضل فرسا وجعل فى السرج شيا وأركبه عليه لينمو شخص الآمر وصار ظهره فى حجر الأفضل ، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر » .

ويقول الحافظ الذهبى : وكان مدبر سلطانه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ،

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٧٠

ولى الآمر وهو صبي فلما كبر قتل الأفضل وأقام فى الوزارة المأمون أبا عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحى . فظلم وأساء السيرة إلى أن قبض عليه الآمر سنة تسع عشرة وخمسمائة وصادره ثم قتله فى سنة اثنتين وعشرين وصلبه وقتل معه خمسة من اخوته .

وفى أيام الآمر أخذ الفرنج عكا سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، وأخذوا طرابلس فى سنة اثنتين وخمسمائة فقتلوا وسبوا ، وجاءتها نجدة المصريين بعد فوات المصلحة ، وأخذوا عِرقة وبانياس . ثم قصد الملك بردويل الافرنجى مصر ليأخذها ودخل الفرما وأحرق جامعها ومساجدها ، فاهلكه الله قبل أن يصل إلى العريش ، فشق أصحابه بطنه وصبروه ورموا حِشوته (أمعاءه) هناك فهى ترجم إلى اليوم بالسبخة ودفنوه بقمامة » .

وكان الآمر ربعة شديد الأدمة جاحظ العينين حسن الحظ ، جيد العقل والمعرفة وكان للامر نظم ونظر فى الأدب ، ومما نسب إليه من الشعر قوله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى ... الا الهى وله الفضـــل

جـــدى نبيي وامامى أبى ... ومذهبي التوحيد والعـدل

وقد نسب هذا الشعر لغيره من الفاطميين مثل الخليفة المستنصر وقد انفرد الآمر بحفظ القرآن دون جميع خلفاء مصر من الفاطميين .

ويقول المقريزى[1] : وهو الذى جدد رسوم الدولة وأعاد إليها بهجتها بعد ما كان الأفضل أبطل ذلك ونقل الدواوين والاسمطة من القصر بالقاهرة إلى دار الملك بمصر (أى بالفسطاط) .

كما قيل إن الآمر كان فيه هَوَج[2] عند طلوعه المنبر فى خطبته فى الجُمع والأعياد فاستحيا المأمون بن البطائحى أن يشافهه بما يقع له من الهوج وأراد أن يفهمها له من غير مشافهة فقال له : يا مولانا ، قد مضى من الشهر أيام وبعد غد جمعة الراحة فإن حسن فى الرأى

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٩١

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٧٥

أن يخرج مولانا بحاشيته خاصة من باب تربة الزعفران إلى القصر النافعى[1] فما فيه سوى عجائز وألزام ، ويجلس مولانا على القبة التى على المحراب قبالة الخطيب ليشاهد نائبه كيف يخطب ، فإنه رجل شريف فصيح اللسان حافظ القرآن . فأجابه الخليفة الآمر إلى ذلك فلما حضر الجامع وجلس فى القبة وفتح الروشن وقام الخطيب فخطب ، وبينما هو فى الخطبة الثانية وإذا بالهوى قد فتح الطاق فرفع الخطيب رأسه فوقع وجهه فى وجه الخليفة فعرفه فارتج عليه وارتاع ولم يدر ما يقول حتى فتح الله عليه فقال : معاشر المسلمين نفعكم الله واياى بما سمعتم ، وعن الضلال عصمكم ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) (إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . إلى آخر الآية) وصلى بالناس فلما انفض المجلس تكلم الآمر مع وزيره المذكور بما وقع للخطيب ، انفتح الكلام للوزير وتكلم فيما كان بصدده فرجع الآمر عن الخطابة واستناب وزيره ، فصار الوزير يخطب بجامع القاهرة وجامع ابن طولون وجامع مصر (أى جامع عمرو) .

ويقول ابن أبى منصور[2] إن ابتداء خطبة الوزير المأمون كانت فى شهر رمضان سنة ٣٨٥هـ وترك الآمر الخطابة مع ما كان له فى ذلك من الرغبة الزائدة ، حتى أنه كان قد اقترح أشياء أخرى فى خروجه إلى الجامع زيادة على ما كانت تفعله أباؤه . غير أنه كان يخطب فى الأعياد بعد ما استناب وزيره المأمون بن البطائحى فى خطبة الجمعة . فكان الآمر إذا خرج فى خطبة العيد خرج إلى المصلى ويخرجون قبله على العادة بالفرش والآلات وعلق بالمحاريب الشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة ، وبأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمة ، وهى قطعة من حصير ، ذكر أنها كانت من حصير لجعفر الصادق ، وكانت مما أخذه الحاكم بأمر الله عند فتح دار جعفر الصادق . ثم تغلق الأبواب الثلاثة التى بجنب القبة التى فى صدرها المحراب ، ثم تغلق الستور بالمحراب وجانبى المنبر ، ويفرش درجة ، وينصب اللواءان ويعلقان عليه ، ويقف متولى ذلك والقاضى تحت المنبر ويطلق البخور ، ويتقدم

---

(١) القصر النافعى بالقصر الفاطمى الكبير الشرقى، موقعه الان قبلى سيدنا الحسين حتى شارع السكة الجديدة وما يقابل ذلك من المبانى الواقعة بين السكة الجديدة وسكة خان الخليلى . وكان يسكن هذا القصر عجائز القصر الكبير وأقارب الأشراف (النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٤٨) .

(٢) تاريخ ابن ابى المنصور ص ١٧٦!

الوزير بألا يفتح الباب أحد ، وهو الباب الذى يدخل الخليفة منه ويقف عليه ، ويقعد الداعى فى الدهليز ويقرأ المقرئون بين يديه ويدخل الأمراء والأشراف والشهود والشيوخ ولا يدخل غيرهم إلا بضمان من الداعى فإذا استحقت الصلاة أقبل الخليفة فى زيه .

ويتحدث ابن خلكان[1] عن صفات الآمر فيقول : وكان الآمر سئ الرأى جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب » ويضيف الذهبى[2] على ذلك فيقول : « كان رافضيا كآبائه فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكر واللهو ذا كبر وجبروت . ويفصل لنا المقريزى مظاهر حب الآمر للهو فيقص علينا القصة الآتية عند حديثه عن الهودج[3] الذى بناه الآمر بجزيرة الروضة فيقول : « إن الخليفة الآمر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى،فبلغه أن بالصعيد جارية من اكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة ، فيقال أنه (أى الآمر) تزيى بزى بداة العرب وصار يجول فى الاحياء إلى أن انتهى إلى حيها وبات هناك فى ضائفة وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه وسرير خلافته فأرسل إلى أهلها يخطبها فأجابوه إلى ذلك وزوجوها منه فلما صارت إلى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت عليه وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الروضة المعروف بالهودج وكان على شاطئ النيل فى شكل غريب » .

ويضيف المقريزى فى قصة البدوية فيقول : وقد أكثر الناس فى حديث البدوية (عالية) وابن مياح من بنى عمها الذى بقيت متعلقه الخاطر به ، حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث أبطال الف ليلة وليلة وما أشبه ذلك .

ولم يزل الآمر يتردد إلى الهودج بالروضة للنزهة فيه إلى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية وضربوه بالسكاكين حتى مات .

---

(١) وفيات الأعيان (طبع بولاق سنة ١٢٧٥ ﻫ)

(٢) تاريخ الاسلام للحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبى (كان سنياً متعصبا ضد الشيعة وخاصة الشيعة الاسماعيلية) .

(٣) الخطط جـ ٢ ص ١٨١

ويحدثنا العلامة أبو المظفر [1] عن السبب فى قتل النزارية للآمر فيقول : كان الآمر مطلوبا من جماعة من أعوان عمه نزار [2] المقتول بيد أبيه بعد واقعة الاسكندرية فاتصل بالآمر أن جماعة من النزارية حضروا إلى القاهرة ويريدون قتله ، فاحترز الآمر على نفسه وتحيل فى قبضهم ، فلم يُقدر له ذلك لما أراده الله وفشا أمر النزارية وكانوا عشرة ، فخافوا أن يقع عليهم الآمر فيقتلهم قبل قتله ، فاجتمعوا فى بيت وقال بعضهم لبعض ، قد فشا أمرنا ولا نأمن أن يظفر بنا فيقتلنا ، ومن المصلحة والرأى أن نقتل واحدا منا ونلقى برأسه بين القصرين فإن عرفوه فلا مقام لنا عندهم ، وإن لم يعرفوه تم لنا ما نريد لأن القوم فى غفلة وفعلا قَتَل واحد منهم نفسه بسكين فى جوفه فمات من وقته ، فأخذوا رأسه فرموه فى الليل بين القصرين . فلما وجد الرأس اجتمع عليه الناس وأبصروه ، فلم يقل أحد منهم أنا أعرفه . فحمل إلى الوالى فاحضر الوالى عرفاء الأسواق وأرباب المعايش فلم يعرف ، فأحضر أيضا أصحاب الرباع والحارات فلم يعرف ، ففرح التسعة بذلك ووثقوا بالمقام فى القاهرة لقضاء مرادهم ، واتفق للخليفة الآمر أن يمضى إلى الهودج بجزيرة الروضة لزيارة زوجته البدوية (العالية) فعلم النزارية التسعة بركوبه فجاءوا إلى الجزيرة ، ووجدوا قبالة الطالع من الجسر فرناً فدخلوا فيه قبل مجئ الخليفة الآمر ، ودفعوا إلى الفران دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيراً بسمن وعسل ففرح الفران بها وعمل لهم الفطير فبينما هم يأكلون إذ طلع الخليفة الآمر من آخر الجسر ولقد تقلل عنه الركايبة ومن يصونه لحرج الجواز على الجسر لضيقه ،

---

(١) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان لشمس الدين لأبى المظفر سبط الجوزى ص ١٠٩

(٢) كان الخليفة المستنصر قد اجلس بعده ابنه أبا المنصور نزارا اكبر أولاده وجعل اليه ولاية العهد ، فلما مرض المستنصر اراد أخذ البيعة له فتقاعد وزيره الأفضل شاهنشاه حتى مات المستنصر ، وكان ذلك كراهة من الأفضل فى نزار ، وسببه أن نزار رأى الأفضل فى يوم راكبا وقد دخل من أحد أبواب القصر ، فصاح به نزار ، انزل يا أرمنى يانجس ، فحقدها عليه الأفضل ، فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخواص وخوفهم من نزار واشار عليهم بولاية أخيه الصغير ابى القاسم ونعته بالمستعلى بالله فرضوا بذلك اما نزار فقد فر إلى الاسكندرية فتوجه الأفضل إلى الاسكندرية وهزم نزار واحضره إلى القاهرة حيث قتله المستعلى وبنى عليه حائطا (فى النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤٤) .

فلما قابلوه وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى أن واحدا منهم ركب وراءه وضربه عدة ضربات وأدركهم الناس فقتل التسعة .

ويقول ابن تغرى[1] بردى : وحمل الآمر فى عشارى إلى قصر اللؤلؤة ، وقيل : إن بعض منجميه كان عرفه أنه يموت مقتولا بالسكاكين فكان الآمر كثيرا ما يلهج بقوله الآمر مسكين المقتول بالسكين .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٨٥

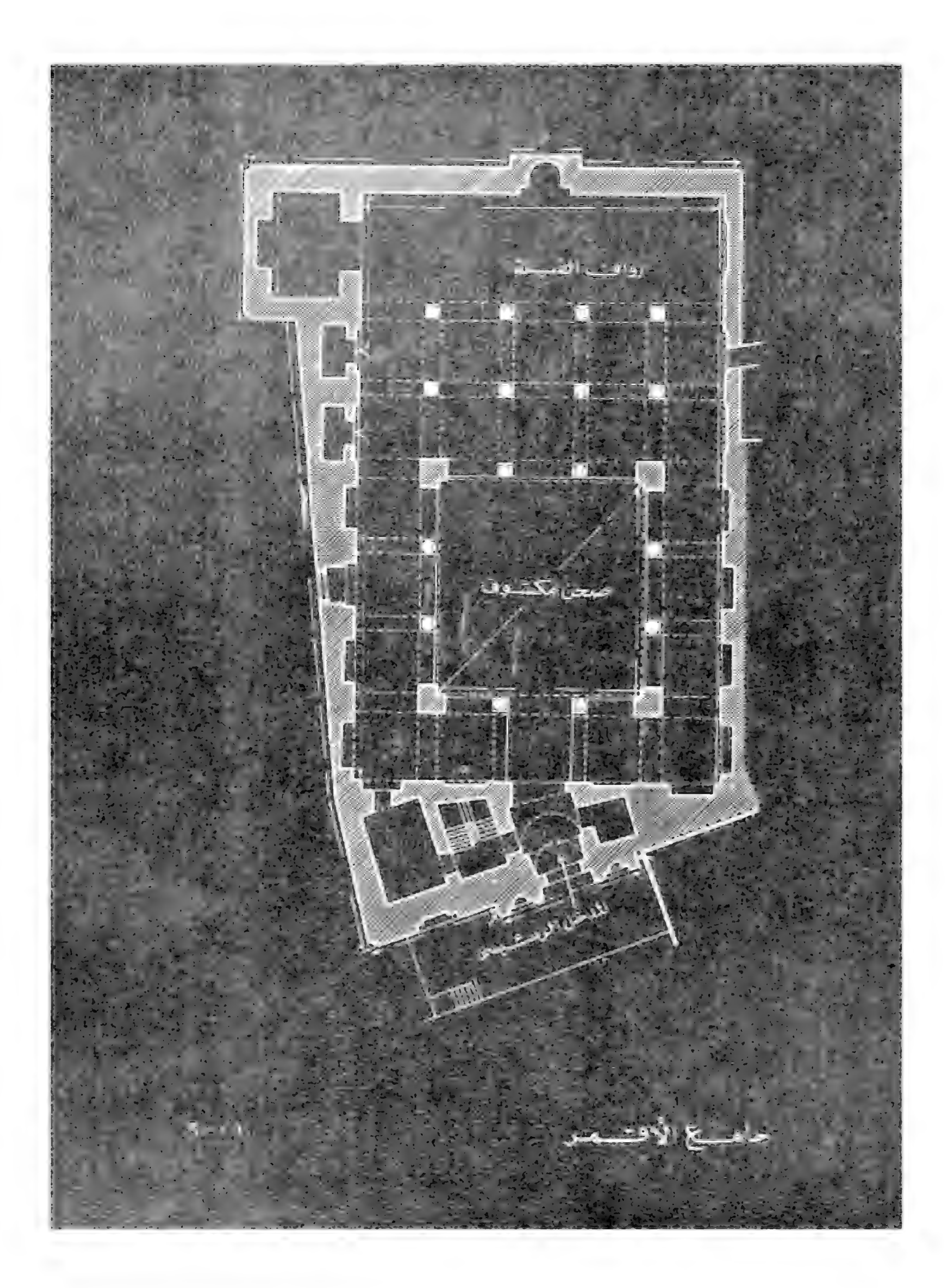
وصف الجامع

يقول ابن ظهيرة[1] الجامع الأقمر بمرجوش على يمين السائر إلى باب الفتوح ، وكان مكانه برية تعرف ببئر العظام وهى الآن خلف جدار قبلة الجامع . أما ابن عبد الظاهر[2] فيقول : كان مكان جامع الأقمر علافون والحوض مكان المنظرة ، فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطائحى فى انشائه جامعا فلم يترك قدام القصر دكانا وبُنى تحت الجامع المذكور فى أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح ، وكمل الجامع المذكور فى أيامه وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة وقد كتب عليه اسم الآمر والمأمون . ويقول المقريزى : إن الآمر اشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وحبسهما على سدنته ووقود مصابيحه ومن يتولى أمره ، ومازال اسم المأمون والآمر على لوح فوق المحراب ولم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الأقمر .

ويذكر المقريزى التجديدات التى أجريت للجامع الأقمر فى عهد السلطان الظاهر برقوق على يدى وزيره يلبغا السالمى فيقول : فلما كان شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة حدده الأمير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السالمى أحد مماليك الظاهرية فأنشأ بظاهر بابه البحرى حوانيت يعلوها طباق وجدد فى صحن بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزابيز من النحاس . كما نصب

---

(١) الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة (تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٩م)
(٢) الخطط جـ ٢ ص ٢٩٠


رواق القبلة
صحن مكشوف
جامع الأقمر

فيه منبرا فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة ، وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى الحلبي أحد نواب القضاة الحنفية . كذلك بنى على يمنه المحراب البحرى مئذنة وبيض الجامع كله ودهن صدره بلازورد وذهب » .

ومن الطريف أن المقريزى لم يستحسن بعض تلك التجديدات التى أدخلها يلبغا السالمى على جامع الأقمر ، ولذلك نجده يذهب إليه ويبلغه انتقاده وقد سجل هذا النقد ورد يلبغا عليه فى كتابه الخطط ، فقال : فقلت له قد أعجبنى ما صنعت بهذا الجامع ماخلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء ، فإن الخطبة غير محتاج إليها هاهنا لقرب الخطب من هذا الجامع وبركة المـاء تُضيق الصحن ، وقد أنشأت ميضأة بجوار بابه الذى من جهة الركن المخلق » . فرد عليه يلبغا قائلا : أما عن الخطبة وإقامة المنبر فما أنا بالذى أحدثه فقد قال ابن الطوير فى كتابه (نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين) عند ذكر جلوس الخليفة فى المواليد الستة : ويَقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك يحضر خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك ، فهذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية ، وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين » .

كذلك وضع يلبغا فوق المحراب لوحا مكتوبا فيه اسم الخليفة الآمر (أى اسم منشئ المسجد) وذكر فيه تجديده لهذا الجامع ورسم فيه نعوته وألقابه وجدد أيضا حوض هذا الجامع الذى تشرب منه الدواب وهو فى ظهر الجامع تجاه الركن المخلق . ويضيف المقريزى فيقول : وبهذا الجامع درس من قديم الزمان (لعله يريد أن يقول من العصر الفاطمى) ولم تزل مئذنته التى جددها السالكى والبركة إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة فولى نظر الجامع بعض الفقهاء فرأى هدم المئذنة من أجل ميل حدث بها فهدمها وأبطل المـاء من البركة لإفساد المـاء بمروره جدار الجامع القبلى والخطبة قائمة به إلى الآن (أى إلى سنة ٨٤٥ هـ) .

يعتبر الجامع الأقمر أول مسجد فى مصر صمم على أن تكون واجهته تتفق وتخطيط الشارع الذى يطل عليه كما أنه من أوائل العمائر الإسلامية فى مصر التى حظيت واجهاتها

بزخارف معمارية من دلايات ونقوش خطية ونباتية محفورة فى الحجر[1] . ويتكون الجامع من صحن تبلغ مساحته ٧٧ر٩ ١٧ر١٠ مترا تحيط به من جميع الجهات بائكة من ثلاثة عقود . ويتكون إيوان القبلة من ثلاثة أروقة أما الجهات الثلاث الأخرى فتحتوى كل منها على رواق واحد . وواجهة المسجد ليست موازية للحائط الشمالى الغربى للمسجد بل تقطعه فى زاوية حادة مقدارها (٢١°) وذلك حتى تتفق وتخطيط الشارع . وقد مكن الفراغ الناتج بين الحائط الشمالى الغربى وبين واجهة المسجد ، المعمار لكى يبنى غرفتين (وبير سلم) . ويتكون ممر المدخل من شكل منكسر يبدأ من منتصف الواجهة الخارجية وينتهى فى منتصف الحائط الشمالى الغربى .

وتتكون واجهة المسجد من باب على جانبيه حنيتان يبلغ عرضها ١٠ر٧ مترا وتبرز عن باقى جدار الواجهة بمقدار ٦٨ر مترا . وتمتد الواجهة من الجهة الشمالية ٤٢ر٦ مترا ، أما الجهة الجنوبية من الواجهة فتغطيها الدور المجاورة . وقد حفلت الواجهة بالعديد من أنواع الزخارف المعمارية ، فالباب يعلوه عقد مسطح صنجاته معشقة يعلوها شريط ضيق من الكتابة يمتد بعرض الجزء البارز من الواجهة ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله فتى مولانا وسيدنا الآمر باحكام الله ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وابنائهما الأكرمين تقربا إلى الله الجواد آمين ـ إللهم انصر جيوش الإمام الآمر باحكام الله المؤمنين على كافة المشركين السيد الآجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته فى سنة تسع عشرة وخمسمائة لإقامة البرهان » .

ويعلو الحنيتان الجانبيتان عقدان مفصصان ويعلوهما شريط من الكتابة ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم أمر فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الأجل المامون أمير الجيوش

---

(١) Creswell : The Muslim architeture in Egypt vol. I p. (241).

ناصر الإمام ـ المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبى عبد الله محمد الآمرى عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ـ تسعة عشرة وخمسمائة والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل) ويمتد بطول الواجهة ، ويأتى فوق شريط الكتابة وعلى امتداد الحنيتين توجد حنيتان مستطيلتان بهما أربعة صفوف من الدلايات . ويعلو الحنيتين المربعتين حنيتان صغيرتان يعلوهما عقدان مفصصان يرتكز كل منهما على عمودين ملصقين وفى وسط كل حنية توجد نصف دائرة مفصصة على شكل مروحة . أما باب المدخل فيعلوه عقد منكسر ومفصص وبواسطة دائرة مقسمة إلى ثلاث أشرطة فى الوسط كتابة نصها (محمد مكررة وعلى) ويحيط بالوسط شريط به كتابة نصها (بسم الله الرحمن الرحيم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويطهركم تطهيرا) وفى كوشتى العقد توجد زهرة ذات خمسة عشر بتلة . وعلى الجانب الأيمن للمدخل يوجد حنية كبيرة يعلوها عقد نصف دائرى ممتد مفصص ويزخرفه صفان من الدلايات وعلى جانبى الحنية مربعان بهما زخارف نباتية . ويعلو الحنية دائرة فقد ما كان بها من زخارف جصية وعلى جانبى الدائرة حنيتان صغيرتان على شكل نافذتان بهما زخارف نباتية وهندسية وكتابية نصها (لا إله الا الله محمد رسول الله على ولى الله) وتنتهى الواجهة من الجهة الشمالية بشطفة بداخلها صفان من الدلايات وهى التى يعبر عنها المقريزى بكلمة (ركن مخلق) ويقوم فى صدر المسجد محراب مكسى بفسيفساء رخامية متعددة الألوان لعلها من الأعمال والتجديدات التى أجريت فى عهد السلطان برقوق وكذلك الأعمدة الملتصقة على جانبى المحراب . وفوق المحراب توجد لوحة رخامية سجل عليها الأمير يلبغا العمارة التى أجراها ونصها : (بسم الله الرحمن الرحيم فانظر إلى آثار رحمة لله كيف يحيى الأرض ـ أمر بعمل المنبر والمنارة وغيره بعد اندراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفى الصوفى . لطف الله به فى الدارين آمين . . فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وكان بنى هذا الجامع فى أيام الخليفة الآمر باحكام الله ابن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية [1] .

---

(١) المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب ص ٧٢

والمنبر الموجود بالمسجد الآن هو بقايا المنبر الفاطمى وقد ثبت فوق بابه اللوحة التى كانت على باب يلبغا ، أما منبر يلبغا فكما يقول حسن عبد الوهاب[1] فقد . واللوحة الموجودة على المنبر الموجود حاليا كتب عليها النص الآتى : (وقالوا الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا . أمر بعمل هذا المنبر أيام مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق نصره الله غَرس نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفى الصوفى الظاهرى لطف الله به فى الدارين آمين . فى شهر رمضان سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

والظاهرة الغريبة فى هذا المسجد هو تغطية الأروقة ، إذ نلاحظ أنها مغطاة بقباب ضحلة تقوم على مثلثات مقعرة كروية ، ما عدا الرواق المجاور للمحراب فهو مغطى بسقف خشبى مسطح . ويعتقد كزويل[2] أن هذا النوع من التغطية ترجع إلى عصر السلطان برقوق ، هذا برغم أن هذه الظاهرة قد وجدت من قبل فى ضريح ابن طباطبا وكذلك فى باب الفتوح وباب النصر وفى مشهد اخوة يوسف .

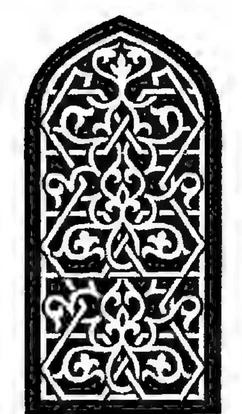
ويقول الجبرتى[3] إن الجامع الأقمر جدد فى العصر العثمانى على يد سليمان أغا السلحدار وذلك فى شهر شعبان سنة ١٢٣٦ هـ (سنة ١٧٢١ م) ويقول فان برشم إن آثار هذا التجديد واضح فى (طبلة) العقود التى تحيط بالصحن .

* * *

(١) المساجد الأثرية ص ٧٣

(٢) Creswell : P. 245

(٣) الجبرتى جـ ٤ ص ٣١٨



مسجد النبى دانيال بمحافظة الإسكندرية

نلاحظ فى مصر عامة والإسكندرية خاصة وجود مساجد إسلامية تنسب إلى أنبياء ورسل سبقوا المسيحية والإسلام وهى ظاهرة تستحق الالتفات والتفسير . ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين ، الأول هو أن هذه المساجد ربما كانت معابد قديمة حولت إلى مساجد أو أنها بنيت فى مكانها . والأمر الثانى يرجع إلى وجود جاليات يهودية كبيرة فى مدينة الاسكندرية فى العصر الرومانى ومن الثابت أنها سكنت مناطق معروفة أطلقت عليها أسماء أنبيائها . وظلت هذه الأسماء فى القصص والتراث الشعبى حتى جاء العرب وأسسوا مساجد فعرفت بالأسماء الشائعة والمعروفة فى تلك المناطق ومما يؤيد الرأى الأخير أننا إذا استعرضنا أسماء هذه المساجد لوجدناها لأنبياء بنى اسرائيل مثل مسجد سليمان عند قنطرة سليمان ومسجد الخضر بالقيسارية وأهمها مسجد النبى دانيال بالشارع المعروف باسمه .

أما عن وجود قبر النبى دانيال بمدينة الاسكندرية فقد تضاربت فيه الأقوال فقد أجمعت المراجع العربية القديمة وخاصة معاجم البلدان على وجود قبر النبى دانيال بمدينةسوس بإيران،

فقد جاء فيها عند ذكر فتوح الإسلام لبلاد العجم : أن أبا موسى الأشعرى بعد أن فتح السوس وجد خزانة مقفلة ، ففتحها فوجد فيها حجرا طويلا على مثال الحوض وفيه رجل ميت قد كفن بأكفان منسوجة بالذهب فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره ويطلب رأيه . فأخبره الإمام على بأنه قبر النبي دانيال ، فأمر سيدنا عمربدفنه » وهناك مراجع مخطوطة تقول بوجود قبر النبي دانيال بمدينة الموصل. كما أن كتب الرحالة لم تشر إلى وجود مقبرة للنبي دانيال بمدينة الاسكندرية . على أننا وجدنا فى كتاب (زبدة كشف الممالك) لفرج الدين الظاهرى ، نائب سلطنة الاسكندرية فى العصر المملوكى فى القرن التاسع الهجرى مانصه : وبها (أى الاسكندرية من المزارات والأماكن المباركة ما يطول شرحه ، منها مشهد النبي دانيال عليه السلام » .

وجاء فى كتاب الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى : الشيخ محمد دانيال الموصلى أحد شيوخ المذهب الشافعى قدم الاسكندرية فى نهاية القرن الثامن الهجرى واتخذ (مسجد الاسكندرية) (كما كان يسمى حينئذ) مكاناً يدرس فيه الأصول وعلم الفرائض على نهج الشافعية حتى وفاته سنة ٨١٠ هـ فدفن فى المسجد وأصبح ضريحه مزاراً للناس .

وهكذا نرى أن المسجد أخذ اسمه من اسم الشيخ محمد دانيال الموصلى ، ولا صحة لما قيل عن وجود قبر النبي دانيال بالمسجد أو أن المسجد بنى مكانه . ولكن تشابه الإسمين هو الذى جعل العامة فى العصور اللاحقة تعتقد أن المسجد بنى على قبر النبي دانيال .

وعندما بدأت عمليات البحث والتنقيب عن الآثار فى مصر فى القرن التاسع عشر ، لازمت مسجد النبي دانيال فكرة وجود قبر الاسكندر فيه ، وقد أيد هذا الرأى ماقاله محمود باشا الفلكى من أن النبي دانيال توفى قبل انشاء الاسكندرية بأكثر من ثلاثة قرون . وعلى أية حال فمما لا شك فيه أن اقتران اسم النبي دانيال بهذا المكان لابد وأن يرتبط بقصص أو تراث شعبى قديم .

وصف الضريح

أما الضريح الحالى فقد قام المرحوم حسن عبد الوهاب بعمل حفائر فى المقبرة التى تنخفض عن سطح الأرض بمقدار ثلاثة أمتار فوجد ما يأتى : فى وسط الضريح تابوت خشبي كبير عليه سطر مكتوب عليه (قبر النبي دانيال) ويجاوره تابوت آخر أصغر منه عليه سطر آخر مكتوب عليه (قبر الحكيم لقمان) . وعندما حفر تحت التوابيت وجد حفرة حديثة الردم بها مجموعة من شواهد القبور والأعمدة ، وعند فحصها تبين له أن هذه البقعة قد استعملت مقبرة اسلامية منذ ألف سنة على أقل تقدير بدليل : العثور على شاهد قبر مكتوب بالخط الكوفى فى القرن الرابع الهجرى وشاهد آخر مؤرخ سنة ٥٢٠ ﻫ وشاهد مؤرخ سنة ٥٦١ ﻫ . كما وجد مجموعة من الشواهد بالمسجد مؤرخة يرجع أقدمها إلى سنة ٥٩٠ ﻫ باسم ظافر بن جماعة بن شعيب وشاهد آخر باسم أبو الفقر الفاسى سنة ٦٣٣ ﻫ وثالث مؤرخ سنة ٧١٤ ﻫ .

وهناك من المراجع التاريخية ما يؤيد استعمال ضريح النبي دانيال مقبرة اسلامية فقد جاء فى معجم السلفى الذى قدم الاسكندرية سنة ٥١١ ﻫ وتوفى سنة ٥٧٦ ﻫ ، ذكر من لقيه من علماء الاسكندرية وغيرها وتاريخ وفاتهم ثم يضيف : ومنهم من دفن فى مقبره وعله (وهى منطقة مسجد الطرطوشى فى حى باب الكرسته) ومنهم من دفن فى مقبرة باب البحر (منطقة مسجد أبو العباس المرسى) ومنهم من دفن فى مقبرة الديماس (منطقة ضريح النبي دانيال) .

وصف الجامع

اما المسجد الموجود حاليا فيرجع إلى القرن التاسع عشر ويتكون من مستطيل به سبعة صفوف من الأعمدة تقسم المسجد إلى ثمانية أروقة موازية لحائط القبلة . وتقوم على الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها سقف خشبي . وفى الجهة الشمالية للمسجد يوجد المدخل الرئيسى للمسجد الذى يصعد إليه بمجموعة كبيرة من الدرجات . وإلى جانب المدخل الرئيسى توجد زيادة تتكون من صحن مكشوف يحيط به صف من البوائك المغطاة بسقف خشبي ويلحق بهذه الزيادة الميضأة ودورة المياه .

وفى منتصف الجهة الشرقية للمسجد يوجد الضريح ويتكون من أربعة ايوانات متعامدة يبرز ثلاثة منها فى داخل المسجد والايوان الرابع خارج عن سمت ضلع المسجد الشرقى . ويغطى الايوانات الأربعة أقباء تنتهى بعقود مدببة ، وفى وسط أرضيتها توجد فتحة مثمنة يحيط بها حاجز خشبي مصنوع بطريقة الخرط . ويرتكز الحاجز الخشبي على رقبة مثمنة كذلك مكونة من ثلاثة صفوف من المقرنصات تعلو أربعة عقود تقوم على دعائم تتوسط الحجرة التى يوجد بها التابوتان الخشبيان المنسوبان إلى النبى دنيال والحكيم لقمان .

ويعلو الضريح قبة فى وسطه تقوم على رقبة مثمنة مكونة من أربع مقرنصات وأربع نوافذ ، وقد ملئت النوافذ بزجاج معشق متعدد الألوان .



مسجد "أبو بكر الطرطوشي" بمحافظة الإسكندرية

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهرى الطرطوشي المشهور بابن أبي رندقة . ولد فى سنة ٤٥٠ أو ٤٥١ فى مدينة طرطوشة وإليها ينسب .

وطرطوشة مدينة كبيرة من مدن الأندلس ، تقوم على سفح جبل إلى الشرق من مدينة بلنسية وقرطبة ، بينها وبين البحر عشرون ميلا ، وهى مدينة منيعة يحيط بها سورحصين من الصخر بناه بنو أمية . ويضيف ابن تغرى بردى فيقول : (وهى قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره)[١] .

وفى هذه المدينة الأندلسية الكبيرة نشأ فقيهنا وعالمنا أبو بكر الطرطوشي وفيها أمضى فترة طفولته وحداثة صباه . وفى مسجدها الكبير تلقى علومه الأولى ، ولما شب عن الطوق

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣١

رحل إلى مدن الاندلس الكبيرة الأخرى يستزيد من العلم والمعرفة ويتصل بكبار العلماء والفقهاء ، وانتهى به المطاف فى سرقسطة بالأندلس حيث التقى بعالمها الكبير القاضى أبى الوليد الباجى وأخذ الطرطوشى عن الباجى شيخ علماء الأندلس خاصة بعد وفاة ابن حزم . طريقته فى مناقشة ونقد الموضوعات الدينية والعلمية على السواء .

على أننا لا نعرف شيئا عن أسرة أبى بكر الطرطوشى ، فإن المراجع التى أرّخت له لم تذكر شيئا يذكر عن أسرته . أما عن كلمة (أبى رندقة) فترجعها المراجع الأوروبية إلى أصل فرنسى تريد من وراء ذلك ارجاع أصله إلى اسبانيا المسيحية ولكن ذلك غير صحيح إذ أن نسبه واضح كما قدمنا وينتهى إلى قريش .

ويقول الدكتور الشيال : والذى نرجحه اعتمادا على ما جاء فى كتابه (سراج الملوك) من قصص وروايات عن أفراد أسرة والدته وعن والده ، أن والده كان عالما أو من المشتغلين بالعلم ولذلك وجّه أبنه هذه الوجهة وأن أسرته كانت على شئ من الثراء ولذلك استطاع أبو بكر الطرطوشى أن يعيش فى وطنه حتى الخامسة والعشرين من عمره وهو عالة على أهله يطلب العلم وهم يكفونه واستطاع أن يزود قبل خروجه للرحلة بنفعة وفيرة » .

وفى سنة ٤٧٦ هـ غادر الطرطوشى وطنه متجها إلى المشرق لتأدية فريضة الحج وقد استقر بمكة قليلا بعد اداء الفريضة يلقى بها بعض الدروس ومنها استأنف رحلته إلى بغداد . وكانت بغداد فى ذلك الوقت مزدحمة بالعلماء والفقهاء تنبض بالنشاط العلمى وكانت المدرسة النظامية هناك هى قلب الحركة العلمية والفكرية . ومن رجال المدرسة الذين تعاقبوا على التدريس بها والذين أخذ عنهم الطرطوشى أبو اسحاق الشيرازى وأبو بكر الشاش وأبو نصر بن الصباغ . وفى بغداد اتجه الطرطوشى إلى التصوف متأثرا فى ذلك بحياة العلماء الذين قابلهم هناك فبدأ من ذلك الحين يأخذ نفسه به حتى عده من كتبوا عنه واحدا من المتصوفة الزاهدين وقد سمع كثيرا من الشعر من شيوخه العراقيين ورواه عنهم فيما بعد فى كتابه (سراج الملوك) .

دخل أبو بكر الطرطوشى الشام بعد أن أتم دراسته فى بغداد وكوّن لنفسه فلسفة خاصة

تقوم على الزهد والسعى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقضى الفترة التى عاشها فى الشام يعلم الناس ويفقههم فى أمور دينهم ودنياهم فأقبلوا عليه وأحبوه ، فعلا اسمه وبعد صيته وعاش هناك متقشفا عابدا زاهدا منقبضا عن الناس .

كانت الاسكندرية عند وصول الطرطوشى إليها قادما من الشام ومارا برشيد وشيكه الخروج من أزمة بل أزمات خطيرة بدأت بالمجاعة الكبرى التى حدثت فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى فى القرن الخامس الهجرى نتيجة انخفاض النيل مدة سبع سنوات فاشتد الغلاء وانتشر الوباء حتى عم مصر كلها فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا أمير الجيوش بدر الجمالى . وبعد موت الخليفة المستنصر بادر وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فأجلس أبا القاسم أحمد أصغر أولاد المستنصر على عرش الخلافة فغضب الابن الأكبر نزار وفر إلى الاسكندرية فحاصر الأفضل الاسكندرية بجيش كبير حصارا شديدا ونصب عليها المناجيق فأصاب الاسكندرية من هذا النوع كثير من التخريب وانتقم الأفضل بعد دخوله المدينة من أهلها فقتل كثيرا من علمائها بحيث لم يبق فى المدينة كبير من علمائها فاحس أهلها بحاجتهم الماسة إلى فقيه كبير يتصدر حلقات الدرس فى مساجدها ليفقه الناس فى أمور دينهم ، فلما علموا بوجود أبى بكر الطرطوشى بمدينة رشيد كونوا وفدا من أعيانهم وفقهائهم يتقدمه قاضى المدينة أبى جديد وتوجهوا إلى رشيد حيث قابلوا الطرطوشى وطلبوا منه الذهاب إلى الاسكندرية والحوا فى الطلب فقبل رجاءهم وانتقل إلى الاسكندرية وبدأ يدرس وينشر العلم على مذهبه ـ مذهب مالك ـ وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ويقرأون عليه ويفيدون من علمه .

ومما يجدر ملاحظته أنه على الرغم من أن المذهب الرسمى للدولة الفاطمية كان هو المذهب الشيعى وأن الدولة قد بذلت جهودا كبيرة فى نشره ، فقد ظلت مدينة الاسكندرية سنيه على مذهب الإمام مالك ، ويرجع السبب فى ذلك إلى مرابطة كثير من القبائل العربية فقد دأب الخلفاء الراشدون الأربعة وكذا خلفاء الدولة الأموية والعباسية على أن يبقى ربع الجيش الموجود بمصر بمدينة الاسكندرية لحمايتها وحماية حدود مصر الشمالية .

كما كانت الاسكندرية دائما محط رحال المغاربة الذاهبين للحج أو العائدين منه ولعل هذا يفسر لنا رغبة أهل الاسكندرية الملحة فى مجئ الطرطوشى إليهم ، كما يفسر السبب فى وفود كثير من علماء وأئمة أهل المغرب إليها . وتزوج الطرطوشى سيدة فاضلة تقية من بيت من أكبر بيوت الاسكندرية ، وهى خاله تلميذه وخليفته أبى الطاهر . وكان الطرطوشى شجاعا معتدا بنفسه لا يخشى فى الحق لومة لائم ، فقد حدث أن سمع بما يأتيه الوزير الأفضل شاهنشاه من الظلم والتعسف مع الرعية ، فقر عزمه على السفر للقاهرة لمقابلة الوزير لا ليسأله معروفا بل ليطلب منه الرفق بالرعية واشاعة العدل بينهم وفى ذلك قال ابن خلكان[1] : « إنه دخل على الأفضل بن أمير الجيوش بمصر فبسط تحته مئزره وكان إلى جانب الافضل نصرانى ، فوعظ الأفضل حتى أبكاه ثم أنشد :

ياذا الذى طاعته قـربه   وحقـه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله   يزعم هـذا أنه كاذب

واشار إلى النصرانى ، فأقام الأفضل النصرانى من موضعه وأبعده . وقد صنف الشيخ أبو بكر كتاب (سراج الملوك) للمأمون الذى ولى وزارة مصر بعد الافضل ، وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه فى كتابه « سراج الملوك » كما أنتقد صراحة أعمال قاضى الاسكندرية ابن الحديد التى كان يقترفها ضد سكان الاسكندرية الضعفاء والفقراء . وكان من أثر تصرفات الطرطوشى هذه مع كبار رجال الدولة أن أمر الوزير الأفضل شاهنشاه باستدعائه إلى القاهرة وحدد إقامته فى جامع الرصد بالفسطاط ثم أفرج عنه الوزير البطائحى بعد شهر من اعتقاله بعد وفاة الأفضل .

وقد هيأت حياة الإستقرار التى عاشها الطرطوشى فى الاسكندرية الفرصة له للتأليف فى كثير من فروع العلم ، فقد ألف فى التفسير والفقه وعلم السياسة وفن الحكم والمجتمع واحواله إلى غير ذلك من العلوم ، وقد بلغ عدد مؤلفاته أثنين وعشرين كتابا لم يبق منها غير تسعة .

---

(١) وفيات الأعيان ص ٢٢٢ .

ويقول المقريزى ، أن الطرطوشى توفى سنة ٥٢٠ هـ وجاء فى النجوم الزاهرة وكان فى السبعين من عمره ودفن فى مسجده فى باب البحر . وقد توالت يد الاصلاح والتعمير على المسجد كما أن البحر قد طغى على معظم أجزائه ولم يبق منه الا الضريح وجزء صغير ملحق به .

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣١ .

وصف الجـامع

ويوجد الضريح الآن بحى الباب الأخضر ، وهو باب الاسكندرية الغربى (باب الكرستة بمنطقة الجمرك) . ويتكون المسجد من بناء مستطيل الشكل به ثلاثة صفوف من الأعمدة كل صف مكون من عمودين تعلوها عقود مدببة وتقسم صفوف الاعمدة المسجد إلى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة وللمسجد دور ثان يشغل ثلث مساحته تقريبا ويعرف باسم (صندرة) وهو خاص بالسيدات . ويقع الضريح خلف قبلة المسجد مباشرة ويحتوى على مقبرة الطرطوشى ومقبرة تلميذه محمد الأسعد وبالضريح عمودان تيجانهما من الطراز الكورنثى ولذلك فهما أقدم أجزاء الضريح .

مسجد
"سيدى بشر"
بالرمل بمحافظة الإسكندرية

من المتداول على ألسنة أهل الاسكندرية أن سيدى بشر المدفون فى المسجد المسمى باسمه برمل الاسكندرية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالرجوع إلى المراجع التاريخية وكذا كتب السير يتبين لنا أن هناك ثلاثة من الصحابة باسم بشر كانوا قد وفدوا على مصر أيام الفتح وبعده . فقد جاء فى كتاب (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) أن بشر بن أبى أرطاه كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية شهد صفين معه وتولى إمارة البحرين . وقال ابن ربيع أن بشر مات أيام معاوية بدمشق وقيل مات أيام عبد الملك بن مروان ودفن بالمدينة ، وقال المسعودى مات فى خلافة الوليد سنة ست وثمانين . وقال الواقدى ولد بشر قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ولأهل مصر عنه حديث واحد .

وذكر السيوطى بشر بن ربيعة الختعمى ويقال الغنوى مصرى ، روى حديثه أحمد والبخارى والطبرانى فى التاريخ وغيرهم ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لتفتحن

القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك جيشها » قال عبيد الله بن بشر بن ربيعة الغنوى ، فدعانى مسلمة بن عبد الملك فسألنى فحدثته بهذا الحديث فغزا القسطنطينية . ويذكر ابن يونس ثالثا هو بشر بن جابر بن عراب ، قال وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر ولا تعرف له رواية .

على أن وجود ضريح ومسجد سيدى بشر فى ذلك المكان البعيد عن العمران فى ذلك العهد استدعى أن نبحث عن تخطيط مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى الأول . لقد بقى تخطيط المدينة بعد أن فتحها العرب على ما كان عليه من قبل ، ذلك أن القبائل العربية التى شاركت فى الفتح اكتفت بالنزول فى الدور التى هجرها الروم ، أما المبانى التى اختطها العرب فتجمع المراجع التاريخية على أن الزبير بن العوام هو الوحيد الذى اختط خطه فى مدينة الاسكندرية كما اختط فى الفسطاط . أما المساجد فقد أقيمت بعد الفتح وفى العصر الإسلامى الأول فى مواضع كانت تشغلها معابد وكنائس قديمة مثل المسجد الغربى أو جامع الألف عمود أو بنيت فى أماكن فرضتها الحوادث مثل جامع الرحمة الذى أسسه عمرو فى الموضع الذى رفع فيه المسلمون السيف عن الروم سنة ٢٥ هـ .

وهكذا ظلت الاسكندرية فى العصر الإسلامى الأول محتفظة بتخطيطها القديم .

ولما استقل أحمد بن طولون بمصر فى القرن الثالث الهجرى رأى أن يحصن حدود مصر الشمالية فبنى حول مدينة الاسكندرية سورا بدلا من السور القديم الذى هدمه عمرو فى أيام الفتح ، على أن ابن طولون رأى أن يحيط السور بالأجزاء العامرة فى المدينة فقط وترك الأجزاء المهجورة خارجة عنه ، وذلك توفيرا للنفقات وللجهد . ولذلك نجد أن سور الاسكندرية الذى أقيم فى القرن الثالث الهجرى كان يضم ما يزيد قليلا على ثلث مساحة المدينة القديمة بعد أن استبعد منها المناطق الشرقية والجنوبية والشمالية الشرقية . وقد فتح ابن طولون فى سور المدينة أربعة أبواب تقابل الأبواب الأربعة القديمة ، الباب الشرقى أو باب رشيد وبابا فى الجهة الغربية عرف باسم باب القرافة أو الباب الأخضر ، والباب

الثالث فى الجهة الجنوبية سمى بباب الشجرة أو باب السدرة أو باب العمود ، أما الباب الرابع فيقع فى الجهة الشمالية وعرف باسمه القديم وهو باب البحر .

نخرج من هذا الوصف لتخطيط مدينة الاسكندرية وحدودها وسورها أن مسجد وضريح سيدى بشر يقع خارج حدود المدينة الشرقية فى ذلك الوقت إذ أن مقابر الشاطبى الرومانية ومنطقة كامب شيزار ، تكاد تكوّن حدود الاسكندرية الشرقية ، هذا بالإضافة إلى أن مقابر المسلمين كانت وقتئذ فى غرب المدينة كما يفهم من اسم باب القرافة .

وقد ظل تخطيط المدينة فى العصر الفاطمى كما هو ، ولما تولى صلاح الدين حكم مصر لم تتغير كذلك حدود الاسكندرية فإنه كما تذكر المراجع قد رمم أسوارها ولم تقل إنه بنى أو أعاد بناءها . أما فى العصر المملوكى فيذكر النويرى أن المدينة قد احتفظت إلى حد كبير بنظامها التخطيطى القديم فقد ظلت المحجة العظمى (موكب السلطان) تخترق المدينة ممتدة من باب رشيد إلى باب القرافة أو الباب الأخضر المعروف بالمطرق ، وكان يقطعهما طريق آخر يتجه عموديا على سور البحر ويصل باب البحر بباب سدرة ويقوم عند التقاء الشارعين مسجد يعرف باسم مسجد أبى الأشهب . ويفهم من هذا أن منطقة سيدى بشر ظلت حتى العصر المملوكى خارج المدينة ، ولم تتخذ مدفنا أو قرافة .

* * *

وصف الجامع

يقول الأستاذ جاب الله إنه قد عثر حديثا على مخطوط (لم يذكر اسمه أو مكانه) يؤخذ منه أن صاحب الضريح هو بشر بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن بشر الجوهرى ،وهو من سلالة آل بشر الذين كان لهم مكان ملحوظ فى وعظ الناس وهدايتهم إلى سواء السبيل . ويضيف أنه وفد على الاسكندرية ولكنه لم يذكر من أين ، فى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الهجرى ، أى فى عصر الدولة الفاطمية ، ومن المعروف أن مدينة الاسكندرية كانت قاعدة السنّية فى مصر وأنها ناهضت التشيع الفاطمى ، وأنها كانت أولى مدن مصر التى أسست فيها مدارس سنية ، فقد أنشأ الوزير رضوان بن الولخشى سنة ٥٣٢ هـ المدرسة الصوفية نسبة إلى فقيهها أبى الظاهر اسماعيل بن عوف الزهرى الاسكندرانى كما أنشأ المدرسة السلفية ابن سلار وزير الخليفة الظافر بأمر الله سنة ٥٤٦ ، للفقيه الحافظ أبى طاهر عماد الدين السلفى الأصفهانى الذى استوطن الاسكندرية سنة ٥١١ هـ .

وقد شجع تشيع مدينة الاسكندرية للمذهب السنى عدداً كبيراً من علماء المغرب والاندلس على المجئ إلى مصر والنزول بمدينة الاسكندرية ، ولذلك فمن المرجح أن يكون سيدى بشر قد وفد إلى الاسكندرية من بلاد المغرب ، وقد ورد فى سيرته انه لما قدم الاسكندرية كثر مريدوه واجتمع عليه علماء الثغر وأخذوا عنه الحديث والفقه ، وكان ممن حضر مجلسه أبو طاهر السلفى ، السابق الإشارة إليه . وقد وصف السلفى سيدى بشر بحلاوة الوعظ وقوة الحجة والتبحر فى علوم اللغة .

وان كنَّا لا نعرف تاريخ مولد سيدى بشر الا أننا نعرف تاريخ وفاته فقد مات سنة ٥٢٨ ﻫ ودفن فى ضريح متواضع على ربوة تشرف على البحر فى شرقى المدينة فى الجهة التى سميت بعد باسمه ، وكان ضريحه موضع التبرك من الآهلين وبخاصة من العرب الذين يقطنون هذه المنطقة . وفى أواخر القرن التاسع عشر أقامت وزارة الأوقاف مسجدا بجوار الضريح . وعقد له مولد سنوى يؤمه خلق كثير من أهل الاسكندرية . وقد جدد المسجد سنة ١٩٣٩ م وزيد فى مساحته بحيث أصبحت ثلاثة أمثال المسجد الأول كما أقيم أمامه ميدان فسيح يمتد إلى شاطئ البحر .

ويتكون المسجد الحالى من مستطيلين منفصلين ، المستطيل الشمالى ويتكون من صحن مستطيل مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أما الجهة الرابعة وهى الجنوبية فخالية من الأروقة ، وفى شمال هذا المستطيل توجد دورة المياه والميضأة . أما المستطيل الثانى فيقع فى جنوب الأول وهو عبارة عن ايوان القبلة ويحتوى هذا الايوان على ثلاث بوائك من أعمدة مثمنة تحمل عقودا مدببة وتقسم الايوان إلى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة . وفى الضلع الغربى لايوان القبلة يوجد الضريح ، وهو عبارة عن غرفة مربعة الشكل تعلوها قبة على رقبة مرتفعة وفى أركانها مقرنصات مصفوفة فى سبعة صفوف ، وتعتبر القبة الجزء القديم فى المسجد إذ أنها ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادى .



جامع الظافر
أو
جامع الفاكهيين بالغورية

الظافر بالله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ، التاسع من خلفاء مصر من الفاطميين بويع بالخلافة بعد موت أبيه الحافظ سنة أربع وأربعين وخمسمائة وهو ابن سبع عشرة سنة وأشهر . وأمه أم ولد تدعى ست الوفاء وقيل ست المنى(١) . ويضيف ابن خلكان(٢) وكان أصغر أولاد أبيه سنا ، كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع المغانى ، ويقول سبط ابن الجوزى(٣) ، وكانت أيامه مضطربة لحداثة سنه واشتغاله باللهو .

وقد بدأ الخليفة الظافر خلافته بالقضاء على ابنى الأنصارى لما كان يبلغه عنهما فى أيام والده الحافظ ، وقد فصل لنا صاحب كتاب المقلتين فى أخبار(٤) الدولتين ، أفعال ابنى الأنصارى فى زمن الحافظ وكيف أنتقم منهما الظافر فقال : « ولما تم أمر الظافر ركب

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٧٧

(٢) وفيات الأعيان ص ١٣٩

(٣) مرآة الزمان ص ٩٨

(٤) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩٣

مرة فى قائمة مساحة سنة ١٢٧٢ هـ ولايزال هذا اسمها إلى اليوم ، ووردت باسم شوهاى فى كتاب السلوك للمقريزى ولعله تصحيف لاسم سوهاى .

وكانت سوهاج تشتهر بصيد السمك منذ أقدم العصور ، الذى كان يعمل منه نوع من الطعام يعرف باسم الملوحة ، ويقبل أهل الصعيد عامة وأهل سوهاج خاصة على تناوله ، وهو يقابل (المش) عند أهل الدلتا. ويقول الفيروزبادى عن الملوحة إنها تصلح المعدة ، أما القزوينى فيقول إن التمضمض بها نافع فى ازالة النتن من الفم .

وفى جزيرة التبل شرق مدينة سوهاج ، توجد نزلة صغيرة يسكنها جماعة من عرب بنى واصل يقال لهم أولاد محروس ، وقد عمّر أولاد محروس النزلة وبنوا فيها المساجد والبيوت وغرسوا النخيل والاشجار ، وزرعوا قصب السكر وأنواع الخضر التى كانوا يبيعونها لسوهاج واخميم ، كما كانوا يزرعون أنواعا من الخشخاش الذى يستخرج منه الافيون ، وكان مشهورا فى القاهرة باسم الأفيون الإخميمى .

وبمدينة سوهاج مساجد جامعة وزوايا عامرة ، وأكبر مساجدها الجامع القديم الذى يرجع إلى العصر الفاطمى إذ بنى فى القرن الخامس الهجرى ، الا أن التجديدات والإضافات التى عملت له فى القرن التاسع عشر غيّرت المعالم الأصلية فيه . كما الحق بالجامع كتاب فأصبح يشبه مساجد القاهرة فى العصر العثمانى . ومن أشهر مساجد سوهاج ، مسجد الشيخ العارف بالله تعالى ، وهو مسجد كبير متسع به ضريح للشيخ العارف ويضم كتّابا لتعليم الأطفال الصغار كما يضم مكتبة تحوى الكثير من المخطوطات والكتب الدينية والمدنية . ومن حسنات الشيخ العارف أنه رتب للأطفال جرايات فى الصباح ، وثريدا فى المساء واستمرت ذريته من بعده تؤدى هذه الجرايات للأطفال .

ويقول الجبرتى إنه كان للشيخ العارف رزقه (عزبة) مرصودة على البر تبلغ ستمائة فدان يزرعها وينفق منها على الفقراء والمستحقين كأهل العلم والمتعلمين ونحوهم . ويضيف الجبرتى فيقول : « وكان (أى العارف) مشهورا كأسلافه معتقدا فى تلك الناحية وغيرها

ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والاصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى كلا بما يليق به .

ولا يكتفى بذلك بل يرتب لضيوفه المرتبات والاحتياجات ، وعندانصرافهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام ، وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على الدوام » .

. وجاء فى الخطط التوفيقية أنه يوجد بجوار مسجد الشيخ العارف بالله مدافن للأمراء والصناجق ممن تولى حكم مصر من قبل دولة المماليك ومن قبل باشوات الدولة العثمانية . كما يوجد قبر مراد بك الذى حرض المماليك ضد محمد على عند توليه الحكم ثم فر إلى الصعيد واستقر به المقام فى مدينة سوهاج ، وهناك مرض بالطاعون ودفن بجوار الشيخ العارف .

اما تفصيل أمر عباس الوزير وابنه نصر ، كما يقول ابن تغرى بردى[1] ، فقد كان عباس رجلا من بنى تميم ملوك المغرب ، ودخل عباس القاهرة فاجتمع بالخليفة فأكرمه وأنعم عليه باشياء ثم خلع عليه بالوزارة على العادة ولقبه ، فباشر عباس الوزارة وخدم الأمور واكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل ابن سلاّر . واستمر أبنه نصر على مخالطة الخليفة الظافر ، حتى اشتغل الظافر عن كل أحد بابن عباس ، وأبوه عباس يكره خلطته بالخليفة . وأنتهى الخليفة معه إلى أن يخرج من قصره لزيارة ابن عباس بداره التى بالسيوفيين ، بحيث لا يعلم عباس بذلك ، فلما علم استوحش من الخليفة لجرأة أبنه ، وتوهم أنه ربما يحمله الخليفة على قتله ، فقال عباس لأبنه سرا : قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدث الناس فى حقك معه بما أزعج باطنى ، وربما يتناقل ذلك ويصل إلى أعدائنا منه فلا يزول . ففهم أبنه نصر عنه وأخذته حدة الشباب ، فقال نصر لأبيه : أيرضيك قتله ؟ فقال أزل التهمة عنك كيف شئت . فخرج الخليفة ليلة إلى نصر بن عباس على عادته فقتله بالجماعة الذين قتل بهم الوزير سلاّر ، وقتل أيضا استاذين كانا مع الخليفة الظافر ، وطمرهم فى بئر هناك» .

ويكمل القصة صاحب كتاب المقلتين فى أخبار الدولتين فيقول : « ولما أصبح الوزير عباس (يعنى صبيحة قتل الخليفة الظافر بأمر الله) ركب إلى القصر ودخل إلى مقطع الوزارة من غير استدعاء ، فأطال جلوسه ، ولم يجلس الخليفة له ، فاستدعى عباس زمام القصر ، وقال له : « إن كان لمولانا ما يشغله عنا فى هذا اليوم عدنا إليه فى الغد . فمضى الأستاذ وهو حائر فيما يعمل وقد فقد الخليفة ، فدخل إلى أخوى الخليفة يوسف وجبريل وهما رجلان أحدهما مكتهل فأخبرهما بالقصة ، وما كان من خروج أخيهما البارحة إلى دار نصر بن عباس ، فما شكا فى قتل أخيهما الظافر ، وقالا للزمام : إن اعتذرت اليوم هل يتم لك هذا مع الزمان ؟ فقال الزمام : ما تأمرانى به ؟ قالا : تصدقه وتحققه . فعاد الزمام إلى عباس وقال له : سرٌ أقوله إليك بحضور الأمراء والأستاذين فقال عباس ما تم الا الجهر قال : إن الخليفة خرج البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد بغير العادة ، فقال عباس : تكذب يا عبد السوء : إنما أنت مبايع أخويه يوسف وجبريل اللذين حسداه

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩٦

على الخلافة فاغتالاه وأتفقتم على هذا القول . فقال الزمام : معاذ الله ، قال عباس ، فأين هما ؟ فخرجا إليه ومعهما ابن أخ لهما أسمه صالح بن حسن الذى قتل والده الخليفة الحافظ بالسم . فلما حضروا قال لهم عباس الوزير : اين الخليفة ؟ فقالوا : حيث يعلم أبنك ناصر الدين ، قال لا ، قالوا : بلى وهذا بهتان منك ، لأن بيعه اخينا فى أعناقنا وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك ، وأنا فى طاعته بوصية والدنا ، واقاما الحجة عليه ، فكذبهما وأمر غلمانه بقتل الثلاثة فى دراهم ، ثم قال للزمام : أين ابن مولانا ؟ فدخل عباس بنفسه إليه وكان عند جدته لأمه فحمله على كتفه واخرجه للناس وبايع له بالخلافة ولقبه بالفائز بنصر الله ، ووزر له عباس المذكور إلى أن وقع له مع طلائع بن زريك ما سبق ذكره » .

وكانت خلافة الظافر خمس سنين وستة أشهر ، إذ أنه قتل سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

---

(١) النجوم الزاهرة فى حلى خضرة القاهرة ص ٨٩ (تعليق حسين نصار مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠) .

وصف الجامع

يصف المقريزى جامع الظافر فيقول : هذا الجامع بالقاهرة فى وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين ويعرف اليوم (أى أيام المقريزى) بسوق الشوّايين . كان يقال له الجامع الأفخر ويقال له اليوم جامع الفاكهيين ، وهو من المساجد الفاطمية عمَّره الخليفة الظافر بنصر الله أبو المنصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه . ويحدثنا ابن عبد الظاهر عن السبب الذى من أجله أقام الظافر هذا الجامع فيقول : بنى الظافر هذا الجامع وكان قبل ذلك زريبة تعرف بدار الكباش، وبناه فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وسبب بنائه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضى حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفمه ورماها فى البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها وأما الخادم فإنه استصرخ وخلصه منه . وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا يسمى الجامع الأفخر تعقد به حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن .

ويذكر المقريزى[1] فى حوادث سنة ٧٠٢ ﻫ أنه حدث زلزال عظيم بالقاهرة ومصر وخرب كثير من المواضع المشهورة وخاصة مآذن الجوامع ومن بينها مئذنة جامع الفاكهيين ، وقد ذكر المقريزى أسماء الأمراء الذين قاموا بعمارة وتجديد جميع المساجد فيما عدا جامع الفاكهيين .

(١) السلوك جـ ١ ص ٩٤٤

وفى عهد السلطان الملك الظاهر جقمق . كان الجامع قد تهدم الكثير من أروقته وجدرانه ، فأعيد بناؤه وجددت معظم أروقته وذلك سنة ٨٤٤ هـ . ولعل من أهم التجديدات والترميمات التى أجريت لجامع الظافر تلك التى أجراها الأمير يشبك من مهدى[1] بعد أن أزال المبانى التى كانت تحجبه وذلك فى أواخر القرن التاسع الهجرى .

وفى العصر العثمانى هدم الجامع وأعاد بناؤه الأمير أحمد كتخدا مستحفظان الخربوطلى سنة ١١٤٨ هـ وبذلك لم يبق من المسجد الفاطمى شئ اللهم الا المصاريع[2] الخشبية للبابين البحرى والغربى ، وكذلك بعض المداميك الحجرية التى تعلو الباب الغربى كتب عليها بالخط الكوفى : (لا إله الا الله محمد رسول الله) .

ويتكون المسجد من صحن صغير مربع منخفض تحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذى يتصدره محراب مغشى برخام متعدد الألوان أما طاقيته وعقده وكوشيته فقد كسى ببلاطات القاشانى التركى تتوسطها بلاطة كتب عليها « ما شاء الله » . وسقف المسجد من الخشب المزخرف بنقوش زيتيه ويتوسطه منور مثمن الشكل .

ويصعد إلى المسجد من كلا بابيه البحرى والغربى بمجموعة من الدرجات ، وإلى يسار الباب الغربى توجد المئذنة وهى على شكل مسلة أو شكل (القلم الرصاص) الذى يعتبر من مميزات المآذن العثمانية . وعلى الباب البحرى توجد لوحة تذكارية دوّن عليها تاريخ تجديد الجامع هذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم جدّد هذا المكان المبارك قصد الثواب من المَلِك التواب الفقير إلى الله تعالى الحاج أحمد كتخدا مستحفظان سابقا فى شهر رمضان سنة ١١٤٨ هـ .

وقد أشرف على تجديد المسجد شيخ طائفة العقادين عثمان شلبى[3] كما أنشأ بجانبه من الناحية الغربية سبيلا يعلوه كتاب لتعليم الأطفال اليتامى القراءة والكتابة ، كما أقام بجوار السبيل وكالة لتجارة الفاكهة .

---

(١) الضوء اللامع للسخاوى جـ ٧ ص ٤١

(٢) تاريخ المساجد الاثرية ص ٧٤ لحسن عبد الوهاب .

(٣) تاريخ المساجد الأثرية ص ٧٥



مشهد الإمام الحسين

الإمام عبد الله الحسين بن على رضى الله عنه اسم ملأ فى عصره وبعده كل مكان فى البلاد العربية والإسلامية وغيرها من المعمورة ، فهو غنى عن التعريف بنسبه الشريف ومكانه من محبة النبى عليه الصلاة والسلام ، وما تحلى به من الفضائل والمناقب وما بذله من جهاد وتضحية فى سبيل العقيدة ورعاية الحق والأنفة من الضيم .

وقد أصبح الحسين بعد مأساة كربلاء سيد الشهداء ورمز الايمان والفداء وموضع الحب والتقدير والأكبار . وقد بلغ الحسين بنسبه الشريف وخلقه الكريم وورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين ، مكانة فى قلوب الناس لا تدانيها مكانة ، فغدا محبوب كل فرد ومثله الأعلى فى الشجاعة والإيثار والتضحية والفداء ، رضى الله عنه وأرضاه .

وإذا كان هذا البحث سيتناول فيما يتناول مشهد الحسين بالقاهرة ، فلابد لى أولا من كلمة عن مكانة صاحب المشهد والأحداث الخطيرة التى مر بها .

والإمام الحسين هو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ولد لخمس خلون من شعبان فى السنة الرابعة[1] بعد الهجرة وقيل فى السنة الثالثة[2] ، وسمى حربا لميل العرب للشجاعة وما يدل عليها ، ولكن النبى عليه الصلاة والسلام سماه حسينا ، وقد ورد فى مسند أحمد بن حنبل[3] وغيره عن على رضى الله عنه أنه قال : « لما ولد الحسن سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرونى أبنى ما سميتموه ، قلت حربا ، قال بل هو حسن . فلما ولد الحسين سميته حربا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه ، قلت حربا فقال : بل هو حسين » كما يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عَقّ عنه يوم سبوعه بكبش وحلق رأسه وتصدق بزنته فضة وأذن فى أذنه ودعا له . وقد كنى بأبى عبد وجاء فى نور الأبصار[4] كنيته أبو عبد الله لا غير وألقابه كثيرة ، أشهرها الزكى وأعلاها رتبة ما لقبه به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت مناقبه[5] رضوان الله عليه حديث العام والخاص فى حياته وقد خلدها التاريخ على صفحات الزمان بعد مماته . فمن صفاته البارزة الجود ، روى ابن عساكر[6] عن أبى هشام القناد أنه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع من البصرة ولعله لا يقوم حتى يهب عامته ،

---

(١) القرمانى ص ١٠٧ . ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى فى مناقب الحسن والحسين ص ١٤ ، أسد الغابة لابن الأثير جـ ٢ ، مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى ص ١٣٨ ، المفيد فى الأرشاد فى حجج الله على العباد ص ٢٠٣ ، الصبان ص ١٢٤

(٢) الكافى للكلينى ص ٢٣٨ ، رياض الجنان فى مشتهى الجنان ص ٢٥٤ .

(٣) مسند ابن حنبل ص ١٨ ، الطبرى فى الرياض النضرة ، أسد الغابة ج ٢ .

(٤) نور الأبصار للشبلنجى ص ١٥٢ ، المفيد فى الارشاد ص ٢٠٣

(٥) لقد زخرت كتب سيرة الحسين وافاضت فى ذكر مناقبه وفضائله ، كالجود والشجاعة والوفاء والفراسة ومكارم اخلاقه وآدابه وعلمه وورعه وتقواه فكان لابد من الإشارة إلى شئ منها : عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١٤٠ ، رسالة فى الاداب والحكم (طبعة الجوائب) الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٣٠٣ ، لواعج الأشجان لحسين بن عبد الكريم الحسينى ص ١٤ مناقب آل الرسول الفصل السابع ، المختار لأبى أحمد المقرى الأنبارى .

(٦) التاريخ الكبير لابن عساكر جـ ٤ ص ٣١٢

ويقول ابن عساكر[1] ، أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن … حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه … أبوك قد كان قاتل الفسقه

وكان الحسين واقفا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الاعرابى ، فرأى عليه أثر ضُر وفاقة ، فرجع ونادى يقنبر فأجابه ، لبيك يا ابن رسول الله ، قال ما تبقى معك من نفقتنا ، قال مائتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك ، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الاعرابى . وقد روى أحمد[2] بن سليمان بن على البجرانى أن الحسين كان جالسا فى مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليهما السلام ، وكان عبد الله بن الزبير جالسا فى ناحية من المسجد ، وعتبة بن أبى سفيان فى ناحية أخرى ، فجاء اعرابى على ناقة فعقلها بباب المسجد ودخل ، فوقف على عتبة ابن أبى سفيان فسلم عليه فرد السلام فقال له الاعرابى ، انى قتلت ابن عم لى وطولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئا ، فرفع رأسه إلى غلامه وقال : أدفع إليه مائة درهم ، فقال الاعرابى ما أريد الا الدية تماما ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له ما قال لعتبة فقال ابن الزبير لغلامه أدفع إليه مائتى درهم ، فقال الاعرابى ما أريد الا الدية تماما ، ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام ، فسلم عليه وقال يا ابن رسول الله أنى قتلت ابن عم لى وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئا . فقال له : يا أعرابى نحن قوم لا نعطى المعروف الا على قدر المعرفة ، فقال (الاعرابى) سل ما تريد فقال له الحسين : يا اعرابى ما النجاة من الهلكة . قال التوكل على الله عز وجل ، فقال وما الهمة قال الثقة بالله . ثم سأله الحسين غير ذلك وأجاب الاعرابى فأمر له الحسين بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال وهذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك .

---

(١) ابن عساكر جـ ٤ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤

(٢) عقد اللآل فى مناقب الآل ص ٧٣

وكان الحسين مع جوده الذى أمتاز به وكرمه الذى كان مضرب الأمثال لا يجاوز حد السخاء إلى الإسراف والتبذير[1] ، فمن أقواله المألوفة (لا تتكلف ما لا تطيق ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد . ويروى أن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام ، إنك أسرفت فى بذل المال ، فقال بأبى انتما وأمى ، أن الله عودنى أن يتفضل علىَّ وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن اقطع العادة فيقطع عنى المادة .

وكان الحسين شجاعا[2] مقداما منذ صباه ، فقد روى أن من بين المفاخر التى افتخر بها بنو هاشم على بنى أمية (من مثل الحسين بن على عليهما السلام يوم (ألطف) ما رأينا مثكوراً قد أفرق من اخوته وأهله وانصاره أشجع منه . كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطما . ولقد آثر الموت تحت ظلال السيوف حفاظا على مكانته وكرامته ، وحسبك أنه قاتل مع قلة من أنصاره جيوش يزيد وهو فى العراء وفى غير حصن وعلى غير ماء . وقليل ممن عرفوا بالشجاعة بل يكاد لا يوجد منهم من يقدم على ما أقدم عليه الحسين يوم كربلاء .

وقد تواتر فى كثير من المراجع[3] أن الحسين كانت له صلوات يؤديها فى اليوم والليلة غير الصلوات المفروضة الخمس[4] .

ومن تواضعه ما رواه ابن عساكر[5] أنه مرَّ يوما بمساكين يأكلون فى الصفة فقالوا الغداء فنزل وقال أن الله لا يحب المتكبرين فتغدى معهم ، ثم قال لهم قد اجبتكم فاجيبونى ، فقالوا نعم فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته ، أخرجى ما كنت تدخرين .

وجاء فى مناقب أبى حنيفة[6] عن آدابة وآداب أخيه ، أن سبطى رسول الله صلى الله

---

(١) الكامل للمبرد جـ ١ ص ٨١ ، القزوينى : عجائب المخلوقات ص ٣٠٧ ، أسرار الحكماء لياقوت المستعصى ص ٥٩

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـ ١٥ مجلد ص ٤٨٢ ، أسعاف الراغبين ص ١٣٤ . مطالب السئول فى مناقب آل الرسول لأبن أبى طلحة ص ٤٩ وكشف الغمة اللاربلى .

(٣) أبو الفداء جـ ١ ص ٢٠٢ ، منهاج الكرامة ص ١٢٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٦٧

(٤) منهاج السنة النبوية لأبن تيمية .

(٥) التاريخ الكبير جـ ٤ ص ٣٢٣

(٦) مناقب أبى حنيفة لمحمد بن محمد بن شهاب البزاز الكردى جـ ١ ص ٣٩

عليه وسلم كانا على شط الفرات ، إذ نظرا إلى شيخ اعرابى خفف الوضوء والصلاة ، فقالا لو قلنا له عن غلطه ربما لا ينقاد إلى الحق ، فقالا له ، نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا ، فنتوضأ ونصلى عندك ، فإن كان عندنا قصور فعلمنا فتوضأ وصليا كما رأيا من جدهما صلى الله عليه وسلم فتنبه الشيخ إلى غلطه وتاب ورجع عنه .

أما عن علم الحسين رضى الله عنه وفضله فتحدثنا المراجع بأن الناس كانوا يقدمون على الحسين وينتفعون بما يُسمع منه ويضبطون ما يروون عنه ، فمن أقواله فى الشئون العامة كتابه إلى معاوية الذى جاء فيه[1] : « أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى أمور أنت لى عنها راغب وأنا بغيرها عنك جدير وأن الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد إليها الا الله تعالى . وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عنى فإنه رقاه اليك الملاّقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون . ما أردت لك حربًا ولا عليك خلافًا وانى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الأعذار فيه إليك والى أوليائك القاسطين الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين ألست القاتل حجر بن عدى أخا كنده وأصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون فى الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة جرأة على الله واستخفافا بعهده . أو لست قاتل عمرو بن الحَمِق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أمنته واعطيته من العهود ما لو فهمته العُصْم لزلت منه رؤوس الجبال » « وقلت فيما قلت أنظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمد واتق شق عصا هذه الأمة ، وأن تردهم إلى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أن أجاهدك ، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وان تركته فإنى أستغفر الله لدينى وأسأله توفيقه لإرشاد أمرى . . . . الخ » .

ومن أقواله المأثورة فى المواعظ والحكم : « حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتعود نقما » . وقال « صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فاكرم وجهك عن رده » وقال « الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه

---

(١) الأمامة والسياسة لأبن قتيبة جـ ١ ص ٢٨٤ ، اختيار الرجال للطوسى ص ٣٢

ضعف والغلو ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبه » وقال رضى الله عنه فى خطبة له[1] : « أيها الناس نافسوا فى المكارم وسارعوا فى المغانم واكتسبوا الحمد بالمنح واعلموا أن المعروف يكسب حمداً ويعقب أجراً . ومنَ جاد ساد ومن بخل ذل وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن مقدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين » .

كذلك تواترت الروايات على أن الحسين كان يقول الشعر وبخاصة فى أغراض الحكمة وأنه كان خطيباً بما أُوتى من طلاقة اللسان والفصاحة وحسن البيان .

وقد شهد الحسين مع أبيه موقعة الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج وكانت له فى كل منها مواقف مشهوده ، وبقى مع والده حتى قتل . ويؤخذ من سيرة على كرم الله وجهه أن الحسين حين كان معه بالعراق لم ينزل قصر الإمارة بالكوفة ، لأن أمير المؤمنين نفسه لم ينزله حين قدمها من البصرة بعد يوم الجمل فى رجب سنة ست وثلاثين . ويقول ابن أبى الحديد[2] ، أنه دخل الكوفة ومعه أشراف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل ؟ أتنزل القصر ، قال لا ولكننى أنزل الرحبة فنزلها ، وجاء فى طبقات ابن سعد[3] ، نزل علىّ الكوفة فى الرحبة التى يقال لها رحبة على فى اخصاص كانت فيها ولم ينزل القصر الذى كانت تنزله الولاة قبله .

وبعد وفاة على بقى الحسين مع أخيه الحسن رضوان الله عليهما ، إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، وكان الحسين غير راض على ما فعله أخوه الحسن من تسليم أمر الخلافة إلى معاوية فلم يوافقه عليه أولا وأشار بالقتال ، ولكنه نزل بعد ذلك على رأى أخيه الأكبر ، فقد روى[4] عن عمرو بن دينار ، قال ابن جعفر « قال لى الحسن انى رأيت رأيا وانى أحب أن

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٣ ص ٢٠٥

(٢) شرح نهج البلاغة مجلد ١ ص ٢٥٦

(٣) الطبقات لمحمد بن سعد جـ ٦ ص٦ .

(٤) ابن عساكر جـ ٤ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، البداية والنهاية ص ٢٣٧ ، أسد الغابة جـ ٢ ص ١٣٩

تتابعنى عليه ، قلت ما هو ، قال رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلى ما بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء ، وقطّعت الأرحام وقطعت السبل وعطلت الفروج (أى الثغور) » ، فقال ابن جعفر جزاك الله عن أمة محمد خيراً وأنا معك فبعث إلى الحسين فأتاه فقال « أى أخى إنى رأيت رأيا وأحب أن تتابعنى عليه قال ، ما هو فقص عليه الذى قال لابن جعفر ، فقال له الحسين اعيذك بالله أن تكذب علياً فى قبره وتصدق معاوية ، فقال الحسن والله ما أردت أمراً الا خالفتنى إلى غيره والله لقد هممت أن أقذفك إلى بيت فاطينه عليك حتى أقضى أمرى ، فلما رأى الحسين غضبه ، قال ، أنت أكبر ولد على وأنت خليفته ، وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك » ولم يراجعه الحسين بعدها والتزم طاعته .

ولعمرى أن هذا لمثل كريم يضربه الحسين فى آداب الأسرة . ثم خرج[1] الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة ثم تحملوا إلى المدينة سنة احدى وأربعين .

ويقول ابن كثير[2] أنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى وهو عنه راض ، ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه وروى عنه وكان معه فى مغازيه كلها ، فى الجمل وصفين ، وكان معظما موقرا ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل فلما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية ، شق ذلك على الحسين فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فكان معاوية يكرمهما اكراما زائدا ، ويقول لهما مرحبا وأهلا ويعطيهما عطاء جزيلا ، وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف وقال خذاها ، وأنا ابن هند والله لا يعطيكماها أحد قبلى ولا بعدى فقال الحسين والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا . ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إليه ويقدم كل عام عليه .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى فى أحداث سنة ٤١ هـ ، ابن الأثير فى أسد الغابة جـ ٢ ص ٢٠

(٢) البداية والنهاية

خروج الحسين ومقتـــــله

لما توفى معاوية سنة ٦٠ هـ كان على المدينة الوليد بن عتبه بن أبى سفيان وعلى مكة[1] يحيى بن حكم بن صفوان بن أمية ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصارى ، فكتب يزيد بن معاوية[2] إلى الوليد بن عتبة « من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبه ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكن له فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله فقدعاش محموداً ومات براً تقياً والسلام » ثم أضاف « أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[3] » فلما قرأ الوليد (وإلى المدينة) للحسين الكتاب ونعى إليه معاوية ، فقال الحسين إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية ، أما البيعة فإن مثلى لا يعطى بيعته سراً ولا أراك تقنع بها سراً قال أجل ، فقال (الحسين) فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحداً » . وكان الحسين رضوان الله عليه قد عوّل على ترك المدينة إلى مكة ، كما تركها قبله بليتين ابن الزبير ، دون مبايعة يزيد ، فخرج منها ومعه جل أهل بيته وأخوته وبنو أخيه ، فلما بلغ أهل

---

(١) جاء فى رواية ابن جرير الطبرى (تاريخ الطبرى (وفى رواية ابن الأثير (الكامل) أنه كان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص .

(٢) ابن قتيبة فى الأمامة والسياسة ، أبو الفرج الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين ، أبن النعمان فى الأرشاد ابن الأثير فى الكامل ، ابن كثير فى البداية والنهاية ، ابن ابراهيم الأنصار البياسى فى الاعلام بالحروب الواقعة فى صدر الاسلام .

(٣) جاء فى كتاب الأخبار الطوال للدينورى أن خطاب يزيد إلى المدينة ذكر فيه اسم عبد الرحمن ابن أبى بكر مع هؤلاء ولكن ابن أبى بكر مات قبل معاوية .

الكوفة وفاة معاوية وعلموا أمتناع الحسين عن بيعة يزيد ونزوله مكة ، اجتمعت الشيعة وكتبو إليه كتبا جاء فيها « أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق » ثم سرحوا عدة رسل بالكتب إليه ، وتلاقت الرسل كلها عند الحسين فكان يقرأ الكتب ويسأل الرسل عن الناس . ولبث فى مكة على هذه الحال أربعة أشهر . ثم دعا ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب فأمره بالمسير إلى الكوفة ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك ، وكتب إلى أهل الكوفة قبل ذلك كتاباً قال فيه : « أما بعد فقد أتتنى كتبكم وفهمت ما ذكرت من محبتكم بقدومى عليكم ، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلىّ أنه قد اجمع رأى ملئكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم وقرأت فى كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فلعمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

ولما علم يزيد بخبر مسير مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، كتب إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً وقتئذ على البصرة ، يأمره بالمسير إلى الكوفة وتولى إمارتها وأخذ شيعه الحسين بالشدة وبالقضاء على مسلم بن عقيل ، وكان مسلم قد نزل بالكوفة وتلقى البيعة للحسين من ألوف الناس ، قال عنهم ابن كثير ثمانية عشر ألفاً وقال ابن قتيبة ثلاثون ألفاً .

وما أن قدم ابن زياد إلى الكوفة حتى عمل على تحويل الناس عن مسلم ، وسرعان ماقضى عليه وعلى من انضم إليه من أهل الكوفة وبعث برأسه ورؤوس من قتل معه من صحبة إلى يزيد .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة جمع الحسين رأيه على الخروج ، فجاءه عبد الله بن العباس يناشده فى المقام ويعظم عليه القول فى ذم أهل الكوفة وقال له « إنك تأتى قوما قتلوا أباك وطعنوا أخاك وما أراهم إلا خاذليك » فقال له « هذه كتبهم معى وهذا كتاب مسلم[1] باجتماعهم ، فقال له ابن عباس ، « ان كنت لابد فاعلا فلا تخرج أحداً من ولدك ولا حرمك ولا نسائك » .

---

(١) قتل مسلم بن عقيل لتسع خلون من ذى الحجة ، أى بعد خروج الحسين من مكة بيوم واحد .

ولقى الفرزدق بن غالب الشاعر ، الحسين خارجاً من مكة مع أسيافه ، وأتراسه فسلم عليه ، فسأله « من أنت » قال « امرؤ من العرب » فسأله نبأ الناس فقال الفرزدق عبارته المشهورة « قلوب الناس معك[1] وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء » فقال له الحسين صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء .

وبينما الحسين فى طريقه إلى الكوفة بلغه نبأ مقتل مسلم ، فقال له بعض أصحابه « ننشدك الله إلا رجعت من مكانك ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر بل نتخوف أن يكونوا عليك » فوثب بنوعقيل وقالوا : « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نتذوق ما ذاق مسلم » . فقال الحسين « لا خير فى العيش بعد هؤلاء » فقال له بعض أصحابه « إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع » .

وقد رأى الحسين بعد ذلك أن يترك لصحبه الخيار فى المضى معه أو الانصراف فخطبهم ومما قاله لهم « . . . وقد خذلنا شيعتنا . فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف ، ليس عليه منا ذمام » فتفرقوا إلا أهل بيته وقليلا ممن تبعوه فى الطريق .

وهكذا انقسم أصحاب الحسين وأهله فى أمر خروجه من مكة إلى الكوفة فمنهم من رأى أن يقيم حيث هو سيداً لأهل الحجاز وعلى رأسهم عبدالله ابن العباس وأن لا يعتمد على أهل العراق فهم قوم غدر ولم يعملوا على نصرة أبيه وأخيه من قبل ، ومنهم من رأى أن أهل العراق هم شيعة على كرم الله وجهه ولا شك فى محبتهم وانتصارهم للحسين ، ولكن ليس إلى حد بذل النفس والنفيس فى سبيل نشر دعوته ونصرته ، مما يصدق معه القول « قلوب الناس معك وسيوفهم عليك » . ومنهم من أصر على المضى فى محاربة يزيد ، وجلهم من أهل مسلم بن عقيل للأخذ بثأره رغم نصح بعض أهل الرأى للحسين بالرجوع إلى مكة بعد مقتل مسلم .

---

(١) جاء فى مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى ، (أن اعرابيين لقيا الحسين بالثعلبية من بنى أسد فقالا له قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) .

ومن هذا نرى أن فريقاً نصح بعدم مخاصمة يزيد بن معاوية ، وفريقاً آخر أصر على مقاتلة يزيد ، والفريق الثالث وقف موقفاً وسطاً . ولكن إذا لوحظ موقف الحسين من تنازل أخيه الحسن عن حقه فى الخلافة لمعاوية ، وأنه قد طلب إليه أن يبايع يزيد بالخلافة ويزيد غير أهل لها ولا يعمل بشروطها ، وأن دعاة يزيد قد أبو ا عليه أن ينصرف إلى حيث يشاء إلا بعد التسليم ، وهم يعلمون من هو فى شجاعته واقدامه ومكانته والاعتداد بكرامته ، إذا لوحظ ذلك كان لا مناص من المضى قدما فى محاربة يزيد ومواجهة الموت واباء التسليم أو النزول على حكمهم .

وسار الحسين حتى وصل أو وصلوا به إلى كربلاء ، وتتابع إرسال الجيوش والقواد لقتاله ، وألتقى الحسين بجيش عبيد الله بقيادة الحر بن يزيد فى ألف فارس ، وكانوا يلازمونه ويصدونه عن كل جهة إلا نحو الكوفة مقر أميرهم عبيد الله بن زياد ، فقال يعظهم : « إيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالأثم والعدوان ، فلم يغيِّر ما عليه بفعل ولا بقول كان حقا على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ؛ وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالغى وأحلوا حرم الله وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيرى وأنا الحسين ابن على وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسى مع أنفسكم وأهلى مع أهلكم فلكم فىَّ أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدى وخلعتم بيعتى ، فلعمرى ما هى لكم بنكير . والمغرور من اغتر بكم ، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم . . . . . ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم والسلام » .

وفى اليوم الثانى لنزوله كربلاء جاء عمر بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف مقاتل ، موفدا من عبيد الله بن زياد لقتاله ، ثم انضم إلى جيش الحر بن يزيد ، فلما سئل الحسين عما جاء به . قال رضوان الله عليه : « كتب إلىَّ أهل مصر كم هذا أن أقدم عليهم فأما إذ كرهونى فإنى أنصرف عنكم إلى مكة » فكتب عمر إلى ابن زياد بذلك . ثم ألتقى الحسين وعمر مراراً ، فكتب عمر إلى عبيد الله بن زياد « أما بعد فإن الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع إلى المكان الذى أقبل منه ، أو أن نسيره إلى أى

ثغر من الثغور شئنا أو يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده[1] وفى هذا لكم رضا وللامة صلاح » فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه ، نعم قبلت ، وتصادف أن كان فى مجلسه وقت مجئ كتاب عمر . شمر بن ذى الجوشن فقام إليه وقال له « أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبت كنت ولى العقوبة وإن عفوت كان ذلك لك » فما كان من ابن زياد إلا أن أخذ برأى شمر فأرسله بكتاب إلى عمر جاء فيه « . . . انظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلىّ مسلماً ، وأن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون . فإن قتل الحسين فاوطئ الخيل صدره وظهره فأنه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع . وإن أنت أبيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر والسلام » .

وهكذا كانت النتيجة المحتومة . تكاثر الجيش على الحسين وصحبه وكانوا أثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلا ، وكلهم مشهود له بالشجاعة وسداد الرمى ومضاء الضرب بالسيف ، وهم على قلتهم كفء لمبارزة فرسان جيش عبيدالله بن زياد واحداً بعد واحد لو جرى القتال على سنة المبارزة ، ولكنهم خشوا مغبتها فعدلوا عنها حين صاح فيهم عمر ابن الحجاج ، أتدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان المصر وقوما مستميتين ، لا يبرز إليهم منكم أحد فأنهم قليل . . لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم[2] . فرشقوا أصحاب الحسين بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال .

وقد استشهد كل صحبه رضوان الله عليه ، وانفرد وحده بقتالهم وكان يحمل عليهم

---

(١) عقب الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك فى كتابه أبو الشهداء بأن الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه ولكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده فى يده لأنه لو قبل ذلك لبايع فى مكانه واستطاع عمر بن سعد أن يذهب به إلى وجهته ولأن اصحاب الحسين فى خروجه إلى العراق قد نفوا ما جاء فى ذلك الكتاب ومنهم عقبة بن سمعان . وأنى لأميل إلى هذا الرأى لأسبابه واضيف اليه انه يتفق وما فطر عليه الحسين من الاعتداد بشخصيته والاحتفاظ بكرامته ومنزلته .

(٢) أبو الشهداء للعقاد ص ١٣٧

فيتفرقون تحرجاً من قتله ، وكل منهم يخشى أن يصاب على يديه حتى صاح فيهم شمر ابن ذى الجوشن « ويحكم ماذا تنظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم » ، فحملوا عليه من كل جانب وضربه زُرعة بن شريك التميمى على يده اليسرى فقطعها ، وضربه غيره على عاتقه فخر على وجهه فأخذ يقوم ويكبو وهم يطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيف حتى لفظ نفسه الأخير رضوان الله عليه . ووجد بجسده ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية بالنبل والسهام . ونزل سنان بن انس النخعى[1] فاجتز رأسه ، وفى رواية أخرى أن شمر هو الذى ذبحه واجتز رأسه ثم عمدوا إلى سلب ما كان عليه من كساء فاخذ قميصه اسحاق بن حَيْوه الحضرمى وأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الاشعث قطيفته وهى من خز ، فكان يسمى بعد ، قيس قطيفة ، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد الحضرمى وأخذ نعليه الأسود الأودى وأخذ سيفه رجل من دارم وترك الحسين يكاد يكون عارياً ، ثم وطأت الخيل جثته كما أمر ابن زياد حتى رضوا صدره وظهره .

بحسبي ما أوجزت من تلك الأحداث المؤسفة التى انتهت بمأساة كربلاء ، أحداث تمثلت فيها أبشع الجرائم وأخسها ، لا يأتيها مسلم ولا كافر ولا بر ولا فاجر ، ولا يأتيها من يشعر أنه إنسان مهما بلغت به بواعث الضغن والتشفى . وقد مضت عليها مئات السنين ولم تمح آثارها فى الشرق والإسلام . وهى كما قال الفخرى[2] إنها « شر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها ، وأمر بها ، ورضى بشئ منها ولا يقبل الله منه صَرفاً ولا عدلا ، وجعله من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

---

(١) قال بذلك الطبرى وابن الأثير .

(٢) الآداب السلطانية ص ١٠٤

رأس الحسين وقبره

يكاد يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله فى كربلاء . وقد جاء فى كتاب الارشاد[1] ، أنه بعد أن اجتزت الرأس وأخذت إلى ابن زياد بالكوفة ، خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولا بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه ، فصلوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء[2] ، ودفنوا أبنه عليا عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله ، ودفنوا العباس بن على فى موضعه الذى قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن .

وقال المسعودى فى مروج الذهب فى خلافة المنتصر بالله « أن آل أبى طالب كانوا فى محنة عظيمة قبل خلافته (أى المنتصر) وخوفا على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين بالغرىّ من أرض الكوفة . وكذلك مُنع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين[3] وفيها أمر المعروف (بالذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وهدمه ومحو أرضه وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكلٌّ خشى العقوبة فتناول (الذيريج) مسحاةً وهدم أعالى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه وأنهم انتهوا إلى الحفرة موضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها » . ويضيف المسعودى « ولم تزل الأُمور على ما ذكرنا إلى أن

---

(١) للشيخ المفيد .

(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت أن الحائر اسم لموضع قبر الحسين بن على ، وقال الفيروزبادى فى القاموس : الحائر هى كربلاء ، أسد الغابة جـ ٢ لأبن الأثير .

(٣) وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٥٥ لأبن خلكان، طبقات الشافعية جـ ١١ ص ١٦٢ للسبكى ، الأخبار الطوال للقرمانى حوادث ٢٣٧ هـ أبو بكر الخوارزمى فى كتابة إلى جماعة الشيعة بنيسابور ص ٣٨ أبو الفدا جـ ٢ فى حوادث سنة ٢٣٦ هـ .

استخلف المنتصر فأمن الناس وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضى الله عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ».

وقد وصف ابن بطوطة الرحالة الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى رحلته إلى كربلاء فقال « سافرنا إلى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن على عليهما السلام ، وهى مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر ، وعلى باب الروضة الحجاب والقوصة لا يدخل أحد إلا عن إذنهم ، فيقبل العتبة الشريفة وهى من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الأبواب أستار الحرير » .

أما عن رأس الحسين ، فقدكثرت الأقوال وتضاربت الروايات ، واختلفت كتب السيرة فى تحديد مكان وجوده ، لذلك رأيت أن أجمع ما استطعت جمعه منها ، وأن أضع المتشابه منها فى مجموعات ، لعلى أستطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح .

والمراجع على اختلافها تكاد تتفق على أن عبيد الله بن زياد ، عنى بتجهيز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس وآخرين رأس الحسين ، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات فى موطن الرأس الشريف ، فمنها أن الرأس أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوماً ودفن معه بكربلاء ، ومنها أنه دفن بالمدينة ، ومنها أنه دفن عند باب الفراديس بدمشق ، وفى رواية أن الرأس دفن بمقابر المسلمين فى عهد سليمان عبد الملك . ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل إلى عسقلان ، ومنها نقل إلى القاهرة فى آخر العصر الفاطمى . وتقول رواية إنه نقل إلى مدينة الرقة وأخرى إلى حلب ، وقيل أن أبا مسلم الخراسانى لما استولى على دمشق نقل الرأس إلى مرو . والأماكن التى ذكرت موطنا للرأس ثمانية فى ثمان مدن هى ، كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان وحلب ومرو . وسنورد فيما يلى ما ورد فى المراجع من الروايات التى تؤيد وجود الرأس فى مدينة من المدن الثمان سالفة الذكر ، كما سنورد فى الوقت ذاته ما يرد مخالفاً لبعض هذه الروايات .

كربلاء : تقول طائفة الشيعة الإمامية وبعض أهل السنة أن رأس الحسين مدفون مع الجسد بكربلاء ، قال رضى الدين[1] « فأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه دفن بكربلاء مع جسده الشريف . وكان عمل الطائفة (الإمامية) على هذ المعنى المشار إليه » وورد فيما ذكره سبط[2] بن الجوزى فى أقواله المتعددة عن الرأس قوله : « واختلفوا فى الرأس على أقوال أشهرها أنه (أى الرأس) رد إلى المدينة مع السبايا ثم رد إلى الجسد بكربلاء فدفن معه ، قاله هشام وغيره » ويقول ابن كثير[3] « فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه فى مشهد على بمكان من ألطف عند نهر كربلاء ، فيقال أن هذا المشهد مبنى على قبره فالله أعلم » . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفا أثره حتى لم يطلع أحد على تعينه بخبر . وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين . وذكر هشام بن الكلبى أن الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابى من بنى أسد فجعل يأخذ قبصه قبصه ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال بأبى أنت وأمى ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ، ثم أنشأ يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه　　فطيب تراب القبر دل على القبر

ويقول سبط بن الجوزى « وفى الجملة ففى أى مكان كان رأسه فهو ساكن فى القلوب والضمائر ، قاطن فى الأسرار والخواطر » .

المدينة : جاء فى طبقات ابن سعد[4] : « لما وضع الرأس (رأس الحسين) بين يدى يزيد بن معاوية د معت عيناه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين رحم الله أبا عبد الله ، ثم أمر بالسيدات فأدخلن دار نسائه ، وأمر بتجهيزهن والعناية بهن أحسن عناية ، وأرسل معهن حرساً من ثلاثين فارساً ، حتى وصلن إلى المدينة وبعث معهن

---

(١) رضى الدين بن طاوس فى كتاب الملهوف على قتل الطفوف ص ١٤٠

(٢) سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكره خواص الامة ص ١٥٠

(٣) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٣

(٤) محمد بن سعد فى كتاب الطبقات الكبيرة جـ ٥ ص ١٧٦ كما وردت هذه الرواية فى المراجع الآتية : المؤيد صاحب حماة فى تاريخه جـ ١ ص ١٩١ ، عمر بن الوردى فى تاريخه جـ ١ ص ١٧٣ ، وقال كذلك على بن عبد الملك السمهودى فى وفاء الوفا باخبار المصطفى جـ ٢ ص ٩٦ ، مرآة الجنان جـ ١ ص ١٣٦ .

بالرأس الشريف إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد فكفنها ، وأمر بدفنها بالبقيع عند قبر أمه وأخيه ، ويقول ابن كثير[1] : فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك ، ويعقب ابن كثير على ذلك فيقول « وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم » ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس ، فروى محمد بن سعد « أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه فى البقيع » .

وممن روى أن الرأس دفن بالمدينة الإمام البخارى[2] ، فقد جاء فى تاريخه « أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن بها فى البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها » . وقال ابن فضل الله العمرى[3] : وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية ، أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن » .

وقد ذكر المسعودى[4] ، عند الكلام على دفن الحسن بن على ببقيع الفرقد مع أمه ما نصه : « وهناك إلى هذا الوقت[5] رخامة مكتوب عليها ، الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، والحسن بن على بن أبى طالب ، وعلى بن الحسين بن على ، ومحمد بن على وجعفر بن محمد ، رضوان الله عليهم أجمعين » . وقد عقب الأستاذ حسن عبد الوهاب[6] على هذا النص بقوله « أنه لو كان الإمام الحسين معهم لذكر أسمه بينهم » .

دمشق : أما طائفة الشيعة الإسماعيلية وكذا كثير من أهل السنة فتقول بدفن الرأس بدمشق . وممن ذكر ذلك يا سين بن مصطفى الفرضى[7] قال : « المزارات المشهورة للصحابة

---

(٢) نقل ابن عروة الحنبلى فى الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند أحمد على أبواب البخارى ، وعن ابن تيمية ص ٤١

(٣) مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢٢٠

(٤) الأشراف والتنبيه للمسعودى ص ٣٠١ ، ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٤١

(٥) ألف المسعودى كتابه هذا سنة ٣٤٥ هـ .

(٦) تاريخ المساجد الأثرية ص ٨٠

(٧) النبذة اللطيفة فى المزارات الشريفة ص ١٩٧

بدمشق ونواحيها ، والمشهور منها بتربة باب الفراديس المسماة بمرج أبي الدحداح الآن ، مسجد سمى بمسجد الرأس داخل باب الفراديس فى أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الشهيد الملك الكامل . وغربى المحراب المذكور فى الجدار طاقة على الطريق يقال إن رأس الحسين رضى الله عنه دفن بها ولذا يقال له مشهد الحسين » .

وروى محمد بن قاسم بن يعقوب [1] « قبر الحسين بن على رضى الله عنهما بكربلاء ورأسه بالشام فى مسجد دمشق على رأس أسطوانة » .

وقال ابن فضل الله العمرى[2] وكذا ابن الطولونى ما نصه « وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفى خارجه مكان الرأس على ما ذكروا » .

وروى الذهبى[3] عن أبى كرب قال « كنت فى القوم الذين وثبوا على الوليد بن يزيد وكنت فيمن نهب خزائنهم بدمشق فأخذت سفطا وقلت فيه غنائى ، فركبت فرساً وجعلته بين يدى وخرجت من باب توما ، ففتحته فإذا بحريرة فيها رأس مكتوب عليه ، هذا رأس الحسين ، فحفرت له بسيفى ودفنته » .

وجاء فى المقريزى[4] « مكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم أنزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك ، فبعث إليه فجئ به وقد محل وبقى عظما أبيض ، فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوباً ، ودفنه فى مقابر المسلمين ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن بيت السلاح ، أن وجه إلىّ برأس الحسين بن على . فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ، ودفنه فلما دخلت المسوّدة (أى الدولة العباسية) سألوا عن موضع الرأس الكريم الشريف فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به » .

---

(١) كتاب روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (المؤلف للسلطان سليم) ص ٤٨

(٢) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٢٠ ، رسائل تاريخية ص ٣٧

(٣) تاريخ الاسلام ص ٦٧

(٤) الخطط ج ١ ص ٤٣٠ .

ومن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بدمشق عثمان مدوخ[1] : إذ جاء فى كتابه العدل الشاهد « أن بعض العلماء عمد إلى مكان قديم قريب من باب الفراديس وشرع فى هدمه ليجعله خزانة لحفظ الكتب ، فعثر على طاق فى الجدار محكم السد بحجر كبير ، مكتوب عليه بالنقش فى الحجر ، ما فهموا منه أن هذا مشهد رأس الإمام الحسين السبط ، فرفعوا ذلك إلى والى الشام يومئذ (فى العصر العثمانى) ، فذهب ورأى ذلك بنفسه ، وأمرهم أن لا يحدثوا فى هذا شيئاً ، ثم رفع الأمر إلى السلطان المرحوم عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان ، فصدر أمره العالى بكشف هذا المكان بحضور جمهور من العلماء والأمراء ووجوه الناس ، فأحضروا إلى الشام ما أمربه السلطان ، وكشفوا هذا الحجر الذى عليه الكتابة . فوجدوا فجوة خالية عن الدفن ، وبعد أن رآها الحاضرون أمر بسدها كما كانت ورفع ذلك إلى المرحوم السلطان عبد المجيد خان ، فصدر مرسومه العالى بأعمال طوق من الفضة حول الحجر وكنت أعلم مقدار زنة الفضةوأظن أنه سبعة آلاف درهم والله أعلم با لحقيقة» .

ولما دخل خليل الظاهرى[2] مدينة دمشق سنة ٨٣١ هـ قال « المشهد الحسينى بدمشق، بصحن المسجد الأموى » .

وذكر ابن أبى الدنيا[3] عن طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح ويقول عنهما ابن كثير (وهما ضعيفان) أن الرأس لم يزل فى خزانة يزيد بن معاوية حتى توفى ، فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق . ويقول ابن كثير : ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى .

وذكر ابن عساكر فى تاريخه ، فى ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية ، « أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبعرى يعنى قوله :

ليت أشياخى ببدر شهـــدوا   جزع الخـزرج من وقع الأسل

---

(١) كتاب العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد ص ١٣٢

(٢) زبدة الممالك وبيان الطرق والمسالك .

(٣) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع فى خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جئ به إليه وقد بقى عظما أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه فى مقبرة المسلمين ، فلما جاءت المسوّدة - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بنى أمية ، وقد جاوزت المائة سنة فالله أعلم » .

حلب : وهناك أقوال ضعيفة تقول بوجود الرأس فى حلب ، فقد جاء فى تاريخ حلب[1] أن الرأس مدفونة فى حلب فى وسط جبل جوشن ، وقد بنى عليه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين ، ولكنه لم يذكر متى وكيف جئ بالرأس الشريف .

مرو : وقال المقدسى[2] عند كلامه عن مرو : « وعلى فرسخين من مرو يوجد رباط ، قالوا إن فيه رأس الحسين بن على رضى الله عنه . وقد عقب على هذا القول عمر بن أبى المعالى أسعد بن عمار[3] : « أما قولهم ، إنه (الرأس) فى خزائن بنى أميه إلى أن ظهرت الخلافة العباسية . وأن أبا مسلم نقله إلى خراسان . فهذا بعيد جداً ، لأن أبا مسلم ، لما فتح الشام كان بخراسان ، والذى فتح دمشق هو عبد الله بن على بن عباس ، فكيف يتصور أن ينقله ، أو يمكّن من ينقله إلى مولدهم بخراسان ، ثم يضيف : « ولو أنه ظفر به فى خزائن بنى أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبنى أمية بغضا » .

عسقلان : أما عن وجود الرأس بعسقلان ثم نقله منها إلى مصر فى عصر الدولة الفاطمية فقد كثرت فيه الأقاويل والروايات .

قال الصبان[4] « واختلفوا فى رأس الحسين بعد مسيرة إلى الشام إلى أين صار وفى أى موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف فى البلاد ، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها . فلما غلب الإفرنج على عسقلان ، أفتداه منهم

---

(١) ابن الشحنة : تاريخ حلب ص ٨٧
(٢) احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٣٣٣
(٣) الفاصل بين الصدق المبين فى مقر رأس الحسين « عن كتاب تاريخ المساجد الأثرية » .
(٤) أسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ١٤٣

الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه فى كيس حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس ، وفرش تحته المسك والطيب ، وبنى عليه مشهده الحسينى المعروف بالقاهرة قريبا من خان الخليلى » .

وجاء فى طبقات الأولياء للشعرانى عند ذكره الحسين نفس الرواية السابقة إذ يقول « دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رُزيك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر بالمشهد الحسينى وخرج هو وعساكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعه طلائع فى كيس حرير أخضر على كرسى أبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قد وزنه مراراً » .

القاهرة : وقد أيد رواية وجود الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواة ، منهم ابن ميسر[1] ، والقلقشندى وعلى بن أبى بكر المشهور بالسايح الهروى وابن اياس ، وسبط الجوزى ، وقد أورد تفاصيل هذه الرواية المقريزى[2] بقوله « فى شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل أبن أمير الجيوش بعساكره إلى بيت المقدس وبه سُكان وابلغارى ابنا أرتق ، فى جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك ، فراسلهما الأفضل يتلمس منهما تسليم القدس إليه بغير حرب ، فلم يجيباه لذلك ، فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدوا بدا من الاذعان له وسلماه إليه ، فخلع عليهما وأطلقهما وعاد فى عساكره وقد ملك القدس ،فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجلّ دار بها . وعمّر المشهد فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا إلى أن احله مقره » ثم يعود المقريزى فيقول « وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وكمله ابنه الأفضل . وكان حمل الرأس إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان

(١) ابن ميسر أخبار مصر ص ٣٨ ، صبح الأعشى للقلقشندى جـ ٣ ص ٣٥١ ، ابن أياس جـ ١ ص ٦٧ ، مرآة الزمان لسبط الجوزى جـ ٨ ص ٤١٣١ ، الاشارات إلى اماكن الزيارات للسايح الهروى .

(٢) المقريزى جـ ١ ص ٤٢٧

وأربعين وخمسمائة ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم وإليها والقاضى المؤتمن ابن مسكين مشارفها ، ووصل فى القصر يوم الثلاثاء فى جمادى الآخرة ، حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخِدمة فكان كل من يدخل الخِدمة يقبل الأرض أمام القبر » .

وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة عثمان مدوخ[1] إذ قال : « إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ، مشهد بدمشق دفن به الرأس أولا ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض ونقل إليه الرأس من دمشق ثم المشهد القاهرى بمصر بين خان الخليلى والجامع الأزهر » .

وجاء فى كتاب مرشد الزوار إلى طريق الأبرار « ذكر بعض العلماء ممن عاصر الفاطميين أن هذا الرأس الذى وضع بهذا المكان يعنى المشهد الذى بالقاهرة هو رأس الإمام الحسين رضى الله عنه ، كان بعسقلان ، فلما كان فى أيام الظاهر الفاطمى ، كتب عباس إلى الظاهر[2] يقول له ، أما بعد فإن الفرنج أشرفوا على أخذ عسقلان ، وأن بها رأساً يقال أنه رأس الحسين بن على رضى الله عنهما ، فأرسل إليه من تختار ليأخذه ، فبعث إليه مكنون الخادم فى عشارى من عشارى الخدمة فحمل الرأس من عسقلان وأرسى به فى الموضع المعروف بالكافورى من الخليج الحاكمى فحمل وأدخل إلى القصر وأستقر فيه كما هو الآن . وبنى الظاهر مسجد الفاكهانى[3] ليجعله فيه وبنى طلائع بن رزيك مسجداً بظاهر باب زويله أيضاً وهو المسمى بجامع الصالح ليجعله فيه ثم أجتمع رأيهم على أن يجعلوه بالقصر فى قبة تعرف بقبة الديلم وكانت دهليزا من دهاليز الخدمة » .

---

(١) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد صفـ ٨٤

(٢) تولى الخليفة الظاهر ملك مصر بعد أبيه الخليفة الحاكم وتوفى سنة ٤٢٧ وفى ذلك الوقت لم تكن الفرنجة قد بدأت بمحاربة المسلمين فى بلاد الشام بل انهم أتوا إلى بلاد الشام من انطاكية سنة ٤٩٠ فى خلافة المستعلى بن الخليفة المستنصر بن الخليفة الظاهر .

(٣) منشئ مسجد الفاكهانى هو الخليفة الظافر ابن الخليفة الحافظ ابن الخليفة الامر ابن الخليفة المستعلى ابن الخليفة المستنصر ابن الخليفة الظاهر . .

وقد سبق أن ذكر المقريزى[1] وكذا القلقشندى أن الصالح طلائع بنى مسجده لكى يدفن فيه الرأس الشريف ، فلما أنتهى منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة ، وبنى المشهد الموجود الآن .

وقد جاء فى كتاب تاريخ المساجد الأثرية[2] أنه فى سنة ١٩٤٥ كشفت بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح بقايا مبان عليها كتابات أثرية منها (أدخلوها بسلام آ نين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ولذلك فإنه يرجح أن تكون هذه البقايا من المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين ، ويستشهد فى ذلك بما أورده ابن دقماق[3] عند كلامه عن الصالح بقوله : « وهو الذى بنى جامع الصالح بظاهر باب زويلة وبنى مشهد الحسين رضى الله عنه سنة ٥٥٣ هـ » .

ويشكك ابن كثير[4] فى وجود الرأس بالقاهرة فيقول « وأدعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة[5] أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر . والذى يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة » . ويضيف ابن كثير فيقول « وقد نص غير واحد من أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما أدعوه من النسب الشريف ، وهم فى ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء فى دولتهم فى حدود سنة أربعمائة[6] » .

وهناك رواية ضعيفة أوردها السخاوى[7] تفيد أن الرأس جئ به إلى مصر منذ البداية .

---

(١) المقريزى جـ ٢ ص ٢٩٣ ، صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٥١

(٢) حسن عبد الوهاب ص ١٠٤

(٣) الجوهر الثمين مجلد (١) ص ٤٨

(٤) البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٠٤

(٥) حكمت الدولة الفاطمية من سنة ٣٥٨ هـ حتى سنة ٥٦٧ هـ .

(٦) فى حدود سنة اربعمائة لم تكن الرأس قد نقلت إلى مصر . هذا وعدم الدقة أى التواريخ التى وردت فى هذه الرواية يقلل كثيرا من قيمتها .

(٧) تحفة الأحباب ص ٦٨

فهو يقولَ « أختلف المؤرخون فقال بعضهم إن رأس الحسين بالمدينة الشريفة وقال بعضهم كانت (الرأس) بمشهد عسقلان فلما أخذتها الفرنجة نقلت إلى هذا المشهد (يعنى مشهد القاهرة) والله أعلم بالصواب » ثم يضيف « وقيل : لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما ، بأرض كربلاء طيف برأسه وسير فى البلاد إلا فى أرض مصر ، فإن أهلها لم يمكنوهم من الدخول على تلك الحالة البشعة ، بل تلقوهم بمدينة الفرما ، وهى أول مدائن مصر وحملوها (أى الرأس) فى الهوادج وستروها بالستور وأوسعوا لهم فى الكرامة وأنزلوهم خير الأماكن بمصر وآووهم آمنا وبنوا لموتاهم المشاهد وأتخذوها مزارات » . ويكفى لبيان ضعف هذه الرواية أنها لو صحت من أن رأس الحسين جئ به إلى مصر منذ العصر الأموى فى القرن الأول للهجرة ، لما كان هناك داع ولا مقتض لما بذل من جهد ومال لإحضار رأس أخرى من عسقلان والأحتفال بمقدمها لدفنها بالقاهرة فى العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى .

الرقة : وقد جمع المؤرخ سبط الجوزى خمسة[1] أقوال مشهورة عن رأس الحسين (أولها) أنه دفن مع الجسد بكربلاء (ثانيها) أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه (ثالثها) أنه دفن بدمشق (رابعها) أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة ، وقال لما أحضر الرأس بين يدى يزيد بن معاوية ، قال لأبعثنه إلى آل أبى معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه فى بعض دورهم ، ثم أدخلت تلك الدار فى المسجد الجامع ، قال وهو إلى جانب سدرة هناك ، (خامسها) أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يزار .

والجديد فى كلام سبط الجوزى وقد أنفرد به ، وهو وجود الرأس بالرقة ، وهذا قول ضعيف ، ذلك أن مدينة الرقة التى فتحها العرب سنة ١٨ هـ على يد قائدهم عياض بن جهمن[2] وأستمرت منذ ذلك الوقت خاضعة للحكم الإسلامى ، لم يثبت طوال العصر الأموى أن أحداً من خلفاء بنى أمية بنى بها مسجداً جامعاً كما ذكر سبط الجوزى وأنه أقيم على

---

(١) تذكرة خواص الأمة ص ١٥٠

(٢) البلاذرى ص ١٧٣ ، الطبرى جـ ١ ص ٢٥٧

الدار التى دفن بها الرأس . والثابت أن ما أنشىء فى العصر الأموى هو كما ورد فى المقدسى وياقوت الحموى[1] ، قصران لهشام بن عبد الملك فى مكان يبعد عن الرقة بفرسخ .

وفى عام ١٥٥ هـ أسس الخليفة العباسى[2] المنصور مدينة جديدة تقع إلى الغرب من المدينة القديمة سماها الرفيقة ، وفى شمالها بنى المنصور المسجد الجامع ، ولم يذكر أحد من علماء الآثار ، العرب منهم والمستشرقين[3] أنه أقيم على أنقاض دار قديمة أو أن به تصميما لمدفن ما . على أن المدينة القديمة سرعان ما أصبحت خراباً يبابا وأخذت المدينة الجديدة مكانها كعاصمة للبلاد[4]

* * *

بعد هذا الاستعراض لمعظم ما قيل عن موطن الرأس ، نستطيع أن نناقش هذه الأقاويل وتلك الروايات :

فعن القول بوجود الرأس بالمدينة ، فهناك ما ينقضه بدليل مادى ذكره المسعودى[5] فيما نقلناه عنه ، وهو أنه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجرى رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية « الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدة نساء العالمين والحسن بن على بن أبى طالب وعلى بن الحسين بن على ومحمد ابن على وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين » . فلو أن الرأس كان مدفونا معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء ..

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٧٨ ، معجم البلدان ص ٦٥

(٢) البلاذرى ص ١٧٩ ، ياقوت جـ ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الفقيه ص ١٣٢

(٣) Die Reiss im Euphrat und Tigris gebiet. Sarre und Herzfeld P. 59

(٤) Creswell. Early Muslim Architecture Vol. II P. P. 39 45,

(٥) ياقوت جـ ٢ ص ٧٣٤

أما قول غالبية الشيعة الإمامية الأثنى عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد فى كربلاء فقول لا تؤيده مراجعه الحوادث ، فمن المستبعد عقلا أن يعيد يزيد الرأس إلى كربلاء حتى لا يزيد النار أشتعالا ، وهو يعلم بأنها لا تزال مركزاً لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه ، هذا بالإضافة إلى ما جاء فى أحداث سنة ٢٣٦ هـ ، كما تقدم القول من أن الخليفة المتوكل[1] أمر (الذيريج) بالمسير إلى قبر الحسين بن على رضوان الله عليهما وهدمه . فتناول الذيريج سحاة وهدم أعالى قبر الحسين وأنتهى هو ومن معه إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها » وبعيد أن نتصور أن الرأس قد بلى فى ذلك الوقت المبكر ، إذا لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين .

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخرسان منقوض من أساسه[2] ، لأن أبا مسلم الخراسانى الذى قيل أنه نقل الرأس من دمشق لما أستولى عليها وبنى عليه الرباط بمرو لم يكن موجوداً بالشام وقت فتحها ، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله ابن على بن عباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكى يدفنه بمرو ولأن الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لأظهره للناس ليزدادوا ـ كما قيل بحق ـ غضباً على بنى أمية .

وأما القول بأن الرأس وضع أول الأمر فى خزائن السلاح بمدينة دمشق ففى رأيى أنه أقرب الأقوال إلى القبول ومسايرة للأحداث للأسباب الآتية :

أولا ـ أن مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده ، ولو طيف بالرأس فى البلاد بقصد التشفى ، كما ورد فى بعض المراجع ، لأدى ذلك من غير شك إلى فتنة بل وليس من المستبعد أن يؤدى إلى خلع يزيدنفسه ، لأن الناس جميعاً ، حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعا فى الكسب المادى ، كانوا يحترمون الحسين ويعظمونه فى حياته ويستعظمون ما حدث له ، ويأسفون على تفريطهم فى نصرته بعد وفاته . يضاف إلى ذلك أن يزيد نفسه ندم على

---

(١) أبو الفدا جـ ٢ ، طبقات الشافعية للسبكى جـ ٢ ص ٢١٦ ، القرمانى حوادث سنة ٢٣٧

(٢) تاريخ المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب ص ٨٠

(٣) مرآة الجنان جـ ١ ص ١٣٦

قتله ودمعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال ، ويحكم ، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، رحم الله أبا عبد الله[1] ، فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالرأس فى البلاد .

ثانياً من مصلحة يزيد أن يحرص على إخماد فتنة قتل الحسين واقتضى حرصه أن يحتفظ برأسه فى مكان أمين ، وليس هناك مكان أكثر أمناً فى الدولة من خزائن السلاح . أما رواية دفن الرأس فى دمشق فى عصر يزيد فلم يكن من الحكمة فى شئ لأنه كان فى استطاعة الشيعة أن ينبشوا القبر ليحصلوا على الرأس .

ثالثاً ومن المعقول ومن المرجح أيضاً أن يكون الرأس قد ظل فى خزائن السلاح بدمشق حتى ولى سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ فحمل الرأس كما ورد فى بعض المراجع فى ثوب وعطره ، ثم صلى عليه ودفنه فى مقابر المسلمين . أى بعد أن هدأت الفتنة ومضى عليها أكثر من ثلاثين عاماً .

أما الرواية التى تقول بوجود الرأس بعسقلان ، فيؤخذ عليها أن مرجعها لم يحدد الوقت الذى نقل فيه الرأس إليها ، اللهم إلا تلك الرواية التى تقول بأن الرأس قد طيف به فى البلاد بأمر يزيد ، فلما وصل عسقلان دفن هناك . وقد بيّنا فيما تقدم منافاة هذه الرواية لواقع الحال واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة .

وإذا أسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس إلى عسقلان ؟ :

هناك من يقول بأن القبر الذى بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل فى وقت ما إلى عسقلان . ونبش القبر قد يكون صحيحاً ، لأنه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه ، ولكن ما السبب فى اختيار مدينة عسقلان بالذات لكى تكون مقر الرأس ، وهى مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة ، اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس فى مكان قريب من بيت المقدس من جهة وقريب من الساحل من جهة أخرى ، وهذا يتوفر فى موقع عسقلان . وقد يكون من أغراض ناقلى الرأس إلى عسقلان هو إخراجها من المشرق ، حيث لاقى الشيعة الشئ الكثير من اضطهاد الأمويين أولا ثم العباسيين

---

(١) مرآة الجنان جـ ١ ص ١٣٦

ثانياً ، ليمكن نقلها فى يسر إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة .

ومهما يكن من أمر فقد بات فى حكم المؤكد أنه لم يكن فى القرن الخامس الهجرى وجود للرأس فى دمشق بل كان فى مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولا – يؤيد وجود الرأس بعسقلان فى العصر الفاطمى نص تاريخى منقوش على منبر المشهد الذى أعاد بناءه بدر الجمالى وأكمله ابنه الأفضل فى عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس ، والمنبر مازال موجوداً حتى الآن هناك ، والمنبر من الخشب الجوز التركى الممتاز وقد زخرفت جوانبه وكذا بابه بحشوات خشبية عليها زخارف نباتية وكتابية محفورة حفراً غائراً دقيقاً غاية فى الإبداع ، أما أسلوب الخط فهو خط كوفى صلب ذو زوايا وتنتهى حروفه القائمة بزخارف نباتية ، ولذا فقد أطلق عليه اسم (خط كوفى مزهر) ، وقد كان هذا الأسلوب من الخط سائداً فى العصر الفاطمى . أما النص الكتابى فقد جاء فيه : « الحمد لله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولى الله صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطهرة سبحان من أقام لمولينا الأئمة نسبهما مجداً رفع راية وأظهر معجزاً كل وقت وآية بين . وكان من معجزته تعالى إظهاره رأس مولانا الإمام الشهيد أبى عبدالله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون ستروه فيه . وإظهاره الآن شرفا لأوليائه الميامين وإنشراح صدور شيعته المؤمنين . ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطهرين » .

ثانياً – جاء فى المقريزى[1] أن المؤرخ ابن المأمون ذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ أن الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله أمر باهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلا ذهبيا له سلسلة فضية .

ثالثا – لو كان الرأس موجوداً فى مكان آخر غير عسقلان سواء فى الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية وقوتهم

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٤٠٨

الدينية تعتمد فى أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء ، أما قوتهم السياسية فقد فاقت الدولة العباسية ، إذ أمتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غربا ، بل أنه حدث فى عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيرى أحد أعوانهم من الشيعه بسقوط الدولة العباسية فى بغداد[١] والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمى على منابرها فى خطبة الجمعة ، وفى هذا اكبر شاهد على تلك القوة .

رابعا ـ ما ذكره عثمان مدوخ فى كتاب العدل الشاهد فى القرن (١٩ م) . من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين ، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً ـ جاء فى المقريزى[٢] ، « وبنى طلائع مسجداً لها (يعنى الرأس) خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر وهو المعروف بجامع الصالح طلائع الآن ، وكشف الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد ، دمها لم يجف ووجد لها رائحة أطيب من رائحة المسك ، فغسلها فى المسجد المذكور على ألواح من خشب » . وجاء فى البيلاوى[٣] « بأعلى حائط مسجد الصالح ألواح الآن يقال إنها هى التى كان عليها الغسل » . ومهما يكن فى رواية المقريزى من سرد أسطورى ، فمما لا شك فيه أنه قد أحضرت إلى القاهرة رأس ، وليس من المستبعد أن تكون قد غسلت فى مسجد الصالح طلائع ، ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التى أجريت سنة ١٩٤٥ ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع عليها كتابات أثرية منها (أدخلوها بسلام آمنين) ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ، ولذلك فأنه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين كما ذكر ابن دقماق .

---

(٢) المقريزى جـ ٢ ص ١٧١

(١) المقريزى جـ ٢ ص ٢٨٥

(٢) التاريخ الحسينى للبيلاوى ص ١٧ .

(٣) العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد لعثمان مدوخ ص ١٢٤

(٤) لقد عمر كتخدا المشهد سنة ١١٧٥ هـ الخطط التوفيقية .

سادساً – جاء فى كتاب العدل الشاهد[4] فى تحقيق المشاهد « أن المرحوم[5] عبد الرحمن كتخدا الفزدغلى ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف قيل له أن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الاستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملّوى المالكى وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه ، وهو كرسى من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستارة من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف فانبنى على إخبارهم تحقيق هذ المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها » .

* * *

مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ، ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه ، ونستطيع أن نؤكد فى ثقة وأطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة .

هذا ولا أجد فى هذا المقام خيراً من العبارة التى جاءت فى المقريزى اختم بها موضوع الرأس الشريف : « ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على السطور وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات بمشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية » أو كما قال سبط الجوزى ، فنى أى مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر قاطن فى الأسرار والخواطر .

---

(١) المقريزى ج ٢ ص ١٨٥



المشهد الحسينى بالقاهرة

نقلت رأس الحسين رضوان الله عليه من عسقلان إلى القاهرة كما يقول المقريزى – فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣ م) وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم وإليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣ م) – ويضيف المقريزى : « فقد مبه (الرأس) الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة » . ويضيف ابن عبد الظاهر « أن طلائع ابن رزيك بنى جامعه خارج زويلة ليدفنه (الرأس) به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه وكان ذلك فى خلافة الفائز على يد طلائع فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة (سنة ١١٥٤ م) » . يفهم من هذين النصين أن الرأس بقى عاماً مدفوناً فى قصر الزمرد ، حتى أنشئت له خصيصاً قبة (هى المشهد الحالى) وذلك سنة ٥٤٩ هـ .

ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدريس وفقهاء وفوّضها للفقيه البهاء الدمشقى ، وكان يجلس للتدريس – كما جاء فى المقريزى – عند المحراب الذى يقع الضريح خلفه . ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ بن حموية فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى ايوانا للتدريس فقد جاء فى المقريزى « ولما وزر

معين الدين بن حموية ورد إليه أمر هذا المشهد ، جمع من أوقافه ما بنى به إيوان التدريس الآن — يعنى عصر المقريزى (القرن التاسع الهجرى) — وبيوت الفقهاء العلوية خاصة » .

وإنى أؤيد الرأى الذى ذهب إليه حسن عبد الوهاب من اعتباره المسجد الحالى حل محل المدرسة التى بنيت فى العصر الأيوبى ، وقد أعطانا الرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى العصر الأيوبى سنة ٥٧٨ هـ (سنة ١١٨٤ م) وصفاً شاملا دقيقاً للقبة والمدرسة جاء فيه « فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وهو فى تابوت من فضة مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ومنه ما هو دون ذلك قد وضع أكثره فى أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة . وعلقت عليه قناديل فضة ، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً فى مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وجمالاً . فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون . والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها فى التأنق والغرابة ، وحيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها ، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع » .

وفى العصر الأيوبى أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) . وهى منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهى تعلو الباب الأخضر وقد تهدم معظمها ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة وعليها لوحتان تأسيسيتان ونص الأولى : « الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه وكان تمامها على يدى ولده محمد سنة ثلاثة وثلاثين وست مائة عفاالله عنه » . ونص الثانية « بسم الله الرحمن الرحيم الذى أوصى بأنشأ هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقرباً إلى الله ورفعاً لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور ، تقبل الله منه ، وكان المباشرة بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذى أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عما أوصى به والده المذكور . وكان فراغها فى شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة » وقد احترق هذا

المشهد فى عهدالملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، وكان سبب الحريق كما يرويه المقريزى وأبو المحاسن « أن أحد خُزان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتى طفئ » .

وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ووسعه وألحق به ساقية وميضأة ووقف عليه أراضى خارج الحسينة قريب الخندق . وفى العصر المملوكى سنة أثنتين وستين وستمائة رفع إلى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قضية موضوعها ، أن مسجداً على باب مشهد الحسين رضى الله عنه وإلى جانبه مكان من حقوق القصر، بيع وحمل ثمنه للديوان وهو ستة آلاف درهم ، فأمر السلطان برد الدراهم وأبقى الجميع للمسجد ، فأتسع نطاقه وزاد رونقاً وبهاء بما صرف عليه من تلك الأموال . وفى عهد الملك الناصر محمد ابن قلاوون أمر بتوسيع المسجد وذلك ببناء إيوان وبيوت للفقهاء العلوية وكان ذلك عام أربعة وثمانين وستمائة .

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد وذلك لما رآه من الأقبال العظيم من المصلين والزائرين . كذلك عنى الوالى العثمانى السيد محمد باشا الشريف الذى ولى مصر فى سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ ، بترميم المشهد وإصلاح زخارفه أما الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفى فأنه وسع المشهد وزاد فى مساحته وصنع له تابوتاً من أبنوس مطعم بالصدف والعاج وجعل عليه ستراً من الحرير المزركش ، نقله إليه فى إحتفال كبير، ويصف الجبرتى ذلك الأحتفال فيقول ولما تمموا صناعته وضعوه على قفص من جريد وحمله أربعة رجال وعلى جوانبه الأربع أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضية وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشونه على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد الشريف ووضعوا ذلك الستر على المقام » . وأما الأمير عبد الرحمن كتخدا فقد قام بإصلاحات كثيرة ففى سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجا وحنفية بفسحة وأضاف إليه إيوانين ، كما رتب لسدنته والقائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولا بها حتى سنة ١٢٠٦ هجرية حيث أصبحت

أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبى الأنوار الوفائى فالحق بالمسجد ضرراً كبيراً . ويقول الجبرتى فى ترجمة المذكور ، أن أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد ولوجودها قبالة الميضأة والمراحيض كان يتضرر من سكانها فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة ، فأشترى داراً قبلى المسجد وأدخل منها جانباً فيه بمقدار باكية ورفعها درجة ليميز الحديث من العتيق وجعل به محراباً وأنشأ فيما بقى من الدار الميضأة والمراحيض وفتح لها باباً من داخل المسجد وأبطل الدورة القديمة لإنحراف مزاجه منها وتأذيه من رائحتها . وتحول عبور الناس إلى الحديثة من داخل المسجد ، ولم تمض أيام قلائل حتى أضرت الروائح الكهريه بمن فى المسجد من المصلين والزائرين ، وظهرت بالمسجد أقذار البلل من أرجل الأوباش لقربها منه ، فلغط الناس وشنوا القاله ، ولم يحضر فى أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلى والتجار أحد ، ثم قاموا قومة واحدة وأغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضأة والمراحيض الحديثة بالقوة ومنعوا الناس من الدخول وساعدهم المنصفون من أجناسهم . فأضطر أبو الأنوار – كما يقول الجبرتى – إلى إعادة الميضأة القديمة كما كانت وجعل الحديثة مربطاً للحمير يستغل أجرته بعد أن أزالها ومحا أثرها » .

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ وزار المقام الحسينى الشريف أمر الخديو إسماعيل بعمارته وتشييده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد أستغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠ هـ . وقد أسهب على مبارك فى خططه فى وصف الإنشاءات التى قام بها الخديو إسماعيل (ولم يذكرأنهاتنفيذاًلأمرالسلطانعبدالعزيز) فقد قال « وفرش بالفرش النفيسة وتنويره بالشموع والزيوت الطيبة (والأنفاس الغازية) فى قناديل البلور ورتبوا له فوق الكفاية من الأئمة والمؤذنين والمبلغين والبوابين والفراشين والكناسين والوقادين والسقايين ونحو ذلك ووقفوا عليه أوقافا جمة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه فى بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف فيقول « لما رأى أهميته وأزدحام الناس عليه وضيقه لأن أرباب مظاهر الدين يسعون من كل فج على العربات والخيل والبغال والحمير حتى تزدحم أبوابه وطرقه فيضر ذلك بالمارة خصوصاً فى المواسم ، ففتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (سنة ١٨٧٨ هـ) شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلول البرقية » .

وكان على مبارك هو الذى قام بعملية الرسم إذ يقول (وندبنى لعمل رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن. فبذلت الهمة فى ذلك وعملت له الرسم اللائق بعظم شأنه بحيث لو وضع عليه لكان مبرأ من العيوب مع الاتساع العظيم داخلا وخارجا ، إذ جعلته منفصلا من كل جهة من المساكن بشوارع وميادين رحيبة . وجعلت شكله قائم الزوايا وجعلت حده الإيمن بحذاء جدار القبة الأيسر بالنسبة للمصلى فيها بحيث يكون الجداران واحدا ، وحده الأيسر نهاية الحد الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن ويصير هذا الصحن من صمن الجامع ، وحده الذى به المحراب والمنبر يكون بحذاء جدار القبة الذى به محرابها بحيث يكون الجداران واحدا ، والحد الرابع الذى يلى خان الخليلى هو الذى له الآن . وجعلت الصحن والحنفية عن يمين الجدار الإيمن أعنى فى محل الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى وتكون عن يمين ذلك المطهرة ,الأخلية والساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى ، فيكون الجامع آمنا من إنعكاس روائح الأخلية إليه كما هو الشأن فى وضع الأخلية ، وفى هذا الرسم صار الضريح الشريف خارجاً من الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب داخلا فى الصحن من جهته اليسرى . وجعلت للضريح باباً إلى الجامع وباباً إلى الصجن وباباً إلى شارع الباب الاخضر لزيارة النساء . وجعلت سعة الشارع فى غربية وشرقية نحو ثلاثين متراً وفى بحرية نحو أربعين » .

أما الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ، فقد تسرع فى بناء المسجد جميعه ما عدا القبة والضريح الشريف وتم البناء سنة ١٢٩٠ هـ ، أما المنارة فقد تمت سنة ١٢٩٥ هـ ، غير أن راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارك ، ولذلك فأنه أنتقده نقداً لاذعاً – وهو محق فى ذلك إذ يقول : إن راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا ، فإن ضلعه الإيمن قصير عن ضلعه الأيسر وكذا الضلعان الآخران غير متساويين بحيث أوجب ذلك وضع الاساطين منحرفة بحيث لو وافقتها صفوف المصلين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة ولو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الاساطين ، وصار الجامع مع سعته وأرتفاعه غير مستوف لحقه من النور والهواء لسوء رسم الأبواب والشبابيك وعدم أخذها حقها من الأرتفاع والأتساع مع قلتها وقلة الملاقف » وقد تكلفت هذه العمارة – على حد قول على مبارك – تسعاً وسبعين ألف جنيه صرفت من خزينة الأوقاف ، هذا عدا ما تبرع به

الأمراء وعلية القوم ، فقد أحضرت له العمد الرخام من القسطنطينية وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلى ، ومثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبة . وبالجامع نبر خشبي بديع مطلى بطلاء مذهب ، وهو فى الأصل منبر جامع أزبك الذى كان عند العتبة الخضراء فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين . وفى مؤخرة المسجد دكة تبليغ كبيرة ، أما صحن الجامع فيحتوى على أربعة وأربعين عموداً عليها بوائك حاملة للسقف وهو من الخشب المطلى بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية فى الدقة والإبداع ، وفى وسط السقف ثلاث مناور مرتفعة مسقوفة كذلك . وبجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيراً من النحاس المطلى بالذهب ، ويعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام . وللمسجد مئذنتان أحداهما قصيرة وقديمة وهى التى بنها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبة — كما سبق آن أشرنا — وقد طوقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين من الحديد محافظة على بقائها ، أما المئذنة الثانية فتقع فى مؤخر المسجد وهى مرتفعة ورشيقة على الطراز العثمانى الذى يشبه المسلة أو (القلم الرصاص) وعليها لوحان بخط السلطان عبد المجيد خان كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ باحدهما سورة الانعام الآية (٩٠) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده قل لا اسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين) . والآخر « أحب أهل بيتى إلىَّ الحسن والحسين » .

كذلك فرشت أرضية مصلى الباب الاخضر بالسجاد والبسط التركية، وبشرق المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية ، التى أنشأها عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هجرية بعد أن بقيت هذه الآثار ست سنوات محفوظة فى الدولاب الجميل الذى صنع سنة ١٣٠٥هـ فى الطرف الجنوبى للجدار الشرقى للمسجد . وهى قاعة متسعة الارجاء مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع المستورد من ايران وتركيا ، تضاء بالمصابيح والثريات البلورية النادرة . وقد كسيت جدرانها بالرخام (المجزع) وبها محراب صغير ، وسقفها من الخشب المنقوش ونوافذها من الجص المخرم والمعشق بالزجاج الملون . أما دولاب الآثار الشريفة فقد وضع فى الجهة القبلية من القاعة ، وهو عبارة عن فجوة كبيرة فى الجدار قوى ظهرها بقضبان من الحديد وقد كسيت جدرانها وأرضيتها وسقفها بالجوخ الأخضر ، وفى سطحها لوح من الزجاج

لتوضع فوقه باقى الأمانات ، وقد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج والصدف والابنوس وكتب بأعلاه بأحرف من العاج « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . وللقاعة الشريفة بابان أحدهما إلى المسجد والآخر يؤدى إلى القبة . وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسملة وسورة « ألم نشرح » وبعد ذلك النص الآتى : « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين . تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ومكحلة ومرود وقطعة من القضيب وشعرتين من اللحية الشريفة وبها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والآخر بخط سيدنا الامام على كرم الله وجهه . ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاته ثوبا حبره وإزار عمانى ، وثوبان صحاريان وقميص صحارى وقميص سحولى وسراويل وجبه يمنية وخميصه وكساء أبيض وقلانس ، فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم وخمس أرض خيبر وحصته من أرض بنى النضير » .

أما فى عهد ثورتنا المباركة ، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته ، وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به . فقد كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة فى المواسم والأعياد ، فزيدت مساحته حتى بلغت مساحته ٣٣٤٠ متراً مربعاً ، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متراً مربعاً ، أى بإضافة ١٨٤٠ متراً مربعاً إليه ، وقد أخذت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود وكذا النوافذ والأبواب التى استجدت ، من الطبيعة حتى جاءت التوسعة كامتداد طبيعى للمسجد القديم .

وقد روعى كذلك أن تكون المبانى مشابهة للقديم ومن نفس الخامات بقدر الامكان ، فقد بنيت الجدران التى يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلف (من المبانى القديمة) من الخارج والآخر من الداخل . كما كسيت الحوائط من الداخل بمونة الحجر الصناعى حتى تكون مضاهية للحوائط القديمة .

وقد أضيف للمسجد مبنى مكون من دورين ، خاصا بإدارة المسجد ، يقع فى الجهة

الشرقية منه بجوار غرفة المخلفات ، كما أُنشئت مكتبة خاصة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً تقع فى الجهة الشرقية أيضا ، على امتداد القبة والمصلى الخاص بالنساء .

ولما كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم – وهى الواجهة القبلية – ليست على استقامة واحدة ، فقد أُضيف إليها مثلث فى الطرف الجنوبى الشرقى مساحته ٣٥ متراً مربعاً ، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة . وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩ وتمت سنة ١٩٦٣ وبلغت جملة تكاليفها (٨٣) ألف جنيه هذا بالإضافة إلى السجاد اليدوى الذى صنع خصيصا بمدينة المحلة الكبرى ، والذى بلغت تكاليفه مايقرب من ٤٠ ألف جنيه .

هذا وقد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ (٤٠) ألف جنيه الآن لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة ، تليق وصاحب المقام ، خاصة بعد أن أُزيلت كل المبانى التى كانت تحجبه عن الميدان الذى خطط خصيصا من أجله . وسيكون طول هذه الواجهة ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار ، وروعى فى الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ، حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة . وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية فى الدقة والابداع ، وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام . ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة . ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهى نوافذ . وستكون النوافذ مملوءة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوى من الأبواب . وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية فى توازن وتماثل محكم . وستقام مئذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى مماثلة للمئذنة الموجودة فى الطرف الجنوبى الغربى ومن نفس الطراز . كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزيزى والجوز التركى والزان ، ويتكون من حشوات مجمعة ومطعمة بالصدف والعاج والأبنوس ، وقد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه ، ورصدت الوزارة كذلك مبلغ ٥٠ ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع فى الجهة البحرية من المسجد . وقد أهدت طائفة البهرة مقصورة من الفضة كُتب عليها بسم الله الرحمن الرحيم ورصعت بفصوص من الماس وذلك (سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م) .

القُبّة

يقول الأستاذ كرزويل ، الذى قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية ، أن القبة كلها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه الجبرتى وعلى باشا مبارك ، فقد ذكر أن عبد الرحمن كتخدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ وهو ثابت على العتب الرخامى ونصه :

مسجد للحسين أصل المعالى لا يضاهيه فى البقاع علاء

فيه فضل الرحمن للعبد نادى زر وأرخ لك الهنا والرضا

والقبة ليست مربعة تماما ولكنها تميل إلى الاستطالة قليلا ، ولذلك فقد كانت هناك صعوبة فى اقامتها ، أمكن التغلب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع القصير ، ونافذة ذات ست فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة فى أركان الضلع الطويل . وقد غطيت فتحات النوافذ بجص مخرم ومعشق بزجاج ملون . وتتكون زخارف النوافذ الجصية من كتابات نسخية كلها آيات قرآنية وأحاديث نبوية . أما القبة فإنها ترتكز على عقود نصف دائرية ومقرنصات فى الأركان شبه دائرية ، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية فى الدقة ، تشبه إلى حد كبير تلك النقوش التى عملها على بك الكبير فى قبة الامام الشافعى ، فهى بذلك عثمانية الطراز . وفوق المحراب نقشت قصيدة بماء الذهب كتبها الخطاط البلخى سنة ١١٨٧ هـ ومطلع القصيدة :

إلا أن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

كما نجد نفس التاريخ منقوشا على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبة . ومعنى ذلك أن هذه الزخارف عملت بعد اثنتى عشرة سنة من العمارة التى قام بها عبد الرحمن كتخدا

على أن أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يعرف بالباب الأخضر . ويقع بالقرب من الركن الجنوبى للضريح وبالركن الجنوبى الغربى بالنسبة لجدار القبة ، وهو عبارة عن حائط طوله ٤ر٩٢ مترا وارتفاعه ٥ر٨٥ متر ، تخترقه بوابة مستطيلة الشكل عرضها ١ر٨٩ وارتفاعها ٢ر٣٣ متر . ويعلو البوابة عقد عاتق به حنيه بداخلها دائرة مفرغة بزخارف دقيقة ، وتعلوها بقايا شرافات جميلة ، وتشبه هذه البوابة وزخارفها باب جامع الاقمر . ولذا فإن كزويل يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى ، ومعنى ذلك أن هذا الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجىء الرأس الشريف إلى مصر تقريبا وقد عرف هذا الباب باسم باب الحسنين ، كما ورد فى خريطة الحملة الرنسية . أما الآن فإنه يعرف باسم الباب الأخضر . وفوق هذا الباب توجد مئذنة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبى ، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرخة سنة ٦٣٤ هـ وسبقت الأشارة إليها والمئذنة مبنية بالآجر ، وتتكون من مربع طول ضلعه ٢ر٥ متر وارتفاعه ١٢ر٧٦ متر ينتهى بقاعدة مثمنة الشكل تقوم عليها الدورة الثانية للمئذنة وهى مثمنة الشكل وارتفاعها ٢ر٥٠ متر وفى كل وجه من أوجه المثمن توجد فتحة طويلة . ويعلو هذه الدورة رقبة مثمنة تعلوها قبة مضلعة يبلغ ارتفاعها مع الرقبة ٢ر٣٠ متر وعلى ذلك يكون ارتفاع المئذنة كلها ١٧ر٥ متر .

أما مربع القبة من الداخل فقد كسيت واجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بفسيفاء من الصدف ، وكذا غطى محيطها من الداخل بالرخام والصدف فى رسوم هندسية غاية فى الدقة والابداع ، وترجع هذه الآثار الرخامية والصدفية إلى القرن (٨) هـ . أما الأجزاء العليا من مربع القبة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة تشبه تلك التى نقشت على القبة نفسها . وكلها ترجع إلى القرن (١٢) الهجرى ثم جددت هذه النقوش سنة ستة عشرة بعد الثلاثمائة والألف وقد سجل على الباكية الشريفة ما يأتى :

ركن هـذا المقام جنة عـدن   من أتاه يفوز بالمـأمـول

ركن هـذا المقام ركن سديد   نال فيه الداعون حسن القبول

ركن هـذا المقام كعبة مصر   زاد مجدا بالسيد بن البتول

ركن هذا المقام حاز فخـارا   بالامام الحسين سبط الرسول

وتحتوى القبة على أربعة أبواب ، بابان فى الجهة الغربية يؤديان إلى المسجد ، وباب بجوار المحراب سد الآن مكتوب باعلاه بالخط الثلث البارز الجميل المذهب على الرخام « الاجابة تحت قبته والشفاء فى تربته والائمة فى ذريته وعترته » وباب يؤدى إلى غرفة الآثار كتب بأعلاه « قل لاأسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى » .

كذلك كتب الشيخ عبد الله الشبراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتا من الشعر على الباب الخارجى نصها :

يا كرام الأنام يا آل طـه   على من يهيم فيكم عـلام

بابكم كعبة الهـدى وحماكم   منهل فيـه للانام إزدحـام

باب فضل لمـا سما أرخـوه   من دنا نحو بابكم لا يضـام

رضى الله عنكم آل طـه   وصلاة منى لكم وسـلام

وفى العمارة التى قام بها السيد على أبو الأنوار والتى سبقت الاشارة إليها ، أجرى فتح باب الجهة البحرية للقبة ، وله مصراعان من النحاس المخرم بنقوش جميلة وبتواشيح الباب أربعة دوائر كتب فيها على التوالى – لا إله إلا الله محمد رسول الله – الامام على – الامام الحسين – الامام الحسن . ويعلو الباب عتبان كتب على أحدهما :

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا   بابا لسبط رسول الله ذى الرشد

وحسن اشراف نور الله ارخـه   باب حماه عظيم الجاه والمـدد

وقد غطيت كل الأبواب والنوافذ بستار من الحرير الأخضر الجميل . وفى وسط القبة توجد المقصورة . على بابها أربع حلقات من الفضة النقية الخالصة .

لن يخيب اليوم من رجائك من   حرك من دون بابك الحلقة

وحول المقصورة توجد مشكاوات ن الزجاج المموه بالميناء المنقوشة بزخارف جميلة ومكتوب عليها اسم الملك الظاهر أبى سعيد ، كما تحتوى على كتابات قرآنية « الله نور السموات والأرض » ويبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثا وعشرين . كانت قيمتها فى ذلك الوقت أكثر من ألفى دينار .

وبالقبة قبلة قديمة محلاة بقطع من الفسيفاء الرخامية ويكتنفها عمودان من حجر السماق وبجانبيهما قاعدتان من الرخام كانتا معدنين فيما مضى لوضع الشماعة ومكتوب فوق القبلة قصيدة مطلعها :

ألا أن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

وسبق أن ذكرنا أن جميع جدران القبة مكسوة بالرخام الملون الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين ، وفوق ذلك ألواح من الخشب المطلى بنقوش ربيتية متعددة الألوان ومذهبة وبأعلى النقوش كتب عليها قصيدة الامام ابن جابر الاندلسى المشهورة والتى مطلعها :

فى كل فاتحة للقول معتبرة حق الثناء على المبعوث بالبقرة

وهى مكتوبة بالخط الثلث المذهب وتحيط بالقبة وتعلوها قصيدة أخرى يقال أنها تنسب إلى الحسين رضى الله عنه ويقول الشيخ الببلاوى أنها لسان حاله ، ومطلعها :

خيرة الله من الخلق أبى بعد جدى وأنا ابن الخيرتين
عبد الله غلاما ناشئا وقريش يعبدون الوثنين
والدى شمس وأمى قمر وأنا الكوكب بين النيرين

وفوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبة كتب عليه سورة الفتح من القرآن الكريم .

أما حجرة التابوت فهى تقع فى الطبقة الثالثة من أرض القبة وقد وضعت الرأس فيها على كرسى من الابنوس ، وهى ملفوفة فى برنس أخضر وحولها نحو نصف أردب من الطيب

الذى لايفقد رائحته بتوالى السنين . وقد جاء فى التاريخ الحسينى ، أن بعض عظماء العصور الخالية أراد أن يرفع النقاب عن خبايا أسرار هذه الروضة المباركة فأنزل رجلين ليكشفا الخبر ، فخرج أحدهما أعمى والآخر أخرس ولذلك لم تحصل المحاولة مرة ثانية وفوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كل فجوة باب متين . والحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب وتحتوى على مكان فسيح ، بحده الشرقى باب يوصل إلى الحجرة المباركة التى تحتوى على تركيبة عظيمة على القبر الشريف . ويحيط بها تابوت من خشب الساج الهندى ، ويحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط ، لأن التركيبة التى تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى . ولما تصدع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها وإعادتها إلى حالتها الأولى ، كما أخرج التابوت الخشبى ورمم وأعيد إلى حالته الأولى وهو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة . وقد عنى حسن عبد الوهاب بدراسة وقراءة مانقش عليه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية دراسة مستفيضة . ويبلغ طول التابوت ١٫٨٥ متر وعرضه ١٫٣٢ متر وارتفاعه ١٫٣٥ متر وهو مكون من جنب ورأسين ومقسم إلى مستطيلات رأسية وأفقية يحيط بها أشرطة تحتوى على كتابات بعضها بالخط الكوفى والبعض الآخر بالخط النسخى الذى انتشر فى مصر فى العصر الأيوبى . أما زخارف هذه الحشوات ، فهى عبارة عن نقوش نباتية غاية فى الروعة والاتقان ويحيط بالحشوات السداسية شريط من الخط الكوفى به كلمات منها « الملك لله » « وما توفيقى إلا بالله » ، « ثقتى بالله » ، « نصر من الله وفتح قريب » ، «العزة لله » ، « وما بكم من نعمة فمن الله » . . . الخ .

ويقول حسن عبد الوهاب أن هذا التابوت يشبه إلى حد كبير تابوت الامام الشافعى مما يدل على أنه معاصر له ، ولذلك فإنه يرجح أنهما صنعا فى عصر واحد وبيد صانع واحد ، وبما أن تابوت الامام الشافعى مؤرخ سنة ٥٧٤ هـ أى أنه صنع فى عصر صلاح الدين الأيوبى ، لذلك يرجح حسن عبد الوهاب أن تابوت الحسين صنع بأمر صلاح الدين ، ذلك لأنه عنى عناية خاصة بمشهد الحسين وأنشأ مدرسة بجواره .



الجامع العمرى بقوص بمحافظة قنا

ان كلمة قوص ، كلمة قبطية معناها الدفن ، وسميت كذلك لتخصص اناس من أهلها فى دفن ملوك الفراعنة بعد تحنيطهم ، وقوص مدينة هامة فى محافظة قنا ، كان لها فى العصور الوسطى شأن عظيم ليس فى المحافظة فحسب بل فى الصعيد كله ، إذ كانت قوص عاصمة الاقليم منذ العصر الفاطمى حتى القرن التاسع عشر . ويقول عنها ابن جيبر انها مدينة حافلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود وتجار الحبشة ، لأنها محط للرحال ومجتمع الرجال وملتقى الحجاج المغاربة والقاهريين والاسكندريين ومن يتصل بهم . ومنها يفوزون بصحراء عيذاب وإليها رجوعهم وقال ابن الكندى ، كان يوجد بقوص سائر اصناف التمر والحطب الكارمى الذى لا رماد له والفحم البافى والكروم ومعادن الذهب والاحجار الكريمة . ومن الطريف حقا أن نعرف انه قد اكتشف بقوص حقول للبترول فى العصر المملوكى سنة ٨٣٤ هـ. وكان من الطبيعى ان تزخر قوص بالفنادق والوكالات والخانات والبيوت الفاخرة لاستقبال الوافدين عليها من المشرق والمغرب فى طريقهم إلى الحج والرجوع منه ، وكذا إيواء التجار الوافدين من

الجنوب ومن الشرق الأقصى ، كما اهتم أهلها بالزراعة وخاصة الخضر والبساتين حتى يستطيعوا أن يمدوا الاقليم ببعض احتياجاته .

ويحدثنا المقريزى انه كان بقوص مائة وخمسون مغلقا ، (والمغلق ، هو الحديقة التى لا تقل مساحتها عن عشرين فدانا) ، ولكل مغلق ساقية ذات أربعة وجوه .

وقد نستطيع تقدير أهمية مدينة قوص فى العصور الوسطى إذا عرفنا انها كانت مقرا لحاكم الصعيد وان بها داراً لضرب النقود ، وكان صك النقود شارة من شارات الملك فى ذلك الوقت . ويقول الادفوى انه عثر فى سنة ٦٧٢ هـ فى عهد السلطان الظاهر بيبرس على نقود مدفونة فى مدينة قوص وانها ترجع إلى ألف وثلثمائة سنة إلى أوائل العصر الرومانى .

وقد اشتهرت قوص فى العصور الوسطى بوجود أقوام لهم معرفة تامة بصيد الثعابين والحيات والعقارب بواسطة عزائم وأقسام سحرية يقرأونها عليها . كما يقال إن طائفة الحواة فى القطر المصرى تأتى من قوص ، ويؤد ذلك ما رواه المقريزى عن الأمير تكتباى حاكم قوص فى عهد السلطان محمد بن قلاوون وقصة المرأة الساحرة معه .

وكما كانت مدينة قوص مزدهرة ومنتعشة اقتصاديا كذلك كانت متقدمة ثقافيا . فقد كانت بها ست مدارس ودار للحديث وكثير من المساجد الجامعة والزوايا . وكانت المدارس فى ذلك الوقت تقوم بعدة وظائف ، فإلى جانب الناحية التثقيفية التى أنشئت من اجلها فهى تقوم بوظيفة المسجد فى أوقات الصلاة وفى يوم الجمعة كما كانت تقوم بوظيفة اجتماعية هامة فى الأحياء التى توجد بها، إذ كان عليها مهمة محو الأمية فيه . فقد كان يلحق بكل مدرسة كتاب لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن والخط . وكان يقرر لهؤلاء الأطفال الكسوة والطعام ، وكان إذا أتم الطفل حفظ القرآن يعطى خمسين درهما ويمنح مؤدبه ومعلمه خمسين درهما مكافأة له .

ومن الشخصيات الهامة التى تنتسب لقوص العلامة أبو الفضل بهاء الدين زهير المكى القوصى النشأة المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور . وهناك طائفة من العلماء

ورجال الدين كبيرة ممن ينتسبون لقوص لا يتسع المجال لذكرهم. ولم يقتصر طلب العلم والفضل فى قوص على الرجال فحسب ، بل تعداه إلى النساء كذلك ، فقد انجبت قوص سيدات فضليات خلّفن وراءهن ذكريات عطرة تشهد بما كانت عليه المرأة المصرية فى العصور الوسْطى من مكانه مرموقة بين العلماء وأهل الرأى ، ومن أشهرهن تاج النساء ابنه عيسى بن وهب القوصية ، كانت فقيهه فى علوم الدين والقراءة توفيت فى القرن السابع الهجرى وغيرها كثيرات .



وصف الجامع

ومن أشهر مساجد مدينة قوص وأقدمها الجامع المعروف بالعمرى ، وهذه التسمية لاتعنى بالضرورة أن منشأة هو عمرو بن العاص ، ولكنها تعنى أنه أقدم مسجد فى المدينة نسبة إلى أن الجامع العمرى بالفسطاط هو أقدم مساجد مصر. ويرجع تاريخ هذا المسجد إلى العصر الفاطمى إلا أن التغيرات والتجديدات التى أدخلت عليه أفقدته الكثير من معالمه الأصلية ، فقد تغير كثير من عقوده الداخلية فى ايوان القبلة فى العمارة التى قام بها محمد بك قهوجى سنة ١٢٣٣ هـ ، كما أن التجديد الذى حدث للمئذنة أفقد الجامع وجهاته الرئيسية .

ويوجد فى هذا الجامع منبر على جانب كبير من الأهمية. إذ أنه يعتبر من أقدم منابر مصر. المؤرخة فقد أنشئ سنة ٥٥٠ هـ ، وهو من الخشب الساج الهندى المحفور حفرا بارزا والمزخرف كذلك بالحشوات المجمعة التى بدأت تظهر فى أواخر العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى .

وقد سجل تاريخ المنبر على لوحة تذكارية فوق باب المنبر وهى مكتوبة بالخط الكوفى المزهر وتحتوى سبعة سطور ، نصها :

الأول : بسم الله الرحمن الرحيم ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة أمر بعمل

الثانى : هذا المنبر المبارك الشريف مو(لانا وسيدنا الإمام الفائز بنصر الله أمير

الثالث : المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتظرين

الرابع : على يد فتاه وخليله السيد الأجل الملك الصالح ناصر الأئمة و

الخامس: كاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة

السادس: المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع لطول

السابع : بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمه فى سنة خمسين وخمسمائة[1] .

وفى منتصف البائكة الثالثة فى ايوان القبلة يوجد محراب يرجع تاريخه إلى العصر المملوكى ، زخرفت واجهته بزخارف جصية قوامها عناصر نباتية وهندسية بديعة التكوين . وتشبه زخارف هذا المحراب زاوية زين الدين يوسف بالقاهرة وكذا المحراب المملوكى فى جامع عمرو بن العاص . ويحيط بالمحراب كتابة بالخط الثلث المملوكى نصها : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » . وحول طاقية المحراب قوله تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » .

وفى النهاية البحرية للبائكة الرابعة والخامسة من ايوان القبلة توجد مقصورة من الخشب الخرط على جانب عظيم من الأهمية ، فالجانب الشرقى من المقصورة باق على صورته الأولى ، ويتكون من حشوات بها زخارف محفورة حفرا عميقا وكذا الجانب الغربى ، وكذا باب المقصورة مكون من حشوات سداسية الشكل يحيط بها من أعلى وأسفل أشرطة من خشب الخرط الذى انتشر استعماله فى العصر المملوكى .

وداخل هذه المقصورة يوجد كرسى مصحف مصنوع من الخشب المصنوع بطريق الحشوات المجمعة والمطعم بالعاج والصدف . ويحيط بالكرسى شريط من الكتابة بالخط النسخ المملوكى وتتكون الكتابة من آية الكرسى والنص الآتى : أمر بانشاء هذا المصحف المبارك المقر الكريم العالى المولى الأميرى الأجلى عز الدين خليل المالكى الناصرى أعز الله أنصاره بمحمد وآله » . ومن المرجح أن يكون منشئ الكرسى والمقصورة هو منشئ المحراب المملوكى بالبائكة الثالثة بايوان القبلة أى أنها جميعها ترجع إلى أوائل القرن الثامن الهجرى.

(١) G. Wiet: Deux inscriptions coufiques de Qous p. 31 Repertoire, Tome VIII No. 3/89 p. 282.
Pauty : Le Mimbar de Qous p. 41.

ويوجد أمام المحراب المملوكى عمود من الرخام تعلو تاجه (طبلية) خشبية عليها نصان من الكتابة الكوفية ، نقلت إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، تحت رقم ٣١٠٠

وقد قام بتحقيقهما وقراءتهما جاستون[1] فيت ، فوجد أن الكتابة تحتوى على تاريخ سنة ٤٧٣ هـ كما عثر على اسم سعد الدولة سارتكين المتولى قيادة الجيوش الفاطمية فى ولاية قوص وثغر أسوان المحروس . لذلك فإنى أرجح أن منشىء هذا الجامع هو بدر الدين الجمالى أمير الجيوش فى عهد الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٧٣ هـ ، وذلك على يدى سعد الدولة سارتكين قائد جيوش المنطقة . وفى سنة ٥٥٠ هـ أمر الصالح طلائع وزير الخليفة الغائز بعمل المنبر المبارك .

ومن الأجزاء الهامة بهذا المسجد كذلك القبة الموجودة فى الركن الشمالى الشرقى للمسجد ، وهى منفصلة عن المسجد ويتوصل إليها من دورة المياه . وتقوم القبة على أربعة عقود يعلوها فى الأركان صفا من المقرنصات ، مما حول المربع إلى مثمن أقيمت فوقه القبة . أما من الخارج فالقبة مضلعة ، ويتخلل هذه الأضلاع فتحات على شكل نجمة سداسية . وقد أنشأ هذه القبة كما جدد بعض أجزاء المسجد مقلد بن على بن نصر فى العصر الأيوبى سنة ٥٦٨ هـ ، الذى أثبت أعماله هذه فى لوح رخامى ثبته فى نهاية الجدار الشرقى ، نصه (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله نبيه الطيبين الطاهرين ، أمر بتجديد هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى مبارك بن كامل بن مقلد بن على بن نصر بن منقذ الناصرى الفخرى فى شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة) .

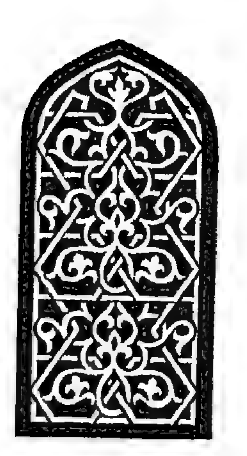
ويحتوى الجامع على لوح تذكارى آخر مثبت على باب الميضأة ، قد نقش فى وسطه شكل مشكاة ، ثم كتب تحته اسم المقرئ الشيخ الصالح جمال الدين محمد الناجى ، وتاريخ وفاته سنة ٧١٧ هـ .

ومن الاصلاحات التى أجريت لهذا المسجد تلك العمارة التى قام بها الأمير محمد كاشف سنة ١٢٣٣ هـ ، وقد أثبت الأمير عمارته للمسجد فى ثلاثة مواضع ، أحدها فى صحن

---

(١) G. Wiet : p. 31.

الجامع والثانى على باب الميضأة أما الثالث فقد ثبت على المدخل الرئيسى للمسجد ؛ ويعتبر مسجد قوص أكثر مساجد الجمهورية احتواء على اللوحات التذكارية التى تثبت كل اضافة أو اصلاح أو ترميم .



جامع الصالح طلائع خارج باب زويلة

هو أبو الغارات الملك الصالح طلائع بن رزيك فارس المسلمين نصير الدين الارمينى الأصل . قدم فى أول أمره إلى زيارة مشهد الامام على بالنجف بأرض العراق فى جماعة من الفقراء وكان من الشيعة الامامية ، وكان سادن مشهد الامام على فى ذلك الوقت السيد ابن معصوم . أما عن السبب فى مجئ ابن رزيك إلى مصر فيقص علينا المقريزى[1] قصة أشبه بالاسطورة منها بالحقيقة إذ يقول : « زار طلائع وأصحابه من الفقراء الامام ابن معصوم سادن مشهد الامام على وباتوا هنالك فرأى ابن معصوم فى منامه الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو يقول له : قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزيك من أكبر محبينا قل له إذهب فقد وليناك مصر . فلما أصبح ، أمر أن ينادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم إلى السيد ابن معصوم ، فجاء طلائع وسلم عليه فقص عليه مارأى ، فسار حينئذ إلى مصر وترقى فى سلم الخدم حتى ولى منينه ابن الخصيب ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الآمر ،

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٩٣

فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر بعث نساء القصر إلى طلائع يستغن به فى الاخذ بثأر الظافر وجعلن فى طى كتبهن بعض شعورهن . فجمع طلائع عندما وردت عليه الكتب والناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس ، فعندما قرب من البلد (القاهرة) فر عباس ودخل طلائع إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ فخلع عليه خُلع الوزارة ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين » .

ويسوق لنا الحافظ الذهبى[1] قصة طلائع بن رزيك مع الوزير عباس فيقول : وملك الصالح طلائع بن رزيك ديار مصر من غير قتال وأتى إلى دار عباس المعروفة بدار الوزير المأمون ابن البطائحى التى هى اليوم المدرسة السيوفية[2] الحنفية ، فاستحضر الخادم الصغير الذى كان مع الظافر لما نزل سرا وسأله عن الموضوع الذى دفن فيه فعرفه به ، فقلع البلاطة التى كانت على الظافر ومن معه من المقتولين ، وحملوا وقطعت عليهم الشعور وناحوا عليهم بمصر ، ومشى الأُمراء قدام الجنازة إلى تربة آبائه . فتكفل الصالح بن رزيك بالصغير (يعنى الفائز) ودبر أحواله ، وساس الأُمور وسار فى الناس أحسن سيرة .

ويصف ابن تغرى[3] بردى حكم الصالح طلائع كوزير فى عهد الخليفة الفائز والعاضد فيقول : ولما ولى الوزير وتلقب بالملك الصالح خلع عليه مثل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى ، من الطيلسان المقور ، وأنشئ له السجل فتناهى فيه كتاب الانشاء ، فمما قيل فيه : واختصك أمير المؤمنين بطيلسان غدا للسيف تؤما ، ليكون كل ما أسند إليك من أمور الدولة معلما ولم يسمع بذلك إلا ما أكرم به الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين أمير الجيوش أبا النجم بدرا وولده أبا القاسم شاهنشاه وأنت أيها السيد الاجل الملك الصالح . وأين سعيهما من سعيك ورعيهما الذمام من رعيك لأنك كشفت الغمة وانتصرت للأئمة وبيضت غياهب الظلمة وشفيت قلوب الأُمة .

ولما استفحل أمر الصالح طلائع أخذ فى جمع المال فإنه كان شرها حريصا على التحصيل

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبى ص ١٢٣

(٢) هذه المدرسة هى التى تعرف اليوم باسم جامع الشيخ مظهر الذى بأول شارع الصاغة من جهة السكة الجديدة .

(٣) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣١١

وكان مائلا إلى مذهب الامامية ، فمال على المستخدمين فى الأموال ، وأخذ يعمل على اقصاء الأمراء المقدمين فى الدولة عن الحكم مثل ناصر الدولة ياقوت ، وكان صاحب الباب ، وناب عن الحافظ فى مرضه ومرضها مدة ثلاثة أشهر ، وطلب أن يوزره فأبى ياقوت . كذلك من الأمراء الذين أراد إبعادهم عن الحكم الاوحد بن تميم ، فإنه كان من أعيان الأمراء ، ولما سمع بقصة عباس من قتله الظافر وكان واليا على دمياط وتنيس ، تحرك لطلب دم الظافر وقصد القاهرة فسبقه طلائع بن رزيك بيوم واحد ، فخاب قصده ، فرده طلائع ابن رزيك إلى ولايته وأضاف إليه الدقهلية والمرتاحية . ومن الامراء ذوى النفوذ فى القاهرة تاج الملوك قايماز والأمير ابن غالب ، فما كان من الصالح طلائع إلا أن حمل الأجناد عليهما يطلبونهما ، فخرجا فى جماعتهما فتكاثر عليهما الاجناد فقتلا ونهبت دورهما .

وكان طلائع جشعا فى جمع المال حتى قيل أنه كان يبيع الولايات للأمراء ، وجعل لها أسعارا ، ومدتها ستة أشهر فتضرر الناس من تردد الولاة عليهم كل ستة أشهر ، كذلك ضايق القصر طمعا فى صغر سن الخليفة فتعب الناس معه . ولما مات الخليفة الفائز وتولى العاضد لدين الله مكانه ، استمر الصالح على وزارته وتزوج العاضد ابنته مما ساعد على امتداد نفوذه فى جميع شئون الدولة .

ويقول ابن أبى شامة[1] أن الفنون والآداب قد ازدهرت فى عصره فقد قرّب الشعراء والأدباء واتخذهم جلساء له وأجزل لهم العطاء . ويضيف ابن خلكان فيقول[2] ، أنه كان جيد الشعر ، إلا أن ابن أبى شامة يشك فى أن يكون الشعر الجيد من نظمه إذ يقول : وما يصدق أحد أن ذلك شعره لجودته وإحكام معاينة ، فيقال أن المهذب بن الزبير كان ينظم له والجليس بن الحباب كان يساعده .

فلما ثقلت وطأة ابن رزيك على القصر ، وكان الخليفة الفائز فى تدبير عمته ، شرعت فى قتله وفرقت فى ذلك مالايقرب من خمسين ألف دينار كما يقول ابن خلكان وابن الاثير

(١) الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ١ ص ١٢٥ (طبع وادى النيل سنة ١٢٨٨ هـ) .
(٢) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٣٧

وابن تغرى بردى . فعلم ابن رزيك بذلك فاوقع بها وقتلها بالاستاذين والصقالبة سرا ، والخليفة فى واد آخر من الاضطراب . ثم نقل ابن رزيك كفالة الفائز إلى عمته الصغرى وطيب قلبها وراسلها ، فما حمدت ذلك منه بل رتبت أمر قتله ، وسعى لها فى ذلك أصحاب المقتولة فرتبت قوما من السودانيين الأقوياء فى باب السرادب فى الدهليز المظلم الذى يدخل منه إلى القاعة ، وقوم أخر فى خزانة هناك وفيهم واحد من الاجناد يقال له ابن الراعى . فانتظروه بعدما انفصل من السلام على الخليفة وكان ذلك يوم خمسة من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة . وكان صاحب الباب فى ذلك اليوم أميرا يقال له ابن قوام الدولة ، وكان إماميا ، أنه أخلى الدهليز من الناس حتى لم يبق فيه أحد ، وأنه استوقفه أستاذ يقال له عنبر الريعى بحديث طويل . وتقدم طلائع بن رزيك ومعه ولده رزيك فأرادت الجماعة المخبأة أن تخرج فوجدوا الباب مغلقا ، وخافوا من خلعه أن يحدث شغبا فخرجت عليه الجماعة الأخرى فضربوا رزيك بن الصالح طلائع ضربة أوقعت عضده الأيمن وجرح أبو الصالح من ابن الراعى المذكور ، فمات طلائع سحرا ، ودفن بتربته التى أنشأها بجوار مسجده بالقرافة الكبرى .

وكان الفائز قد مات وتولى الخلافة العاضد وهو أيضا تحت حجر طلائع . ولما مات الصالح وشفى ولده رزيك طلبت عمة الفائز رزيك وأحضرت له الذى ضربه فى عضده الأيمن وأحضرت أيضا سيف الدين حسين ابن أخى طلائع ، وحلفت لهما أنها لم تدر بما حدث لأبيه ، وأن فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة ، وخلعت على رزيك بالوزارة عوضا عن أبيه ، وفسحت له فى أخذ من ارتاب فيه فى قتل أبيه قوام الدولة فقتله وولده والأستاذ الذى شغله.

وأقام رزيك ابن طلائع فى الوزارة سنة وكسرا ، فما رأى الناس أحسن من أيامه وسامح الناس بما عليهم من الأموال البواقى الثابتة فى الدواوين ولم يسبق إلى ذلك . ودام فى الوزارة حتى قتله شاور .

ويضيف[1] المقريزى فى وصف مناقبه فيقول ، ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسير الجيوش لقتالهم فى البر والبحر ، وكان يخرج البحوث فى كل سنة مراراً . وكان يحمل فى كل عام إلى أهل الحرمين مكة والمدينة من الأشراف سائر ما يحتاجون إليه من الكسوة وغيرها حتى يحمل إليهم ألواح الصبيان التى يكتب فيها والأقلام والمداد وآلات النساء . ويحمل إلى العلويين الذين بالمشاهد (الكاظمية ـ كربلاء ـ التحف ـ مشهد) جملا كبيرة .

وكان الصالح طلائع ورعاً تقياً ، حتى إنه تنبأ بموعد وفاته ، فقد ذكر المقريزى : ولما كان فى الليلة التى قتل صبيحتها قال : فى هذه اليلة ضرب فى مثلها أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه . ثم أمر بقربة ممتلئة فاغتسل وصلى على رأى الإمامية مائة وعشرين ركعة أحى بها ليلة وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوشت فقعد فى دهليز دار الوزارة وأمر بإحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجارى الثقيل ، فلما أخذ فى إصلاح العمامة قال رجل للصالح طلائع : نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذى جرى أمرا يتطير منه فإن رأى مولانا أن يؤخر الركوب فعل . فقال الصالح : الطيرة من الشيطان ليس إلى تأخير الركوب سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محولا إلى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة .

---

(١) الخطط جـ ٤ ص ٨٢ ، ٨٣ .

وصف الجامع

ويحدد المقريزى مكان الجامع فيقول[1] : هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة . أما عن السبب فى بناء الجامع فيقول ابن عبد الظاهر ، كان الصالح طلائع بن رزيك لما خيف على مشهد الامام الحسين رضى الله عنه إذ كان بعسقلان من هجمة الفرنج وعزم على نقله قد بنى هذا الجامع ليدفنه به فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك ، وقال لايكون إلا داخل القصور الزاهرة وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به . وقد ندم طلائع أشد الندم على بنائه هذا الجامع الذى انفق عليه أموالا طائلة ولم يمكنه الخليفة من شرف دفن رأس الحسين به حتى قيل : أن الصالح لما حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته : ماندمت قط فى شئ عملته إلا فى ثلاثة ، حضرته الوفاة جمع أهله وأولاده وقال لهم فى جملة وصيته : ماندمت قط فى شئ عملته إلا فى ثلاثة ، الأول بنائى هذا الجامع على باب القاهرة فإنه صار عونا لها » .

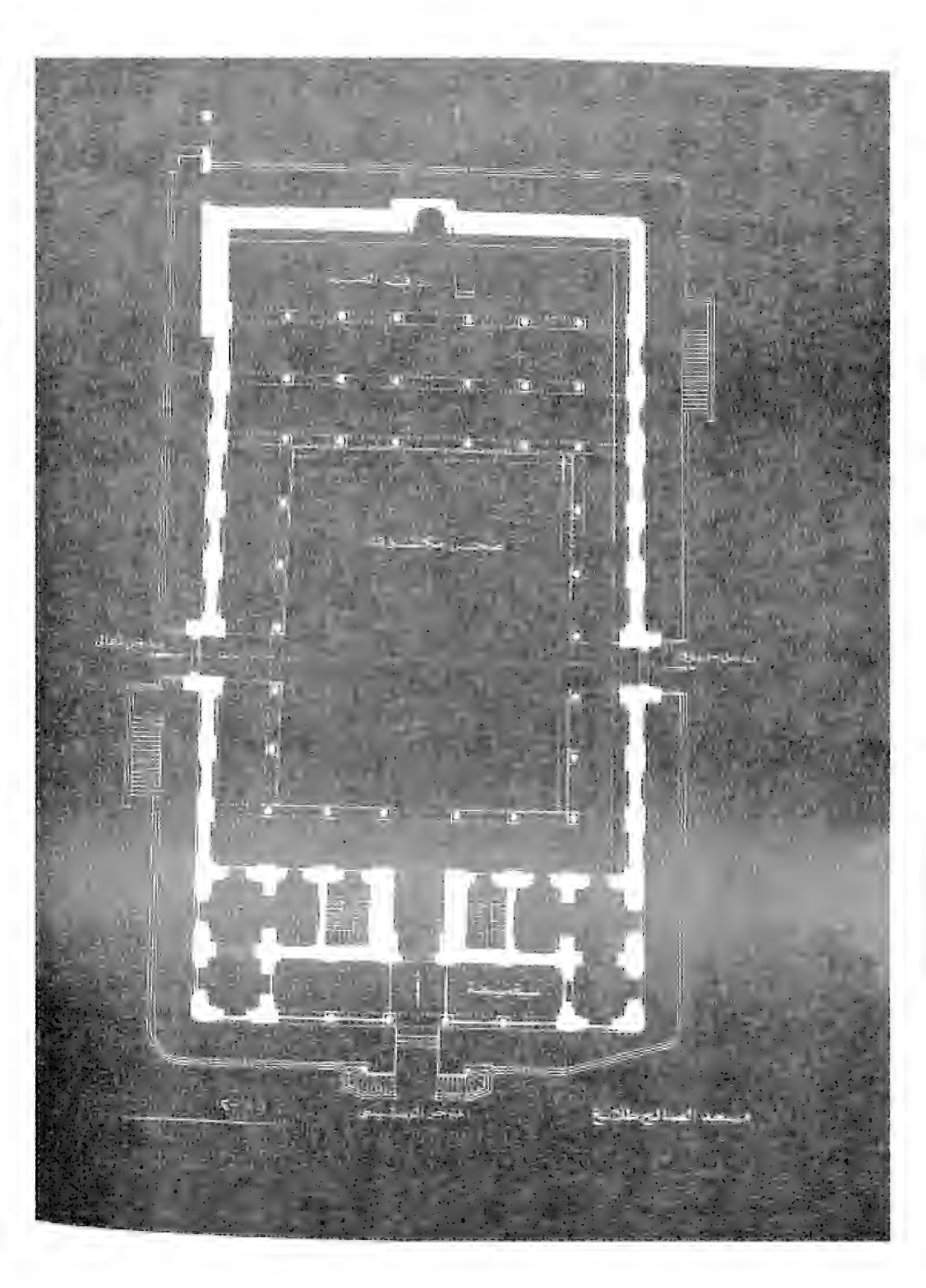
ولما تم بناء الجامع بنى به صهريجا عظيما وجعل له ساقيه على الخليج قريب باب الخرق تملأ الصريج المذكور أيام النيل وجعل المجارى إليه .

ويقول على مبارك[2] ، أن هذا الجامع بقى معطلا عن إقامة الجمعة إلى أيام المعز ايبك التركمانى أول ملوك دولة المماليك البحرية ، فأقيمت به الجمعة وذلك فى سنة بضع

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ٢٩٣

(٢) الخطط التوفيقية جـ ٤ ص ٣٨


مسجد الصالح طلائع

وخمسين وستمائة بحضور رسول بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله البادرانى . ويضيف ابن تغرى بردى فيقول : ولما حدثت الزلزال العظيم سنة ٧٠٢ هـ تهدم جامع الصالح طلائع فَعُمِّر على يد الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الناصرى .

ويصف على مبارك الجامع فيقول : وهذا الجامع الآن فى أول قصبة رضوان تجاه باب زويلة ، له باب على قصبة رضوان وباب بأول شارع الدرب الأحمر . وللجامع صحن بوسطه حنفية وصهريج وميضأة ونخلات . وتقوم عقود أروقته على مجموعة كبيرة من الأعمدة الرخامية وبه عمود من حجر السماق ، وفى صدر ايوان القبلة يوجد محراب من أعظم المحاريب وبجانبه منبر عظيم ودكة للتبليغ . وعلى حائطه تاريخ سنة خمسين وستمائة ، ويضيف على مبارك فيقول ، ولعله تاريخ عمارة جرت فيه . أما تاريخ انشاء المسجد فهى سنة ٥٥٥ هـ .

يعتبر جامع الصالح طلائع من المساجد الكبيرة التى أنشئت فى العصر الفاطمى ، إذ تبلغ مساحته (١٥٢٢) متراً مربعاً . والمسجد مستطيل الشكل يتوسطه صحن كبير مربع مساحته ٤٥٤ر٥٤ متراً مربعاً به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج عند ميدان الخرق . ويحيط بالصحن الاروقة من جميع الجهات ، رواق واحد من الجهات الثلاث الشمالية والجنوبية والغربية . أما إيوان القبلة فيحتوى على ثلاثة أروقة عقودها ذات زوايا منكسرة حليت حافاتها من الداخل والخارج بكتابات قرآنية بالخط الكوفى المزهر الجميل تشبه تلك الموجودة بالجامع الأزهر والأقمر .

وقد فتحت فى (كوشة) العقود دوائر جصية مزخرفة ، كما يعلو كل عقد نافذة صغيرة مملوءة بزخارف جصية مفرغة . كذلك زخرفت الأوتار الخشبية وكذا (الطبالى) التى تعلو تيجان الأعمدة بزخارف نباتية بأسلوب الحفر على الخشب الذى ساد فى العصر الفاطمى . ومما يجدر ملاحظته أن شبابيك المسجد الموجودة بجدار القبلة مملوءة بزخارف من الجص المفرغ عملت حديثا على غرار الزخارف القديمة فيما عدا الشباك الذى يقع فى النهاية الجنوبية لجدار القبلة ، فيشتمل على كتابات كوفية ونسخية ترجع إلى العمارة التى قام بها الأمير بكتمر الجوكندار .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩١

وعلى يمين المحراب يوجد منبر حشبي نفيس صنعت (ريشتيه) جانبيه من حشوات مجمعة على شكل أطباق نجمية بها زخارف نباتية محفورة غاية فى الدقة والإبداع ومطعمة بالصدف والعاج والابنوس، كتب على بابه اسم منشئه وتاريخ الانشاء : أمر بعمارة هذا المنبر المبارك من ماله ابتغاء لوجه الله الكريم المقر العالى الأميرى الكبيرى السيفى ، سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصورى السيفى أمير جندار الناصرى وذلك بتاريخ شهر جمادى الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة رحم الله من كان السبب . وقد جددته لجنة الآثار سنة ١٣١٦ هـ الموافق سنة ١٨٩٨ م .

كما نقش على جلسة الخطيب النص التالى : أن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، أمر بانشاء هذا المنبر المبارك الجناب العالى الأميرى الكبيرى سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جندار وذلك بتاريخ سنة تسع وتسعين وستمائة .

ويتضح لنا من هذين النصين أن الأمير بكتمر الجوكندار قد قام باجراء عدة إصلاحات لهذا الجامع قبل الاصلاح الذى قام به بعد الزلزال الذى حدث سنة ٧٠٢ هـ .

وقد جاء فى النجوم الزاهرة[١] أن عبد الوهاب العينى جدد الجامع سنة ٨٤٤ هـ ، كما يقول السخاوى[٢] أن الأمير يشبك من مهدى دوادار الملك الأشرف قايتباى قام سنة ٨٨٢هـ بالكشف عن سلم هذا الجامع الذى كان مردوماً ، كما ظهرت العمد وأزال ما كان بواجهته من ابنية .

وتقع الواجهة الرئيسية للجامع فى الجهة الغربية منه، حيث يوجد الباب العمومى الذى أقيم أمامه رواق محمول على أربع عمد رخامية تحمل خمس عقود وينتهى من طرفيه بحجرتين . وقد حلى جدار الرواق وكذا جانباه بزخارف على هيئة مرواح مخوصة . ومصراعا هذا الباب من الخشب غُلِّف أحد وجهيه بصفائح نحاسية ، نقل إلى متحف الفن الإسلامى الآن ، ويعتبر أقدم باب نحاسى فى مصر الإسلامية ما يزال باقياً حتى الآن .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩٣

(٢) الضوء اللامع جـ ٧ ص ٣٩

وفى أسفل جميع الوجهات عدا الواجهة الشرقية توجد حوانيت خصص دخلها للانفاق على المسجد ، وقد كتب على الواجهة الغربية وأول الواجهة البحرية النص التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا المسجد بالقاهرة المعزية المحروسة فى مولانا وسيدنا الامام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين السيد الاجل الملك الصالح ناصر الائمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الاسلام غياث الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الغارات طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربه بها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين وعلى ولديه الطاهرين أبى محمد الحسن وأبى عبد الله الحسين وعلى الأئمة من ذريتهم أجمعين وسلم وشرف وكرم وعظم إلى يوم الدين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ـ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .



صلاة العيد في العصر الفاطمي

لقد جرت العادة فى مصر فى العصور الوسطى ، منذ عهد الفواطم ، أن يصلى الخليفة أيام الجمع الثلاث ، الثانية والثالثة من رمضان فى مساجد الحاكم والأزهر ، أما الجمعة الرابعة فكان يؤديها فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط . وكان يصاحب هذه الصلوات عادات وتقاليد خاصة فقد كان يصرف من خزانة التوابل الند (البخور) وماء الورد والعود لكى يبخر ويعطر به الموكب والمسجد ، وكان موكب الخليفة يحاط بالكثير من مظاهر العظمة ، أما المسجد فكان يفرش بالفرش المختص بالخليفة يحمله كبار الفراشين وهو من الحرير الديبقى (مدينة قرب دمياط) ويعلق على المحراب ستران مرقوم فيهما بالحرير الأحمر بعض قصار السور من القرآن الكريم . ثم يصعد قاضى القضاة وفى يده مبخرة من الفضة المكفتة بالذهب فيها ند لايشم مثله إلا هناك فيبخر ذروة المنبر التى عليها القبة المعدة لجلوس الخليفة للخطابة . ويركب الخليفة بملابسه البيضاء غير المذهبة توقيرا لصلاة الجمعة وحول ركابه عدا الحراس قراء القصر من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة مناوبة من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها وإن احتاج إلى تجديد وضوئه فعل . وعقب الصلاة يذاع بلاغ رسمى يعرف باسم (سجل البشارة) .

وكما عنيت مصر باستقبال شهر رمضان المبارك وأحاطته بأنواع من التكريم والتعظيم

وأحيته بصنوف من العبادة وأغدقت فيه من الخير على الفقراء والمعوزين ، كذلك أهتمت بختامه اهتمامها باستهلاله . وقد بالغ خلفاء الدولة الفاطمية فى الاحتفاء بنهاية شهر رمضان خاصة فإن عيد الفطر عندهم هو الموسم الكبير المعروف بعيد الحلل[1] ، حيث توزع فيه كسوة[2] العيد على الخاصة والعامة التى بلغت نفقاتها فى القرن السادس الهجرى ما يقرب من عشرين ألف دينار . وكانت الحلل أو الخلع ثياب قيمة تصنع من نسيج (دار الطراز أى المصانع الحكومية ، الموجودة فى تنيس ودمياط والاسكندرية ، أعدت فى خزانة الكسوات الخاصة بالرجال والنساء ، لتوزيعها ليلة العيد . وإلى جانب الحلل كانت دار الفطرة[3] تنجز كميات كبيرة من الكعك والحلوى وكعب الغزال يبدأ الاعداد لها من شهر رجب حتى نصف رمضان . وكانت الميزانية المقررة لدار الفطرة تبلغ عادة ستة عشر ألف دينار لشراء الدقيق وقناطير السكر واللوز والجوز والفستق والسيرج والسمسم والعسل وماء الورد والمسك والكافور ، هذا بالإضافة إلى المناديل والمفارش الحريرية لاعداد السماط والفوط التى يغطى بها الكعك عند توزيعه على الخاصة والعامة .

أما الاحتفال بعيد الفطر فكان يبدأ فى ختام شهر رمضان ، فقد كان الخلفاء يختتمون الليلة الأخيرة من رمضان باستدعاء المقرئين للاحتفال بليلة العيد فيبدأون فى قراءة آى الذكر الحكيم من الحمد إلى الخاتمة تلاوة وترتيلا بأحسن الأصوات ، ثم يجىء بعد المقرئين الخطباء ، ثم يكبر المؤذنون ويهللوا ثم ينشدون أدعية صوفية إلى أن ينثر عليهم الخليفة من الروش (الشرفة) الدنانير والدراهم وتوزع عليهم أطباق القطائف مع الحلوى وخلع العيد على الخطيب وغيره كما توزع الدراهم على المقرئين والمؤذنين . فإذا ما انتهى مجلس المقرئين والخطباء انتقل الخليفة إلى قاعة الذهب فيجلس فى الإيوان وعلى يمينه الوزير ثم يجلس بعده الأمراء بعد أداء التحية ، كل فى المكان المخصص له ، ويتبعهم الرسل الوافدون من جميع الأقاليم وهم وقوف فى آخر الإيوان . ثم يتقدم متولى كل اسطبل من الرواض وغيرهم فيقبل الأرض ، ثم يستعرض الخليفة ومن معه الدواب بفرسانها وبملابسهم المهداة لهم

---

(١) المقريزى جـ ٢ ص ٢٨١ .

(٢) المقريزى جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٣) تقوم بتوزيع الكسوة خزانة الكسوات (انظر المقريزى جـ ٢ ص ٢٥٥) .

إلى أن يتم عرض جميع ما أحضر رسل الأقاليم وهو ما يزيد على ألف فرس . وبعد العرض يعاود المقرئون القراءة مختارين آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

فإذا أصبح يوم العيد خرج الخليفة وحاشيته وجنده وعساكره لتأدية صلاة العيد فى مصلى بنيت خصيصا لهذا الغرض ، ويصف المقريزى هذه المصلى فيقول : وكان فى شرقى القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر (أحد أبواب القاهرة) وهذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقى جزء منها إلى الآن (القرن الخامس عشر) . وهى مصلى كبيرة مكشوفة قائمة على ربوة وجميعها مبنى بالحجر ومحاطة بسور وعلى بابها قلعة (أى برج) وفى صدرها محراب مغطى بقبة كبيرة . وإلى جانب المحراب يوجد منبر يبلغ ارتفاعه ثلاثين درجة وعرضه ثلاثة أذرع وفى أعلاه جلسة الخطيب .

وكان يسبق صلاة العيد استعداد كبير يقوم به كبار الدولة لتهيئة المصلى وإظهار بالمظهر اللائق بالعيد وبالخليفة ، فيقول المقريزى : فإذا أكمل رمضان وهو عندهم ثلاثون[1] يوما ، فإذا كان اليوم من شوال صار صاحب بيت المال (وزير الخزانة) إلى المصلى خارج باب النصر وفرش السجاد بمحراب المصلى ويعلق سترين يمنه ويسره مرقوم فى الأيمن ، الفاتحة وسورة سبح اسم ربك الأعلى ، وفى الأيسر منقوش الفاتحة وسورة هل أتاك حديث الغاشية ، ويركز فى جانبى المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة . ويوضع على ذروة المنبر طراحة من حرير دبيقى ، كما يفرش درج المنبر بحرير مثبت فيه .

وفى هذا اليوم يسير الوزير من منزله ومعه كبار رجال الدولة فى ملابسهم الجديدة إلى باب القصر ، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة مثل موكب رؤيا رمضان وأول العام ، وتكون ملابسه فى عيد الفطر بيضاء موشحة بالفضة والذهب ومظلته كذلك . ويخرج

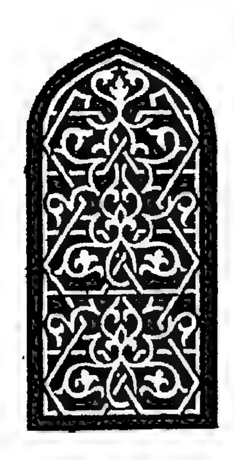
---

(١) كان التقويم الهجرى فى العصر الفاطمى يعتبر دائماً شهر رمضان ثلاثين يوماً

من باب العيد على عادته فى ركوب المواكب ، إلا أن عساكره فى هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركباذ والمشاة تكون أكثر وينتظم الجند له فى صفين من باب القصر (الذى كان يقع مكان الصاغة الحالية) إلى المصلى (خارج باب النصر) فيركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرفيها إلى مكان يستريح فيه فترة ، ثم يخرج محفوفا بحاشيته كما فى صلاة الجمع قاصدا المحراب والوزير والقاضى وراءه . فيصلى صلاة العيد ، فيقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى الستر الأيمن ويقرأ فى الثانية ما هو مكتوب فى الستر الذى على يساره ، فإذا انتهيت الصلاة وسلم صعد المنبر لخطبة العيد ، فإذا ما انتهى إلى ذروة المنبر جلس على الطراحة الحريرية بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزير والقاضى والحاشية . ثم يشير الخليفة إلى الوزير بالصعود فيصعد حتى ينتهى إلى الخليفة ، وبعد تقبيل يده يقف إلى يمينه ويشير إلى قاضى القضاة فيصعد إلى سابع درجة مقدما إلى الخليفة نص الخطبة التى أعدها ديوان الانشاء وسبق عرضها على الخليفة وبعد مقدمات واشارات يستر الخليفة باللواءين المركزين فى جانبى المصلى وينادى على الناس بالانصات فيخطب الخليفة من النص الذى قدم له . فإذا فرغ من الخطبة أخلى المنبر للخليفة فيهبط ويدخل المكان الذى خرج منه ، فيلبث قليلا ثم يركب بالهيئة التى قدم بها إلى المصلى ، فإذا قرب من باب القصر تقدمه الوزير ثم يدخل من باب العيد ، فيجلس فى الديوان الكبير وقد مد فيه سماط فيه أنواع الكعك فيأكل من يأكل وينقل من ينقل بلا حرج ولا مانع . ثم يقوم الخليفة من الديوان فيركب إلى قاعة الذهب وبها سرير الملك وبوسطها مائدة ويستدعى الوزير فيجلس معه ، ويجلس الأمراء على السماط ولا يزال كذلك حتى ينفذ ما على السماط قريب صلاة الظهر ، ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره هنا تصدر الأوامر باذاعة سجل عيد الفطر . ويبدأ السجل عادة بالدعاء للخليفة وآله ثم يبين كيف قام بصلاة العيد على عادة آبائه وأجداده الطاهرين ، ثم يذكر الثواب على اخراج الفطرة ويبشر له ، وينتهى بالديباجة الآتية : أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن إليه وتعلن بتلاوة على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه ، فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله » .

وتأدية صلاة العيد فى مصلى خاص تقليد جميل ما تزال بعض أقاليم مصر تحافظ عليه

فى مدينة أسوان توجد مصلى خاصة بصلاة العيدين . وتقع هذه المصلى على ربوة مرتفعة فى جنوب شرق المدينة وتعرف بمصلى (الصالحون) وماتزال حتى الآن تؤدى فيها صلوات العيدين . ويكاد ينطبق وصف هذه المصلى على تلك التى بناها جوهر الصقلى فى القرن الرابع الهجرى خارج باب النصر والتى استمرت على أقل تقدير إلى القرن التاسع الهجرى كما يقول المقريزى . ومصلى أسوان عبارة عن ساحة مكشوفة يحيط بها سور من الطوب وفى صدر الساحة منبر مبنى من الطوب والحجر يصعد إليه بمجموعة من الدرجات الحجرية . أما جلسة الخطيب فقد غطيت بقبة تشبه فى أسلوبها وفى فتحاتها أسلوب القباب الفاطمية الموجودة فى مقابر أسوان وفى مساجد الصعيد مثل مسجد قوص واسنا وغيرهما. وعلى جانبي المنبر يوجد محرابان ، ومن المرجح أن يكون للمصلى ثمانية أبواب حيث أن المصلى ماتزال تحتفظ ببابين فى حائط القبلة . وفى اعتقادى أن هذه المصلى ترجع إلى العصر الفاطمى واستمرت حتى القرن العشرين ، ولذلك فانى أهيب بأهل أسوان وبمصلحة الآثار أن تعيد بناء هذه المصلى التى تحفظ لنا تقليدا جميلا وتراثا عزيزا علينا .



رباط الآثار بأثر النبى بالقاهرة

أجمع كل من كتب من المؤرخين عن المخلفات النبوية الموجودة بالقاهرة على أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، ويقال انهم تلقوها بالميراث عن آبائهم وأجدادهم الأولين ، فى أجيال متعاقبة تمتد إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وفى القرن السابع الهجرى اشترى هذه المخلفات من بنى ابراهيم وزير مصرى ، اسمه الصاحب تاج الدين من بنى حنّا ، ثم نقلها إلى مصر وبنى لها رباطا[1] على النيل ، عرف فيما بعد برباط الآثار ، وسماه ابن دقماق[2] بالرباط الصاحبي التاجى ، نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ، ويعرف الآن باسم (أثر النبى) . وقد بلغ من حرص المصطفيين ، على هذا التراث الأثرى العظيم وتقديرهم له ، أن جعلوا من بين وظائف الدولة الهامة وظيفة شيخ الآثار النبوية ، فقد قال

---

(١) الرباط : نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام بحد السيف . وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمين الامبراطورية الإسلامية على حدودها . وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها ابراج للمراقبة ، ولما زالت الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها الصوفية .

(٢) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص ١٠٢ ، المقريزى ج ٤ ص ٢٩٣ .

ابن اياس[1] فى حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ هـ « وفيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى ثغر دمياط وكان دينا خيِّرا حسن السيرة لابأس به » .

وجاء فى الضوء اللامع[2] أنه فى سنة ٨٧٠ هـ ، استقر العز الكنانى بالشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن محمد ، شيخاً على الآثار ، ثم نقل قاضيا لدمياط وتوفى بها .

أما عن الرباط الذى بنى خصيصا لكى يضم المخلفات ، فيقول المقريزى[3] فى وصفه هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الجيش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . وجاء فى المقريزى أيضا نقلا عن أبى المتوج قال : هذا الرباط عمَّره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين على بن حنا بجوار بستان المعشوق ومات رحمه الله قبل تكملته ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه ، ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمَّر فيه شيئا يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمر فيه شيئا جيدا . ثم يذكر المقريزى[4] السبب فى تسميته باسم رباط الآثار فيقول : « وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إذ ذلك من آثار الرسول صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم (أى عصر المقريزى فى القرن ١٥ م) يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائما فلما انحسر الماء من تجاهه وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه

---

(١) تاريخ مصر جـ ١ ص ٩٩

(٢) السخاوى جـ ١ ص ٧٣٨

(٣) الخطط جـ ٤ ص ٢٩٥

(٤) الآثار النبوية ص ٣٢

عليهم وهو باق أيضا . وفى أيام الملك الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط ، وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله » .

ويمثل قول المقريزى فى وصف رباط الآثار . قال كثير من المؤرخين ، وخاصة أولئك الذين جاءوا بعده ، مع اختلاف بسيط بالنسبة لعدد المخلفات النبوية الباقية وكذا بالنسبة للإضافات والتجديدات والترميمات التى أجريت فى الرباط فى عهدهم ، والأحداث التى مرت به ، فقد نقل ابن دقماق عبارة ابن المتوج التى نقلها المقريزى إلا أنه اختلف مع المقريزى فى ثمن المخلفات فقال ان الصاحب تاج الدين بن حنا اشتراها بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها فى خزانة فى هذا الرباط . واختلف معه فى عدد المخلفات ، فبينما يذكر المقريزى أنها « قطعة خشب وحديد » فقط . يقول ابن دقماق انها قطعة من العنزة (الحربة القصيرة) وقطعة من قصعة ومرود وملقط . ومخصف . أما ابن كثير فيقول : وبلغنى أن بالديار المصرية مزارا فيه أشياء من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلف مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم . وقد نقل أحمد تيمور عن البرهان الحلبي مانصه : وفى آخر مصر مكان على النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر . وداخل الخزانة علبة صغيرة محجوز فيها الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنزة وميل من نحاس أصفر ومخصك صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها . وقد زرناه غير مرة ، وهو مكان مليح فى غاية النزهة وما بعده إلا بساتين وقد زرناه مرة فرآنى الإمام جلال الدين بن الخطيب داريا الدمشقى بسوق كتب القاهرة ، فسألنى : أين كنتم ؟ فقلت : زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء فقال : هل نظم أحد فى ذلك شيئا ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين ، فأنشدنى ذلك وهما :

ياعين إن بعد الحبيب وداره	ونأت مرابعه وشط مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل	إن لم تريه فهذه آثاره

كذلك ورد ذكر رباط الآثار والمخلفات النبوية فى كتب الرحالة الذين زاروا مصر

فهذا ابن بطوطة[1] الذى جاء إلى مصر فى القرن الثامن الهجرى يصف الرباط فيقول : فبت ليلة خروجى إلى الصعيد برسم الحجاز الشريف ، بالرباط الذى بناه الصاحب تاج الدين ابن حنا بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة وأودعها فيه وهى قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذى كان يكتحل به والدَّرَفش وهو الأشفى الذى كان يخصف به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى بخط يده رضى الله عنه . ويقال إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدم تلك الآثار الشريفة » .

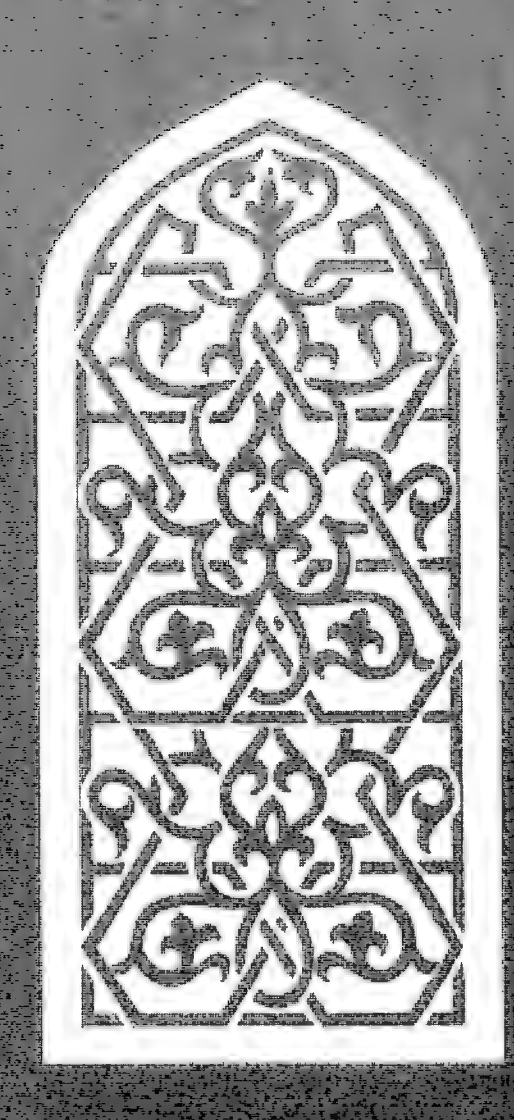
ويحدثنا السيوطى[2] فى القرن الحادى عشر الهجرى عن الرباط فيقول : ولم يزل الرباط عامرا مأهولا بالمصلين والزوار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال فنقلت منه الآثار الشريفة خوفا عليها من السُّراق ، وتغيرت معالمه بتجديد بنائه . والذى وقفنا عليه من ذلك تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ هـ ، كما ورد فى تراجم الصواعق فى واقعته الصناجق ، ففيه أنه لما عزل وانزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ هـ فى مسجد أثر النبي الذى بناه بمصر القديمة وكان قد وسعه وجدده وبنى تحته رصيفا لدفع ماء النيل عن بنائه ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طينا ، وعين به قراء ووظائف وحراسا قاطنين به » .

ثم يحدثنا الجبرتى فى القرن الثالث عشر الهجرى عما آلت إليه حال الرباط فيقول : « وفى رجب من سنة ١٢٢٤ هـ أمر الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها على وضعها القديم ، وقد كان آل إلى خراب » .

---

(١) رحلة ابن بطوطة — ١ ص ٥٥

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٤٨



اللوحات



لوحه (١) الحرم المكى يتوسطه الكعبة الشريفة .

لوحه (٢) قبة السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعالاة بمكة .

لوحه (٣) مسجد الكهف بالقرب من مكة

لوحه (٤) القبة التي أقيمت في المكان الذي ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه خيمته عند هجرته إلى المدينة المنورة

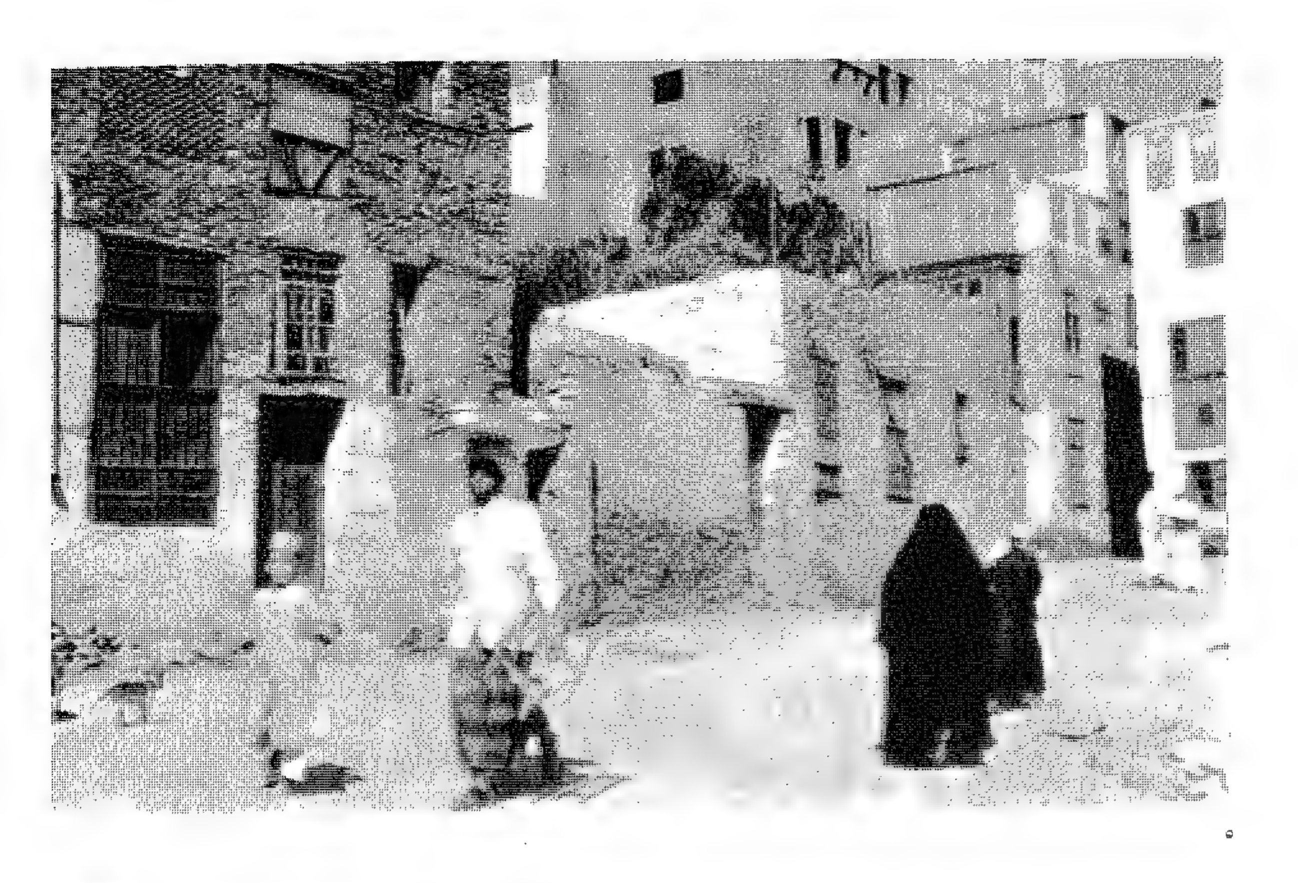




٣

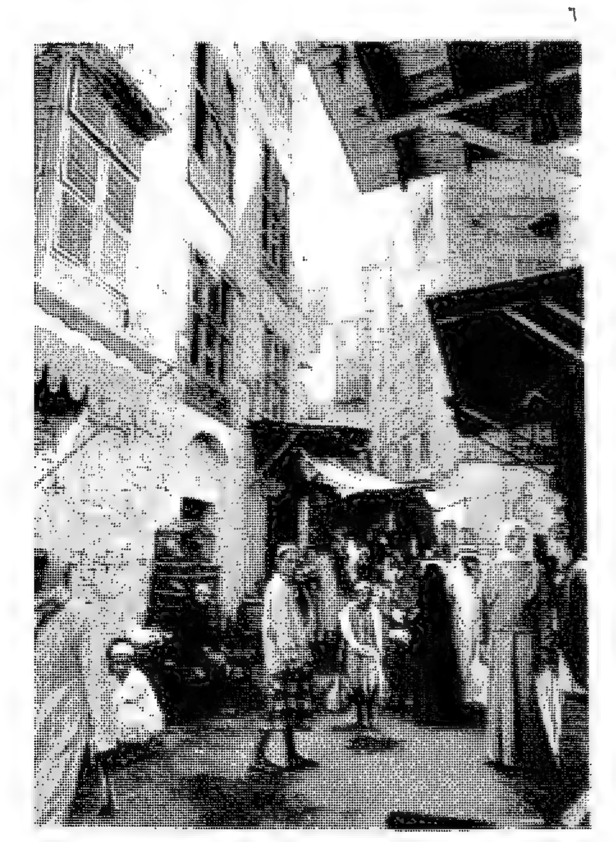
٤





٥

٦



لوحه (٥) فى هذا المكان من مكة كان يوجد المنزل الذى ولد به الرسول صلى الله عليه وسلم

لوحه (٦) فى نهاية هذا الشارع كان يوجد منزل الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة .

لوحه (٧) أحد شوارع مكة قديمة



٧

٨



لوحه (٨) فى هذا
الشارع كان يوجد حانوت
سيدنا أبو بكر الصديق

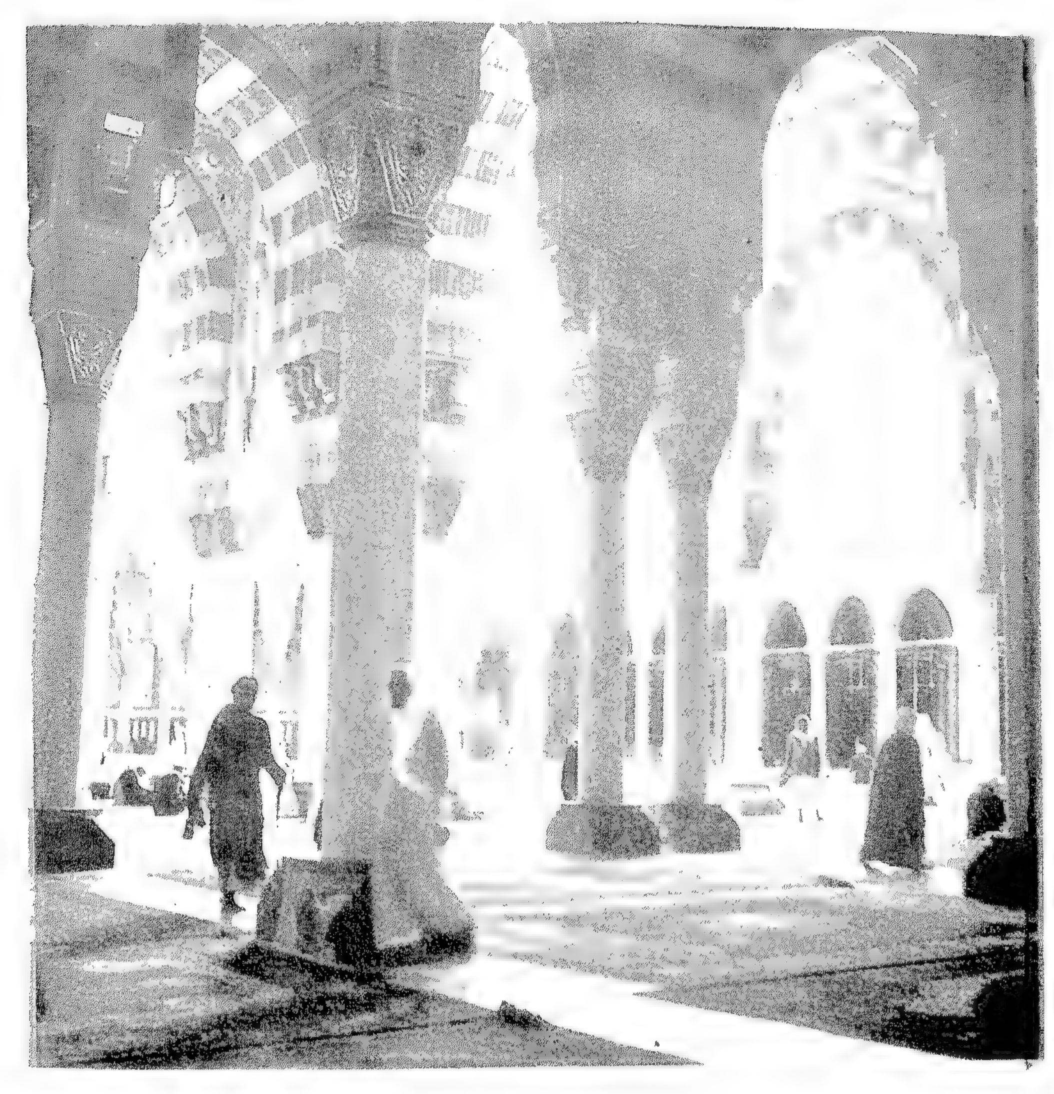


لوحه (٩) ضواحى المدينة المنورة . وفى الوسط قبة ثنية الوداع

لوحه (١٠) المدينة المنورة وفى الجانب الأيمن الحرم النبوى .

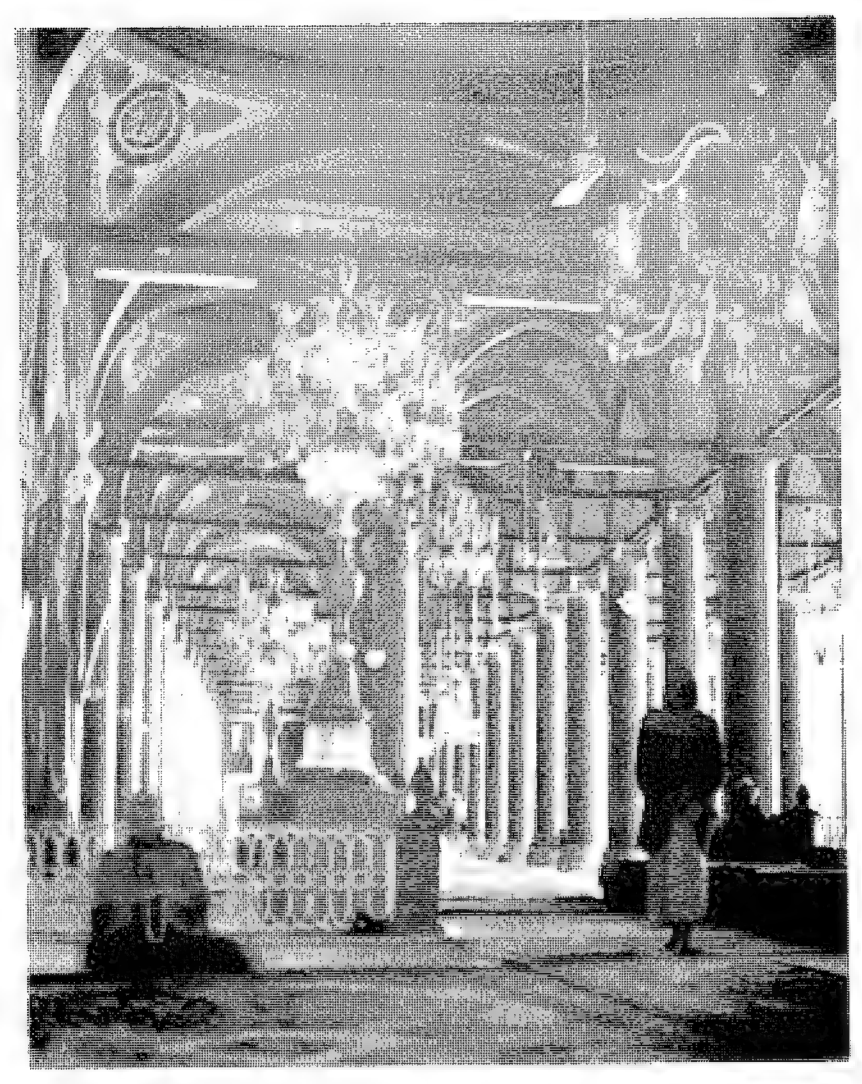


لوحه (١١) القبة الخضراء بمسجد الرسول



١٢

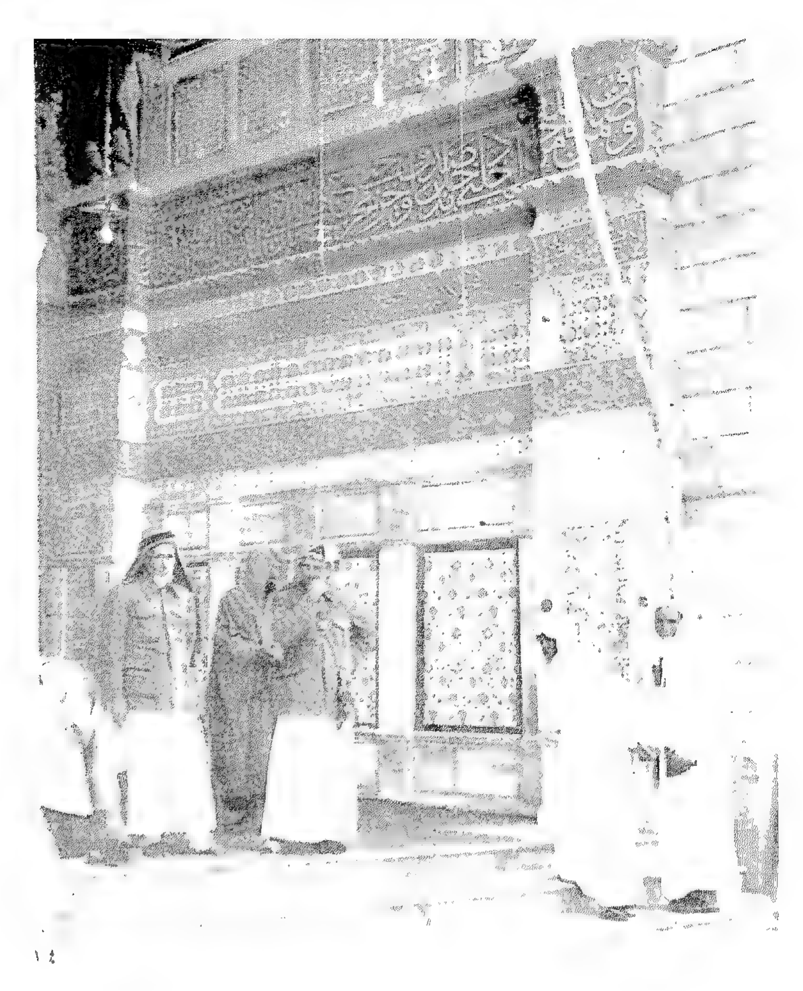
لوحه (١٢) الإيوان الغربي للحرم النبوي



١٣

لوحه (١٣) إيوان القبلة للحرم النبوى

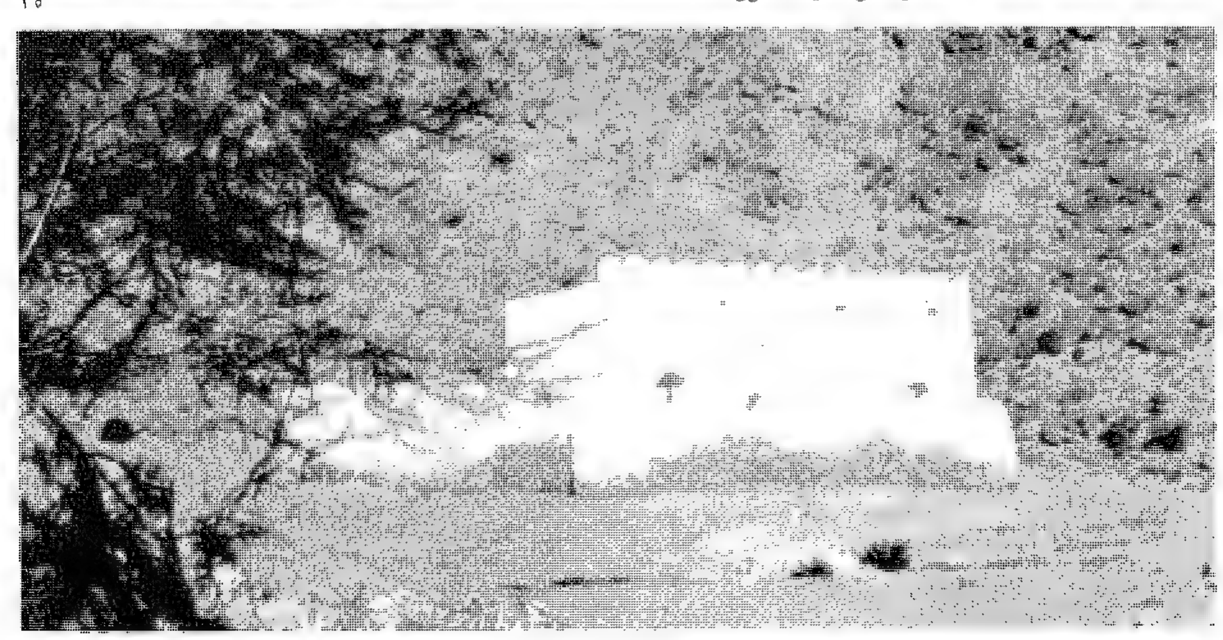
لوحه (١٤) بلاطات من القاشانى التركى تغشى جدران المسجد النبوى



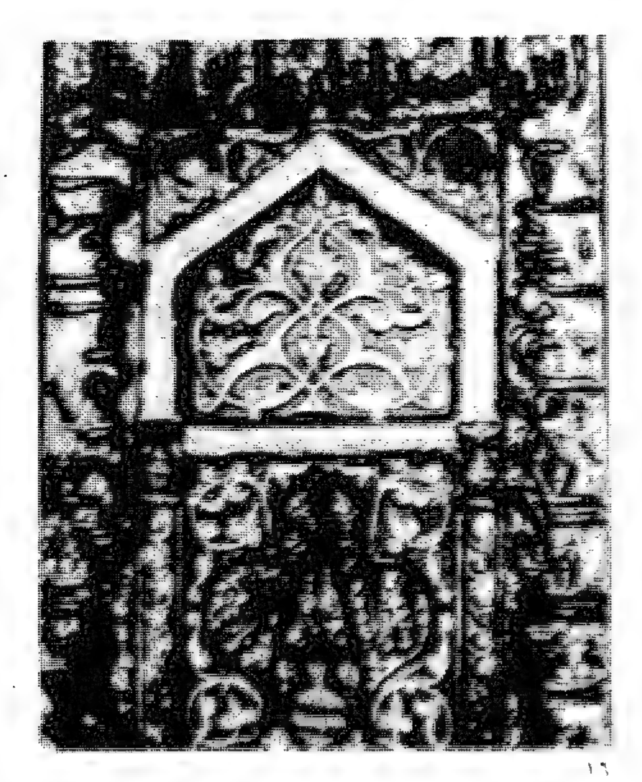
١٤

لوحه (١٥) سور مسجد قباء بالقرب من المدينة المنورة

١٥

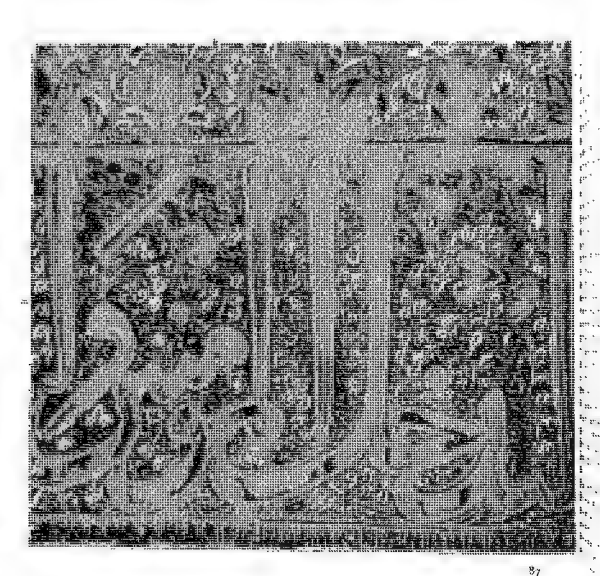


لوحه (١٦) محراب من القاشانى الصفوى بالمسجد النبوى



١٦

١٧



لوحه (١٧) بلاطات من الخزف الصفوى بالمسجد النبوى

لوجه (١٨) مشكاة من صناعة مصر فى القرن ١٣ مهداه للمسجد



١٨

١٩

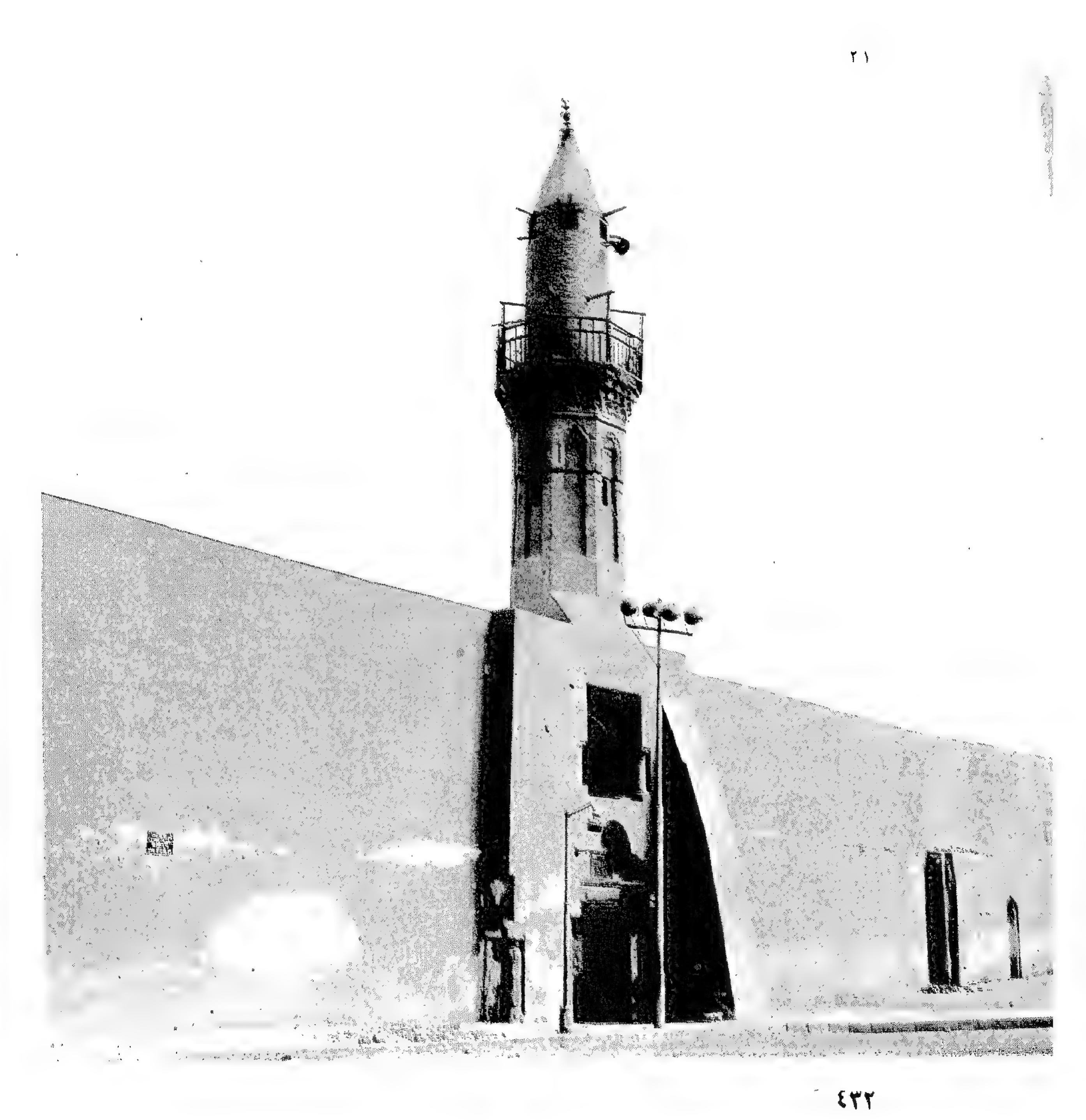
لوحه (١٩) سجادة صلاة تركية من صناعة كولا فى القرن

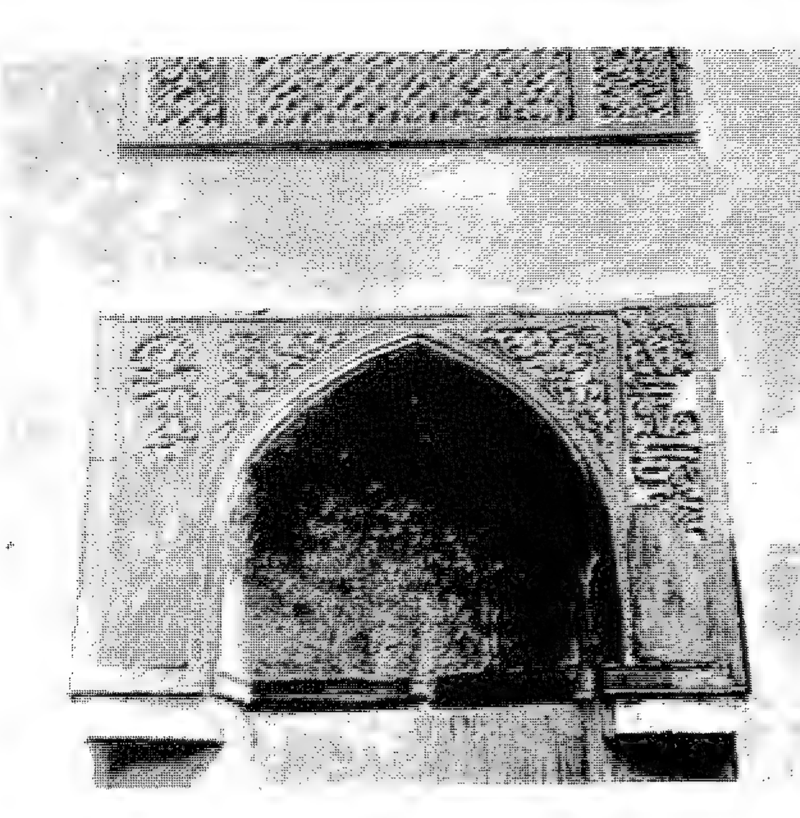
لوحة (٢٠) بوابة قصر الشمع (حصن بابليون)



لوحه (٢١) الواجهة الغربية لجامع عمرو بن العاص

٢١





لوحه (٢٢) الباب المتوسط بالواجهة
الغربية لجامع عمرو

لوحه (٢٣) المحراب الخارجي لجامع عمرو الذى بناه الأمير سلار .



لوحه (٢٤) مبنى بيت المال يتوسط صحن جامع عمرو

لوحه (٢٥) واجهة إيوان القبلة لجامع عمرو



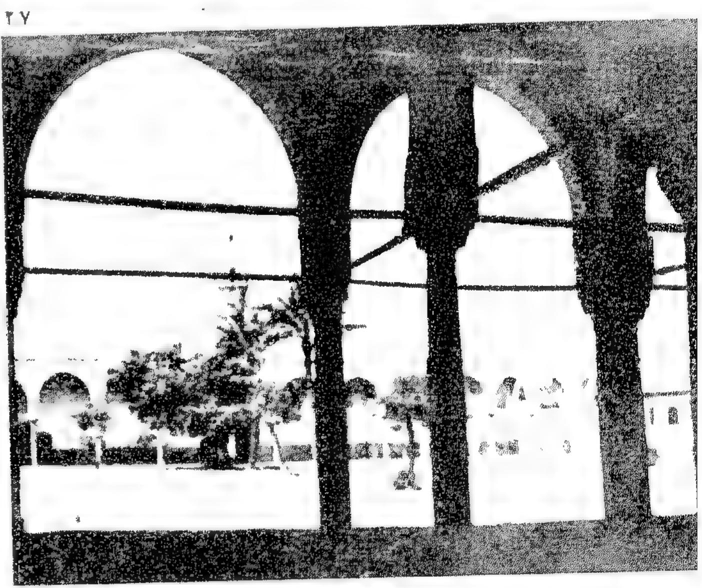


٢٦



لوحه (٢٦) دخل إيوان القبلة

٢٧



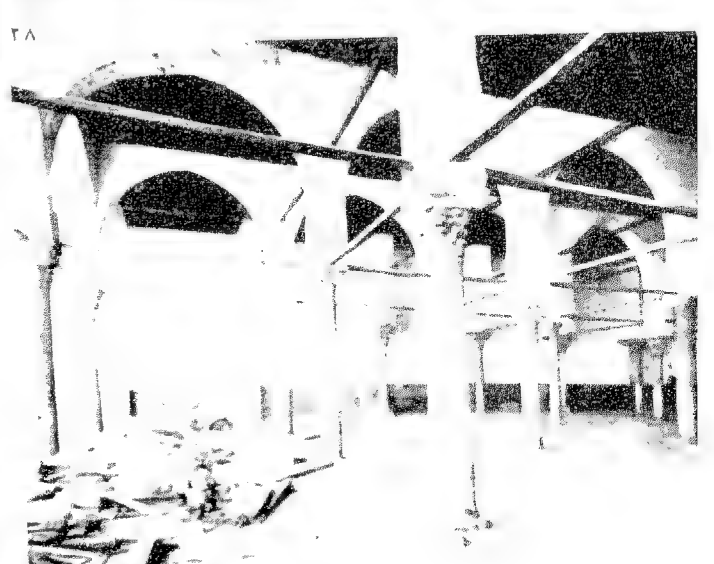
لوحه (٢٧) واجهة الإيوان الغربي

٢٩



لوحه (٢٩) الضريح المنسوب لسيدى عبد الله بن عمرو بن العاص .

٢٨



لوحه (٢٨) بقايا الأروقه . . القديمة فى إيوان القبلة

مسجد عبد الله الخزرجي
الأمين الثاني

لوحه (٣٠) الواجهة الشمالية لجامع سيدى شبل الأسود

لوحه (٣١) القبة القديمة الفاطمية لسيدى شبل الأسود

لوحه (٣٢) مئذنة جامع سيدى شبل الأسود

لوحه (٣٣) ضريح سيدى شبل الأسود

لوحه (٣٤) محراب ومنبر سيدى شبل الأسود

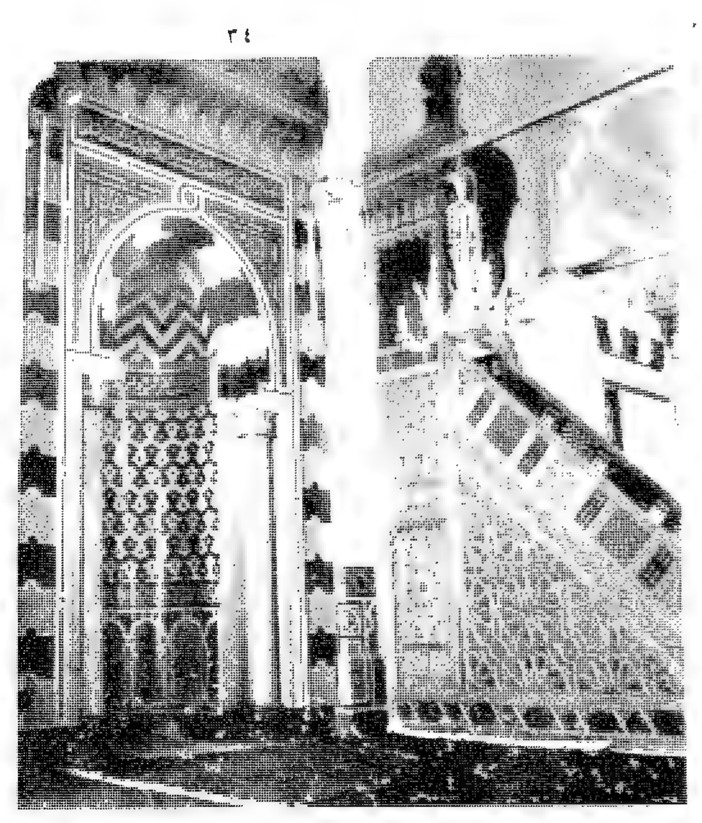


٣٢

٣٣

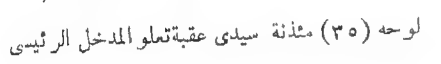


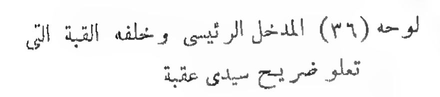
٣٤



٣٦ ٣٥

٣٧


لوحه (٣٥) مئذنة سيدى عقبة تعلو المدخل الرئيسى


لوحه (٣٦) المدخل الرئيسى وخلفه القبة التى تعلو ضريح سيدى عقبة



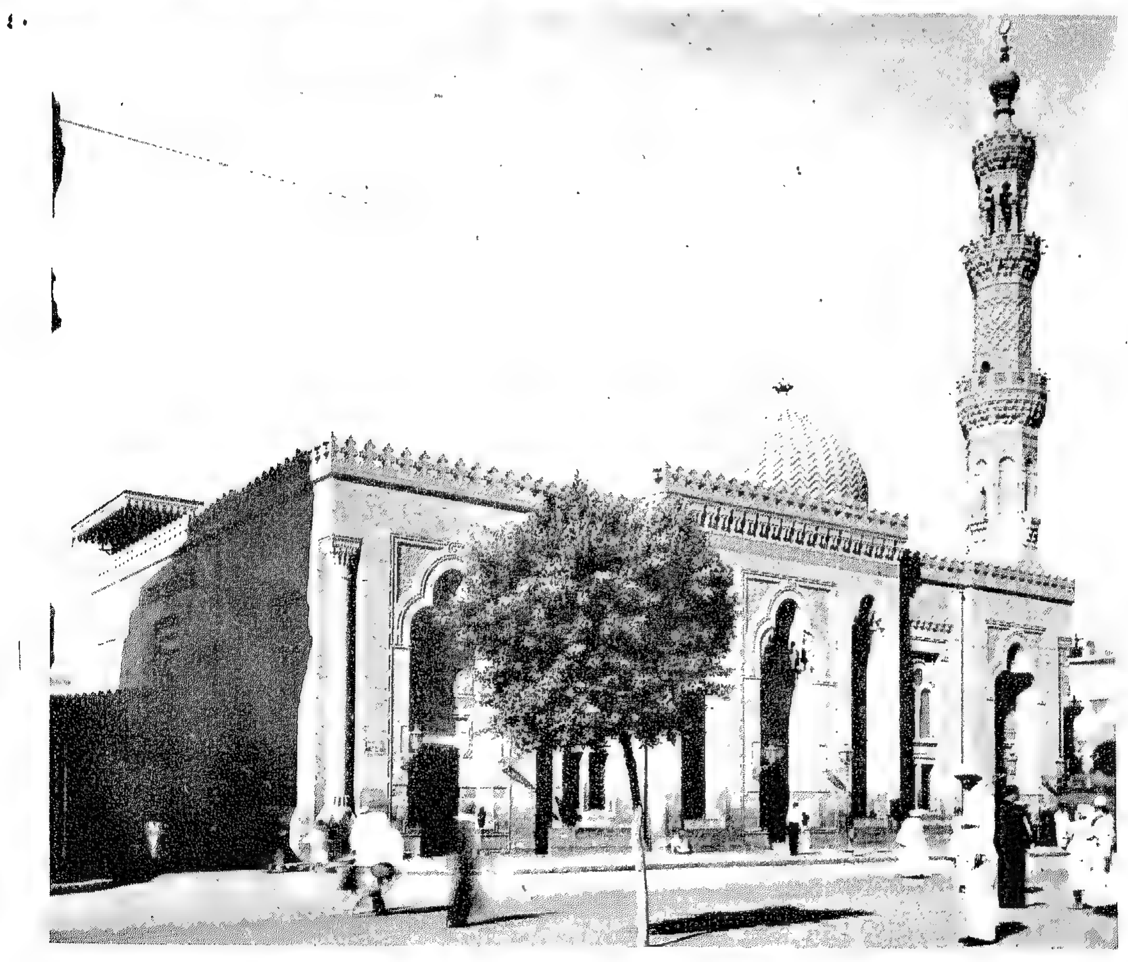
لوحه (٣٧) ضريح سيدى عقبه بن عامر الجهنى.

لوحه (٣٨) الواجهة الغربية لجامع السيدة زينب



٣٩

٤٠



لوحه (٣٩) مئذنة جامع السيدة زينب

لوحه (٤٠) الواجهة الشمالية لجامع السيدة زينب .

لوحه (٤١) مئذنة وقبة السيدة زينب .

لوحة (٤٢) مقصورة السيدة زينب .

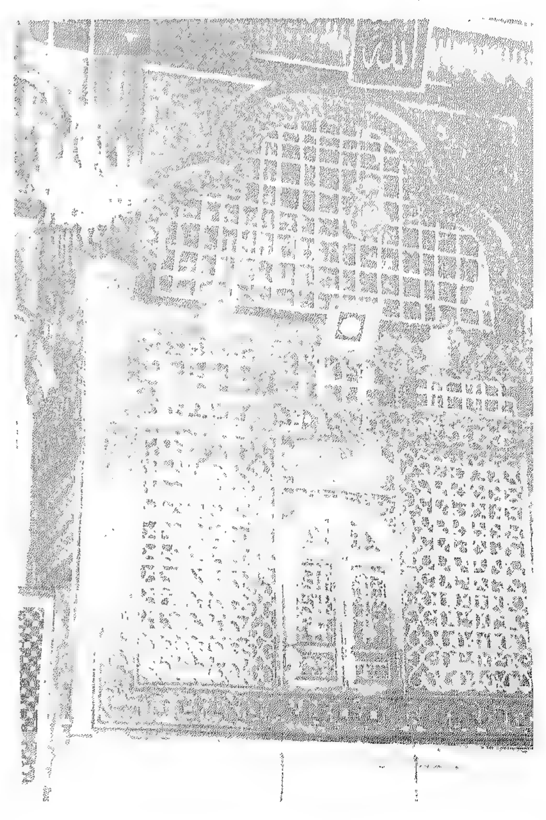
لوحه (٤٣) الرواق الفاصل بين الجامع القديم والإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب.

٤١

٤٣



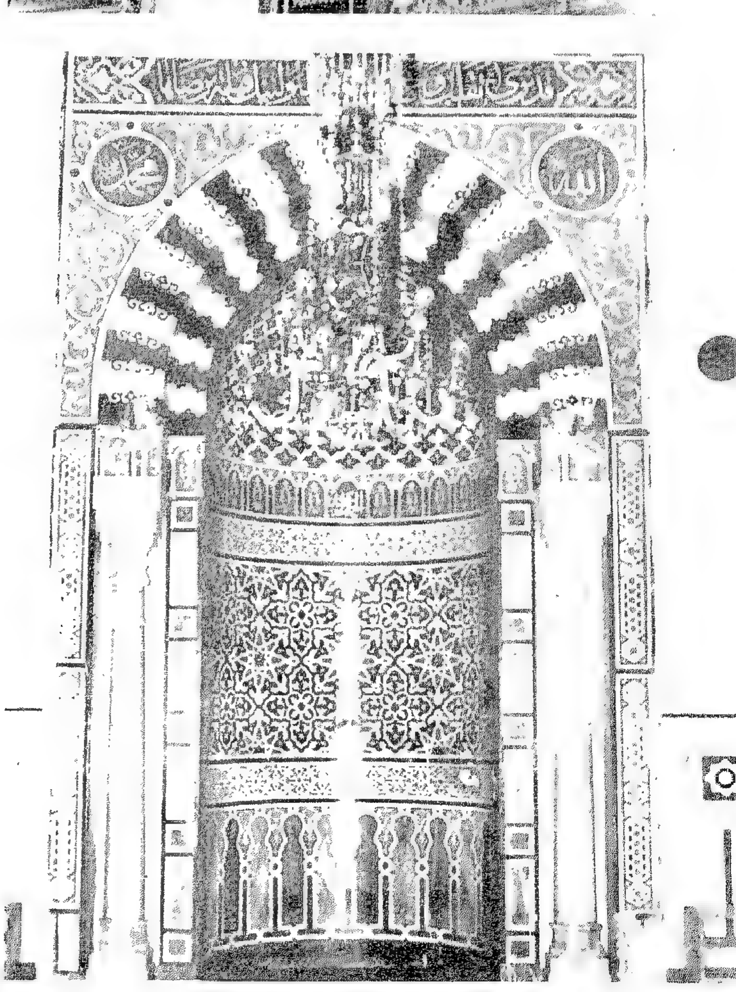
٤٢



لوحه (٤٤) منبر ومحراب جامع السيدة زينب القديم

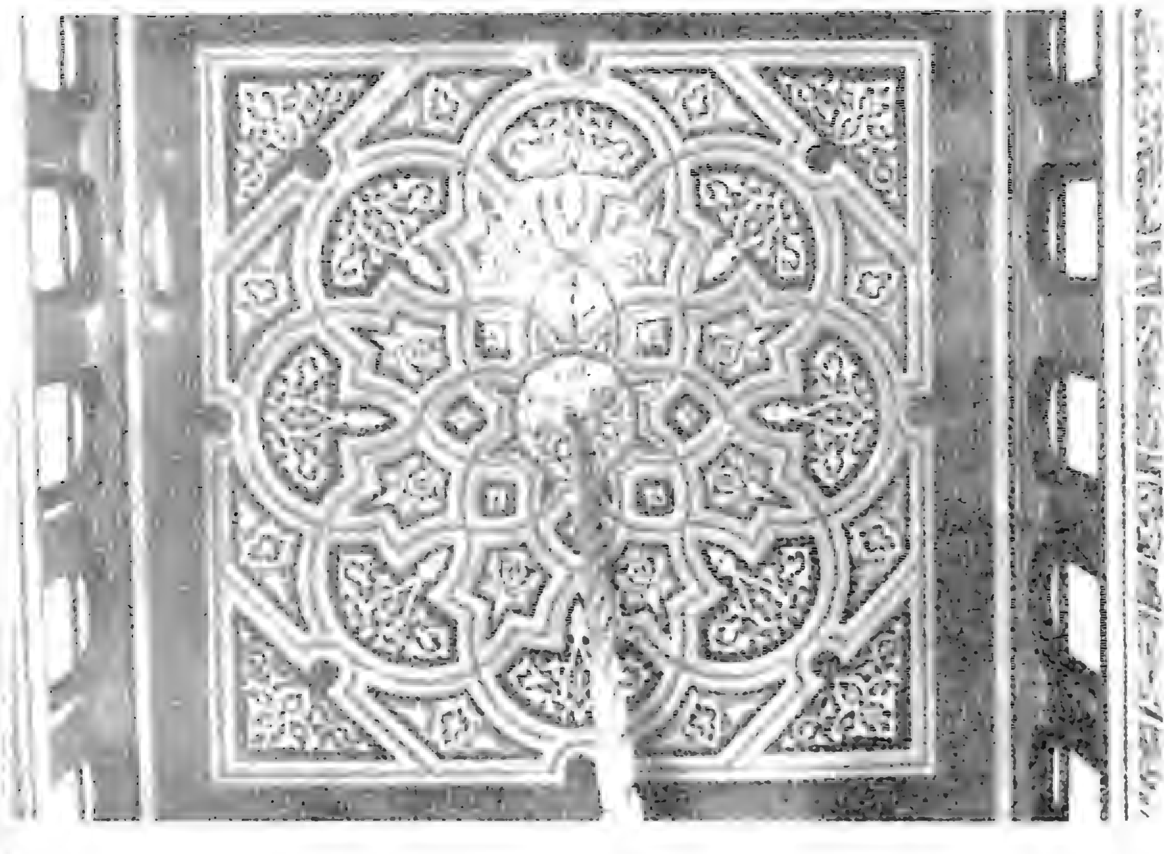
لوحه (٤٥) محراب الإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب

لوحه (٤٦) سقف المنور (الشخشيخة) بجامع السيدة زينب وقد زخرف بالرسوم الزيتية



لوحه (٤٧) القبة وما يحيط بها من مقرنصات فى أركانها بجامع السيدة زينب.

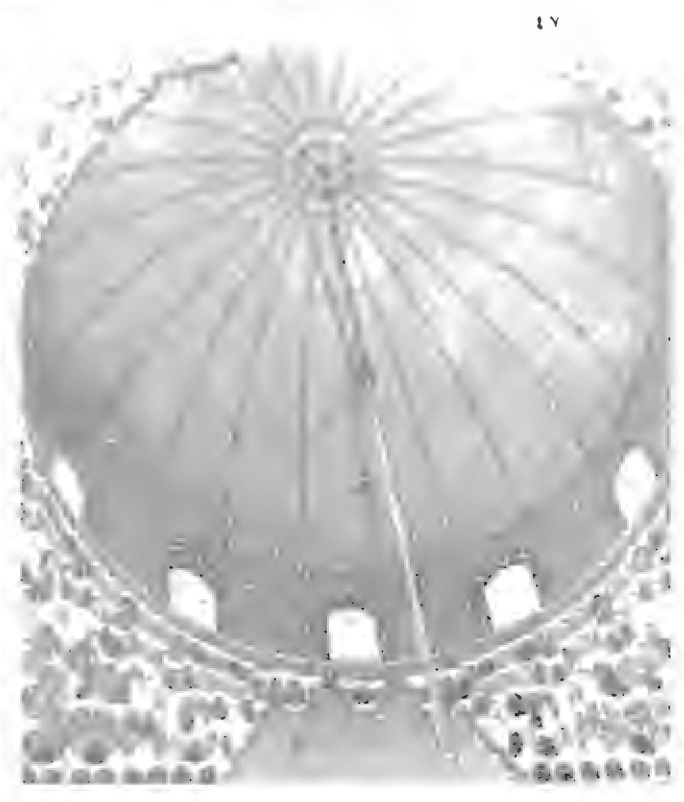
لوحه (٤٨) القبة وما تحويه من زخارف ورسوم فى الجزء المضاف بجامع السيدة زينب

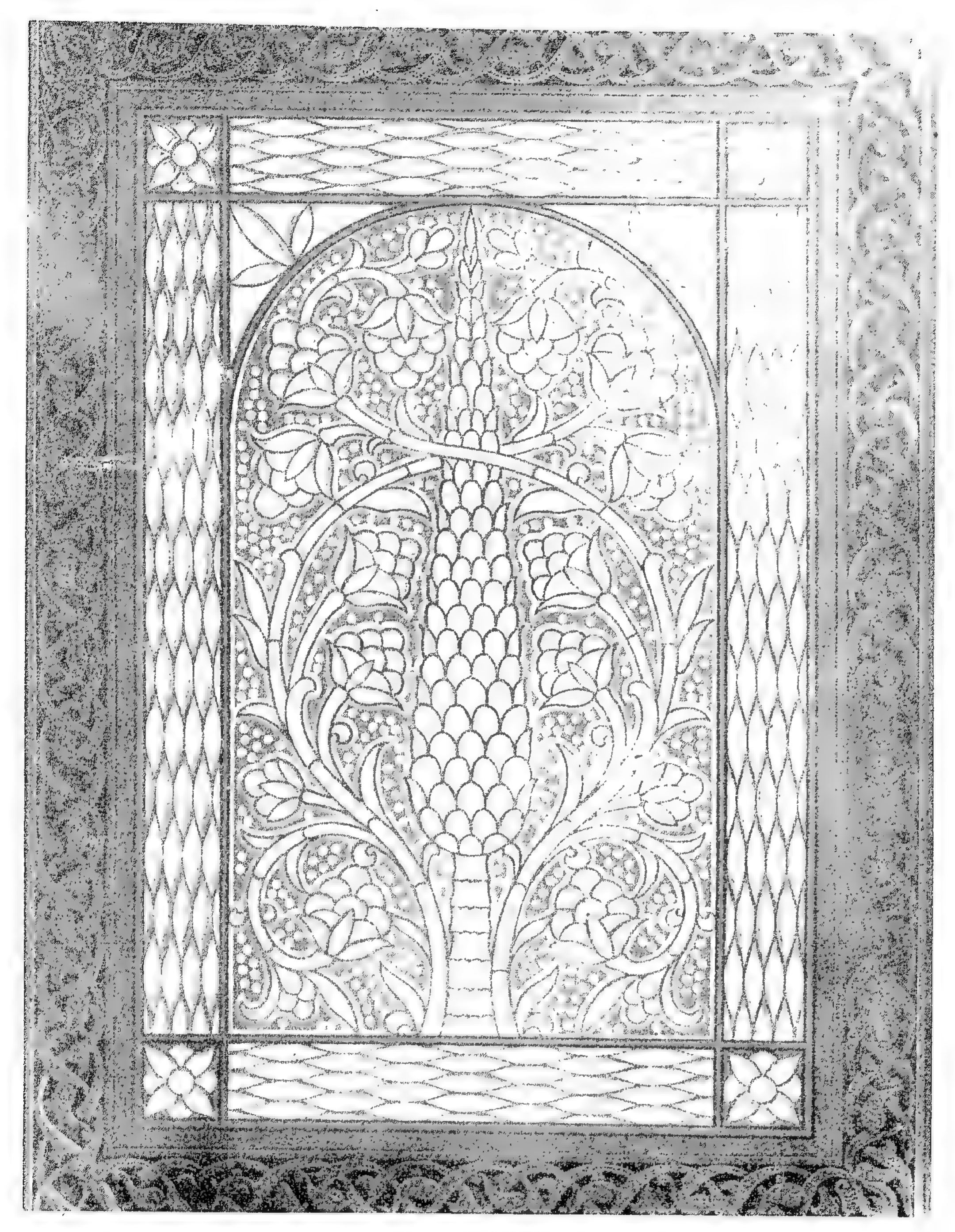


٤٦

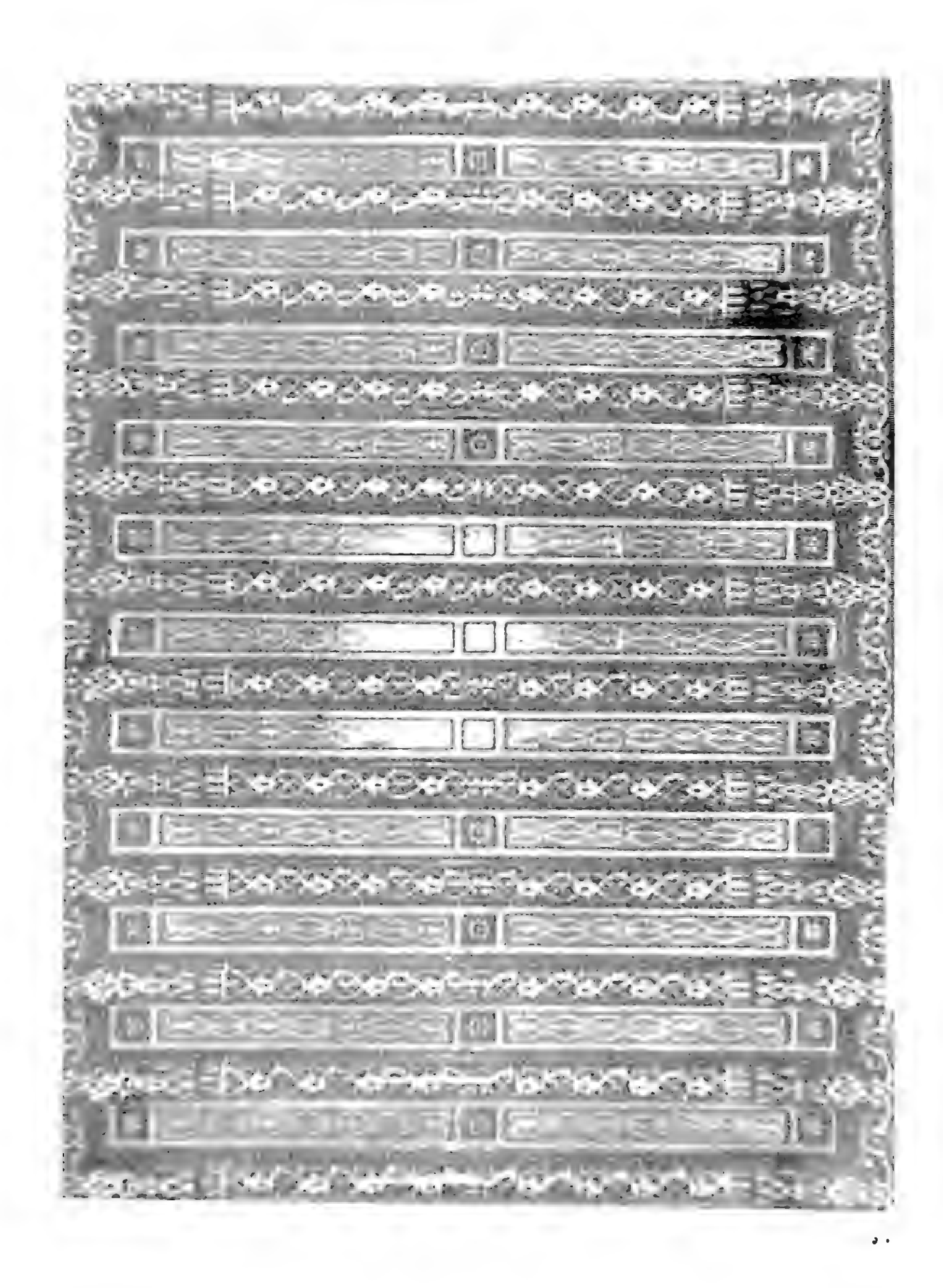
٤٨

٤٧

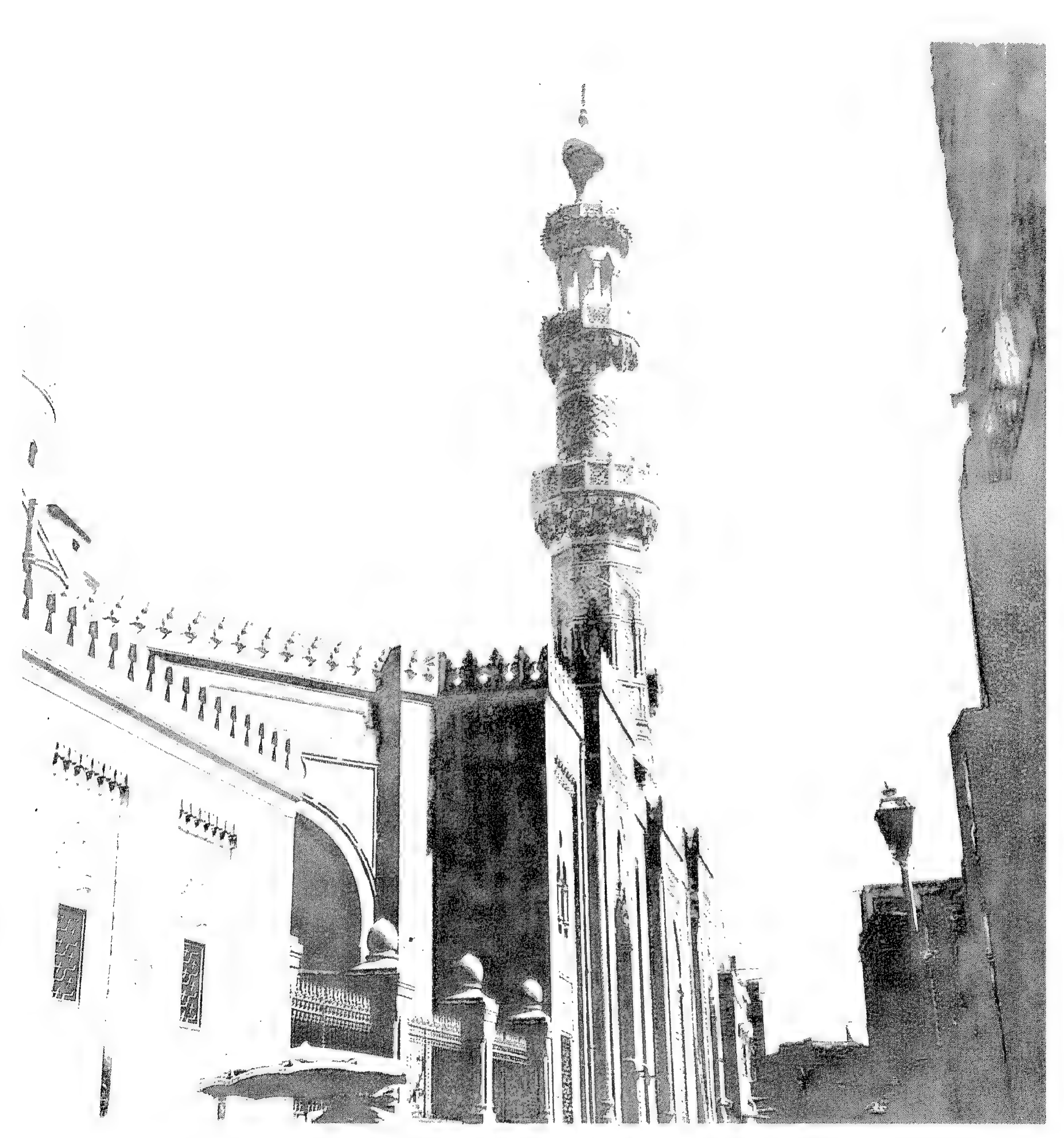




٤٩

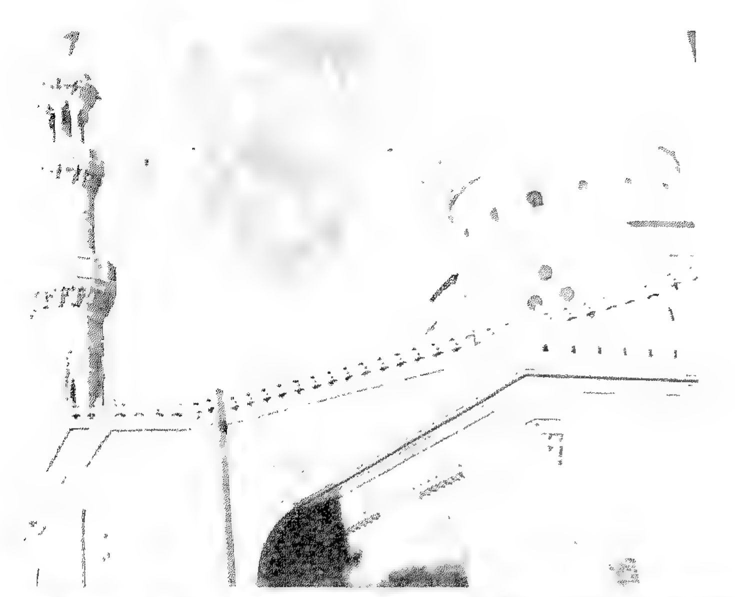


٥٠



لوحه (٥١) الواجهة الجنوبية لجامع السيدة سكينة يعلوها المئذنة

٥١



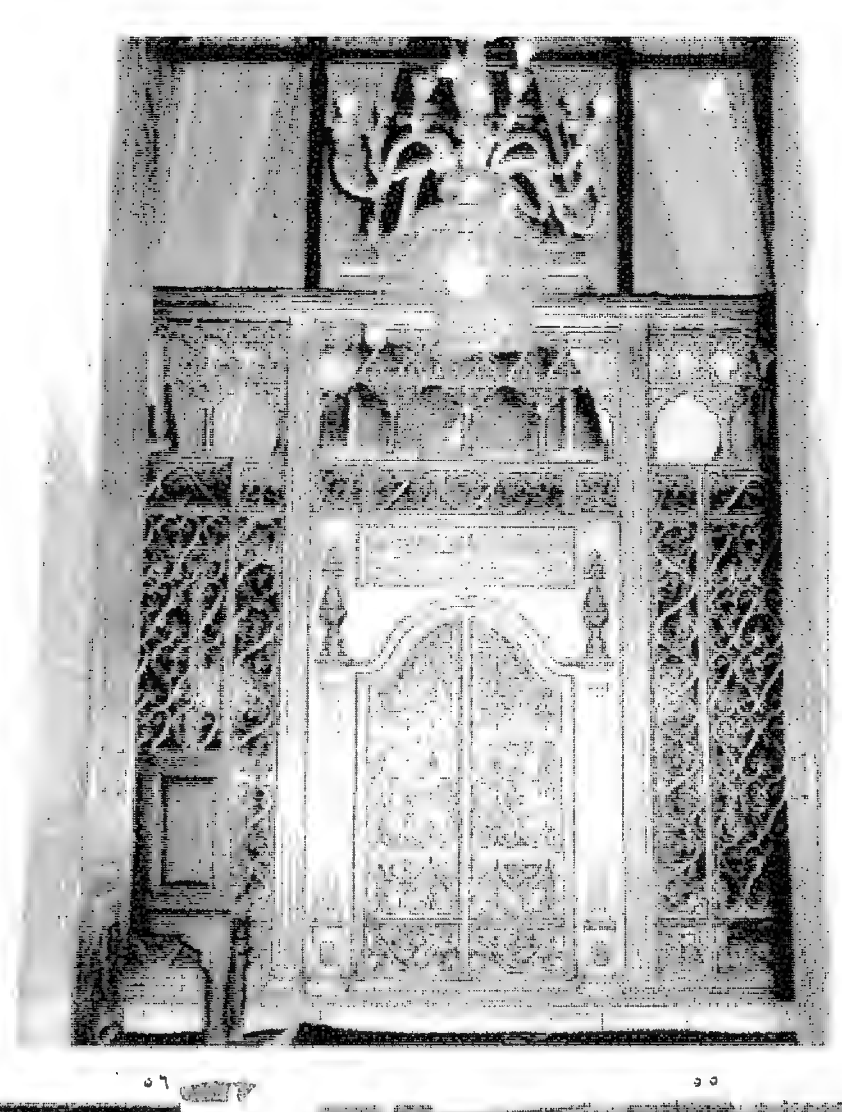
لوحه (٥٢) مئذنة وقبة جامع السيدة سكينة .

لوحه (٥٣) محراب السيدة سكينة

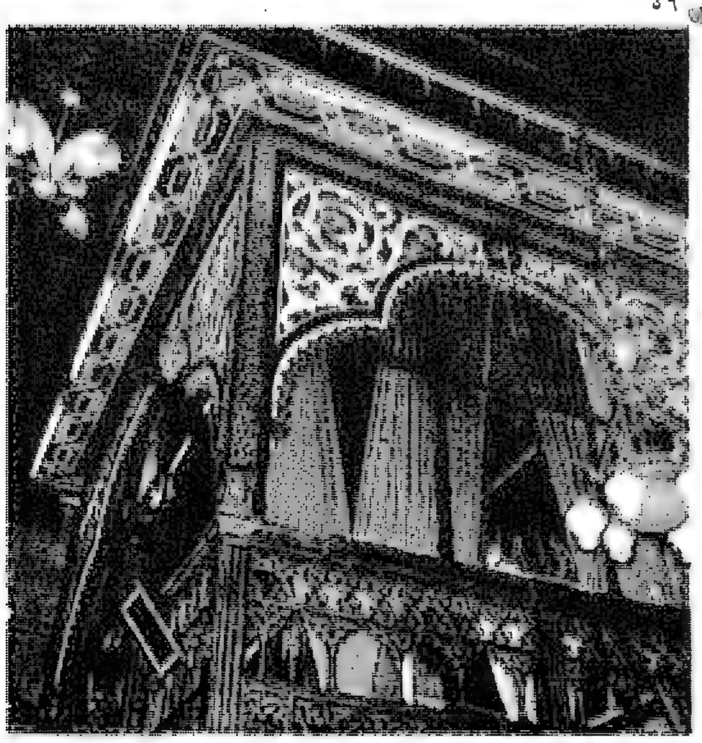
لوحه (٥٤) باب مقصورة السيدة سكينة

لوحه (٥٥) مقصورة السيده سكينة

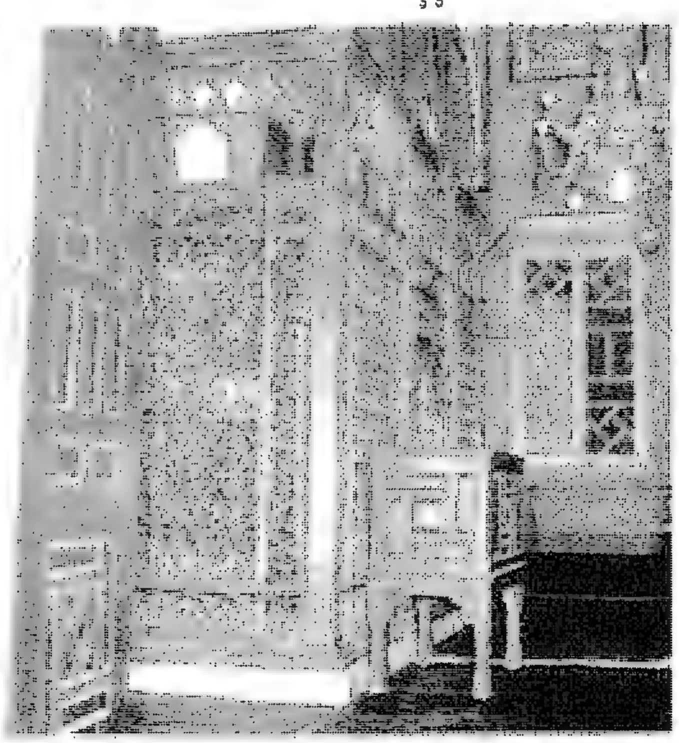
لوحه (٥٦) الجزء العلوى من مقصورة السيدة سكينة



٥٤



٥٦



٥٥



لوحة (٥٧) مشهد الإمام زيد بن زين العابدين

لوحة (٥٨) قبة ومئذنة مشهد زين بن زين العابدين



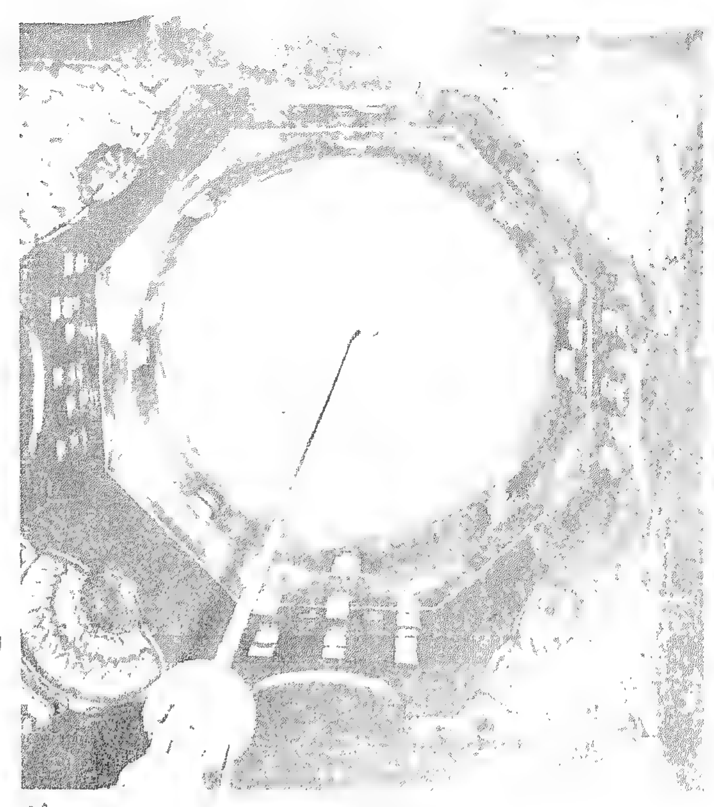
لوحه (٥٩) قبة مسجد التبر من الداخل

لوحه (٦٠) الواجهة الجنوبية لمسجد التبر حيث يوجد المدخل الرئيسي

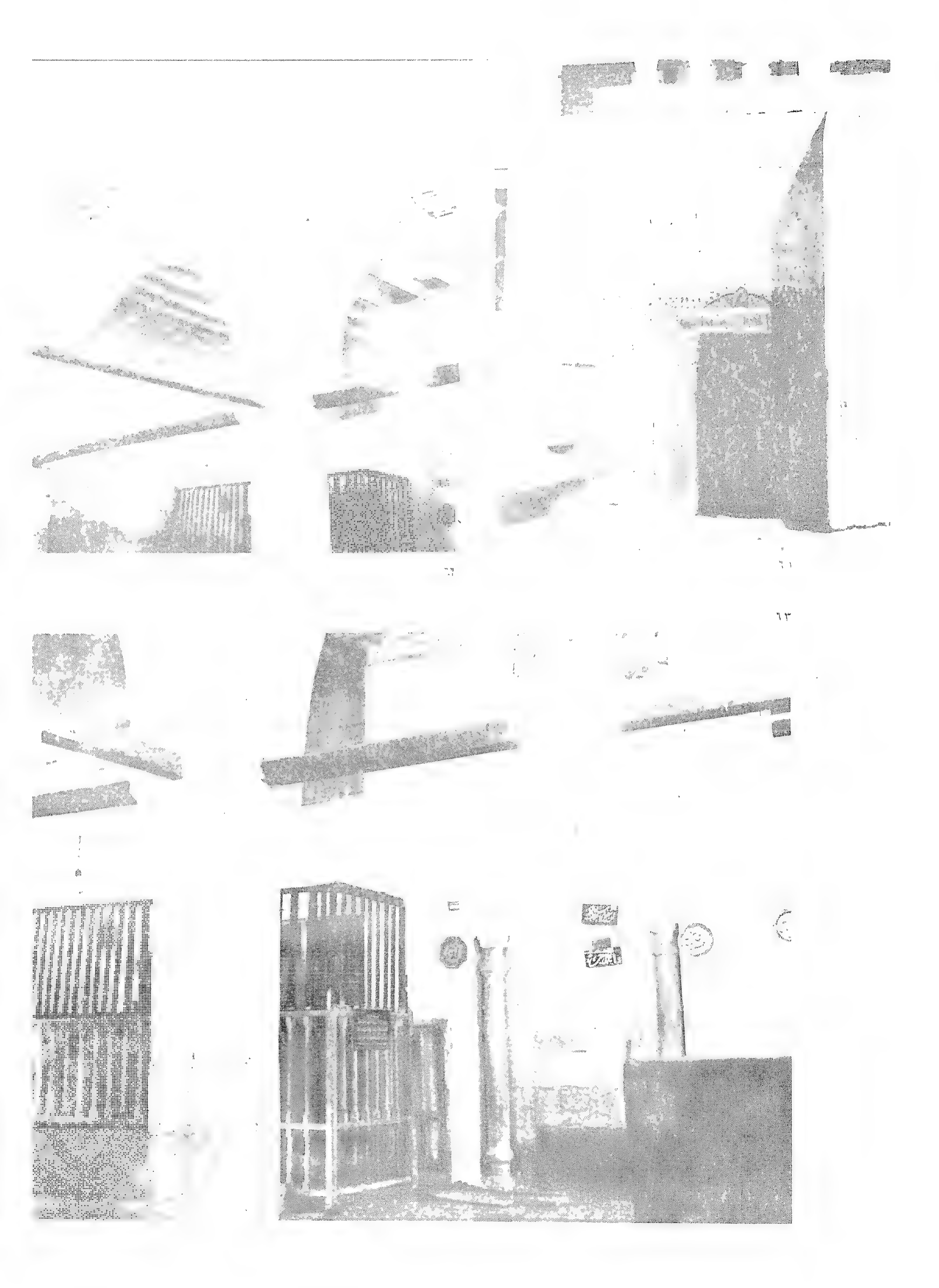
لوحه (٦١) مدخل مسجد السيدة رابعة العدوية .

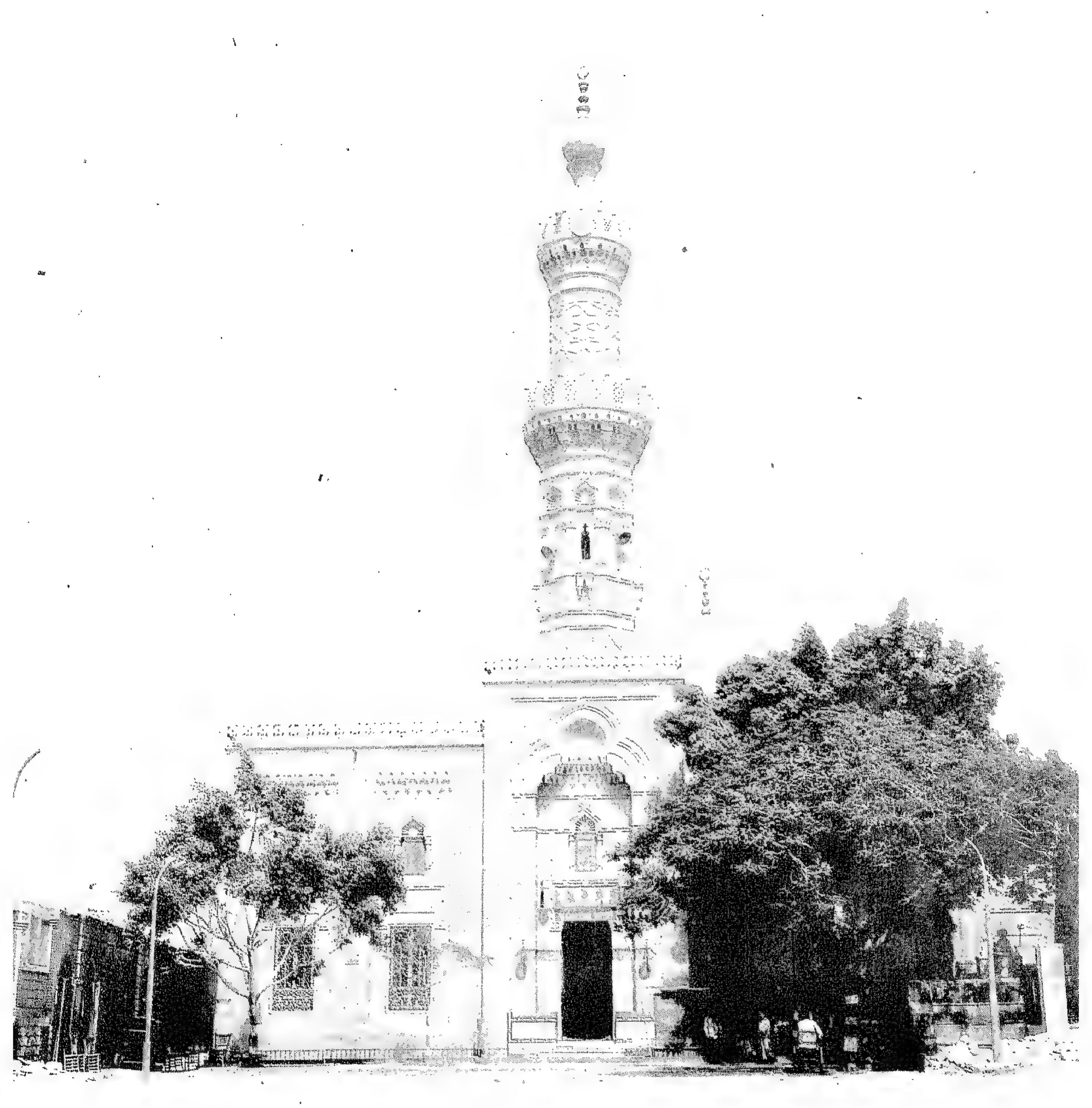
لوحه (٦٢) مسجد السيدة رابعة العدوية من الداخل

لوحه (٦٣) محراب ومقصورة السيدة رابعة العدوية



٥٩

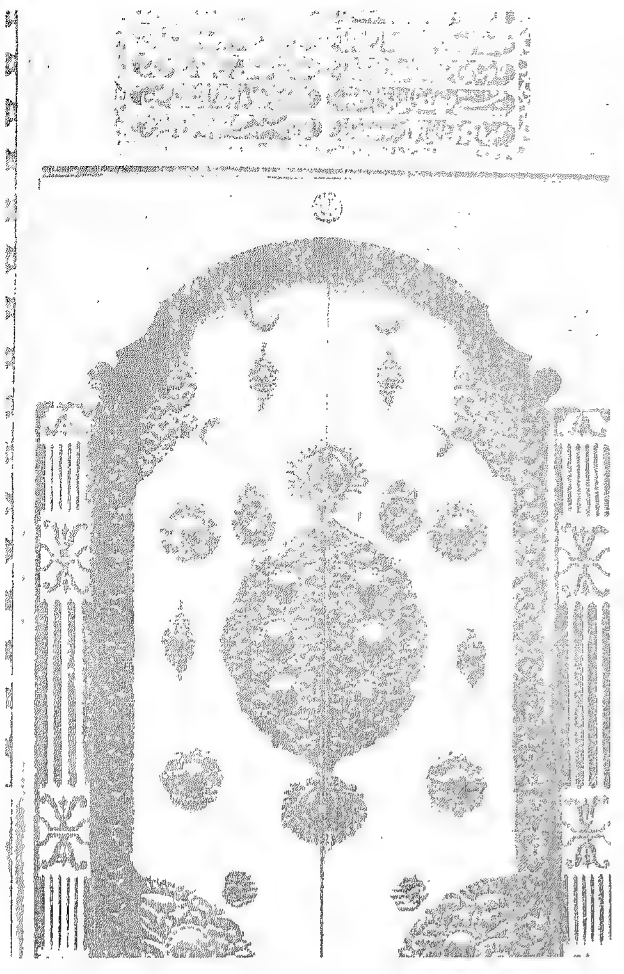




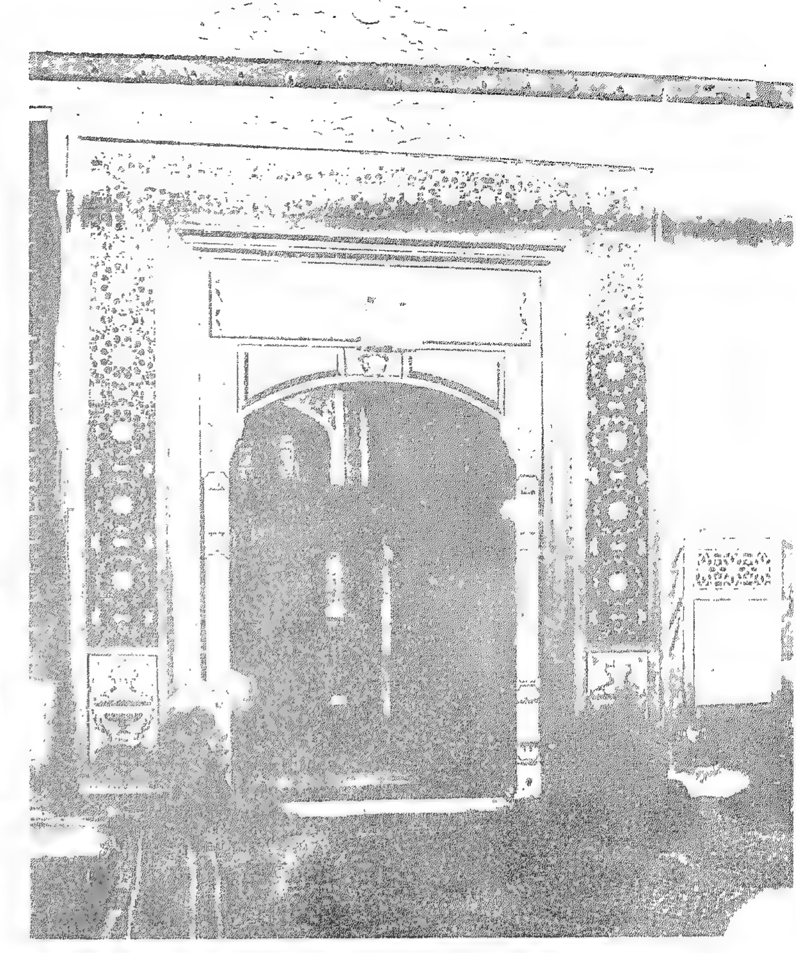
لوحه (٦٤) الواجهة الرئيسية لجامع السيدة نفيسة بالضلع الغربي

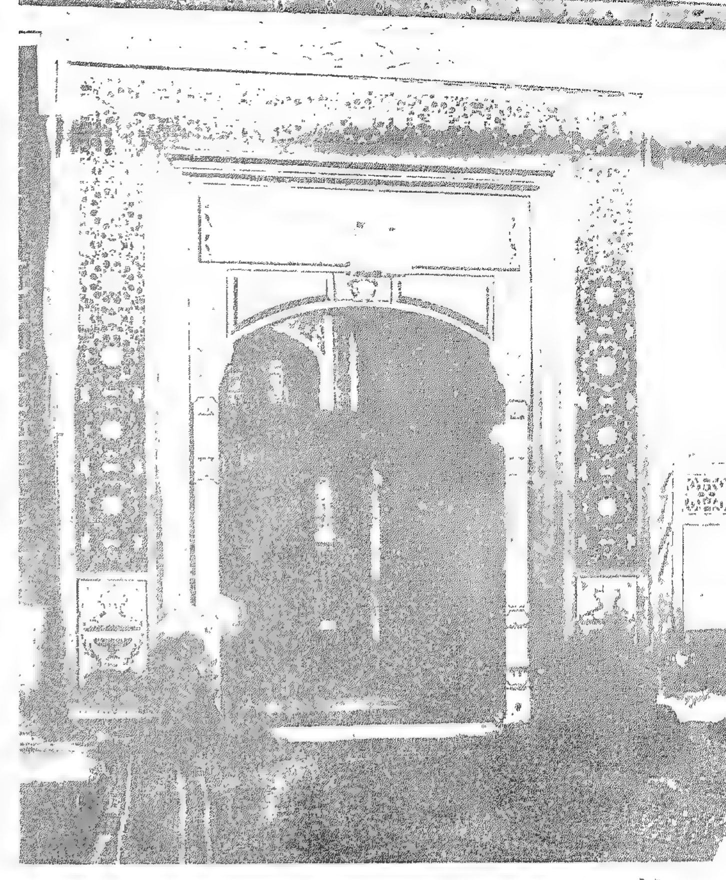


لوحه (٦٥) الباب الخارجى القديم لمسجد السيدة نفيسة

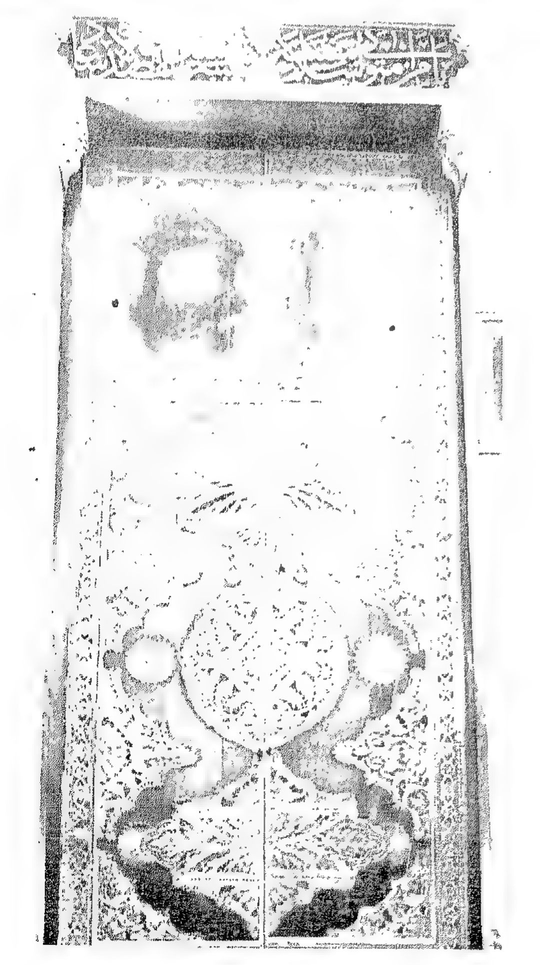


٦٧

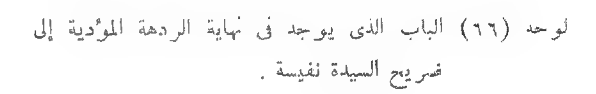




٦٦



٦٨



لوحه (٦٦) الباب الذى يوجد فى نهاية الردهة المؤدية إلى ضريح السيدة نفيسة .

لوحه (٦٧) باب ضريح السيدة نفيسة .

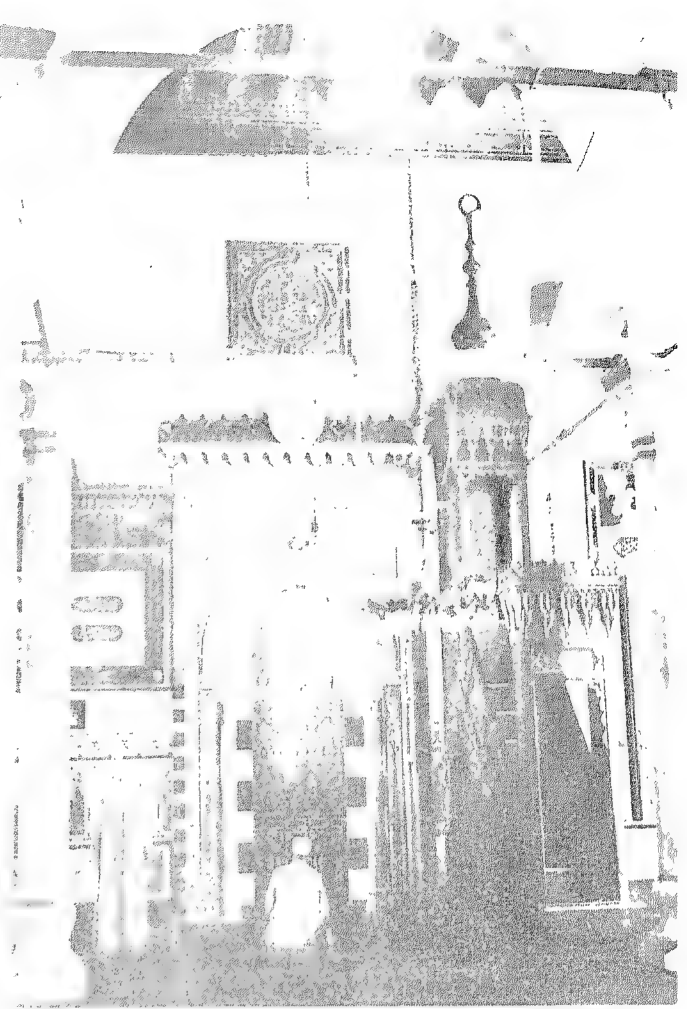
لوحه (٦٨) باب ثان لضريح السيدة نفيسة

لوحه (٦٩) مقصورة السيدة نفيسة

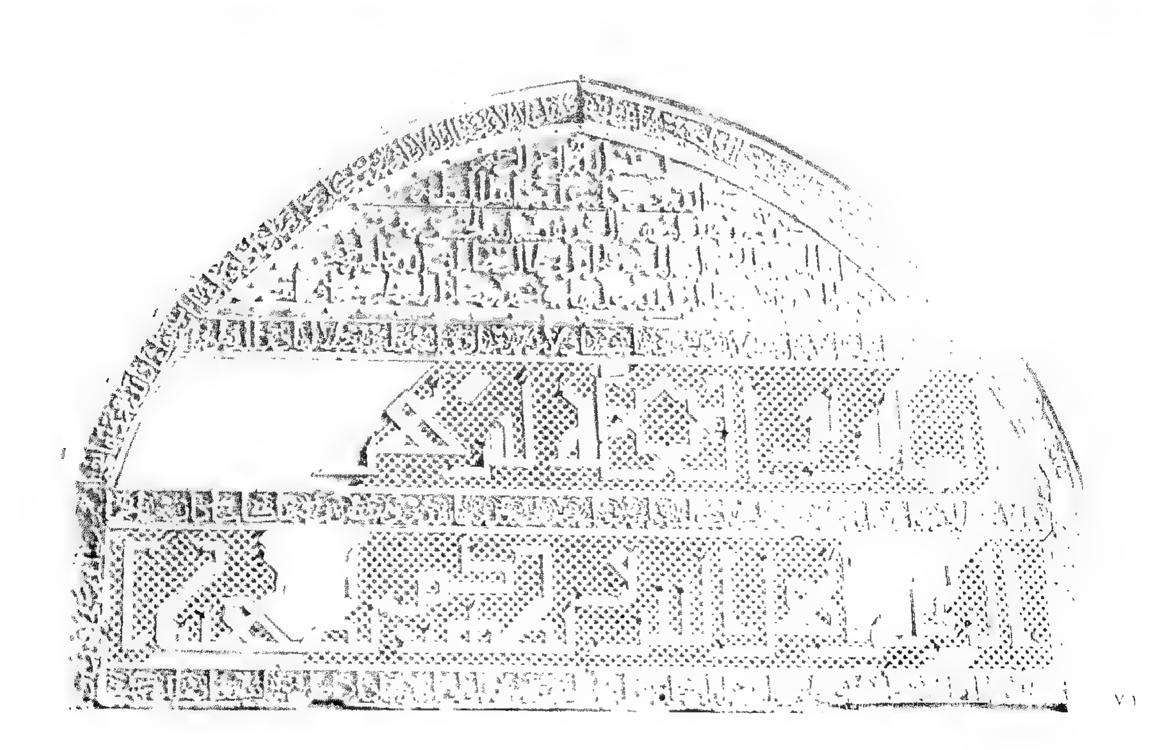
لوحه (٧٠) محراب جامع السيدة نفيسة

لوحه (٧١) جزء من خشب الخرط الذى كان يملأ مقصورة السيدة نفيسة



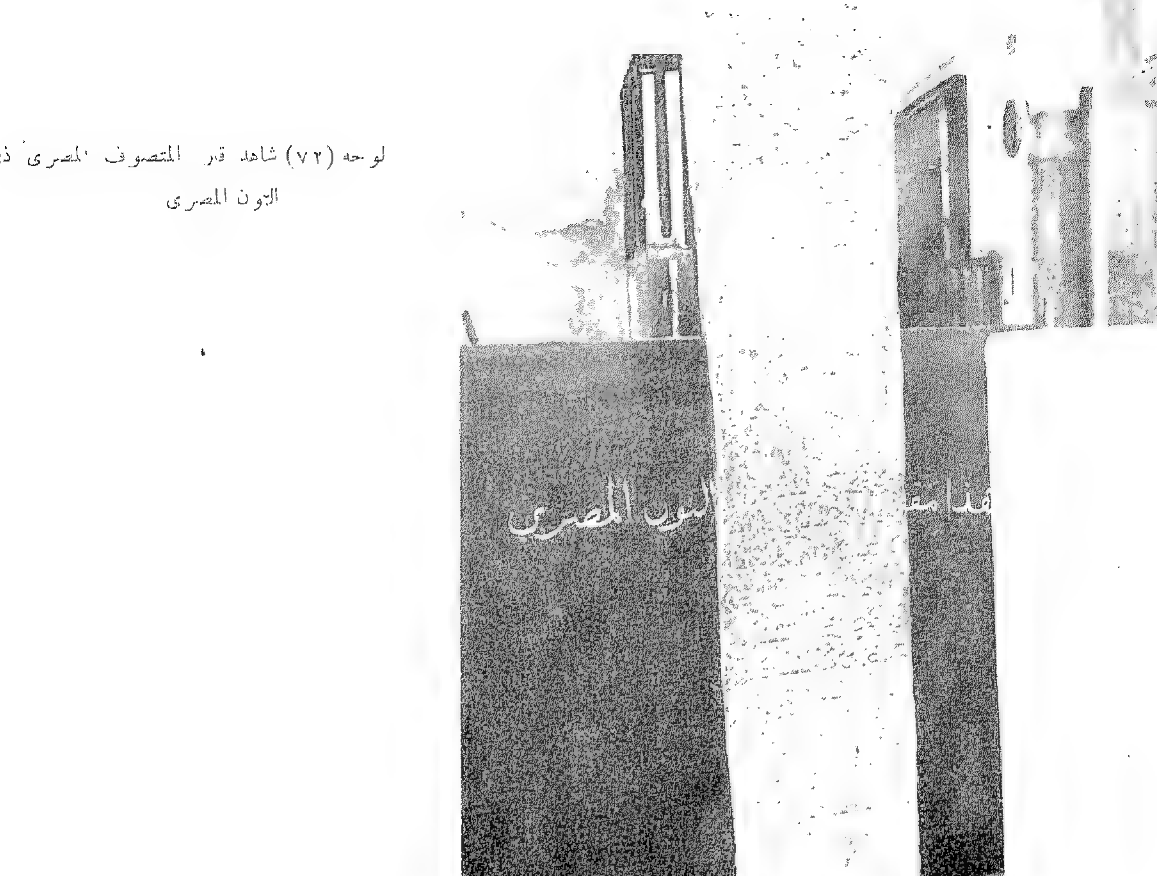


٧٠

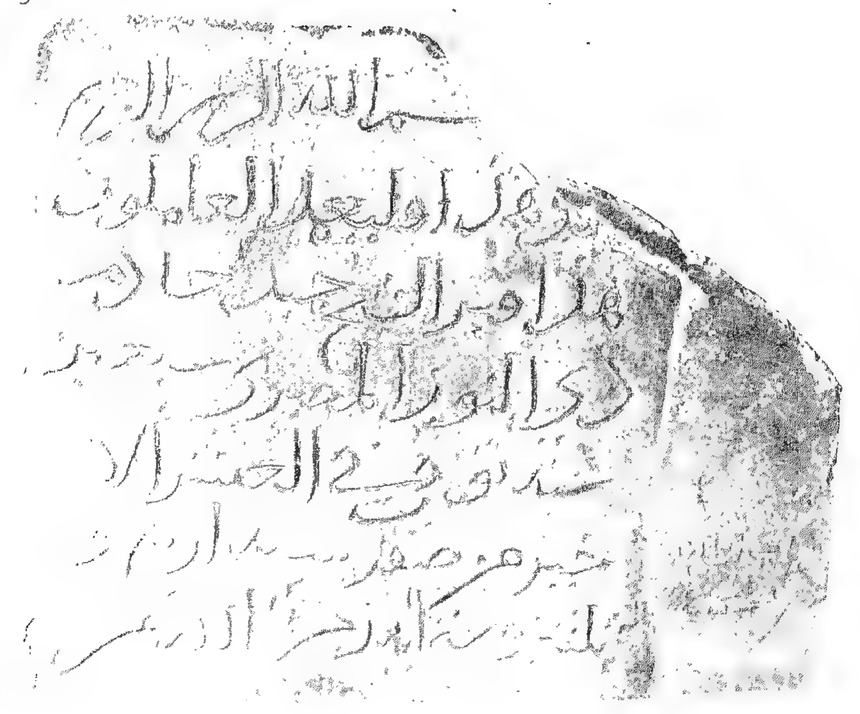


٧١

لوحه (٧٢) شاهد قبر المتصوف المصرى ذى النون المصرى

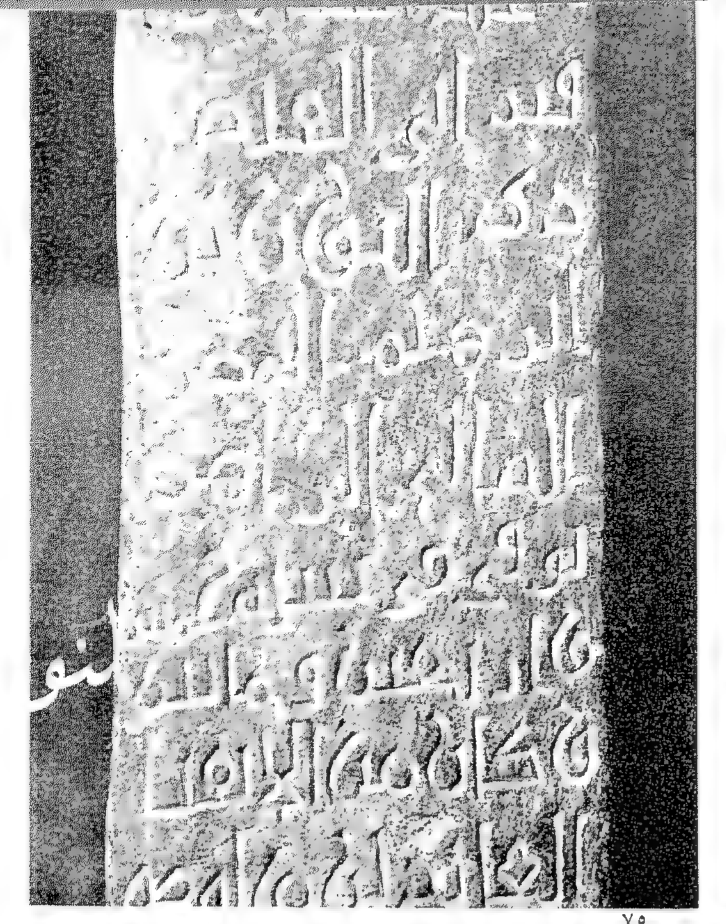


لوحه (٧٣) شاهد قبر خادم مسجد وضريح ذى النون المصرى فى القرن (٧) هـ





٧٤



٧٥



٧٦

لوحه(٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦)أجزاء مفصلة من شاهد قبر ذى النون المصرى

لوحه (٧٧) حى جامع ابن طولون

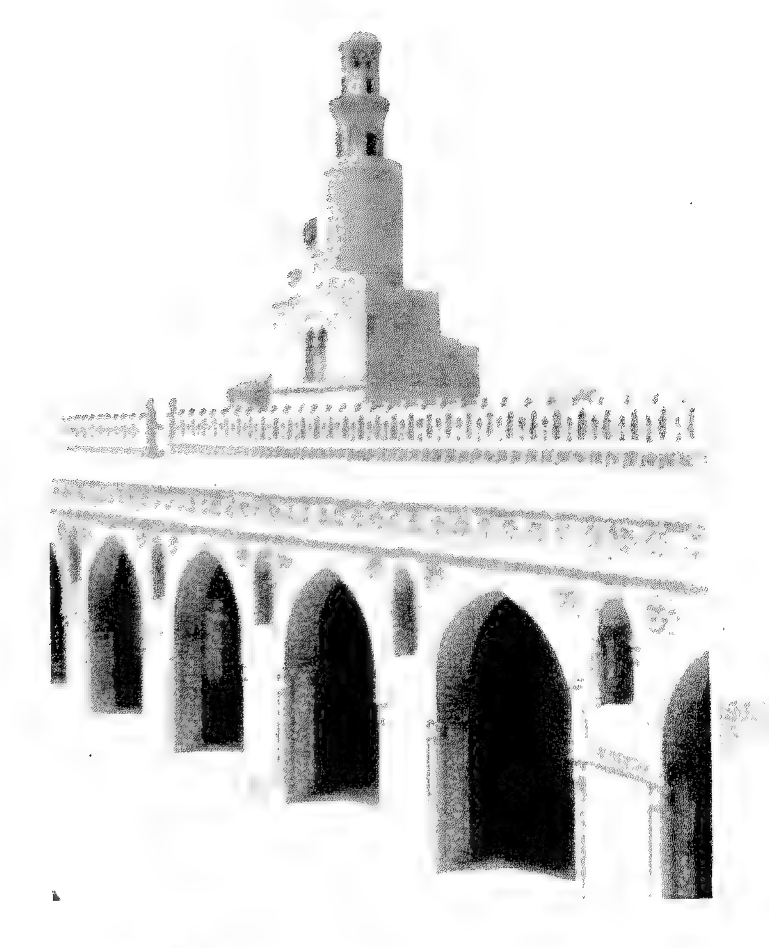
لوحه (٧٨) مئذنة جامع ابن طولون

لوحه (٧٩) جامع ابن طولون يتوسط مدينة القطائع

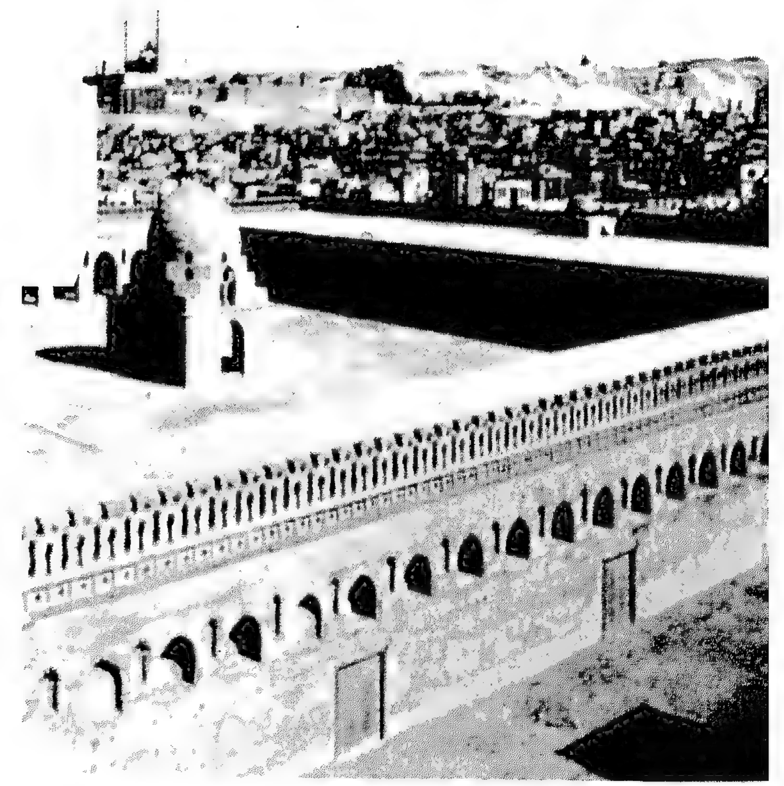
٧٧



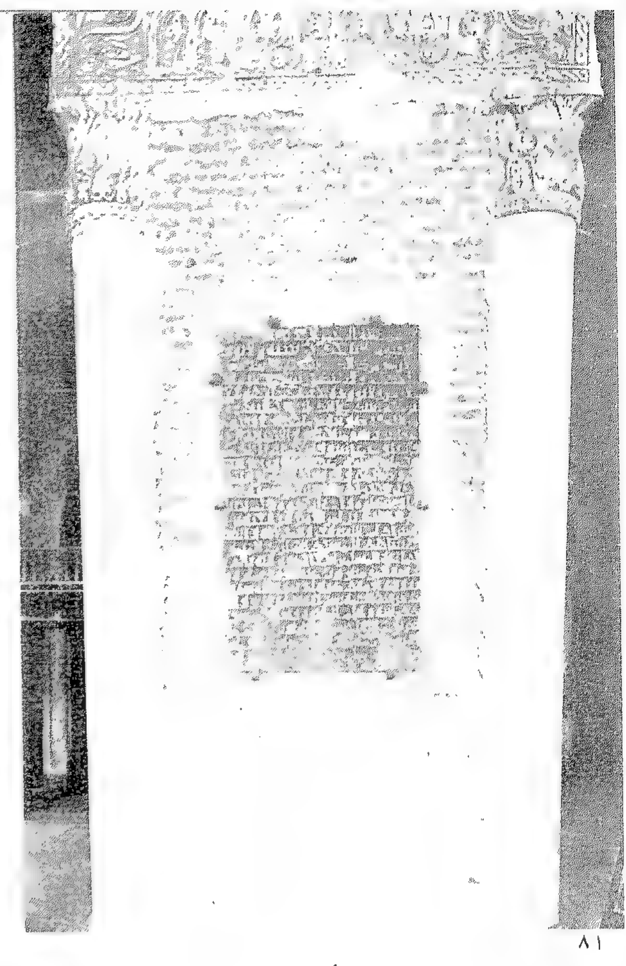
٧٨



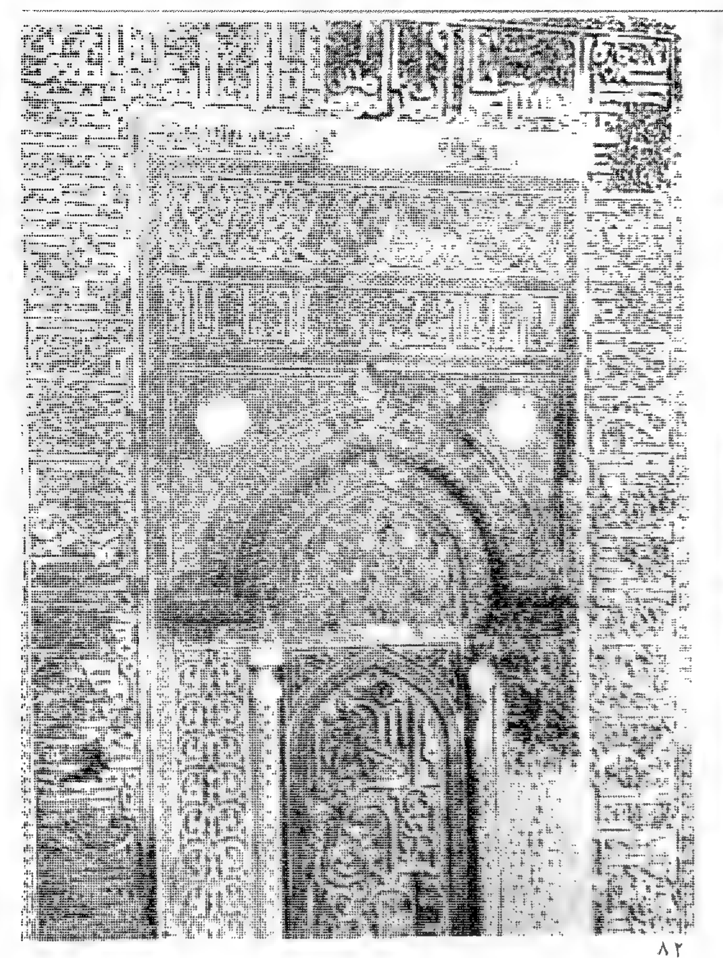
٧٩

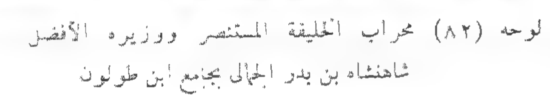






لوحه (٨١) اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون

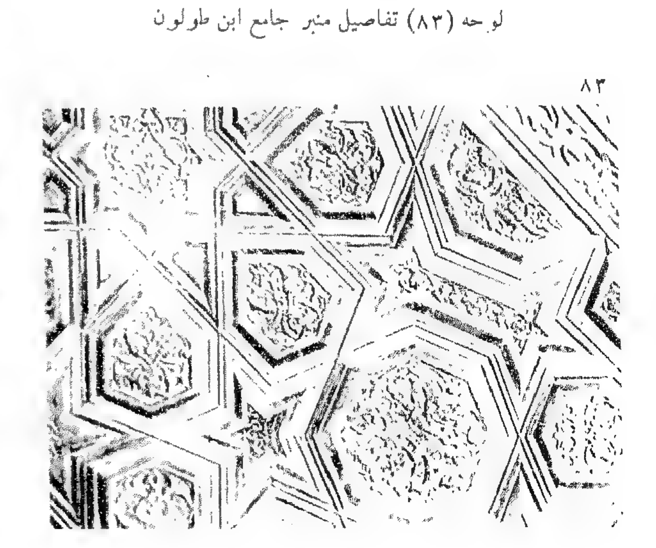


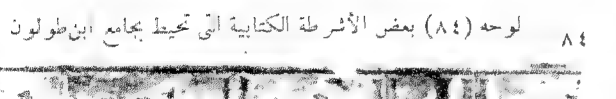


لوحه (٨٢) محراب الخليفة المستنصر ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بجامع ابن طولون

لوحه (٨٠) رواق القبلة لجامع ابن طولون وقد ظهر به المنبر والمحراب

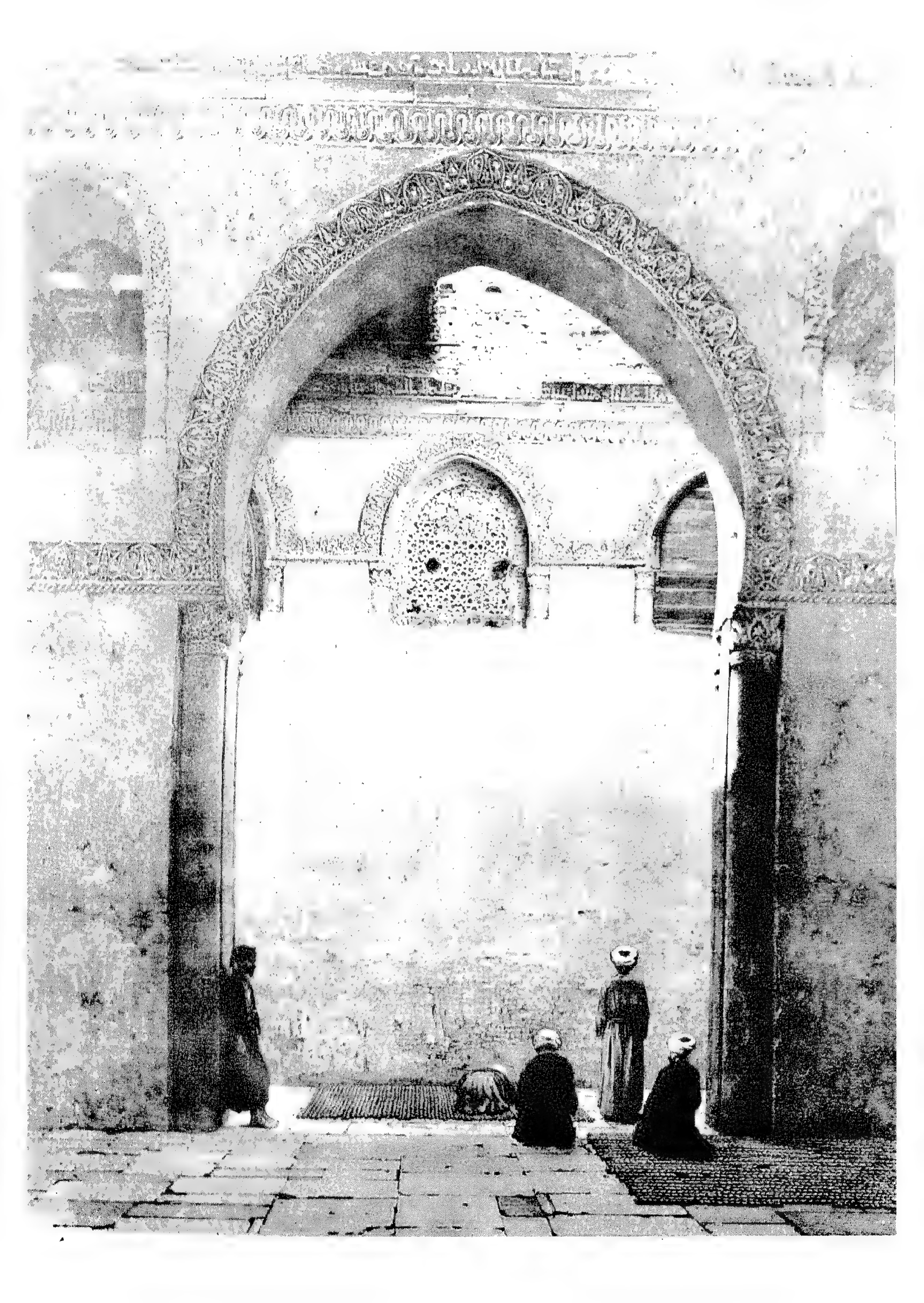
لوحه (٨٣) تفاصيل منبر جامع ابن طولون

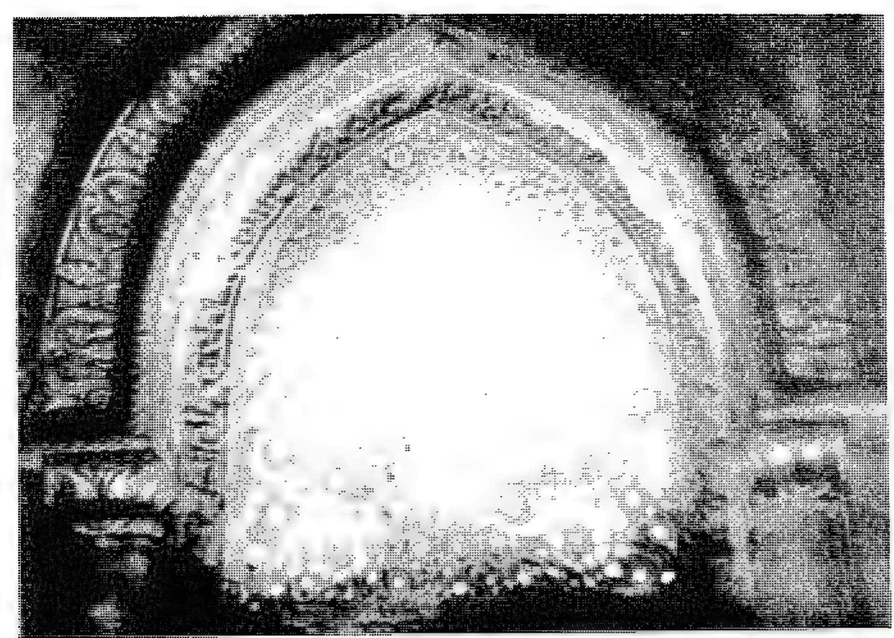




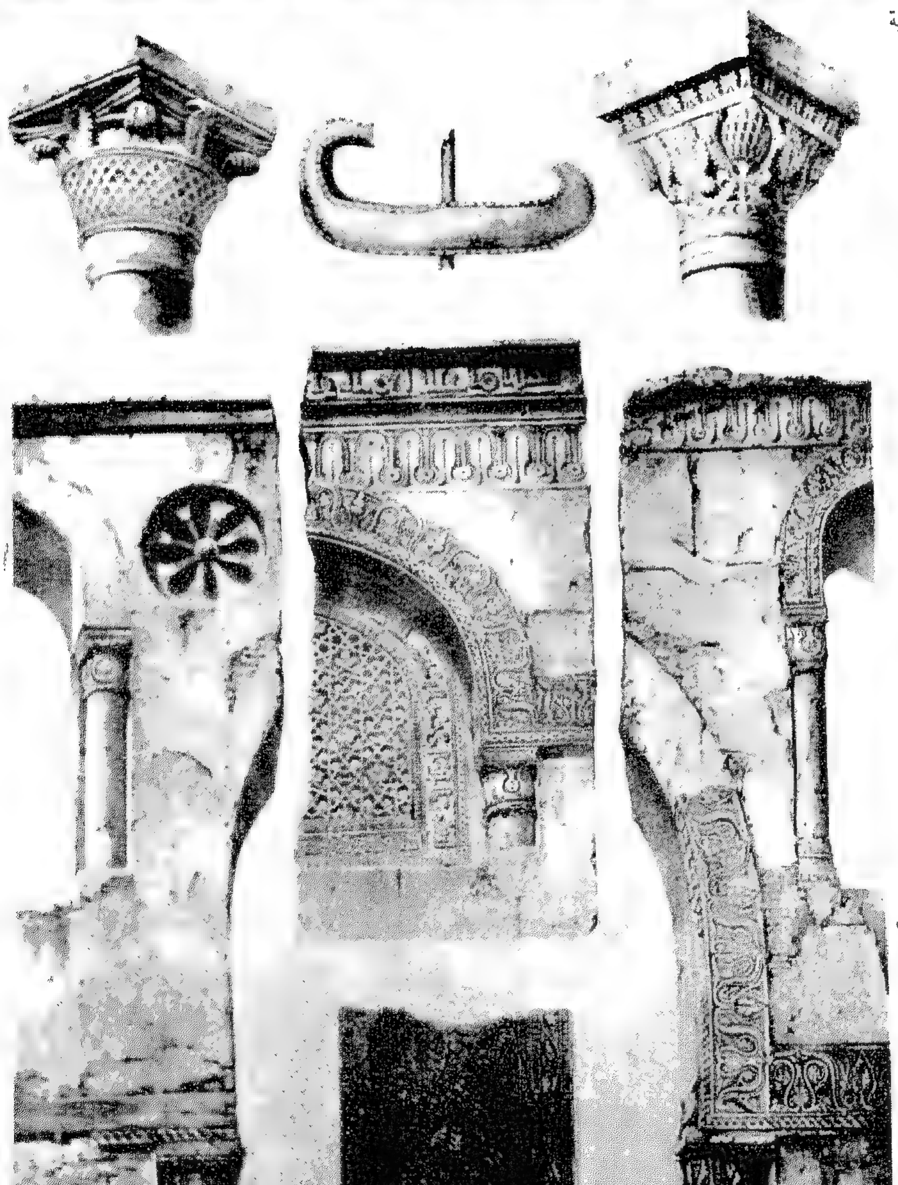
لوحه (٨٤) بعض الأشرطة الكتابية التى تحيط بجامع ابن طولون







لوحه (٨٦) تفاصيل لإحدى نوافذ جامع أحمد ابن طولون

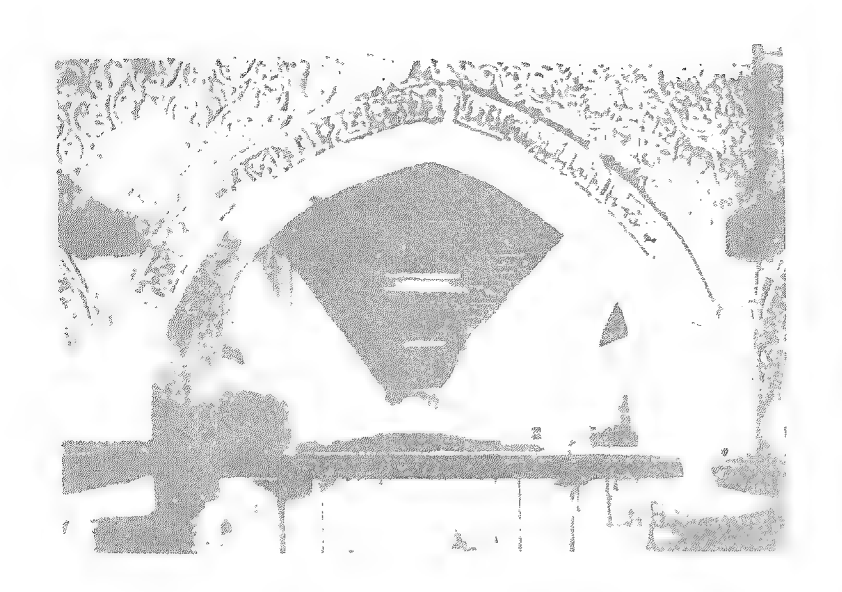


لوحه (٨٧) تفاصيل للزخارف الجصية بجامع ابن طولون

لوحه (٨٥) أحد أروقة قبلة جامع ابن طولون



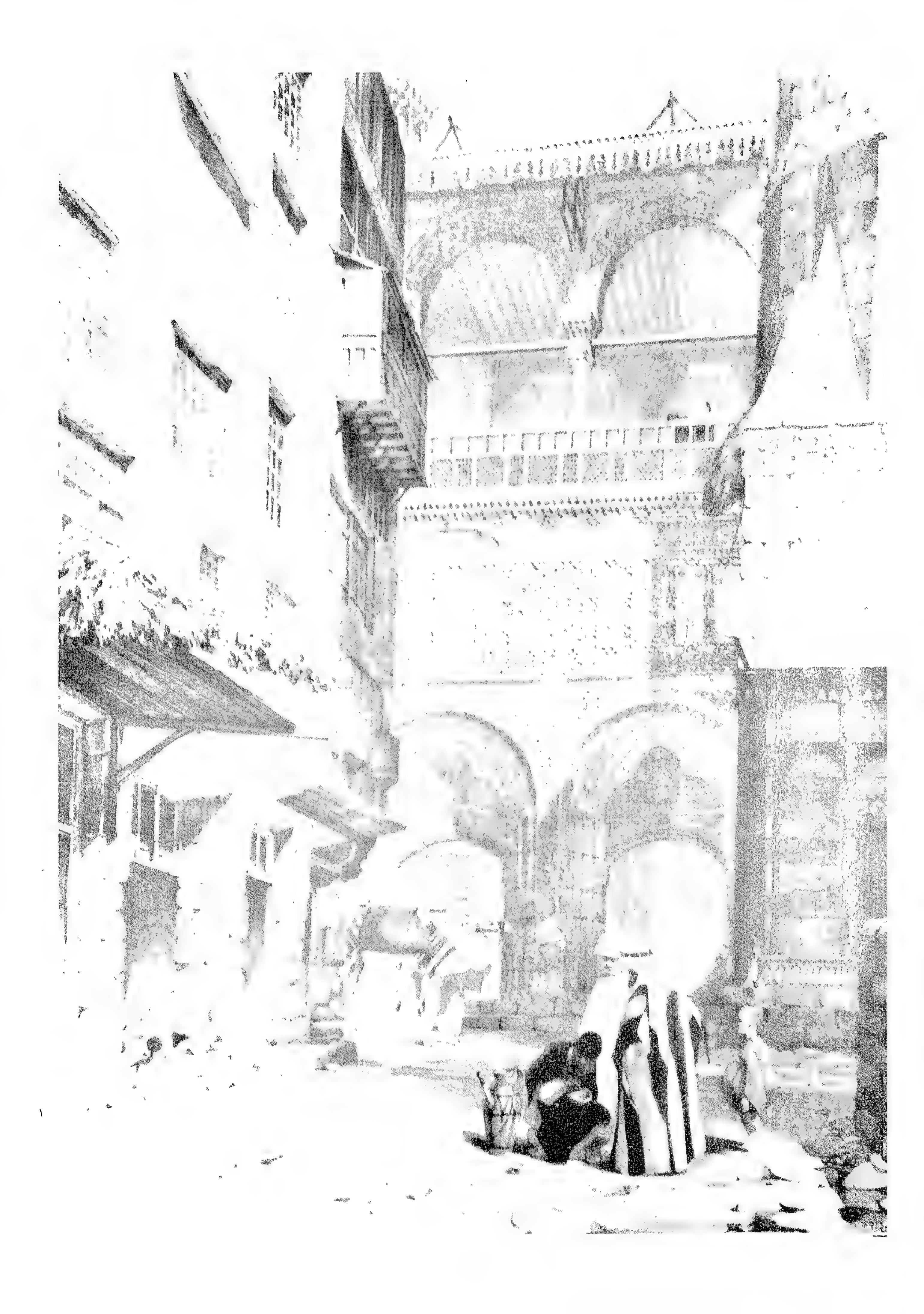
لوحه (٨٨) مئذنة جامع ابن طولون
فى الزيادة الغربية



لوحة (٨٩) عقود مجاز جامع الأزهر

لوحة (٩٠) التجويف الداخلي لمحراب المعز لدين الله الفاطمي





لوحه (٩١) الباب الرئيسي للجامع الأزهر في الواجهة الغربية وهو المعروف باسم (باب المزينين)

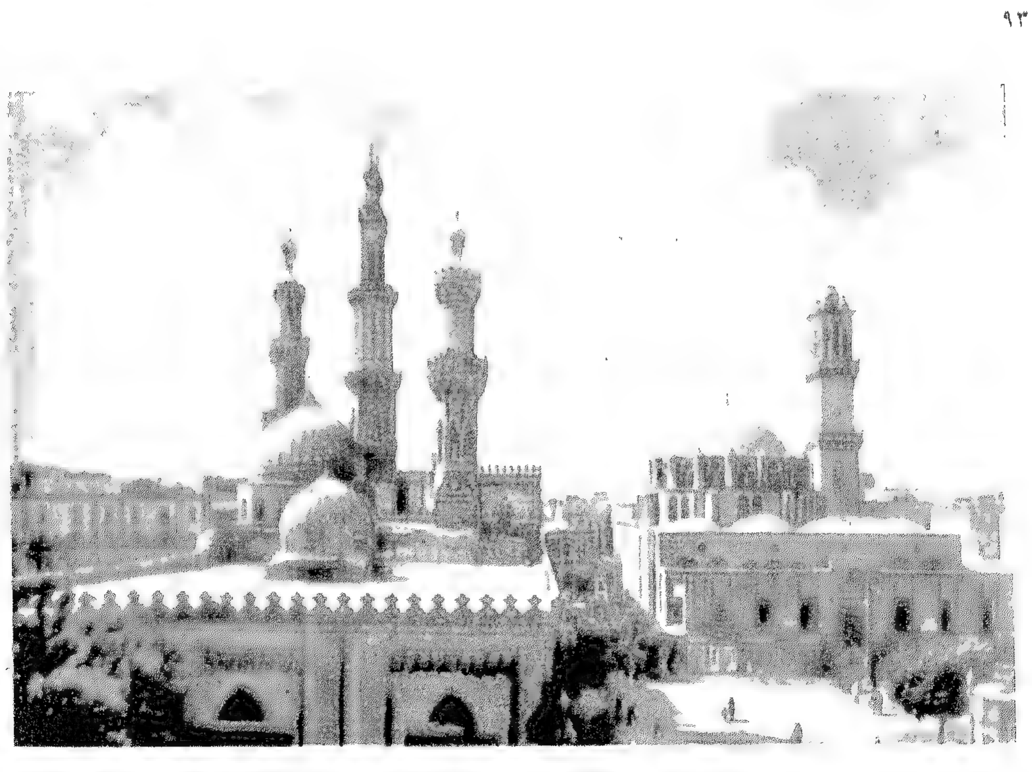
لوحه (٩٢) الرواق الغربي للجامع الأزهر وتعلوه مئذنتا قايتباي والغوري

لوحه (٩٣) سطح الجامع الأزهر تعلوه القباب والمآذن



٩٢

٩٣



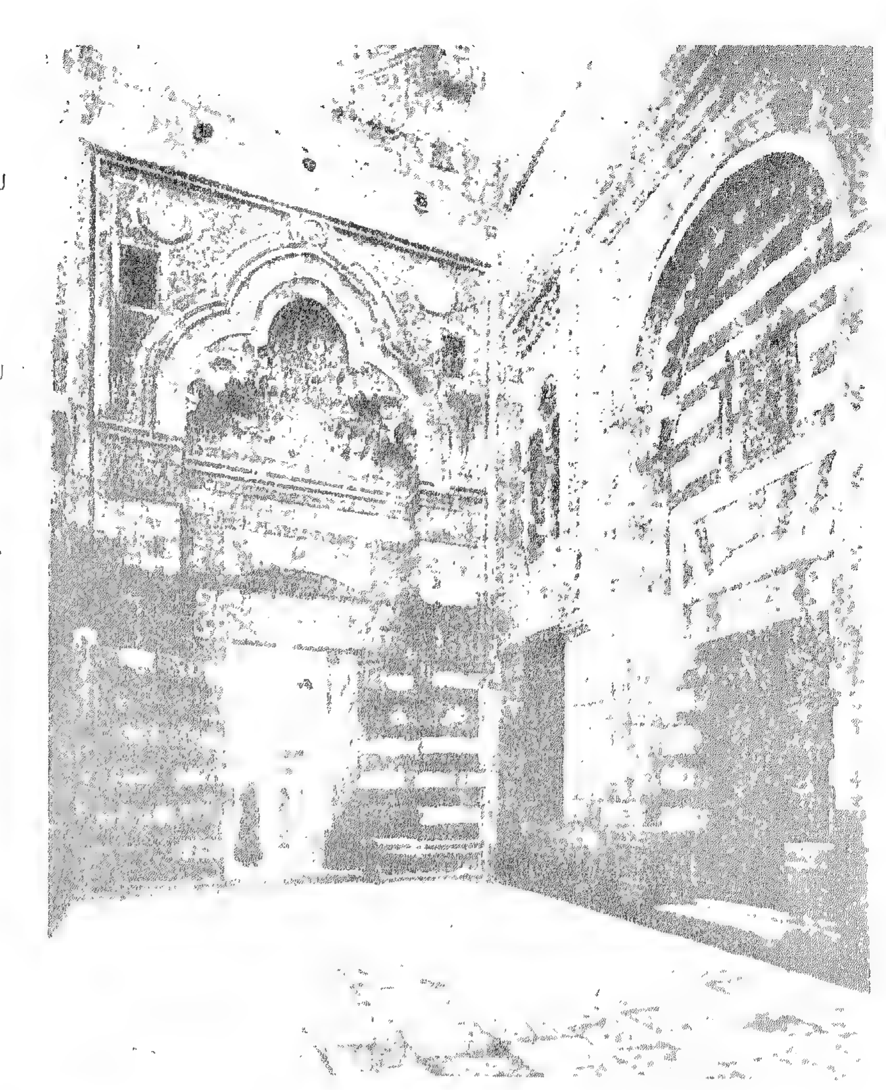
لوحه (٩٤) باب السلطان قايتباى فى الضلع الغربى الداخلى للجامع الأزهر

لوحه (٩٥) الرواق الغربى للجامع الأزهر

لوحه (٩٦) صحن الجامع الأزهر

لوحه (٩٧) محراب المدرسة الأقبغاوية بالجامع الأزهر

لوحه رقم (٩٨) قبة المدرسة الأقبغاوية



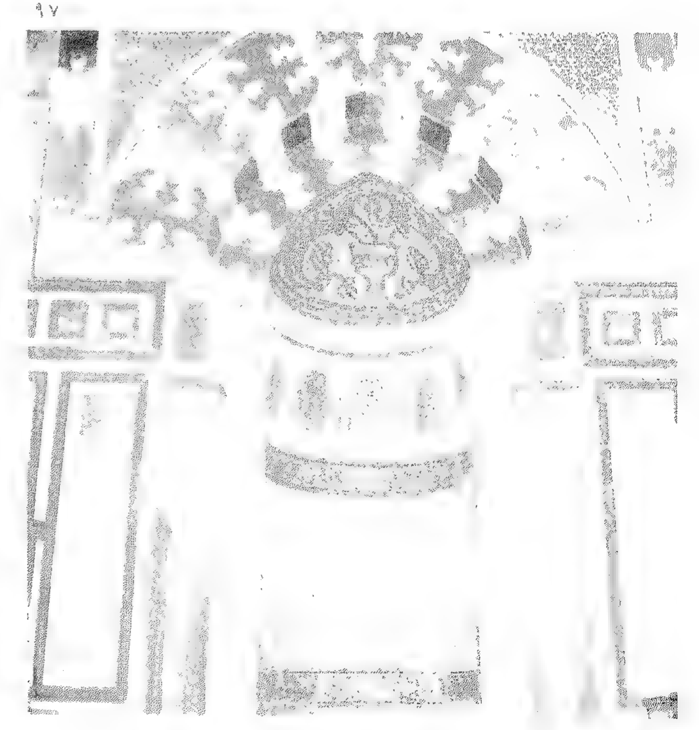
٩٤

٩٥



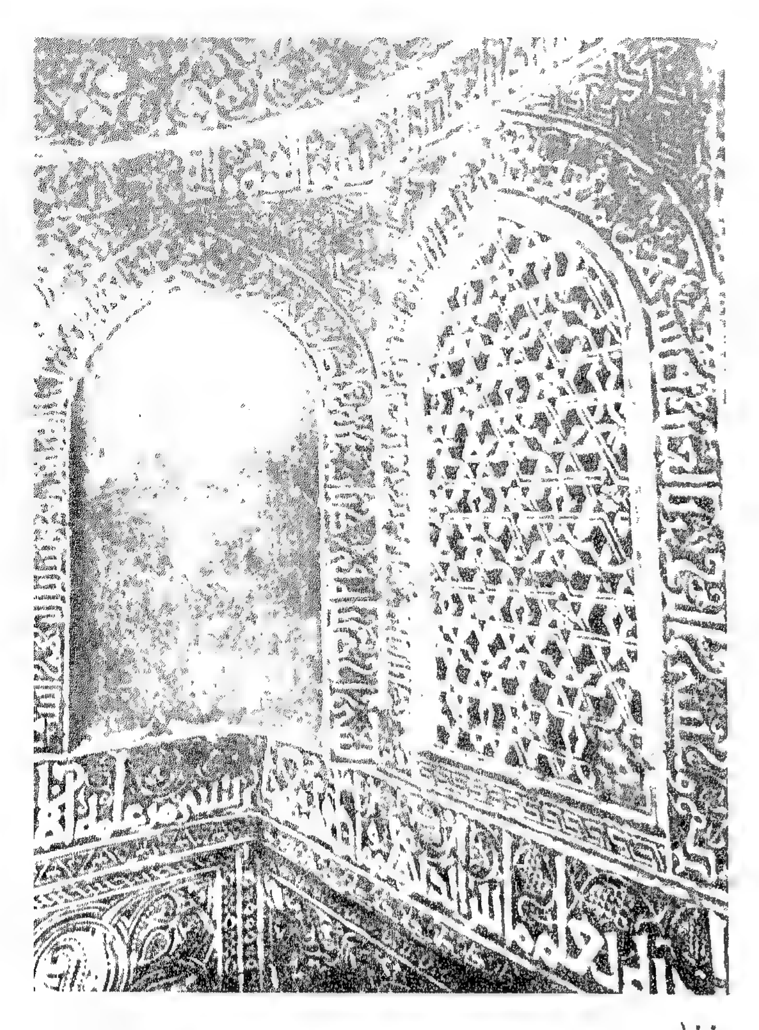
٩٦

٩٧

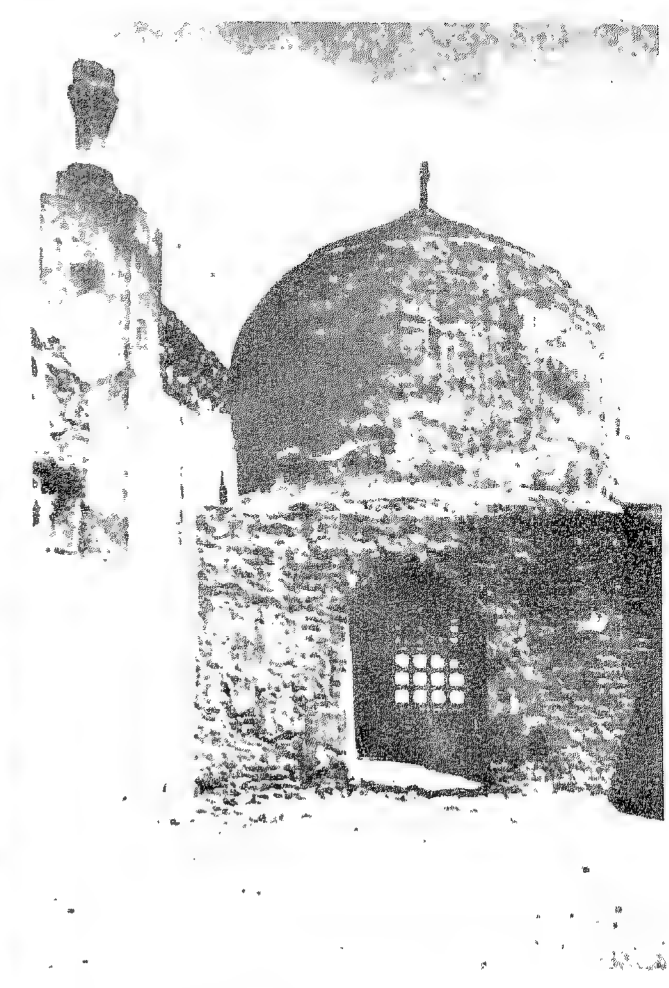


٩٨



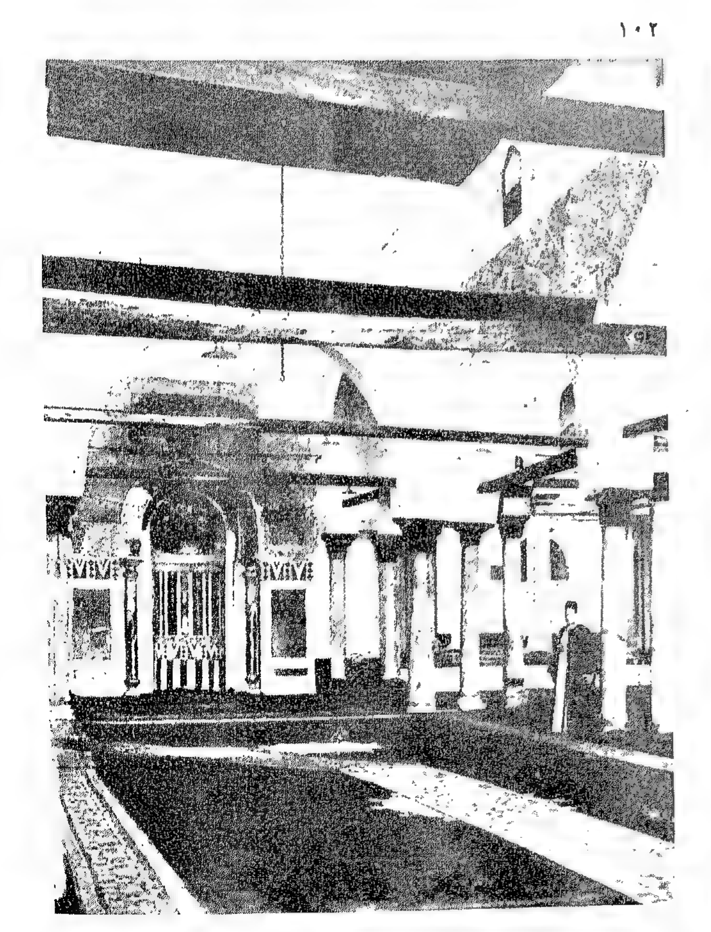


١٠٠

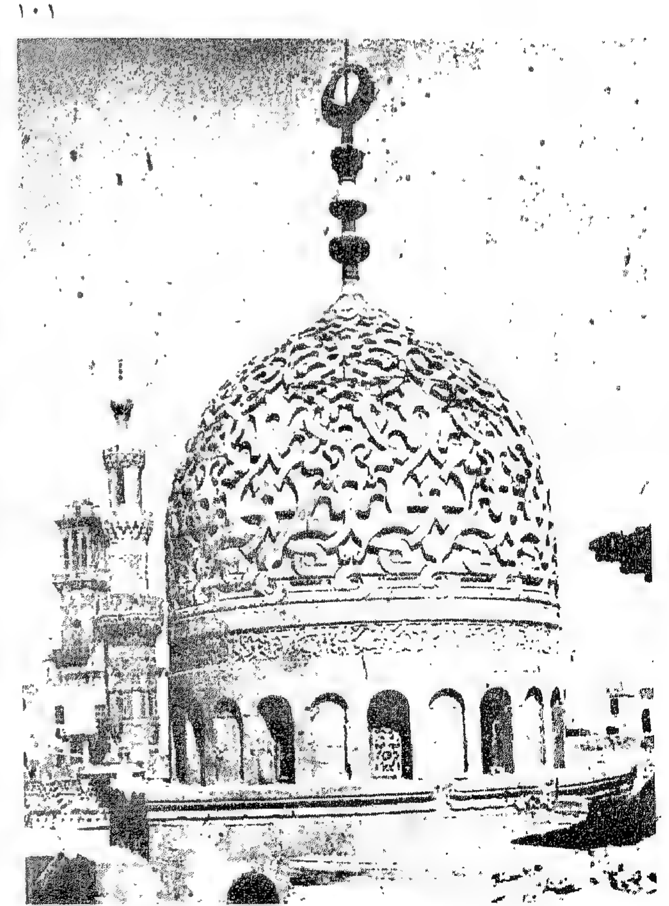


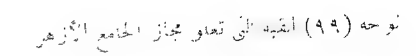
٩٩

١٠٢



١٠١




لوحه (٩٩) القبة التي تعلو مجاز الجامع الأزهر

لوحه (١٠٠) مقدم المجاز من الداخل

لوحه (١٠١) قبة المدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر

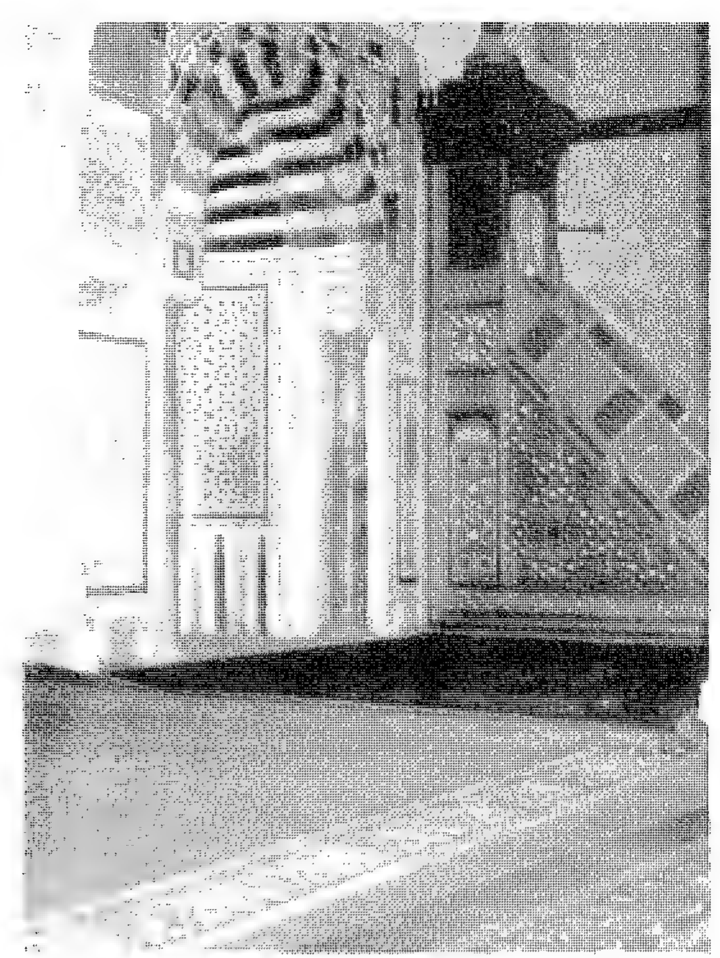
لوحه (١٠٢) المجاز الذي يقسم رواق القبلة إلى نصفين

لوحه (١٠٣) محراب الجامع الأزهر القديم

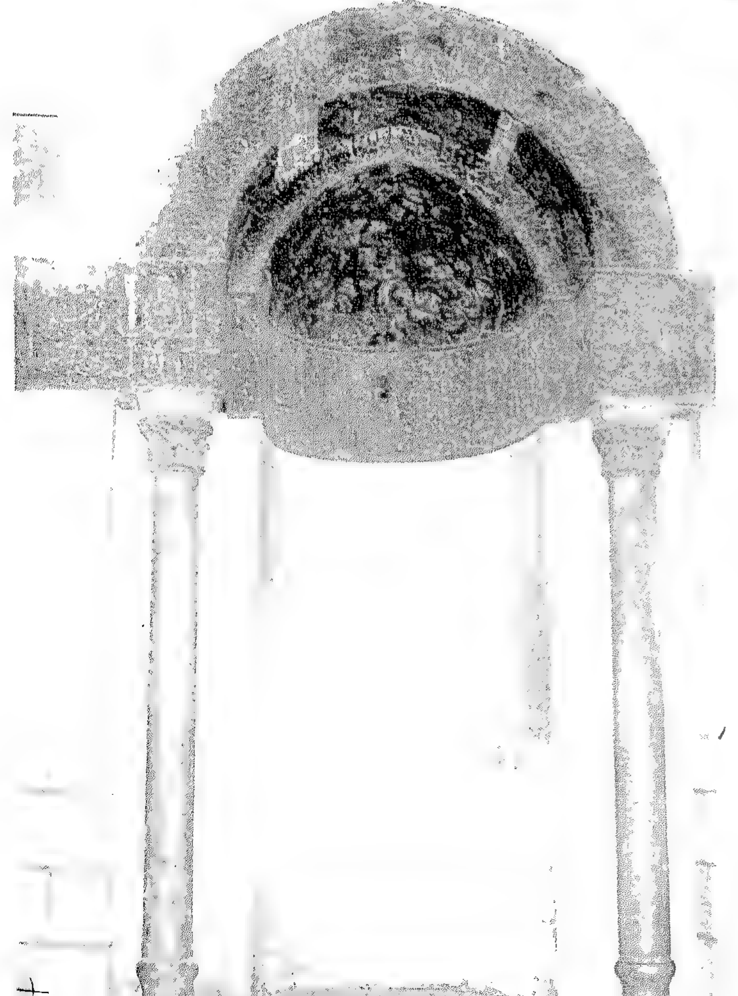
لوحه (١٠٤) رواق القبلة بالجامع الأزهر


١٠٣

١٠٤

لوحه (١٠٥) محراب الزيادة التي أضافها عبد الرحمن كتخدا في الجامع الأزهر

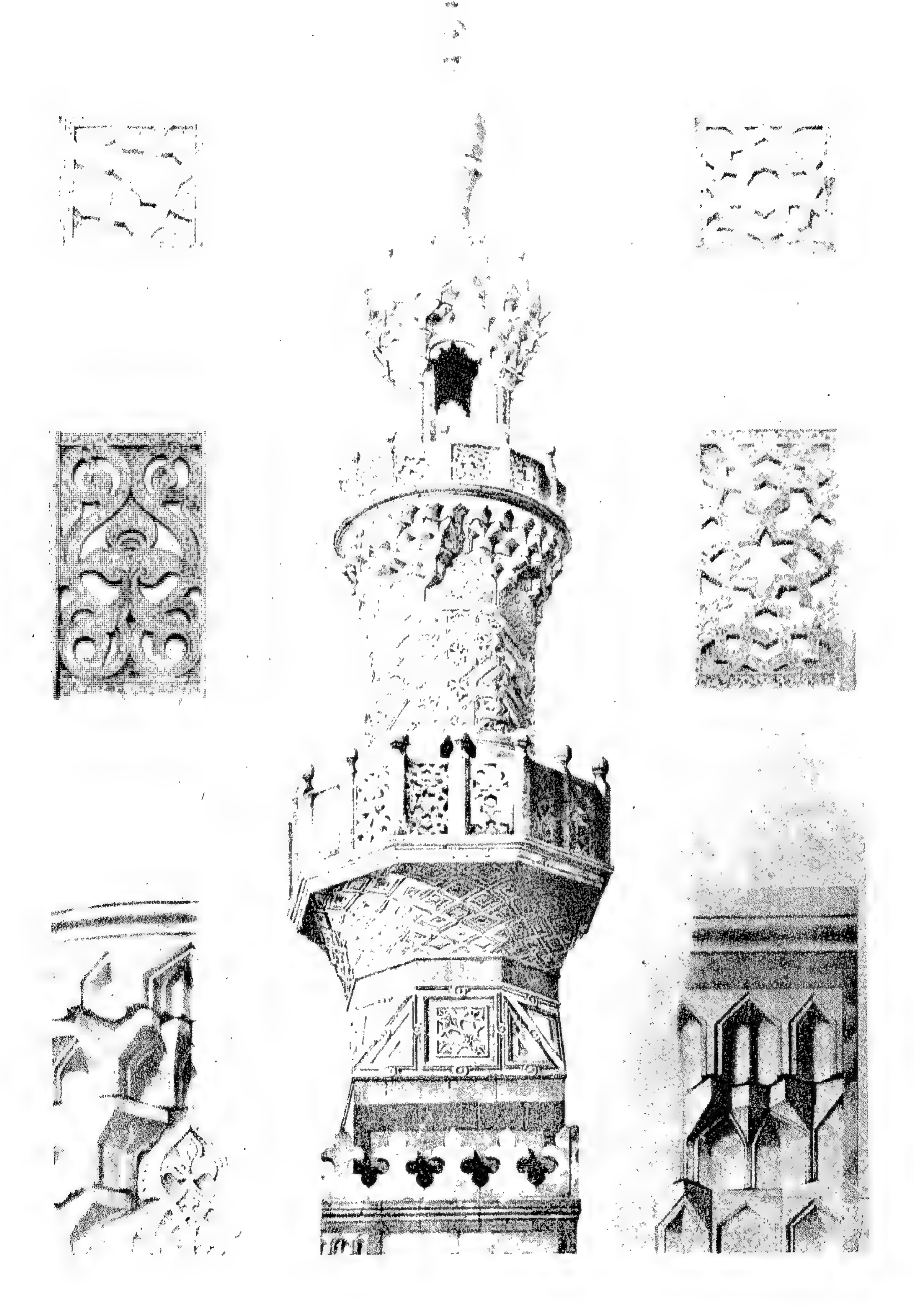


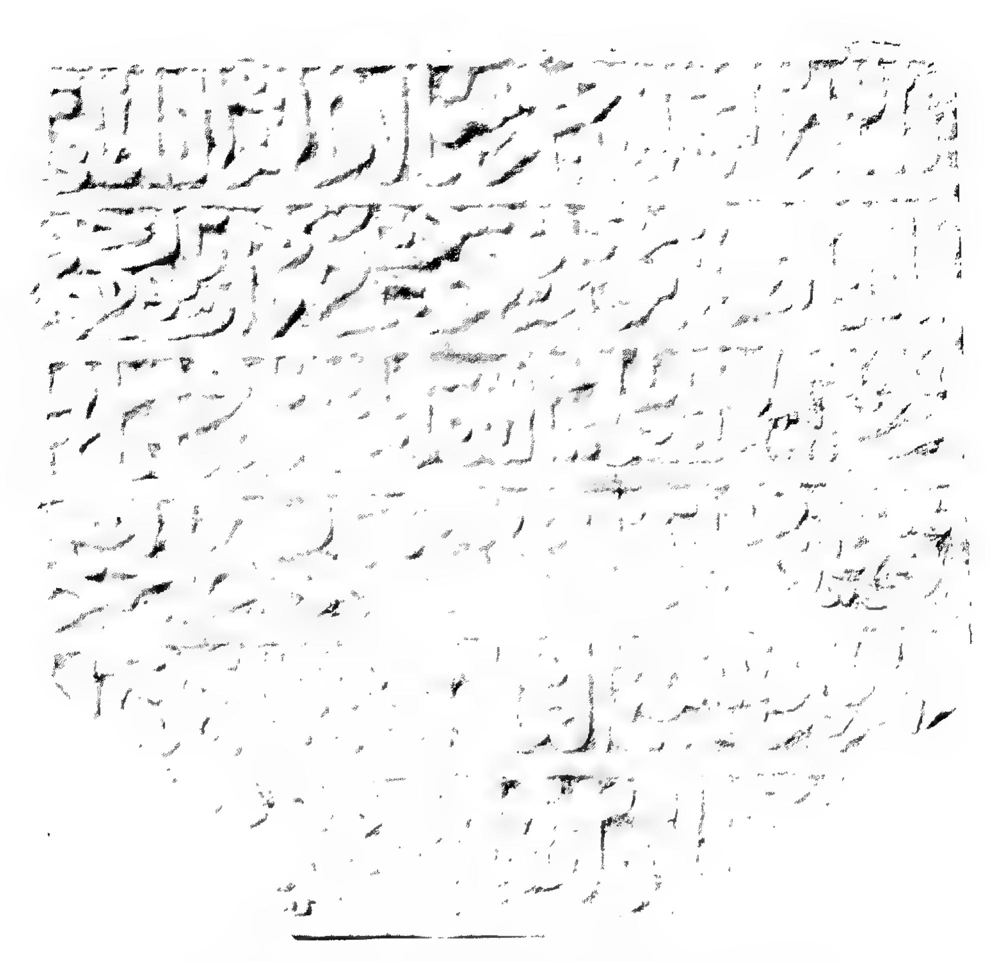
لوحه (١٠٦) محراب الدردير بالجامع الأزهر



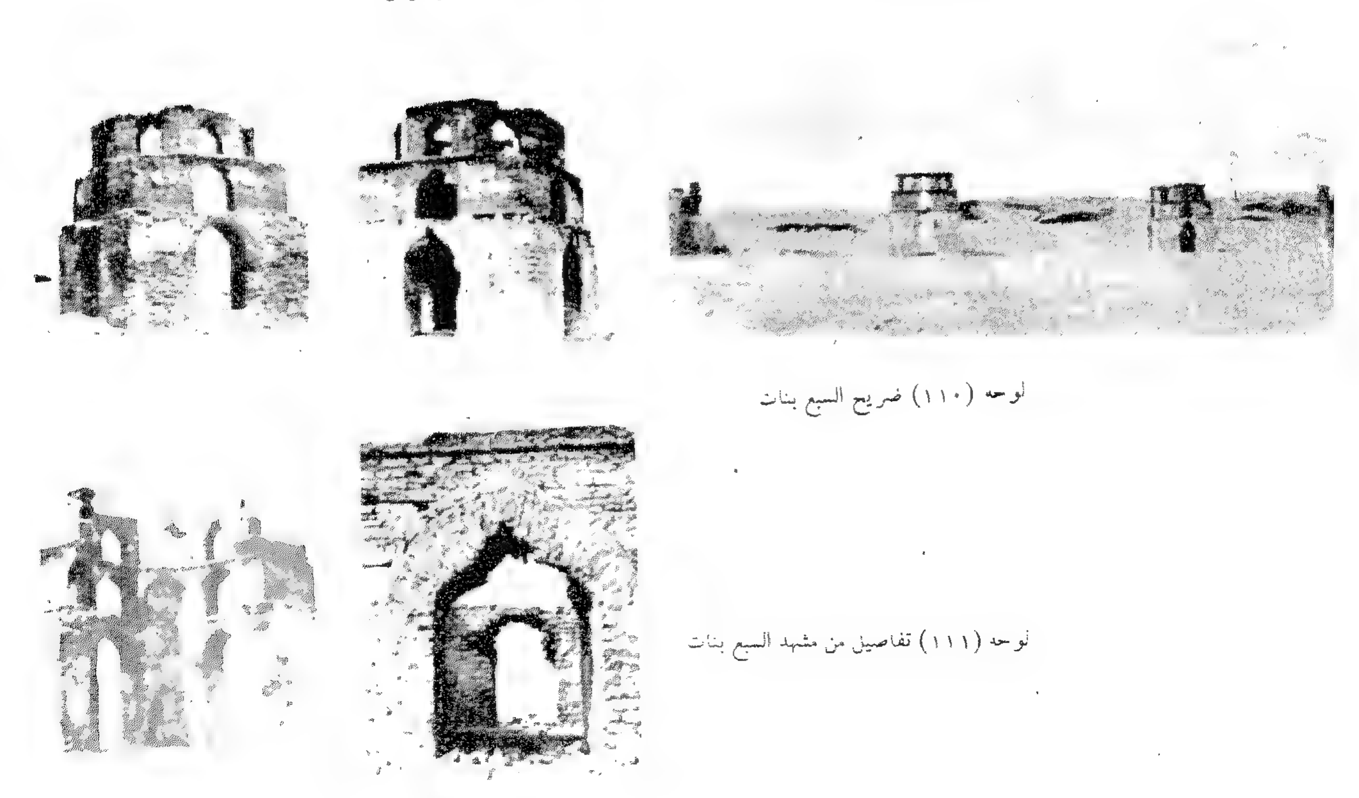
لوحه (١٠٧) داخل مدرسة جوهر القنقبائي بالأزهر

لوحه (١٠٨) تفاصيل مئذنة قايتباى بالجامع الأزهر





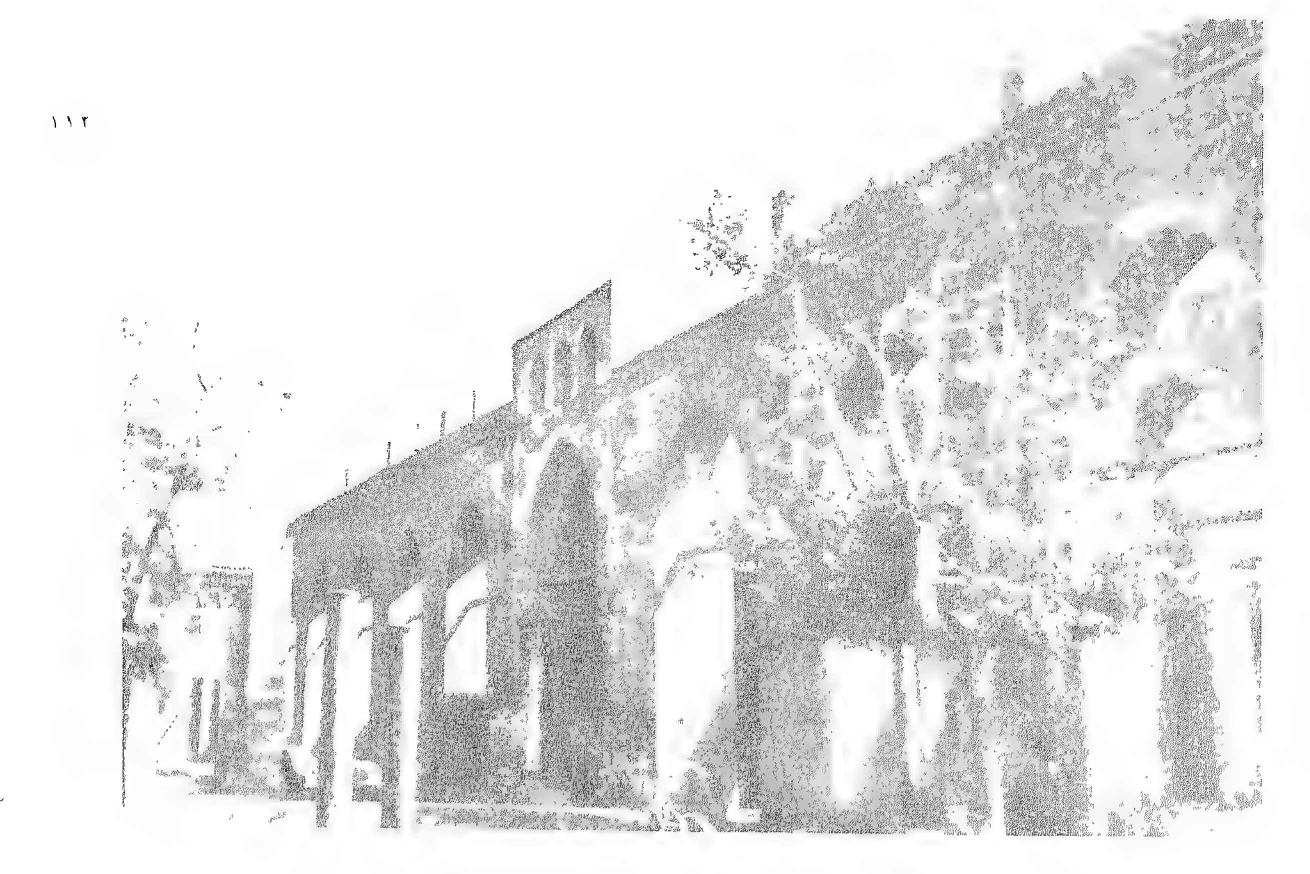
لوحه (١٠٩) لوح من الرخام نقش عليه المرسوم الذى أصدره الملك الظاهر برقوق



لوحه (١١٠) ضريح السبع بنات

لوحه (١١١) تفاصيل من مشهد السبع بنات

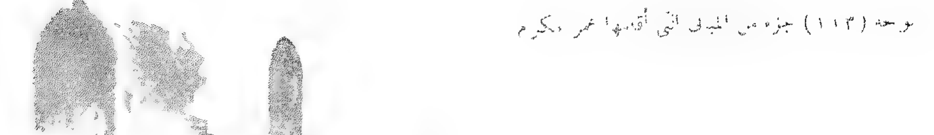
١١٢



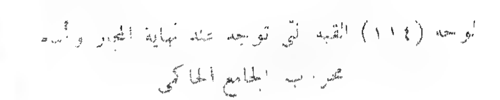
١١٣

لوحة (١١٢) واجهة رواق القبلة بجامع الحاكم بأمر الله

١١٤



لوحة (١١٣) جزء من المباني التي أقامها عمر مكرم



لوحة (١١٤) القبة التي توجد عند نهاية المجاز وأمام محراب الجامع الحاكمي



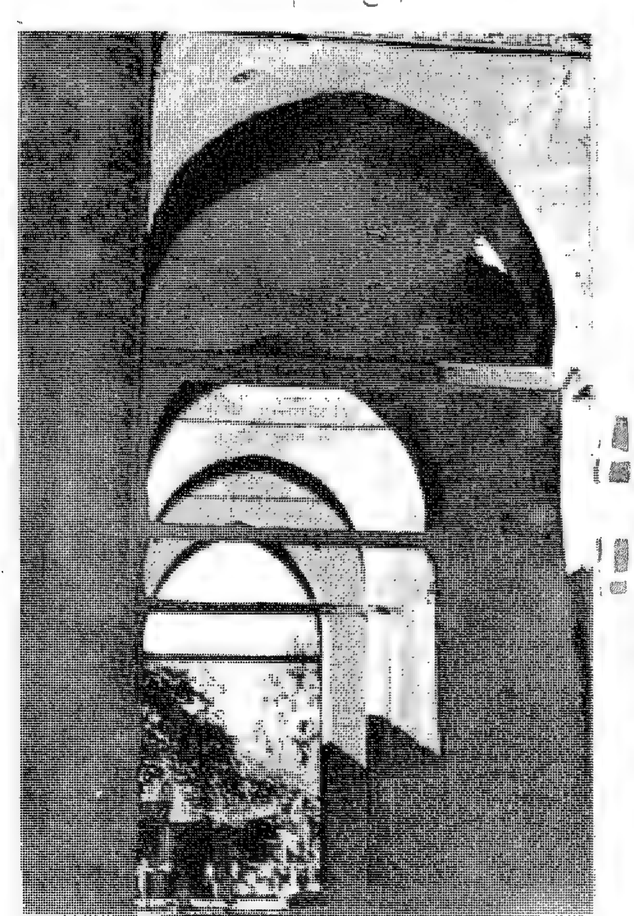
لوحة (١١٥) القبة تتوسط الرواق الأول بإيوان القبلة بجامع الحاكم

١١٥

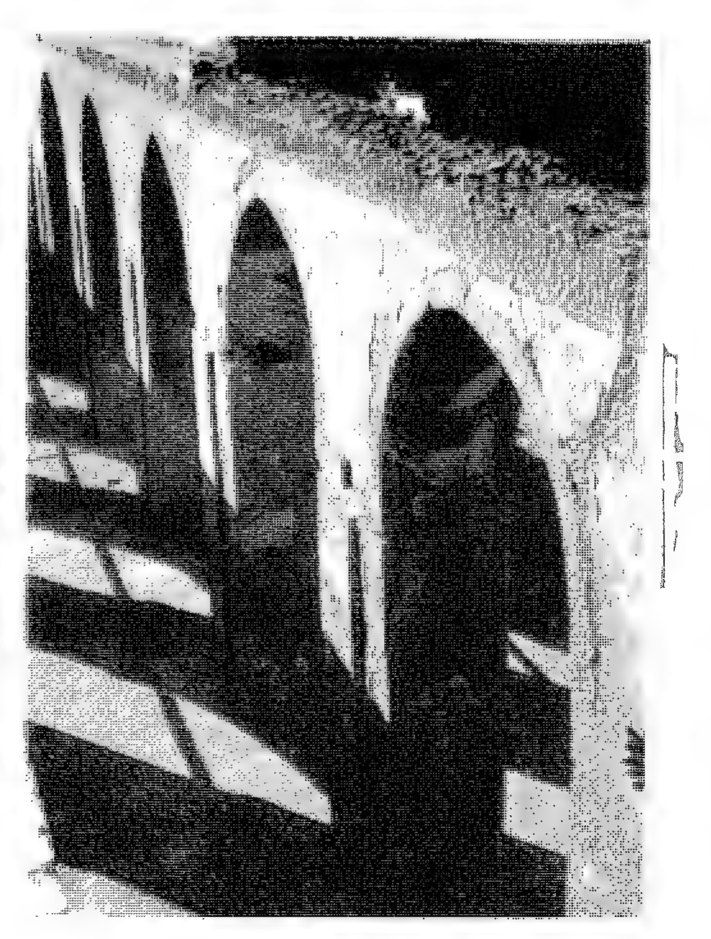
لوحه (١١٦) مئذنة جامع الحاكم الغربية

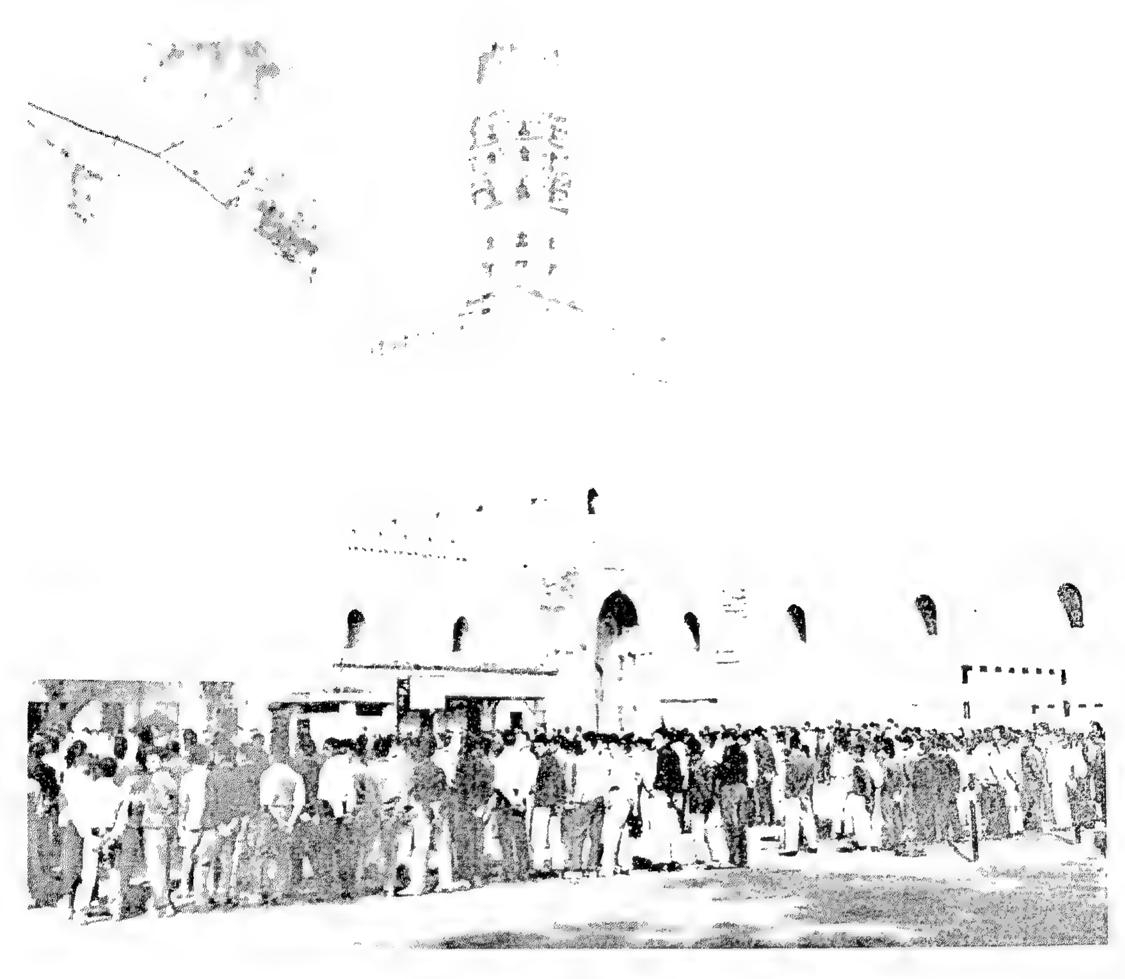


لوحه (١١٨) الزخارف الكتابية التي تعلو البوائك بجامع الحاكم



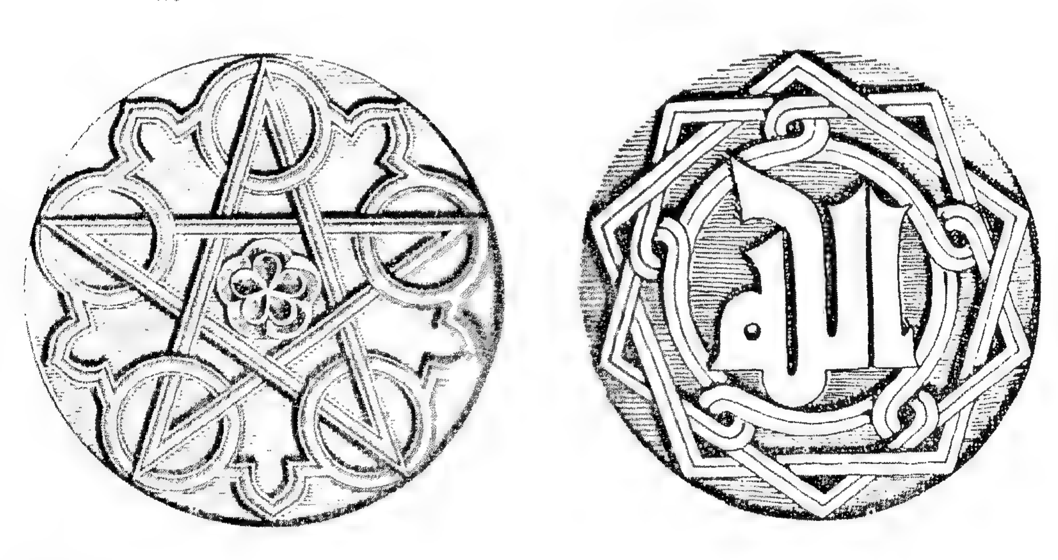
لوحه (١١٧) إحدى بوائك إيوان القبلة بجامع الحاكم

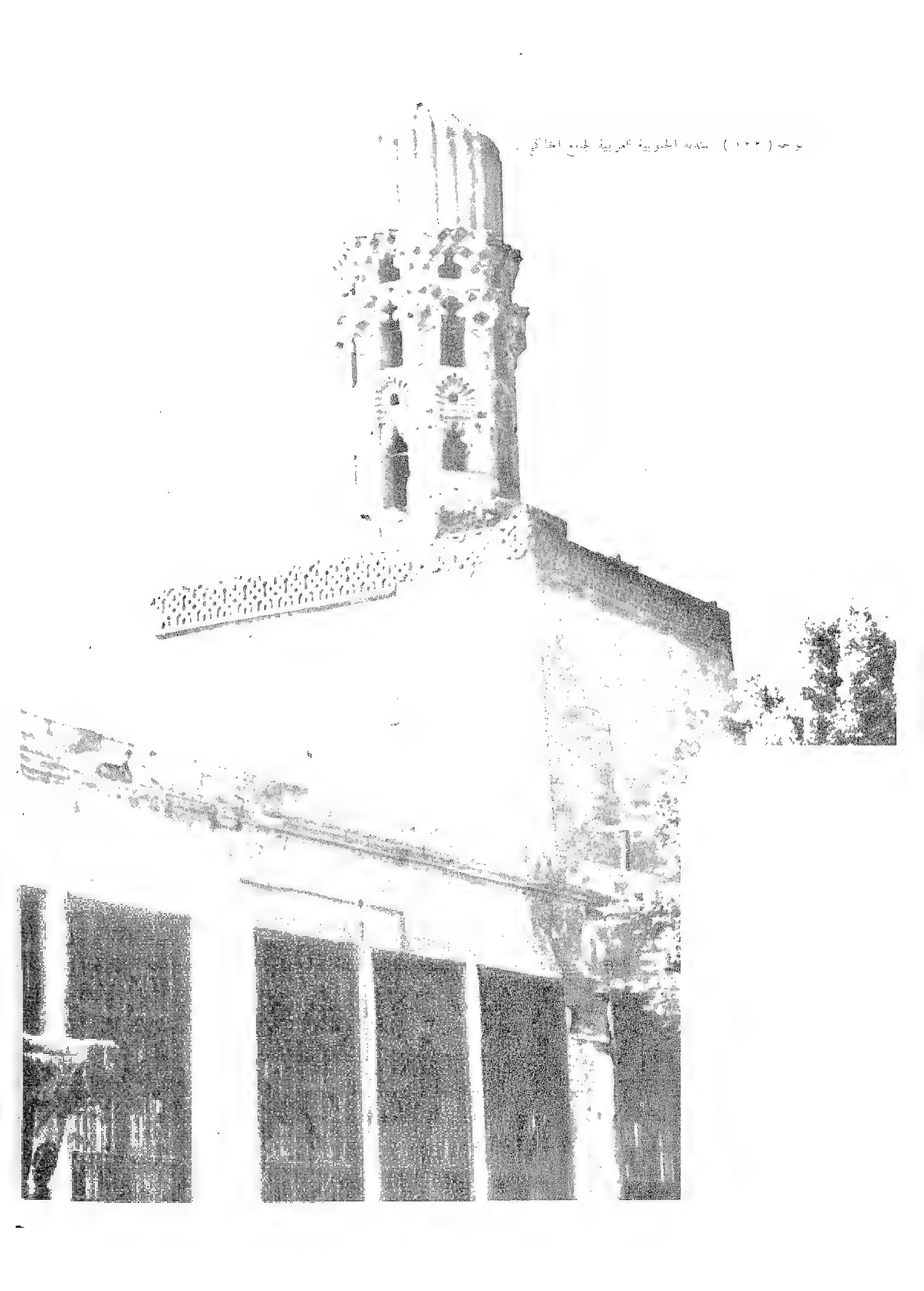




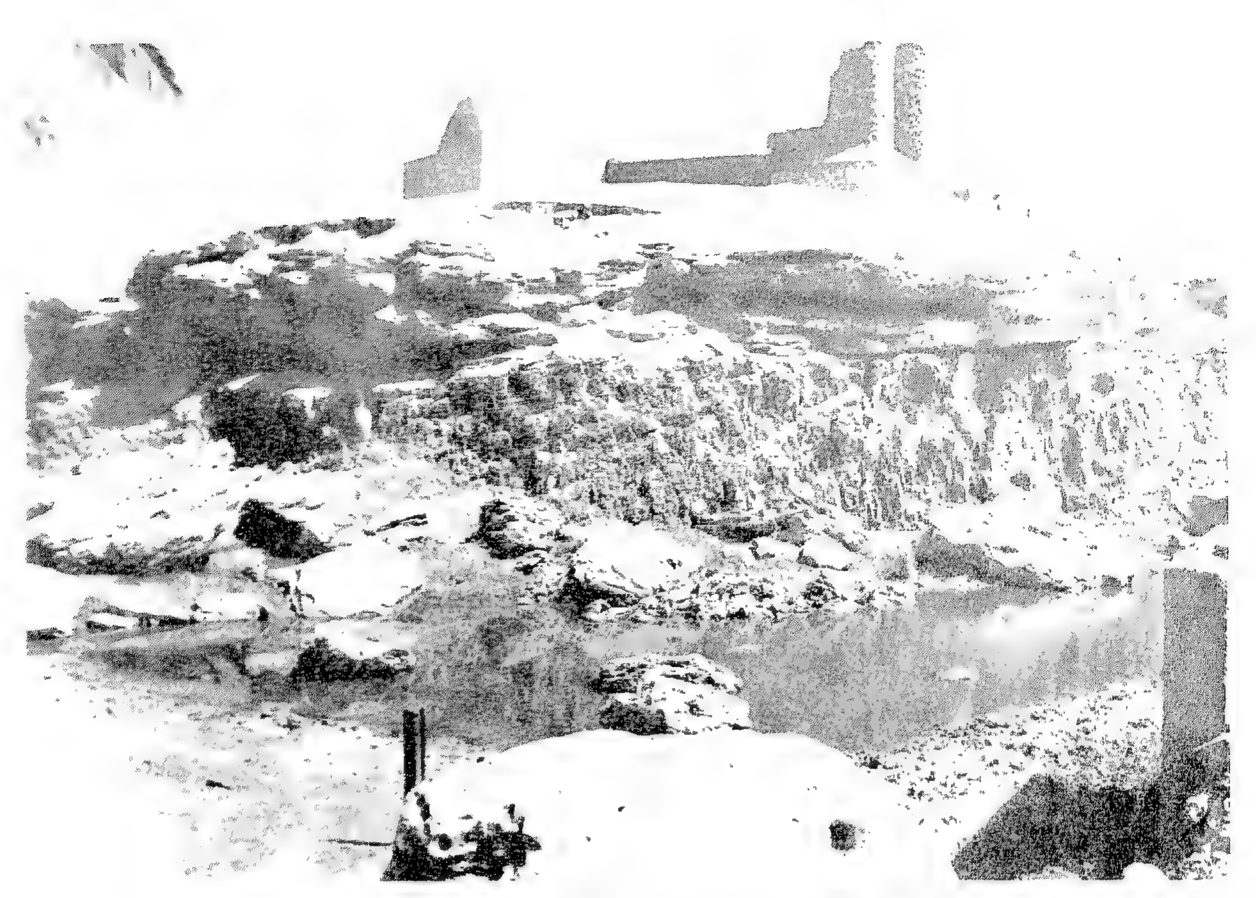
لوحه (١١٩) مئذنة جامع الحاكم الشمالية

لوحه (١٢٠، ١٢١) زخارف محصورة داخل جامات تزخرف قاعدة المئذنة الشمالية الغربية





لوحة (١٢٣) مئذنة الحموية الغربية لجامع الخاكي .



لوحه (١٢٣) منظر عام يبين مسجد التوبة بسفح الجبل الشرقي بقرية بوصير مركز الصف .

لوحه (١٢٤) محراب مسجد التوبة الفاطمي

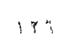


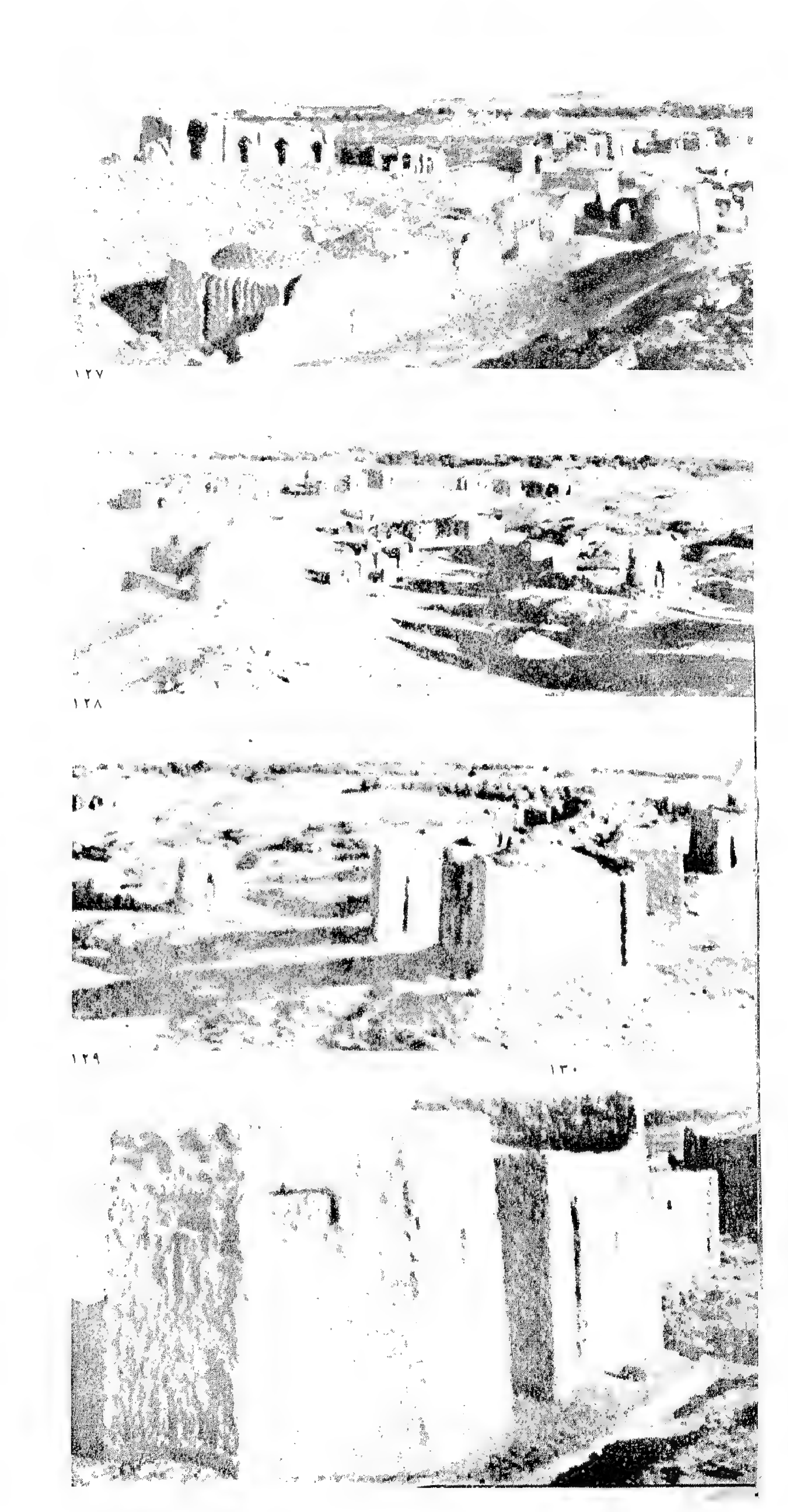
لوحه (د ١٢٥) مسجد التوبة المجدد

لوحه (١٢٦) مسجد سوهاج العتيق المعروف بالجامع العمرى

١٢٥







لوحه (١٢٧ ، ١٢٨) مناظر عامة تبين الواجهات الخارجية بمحافظة الوادى الجديد

لوحه (١٢٩ ، ١٣٠) تبين المبانى الباقية من الجامع العمرى



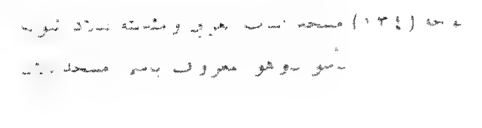
لوحة (١٣١) مجموعة من [illegible]

لوحة (١٣٢) ضريح [illegible]



لوحه (١٣٣) بقايا مسجد الباب البحرى ومئذنته ببلاد النوبة بمحافظة أسوان





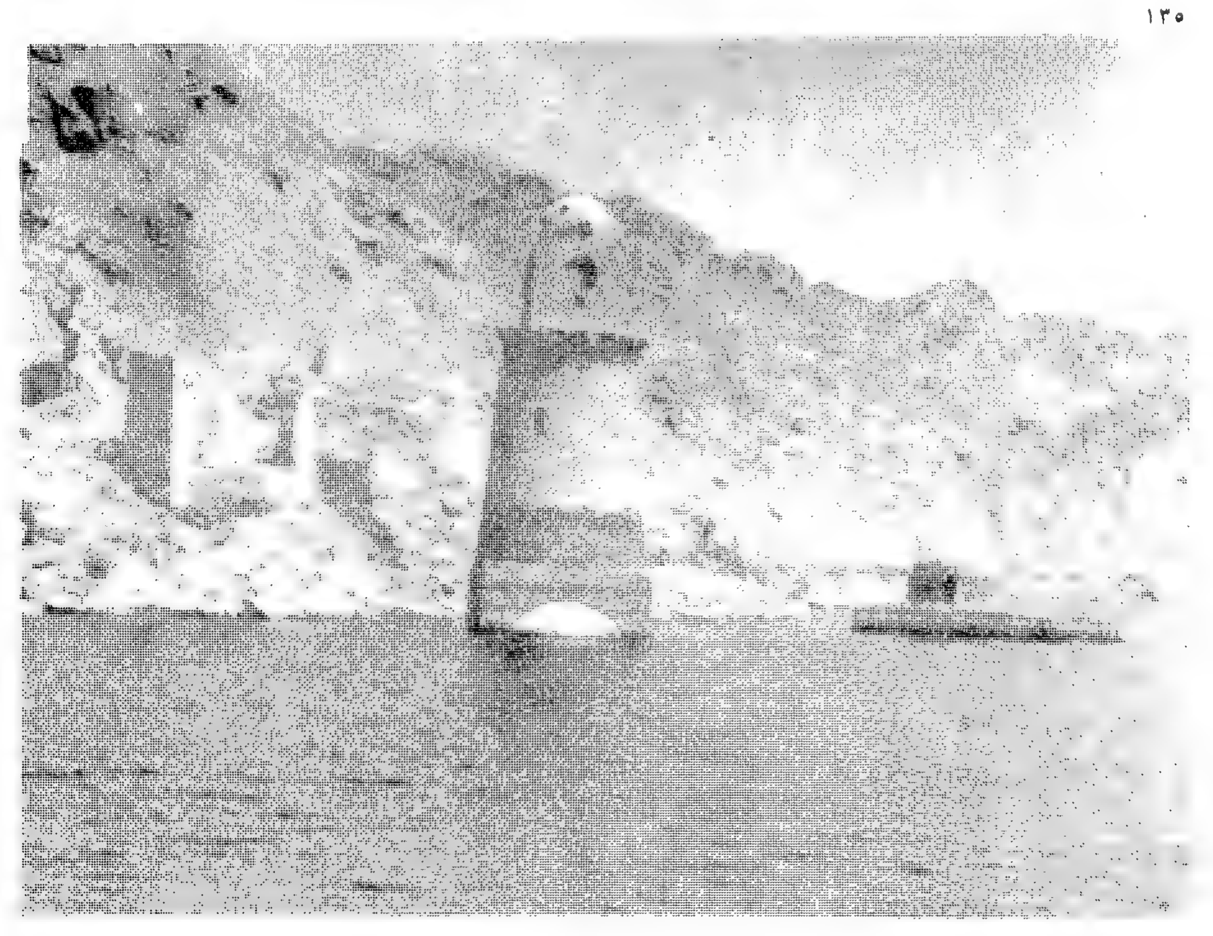
لوحة (١٣٤) مسجد [illegible] ومئذنته [illegible] النوبة [illegible] وهو معروف باسم مسجد [illegible]



١٣٤

لوحة (١٣٥) مسجد بلال ومئذنته بعد إقامة السد العالي بأسوان

١٣٥



لوحه (١٣٦) مسجد الجيوشى على سفح جبل المقطم وبجانبه كهف السودان

١٣٧



لوحه (١٣٨) قبة و مئذنة مسجد الجيوشى

لوحه (١٣٧) جبل المقطم يشرف عليه مسجد الجيوشى

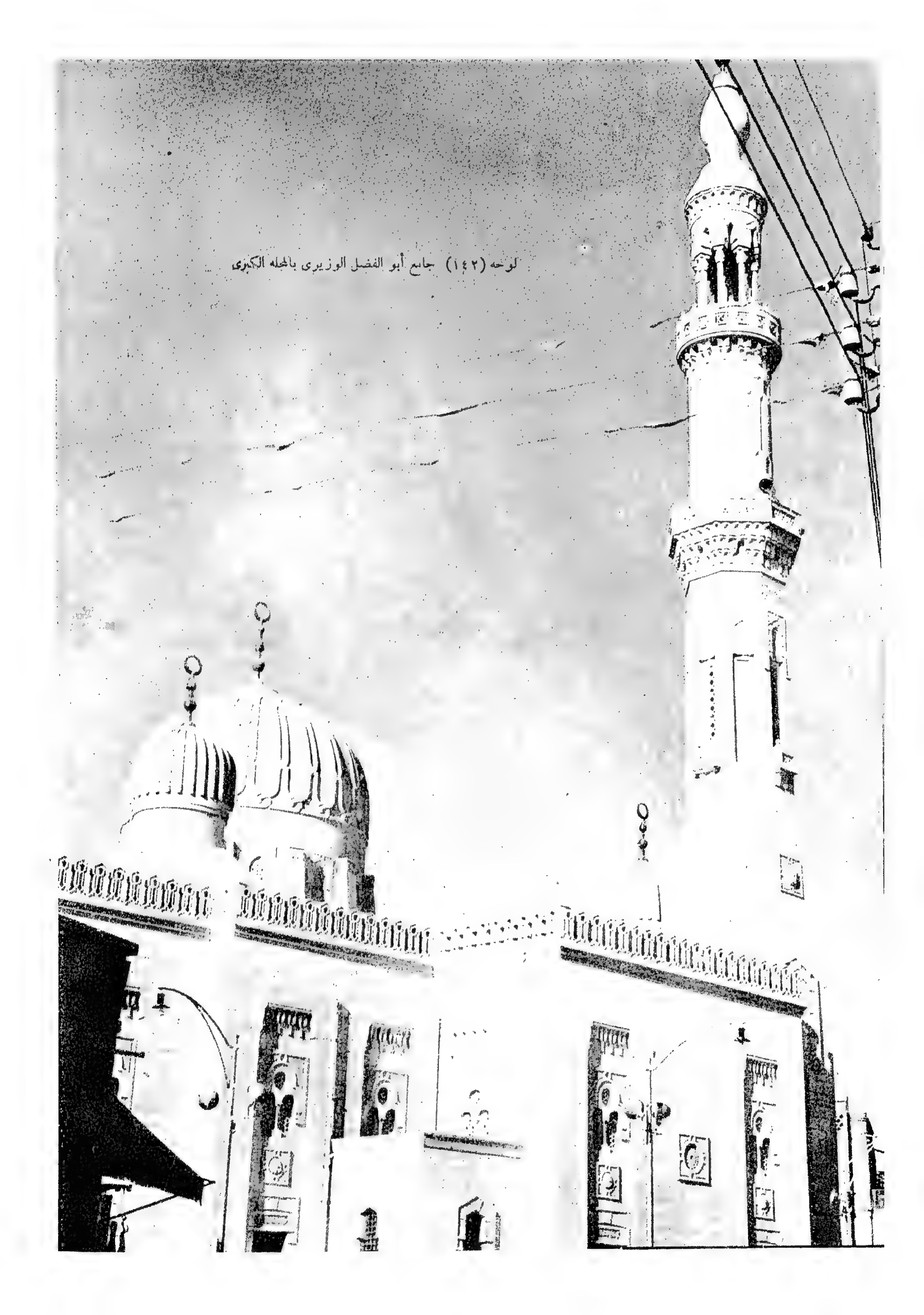
لوحه (١٣٩) مئذنة الجيوشى



لوحه (١٤٠) تفاصيل قبة جامع الجيوشى



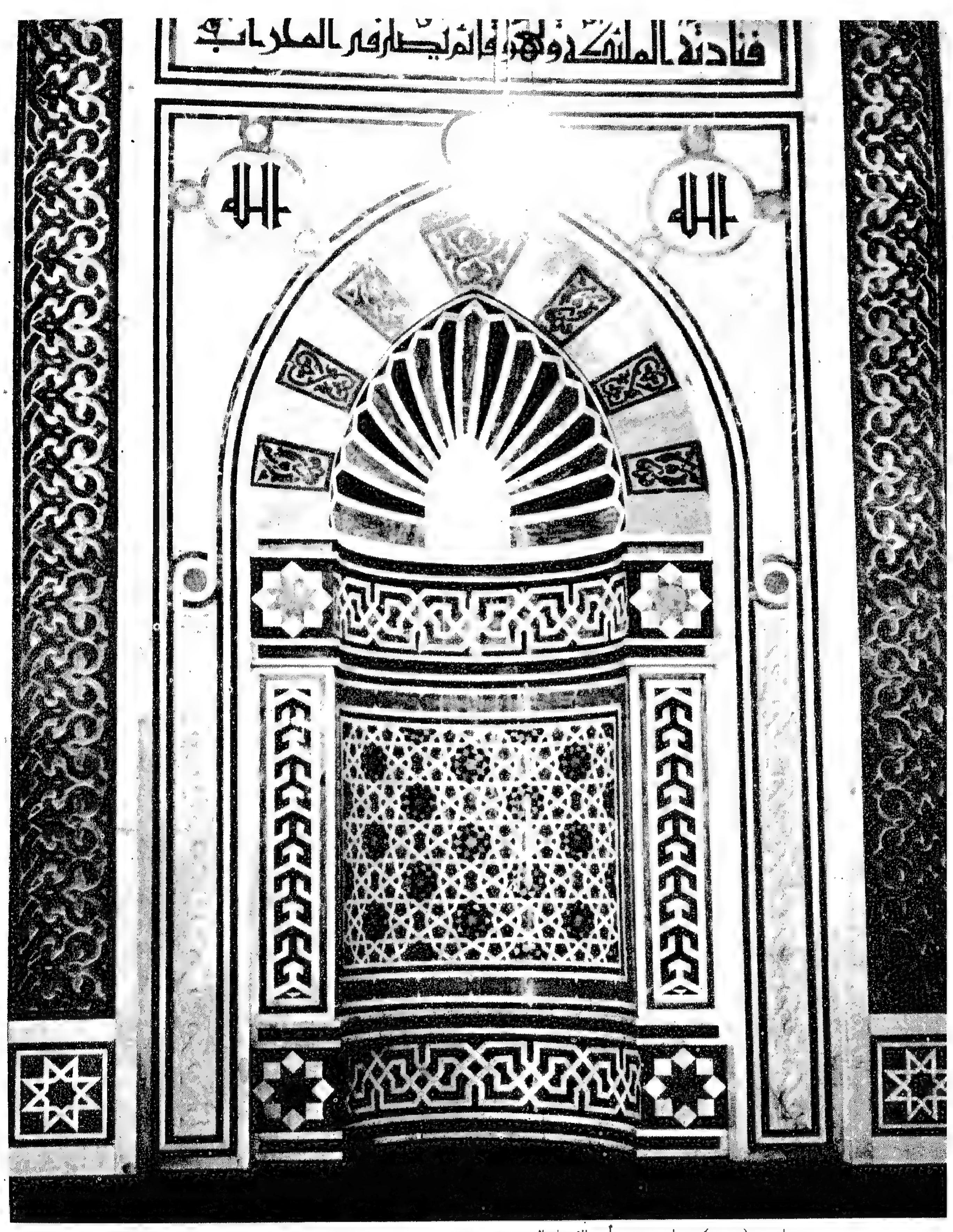
لوحه (١٤١) جامع الشيخ عطية عز الدين بن يحى المعروف بابى الريش بمدينة دمنهور



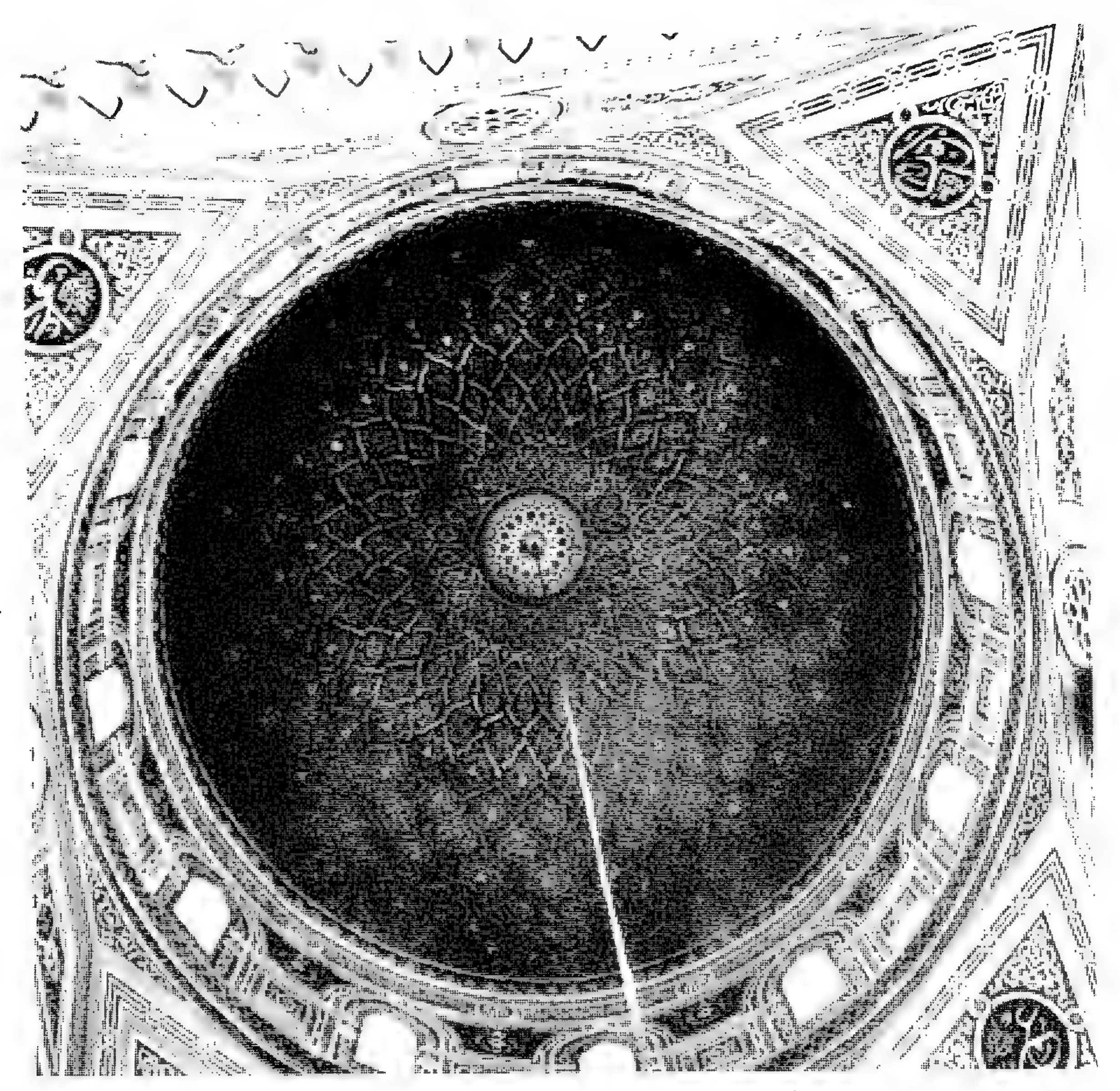
لوحه (١٤٢) جامع أبو الفضل الوزيرى بالمحله الكبرى



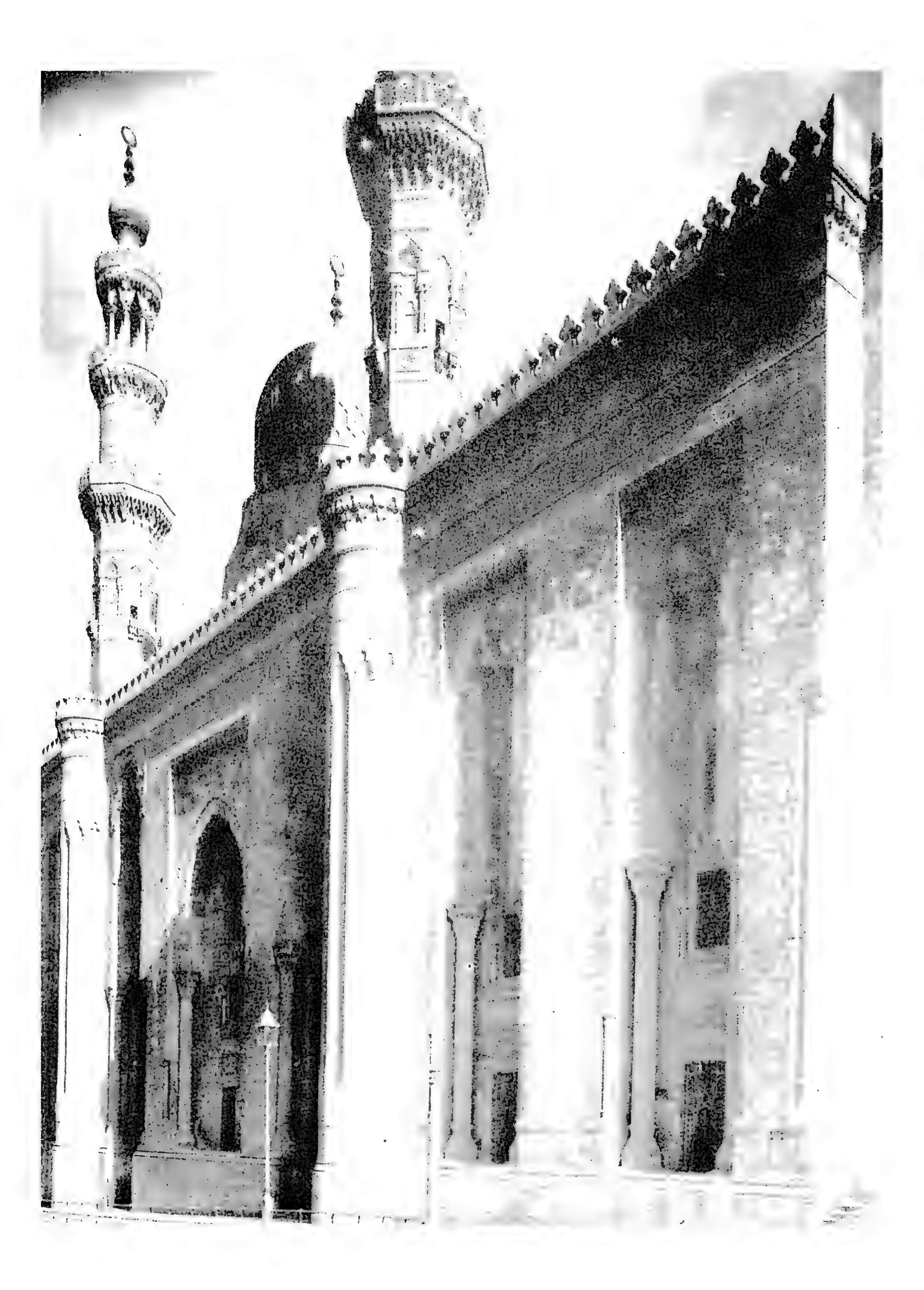
لوحه (١٤٣) المدخل الرئيسى لجامع (أبو الفضل الوزيرى) بالواجهة الشمالية



لوحه (١٤٤) محراب مسجد أبو الفضل الوزيرى



لوحه (١٤٥) القبة التى تتوسط جامع (أبو الفضل الوزيرى)





لوحه (١٤٧) جامع الرفاعى بميدان صلاح الدين بالقلعة

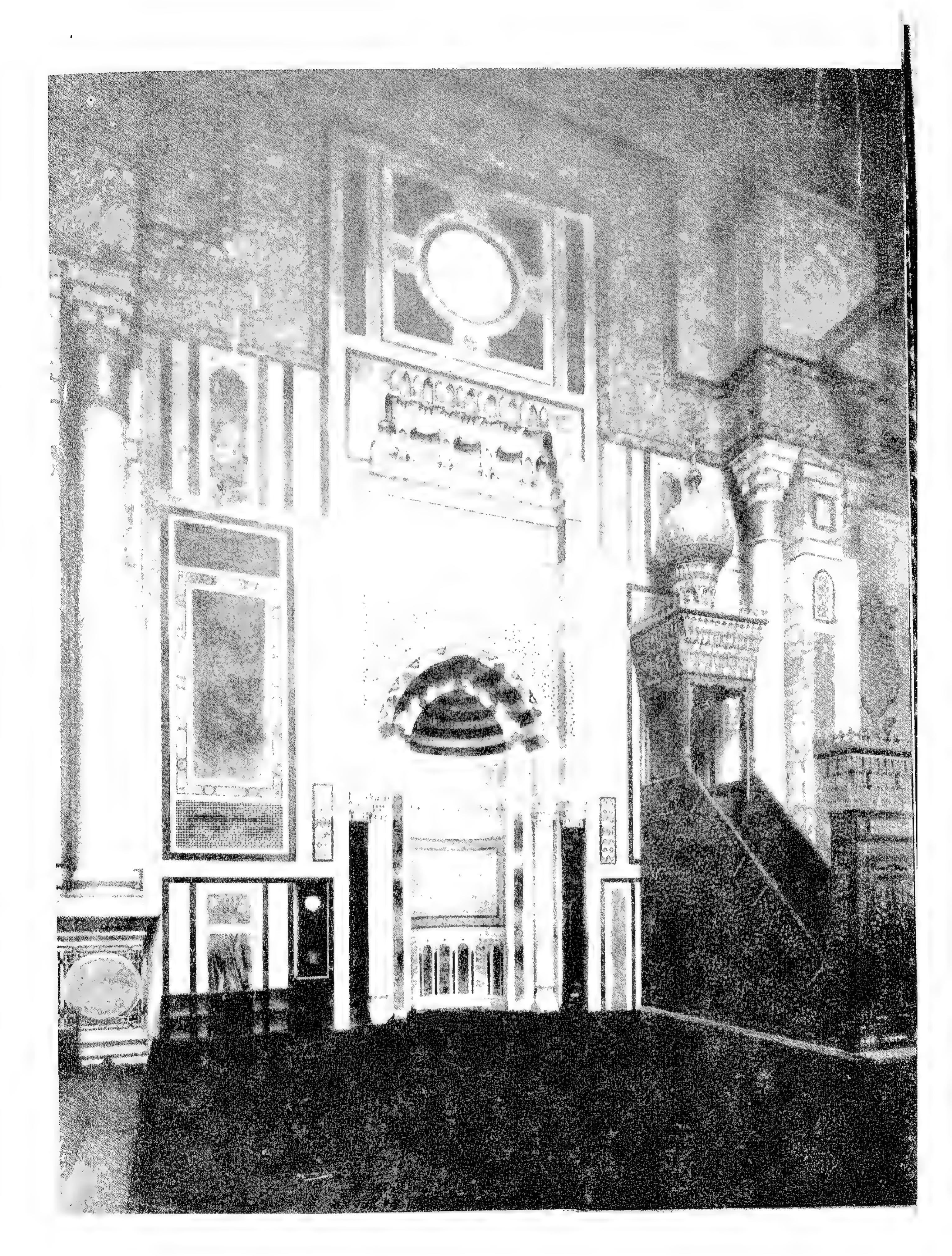
لوحه (١٤٦) الواجهة الجنوبية لجامع الرفاعى



لوحه (١٤٨) مئذنتا جامع الرفاعي



لوحه (١٤٩) جامع الرفاعي

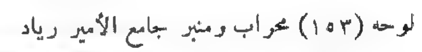




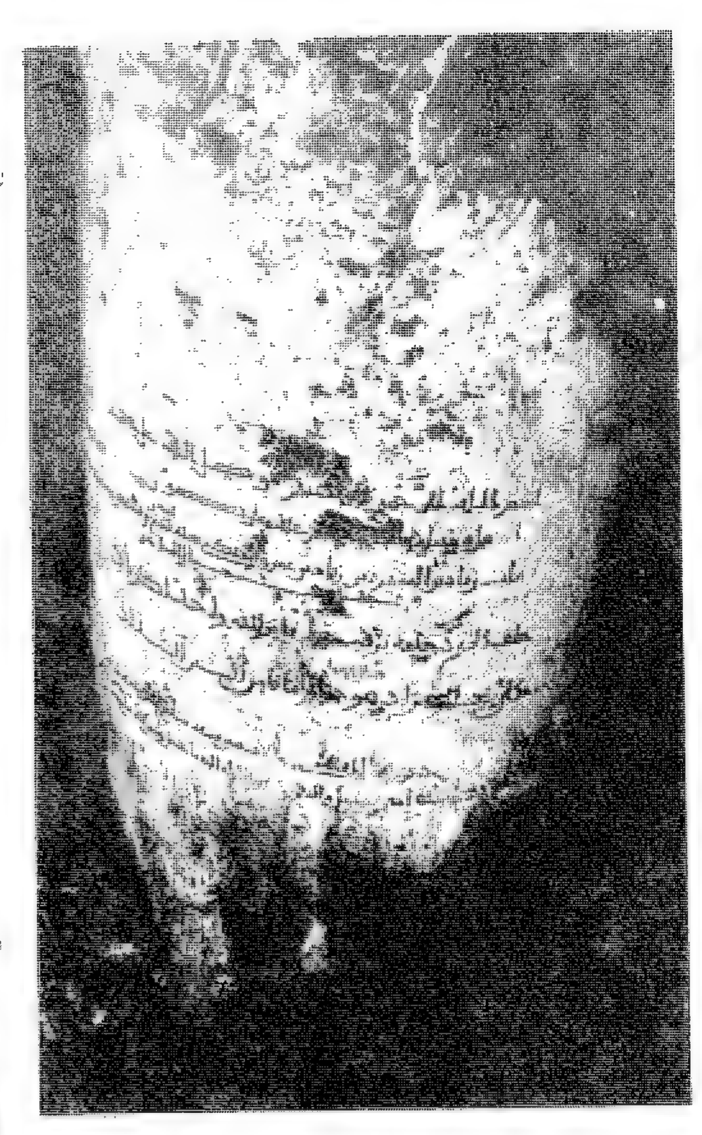
لوحه (١٥١) واجهة مسجد سيدى الطرطوشى بحى الباب الأخضر بالاسكندرية.

لوحه (١٥٠) محراب ومنبر جامع الرفاعى

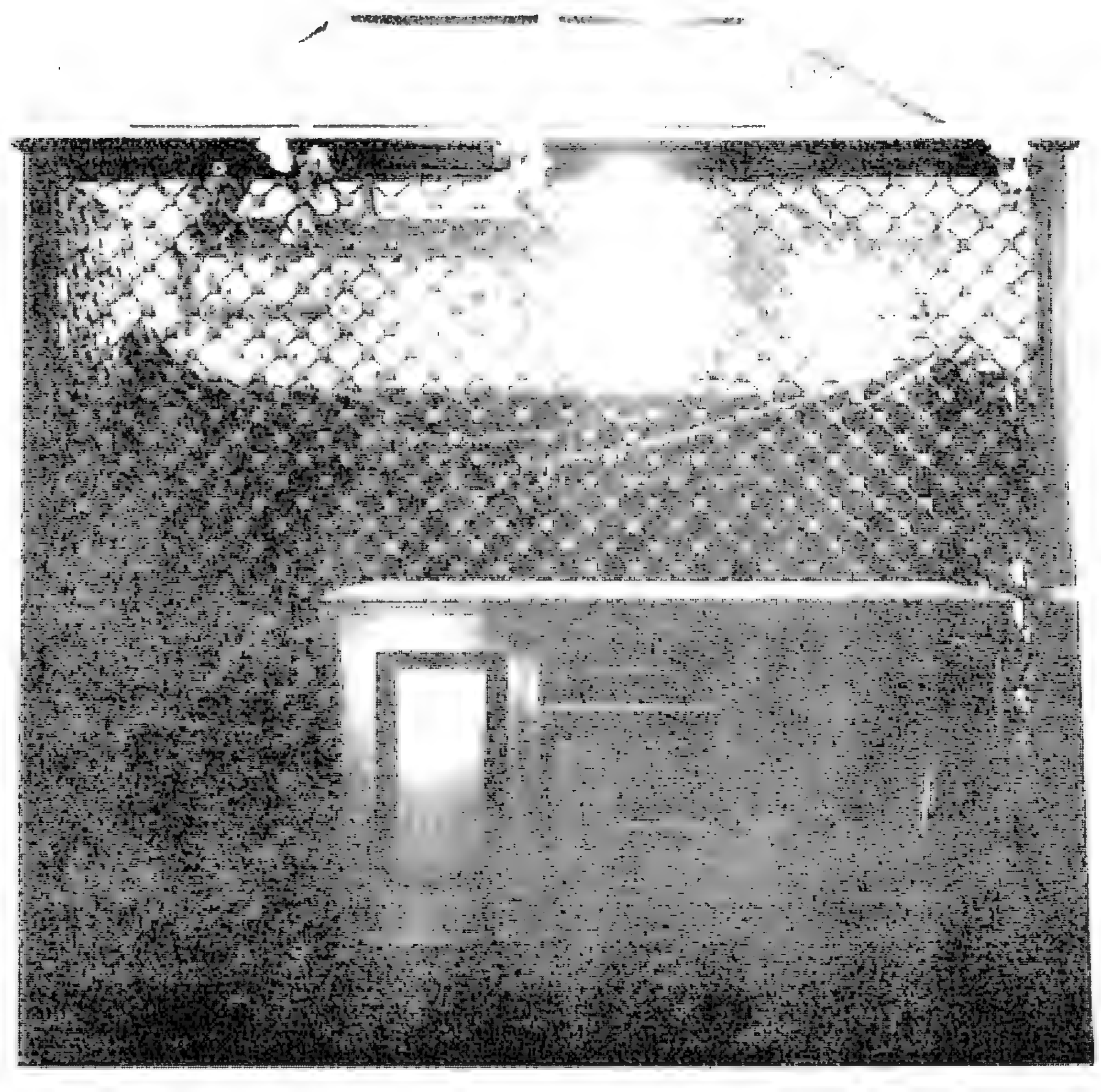
لوحه (١٥٢) جامع الأمير زياد بالمنيا


لوحه (١٥٣) محراب ومنبر جامع الأمير زياد

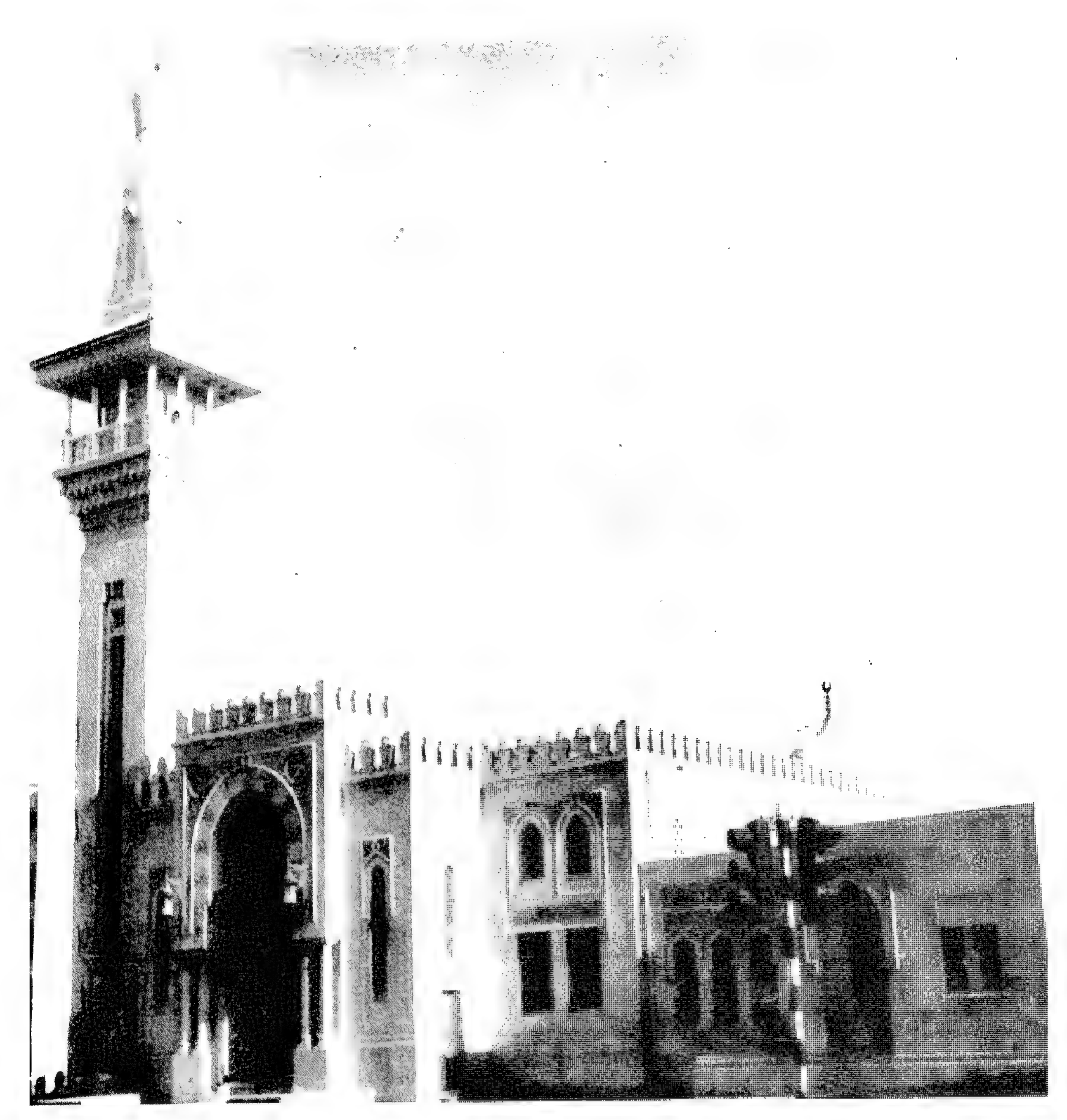
لوحة (١٥٤) عمود من الرخام عليه اسم الأمير زياد



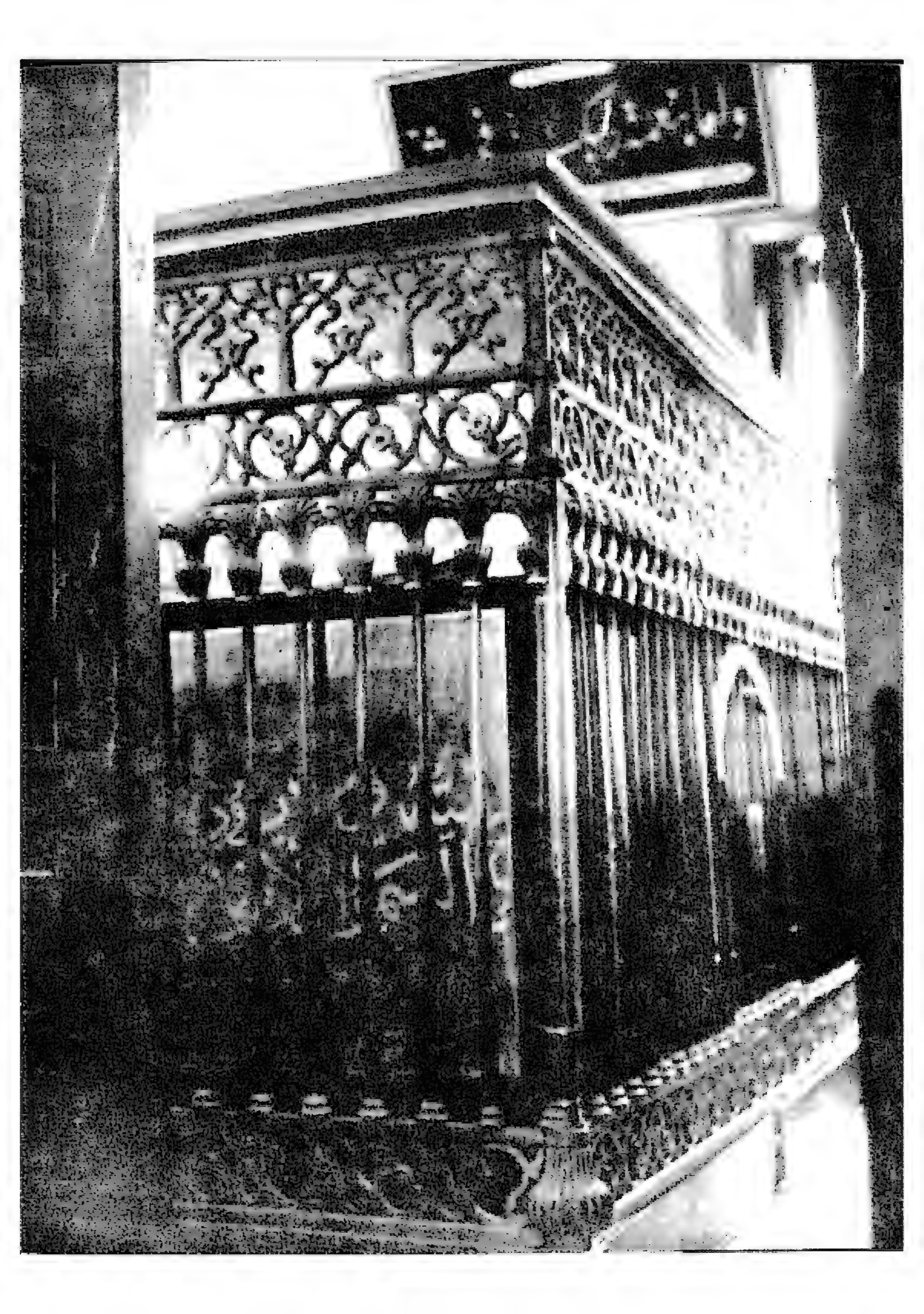
لوحة (١٥٥) لوحة تذكارية نقش عليها اسم
الأمير زياد والسلطان قايتباى



لوحه (١٥٦) مقصورة جامع سيدى بشر بالاسكندرية



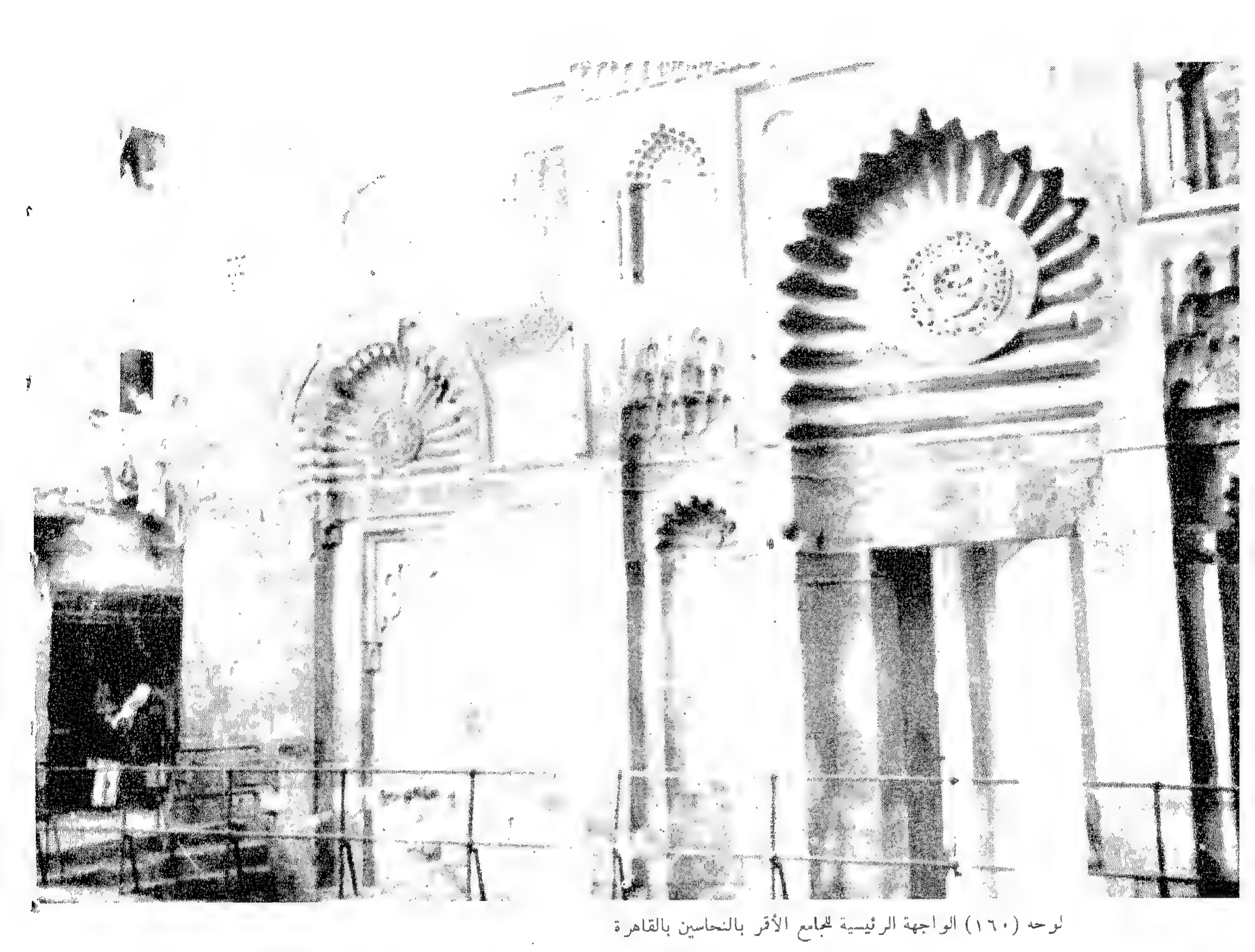
لوحه (١٥٧) واجهة جامع سيدى جابر الرئيسية بالاسكندرية



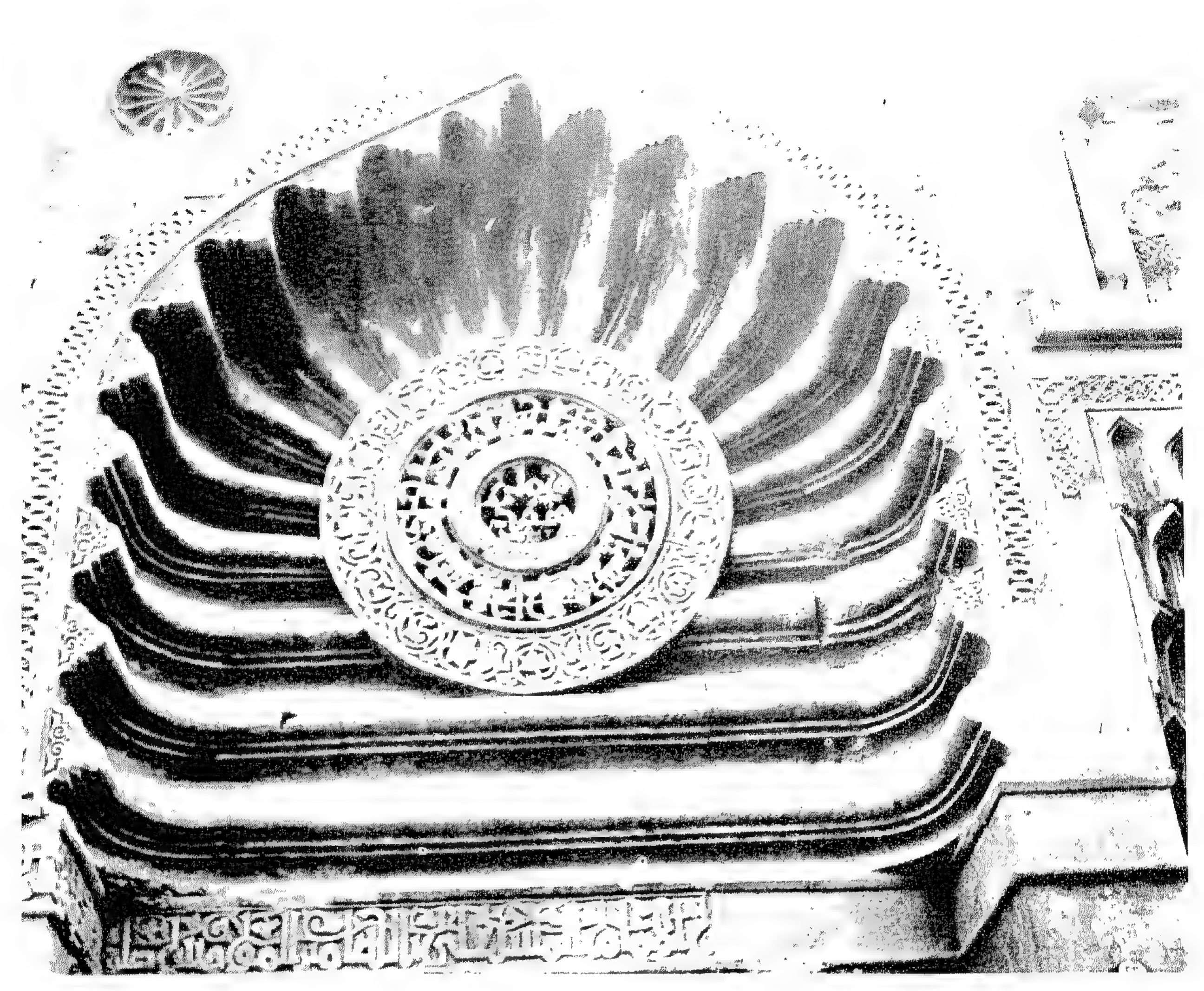
لوحه (١٥٨) مقصورة سيدى جابر

لوحه (١٥٩) جامع سيدى جابر من الداخل





لوحه (١٦٠) الواجهة الرئيسية للجامع الأقمر بالنحاسين بالقاهرة



لوحه (١٦١) حنيه مفصصة تعلو المدخل الرئيسى لجامع الأقمر

لوحه (١٦٢) واجهة رواق القبلة بجامع الأقمر

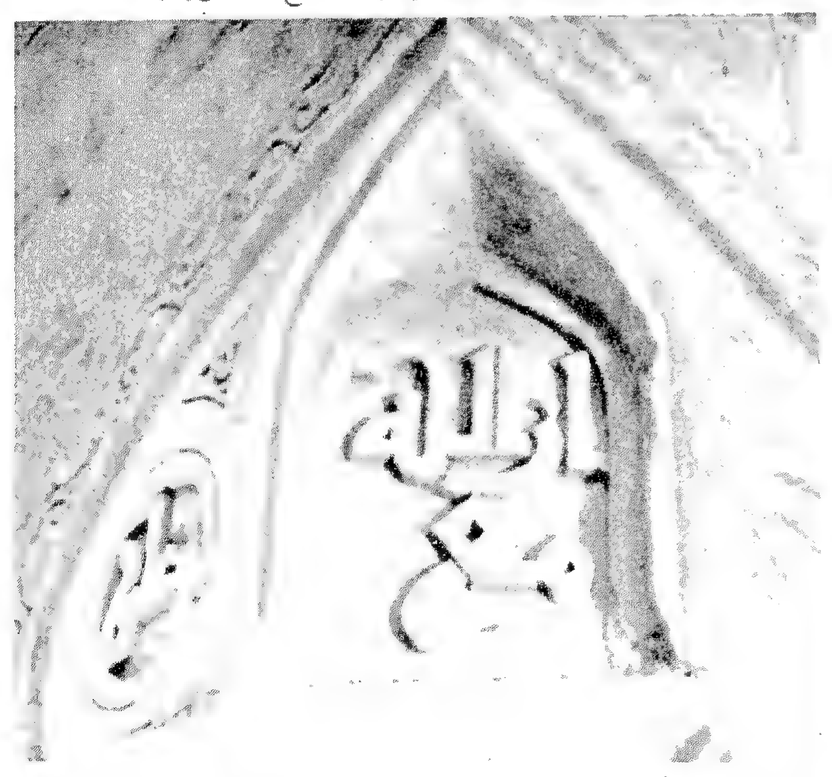




لوحه (١٦٣) سقف أروقة جامع الأقمر وهو عبارة عن مجموعة من القباب الضحلة

لوحه (١٦٤) شطفة فى الركن الشمالى الغربى لجامع الأقمر

لوحه (١٦٥) مقرنص فى الشطفة السابقة كتب فيها (إن الله مع محمد وعلى) .





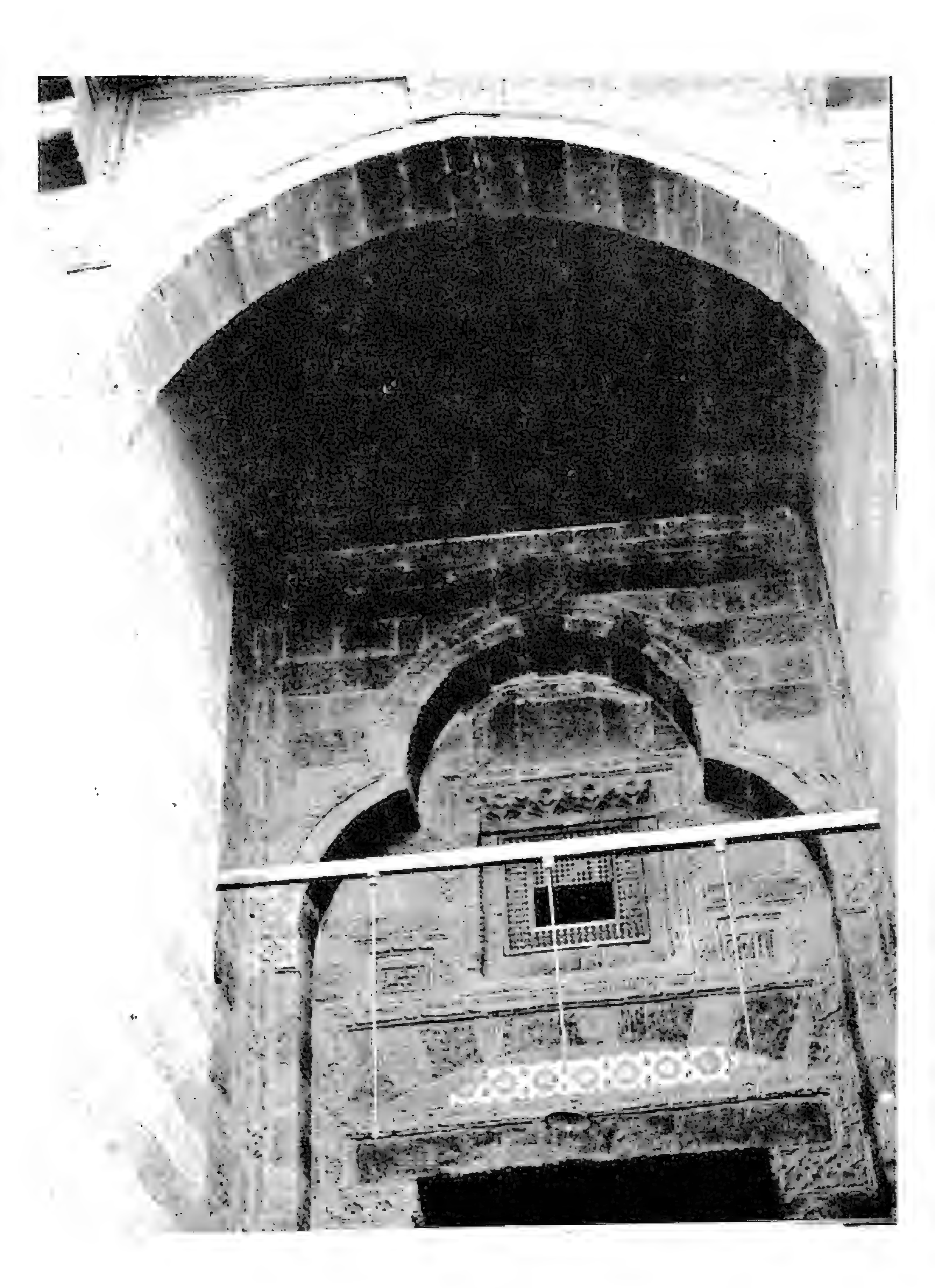
لوحه (١٦٦) محراب الجامع الأقمر

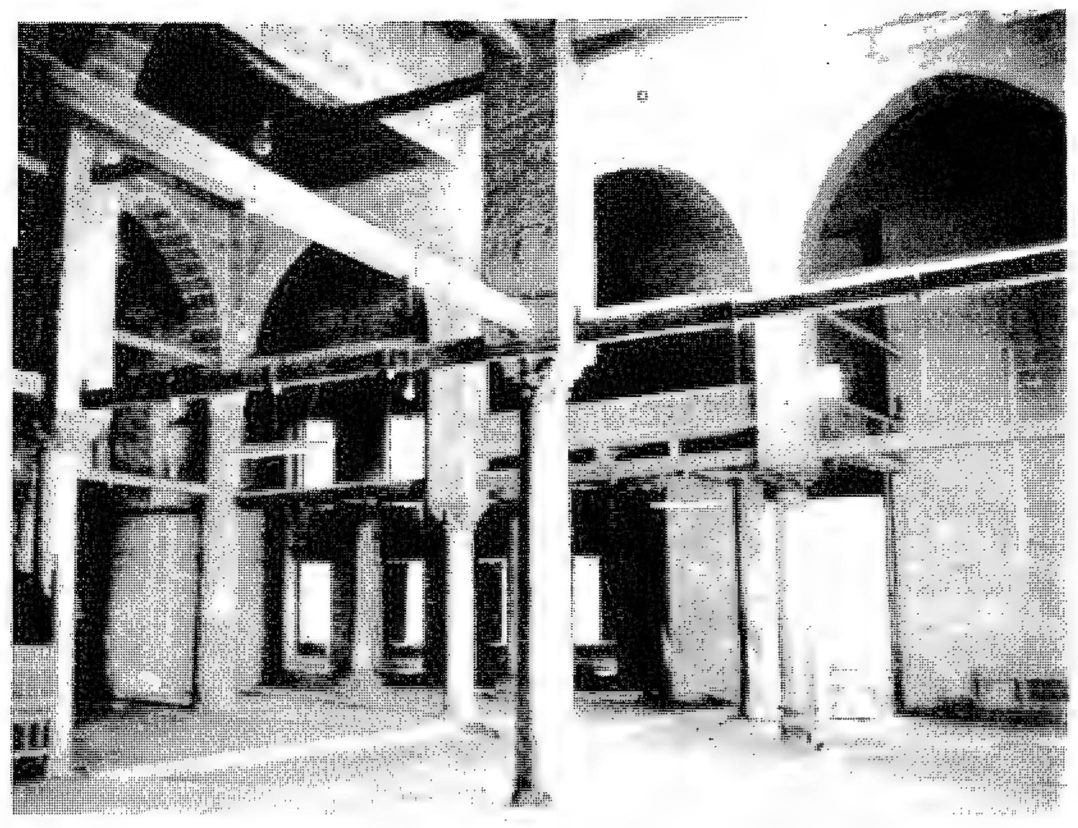


لوحه (١٦٧) دولاب حائط فى جامع الأقمر



لوحه (١٦٨) واجهة جامع الفكهانى (الأفخر) بالغورية

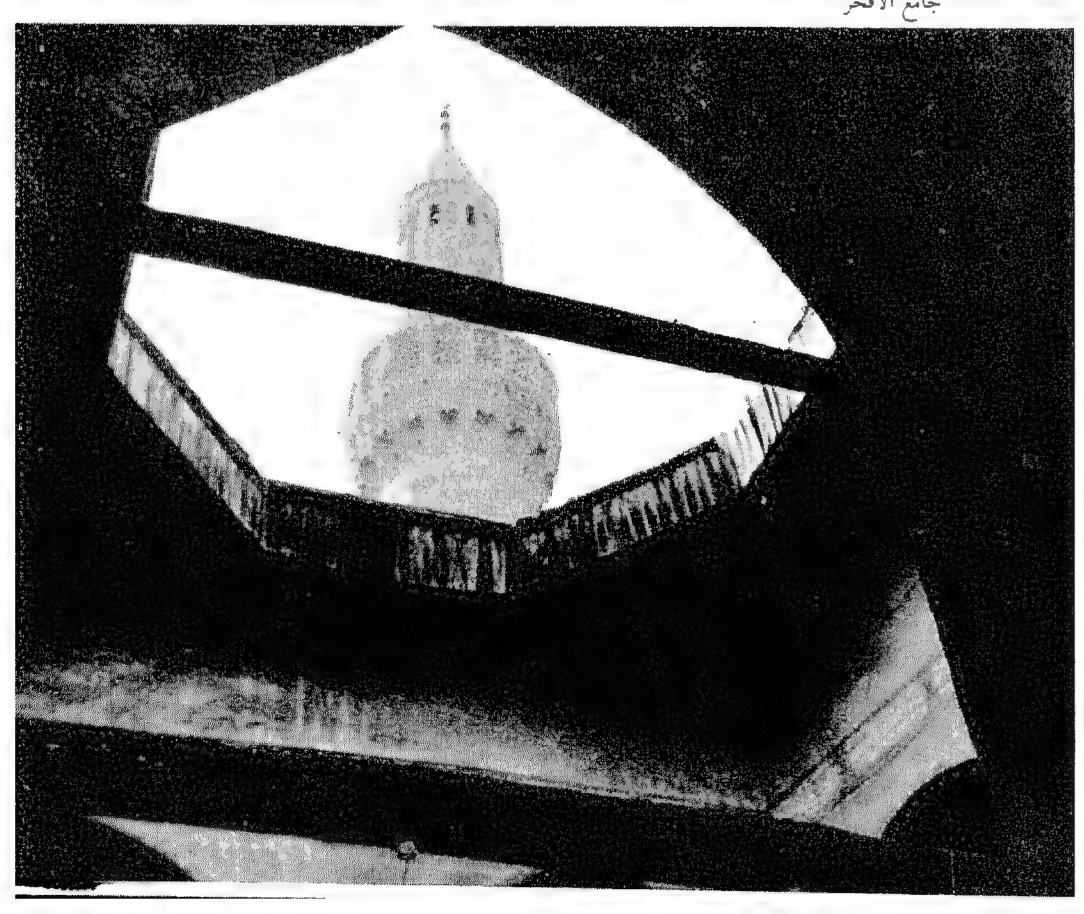


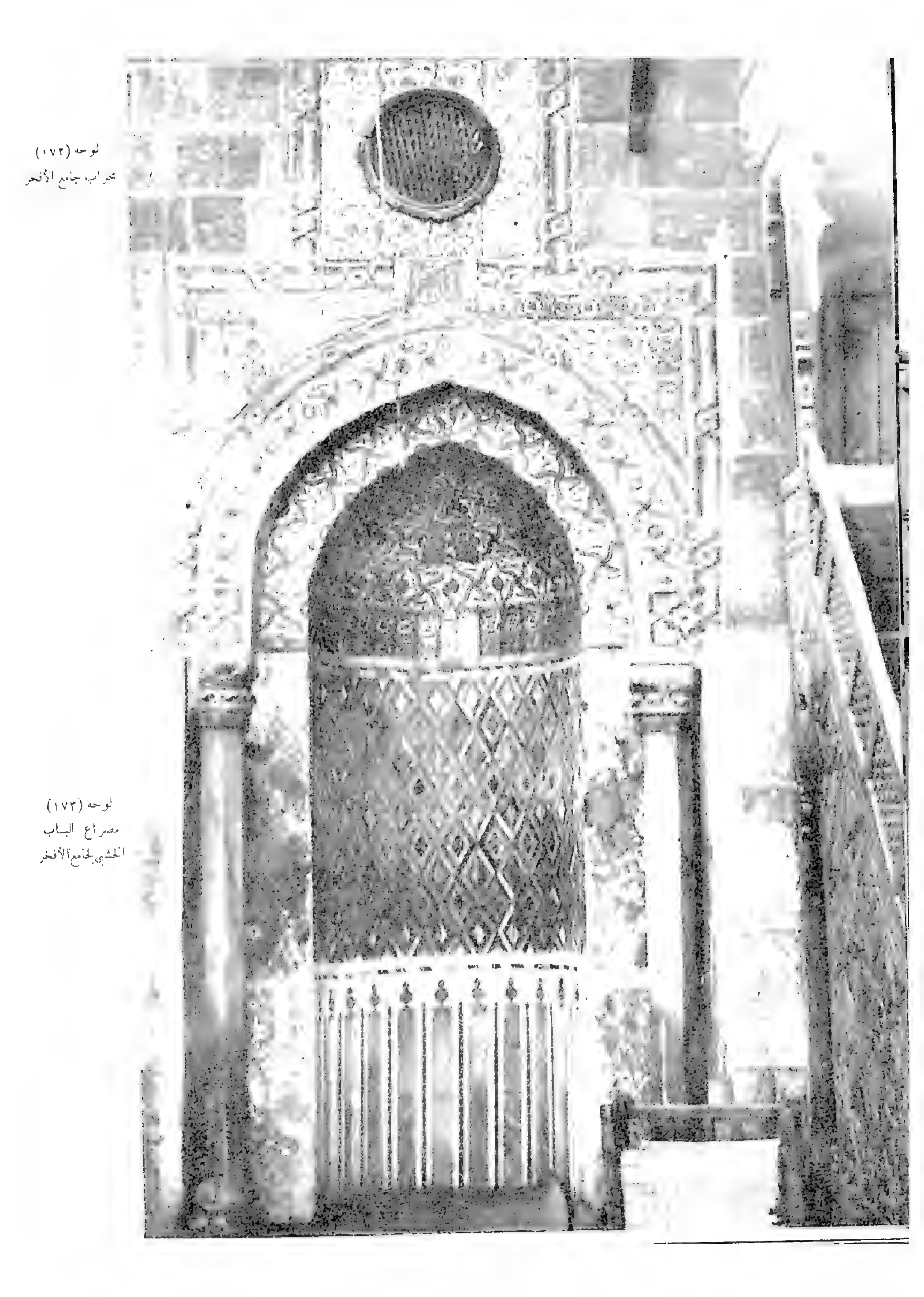


لوحه (١٦٩)
المدخل الرئيسى لجامع الفكهانى فى الجهة الغربية

لوحه (١٧٠) الجامع الأفخر من الداخل

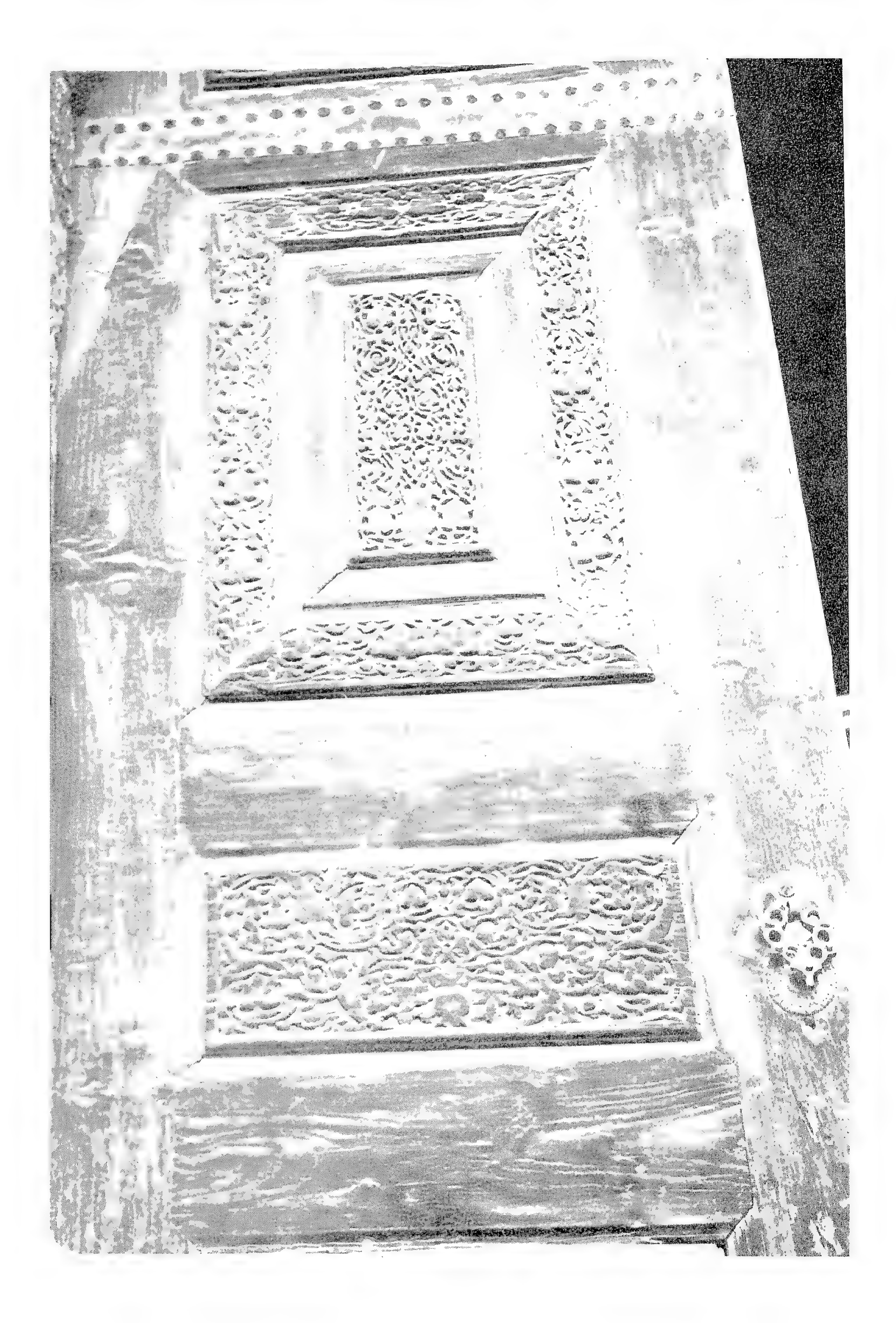
لوحه (١٧١) المنور الذى يتوسط صحن جامع الأفخر





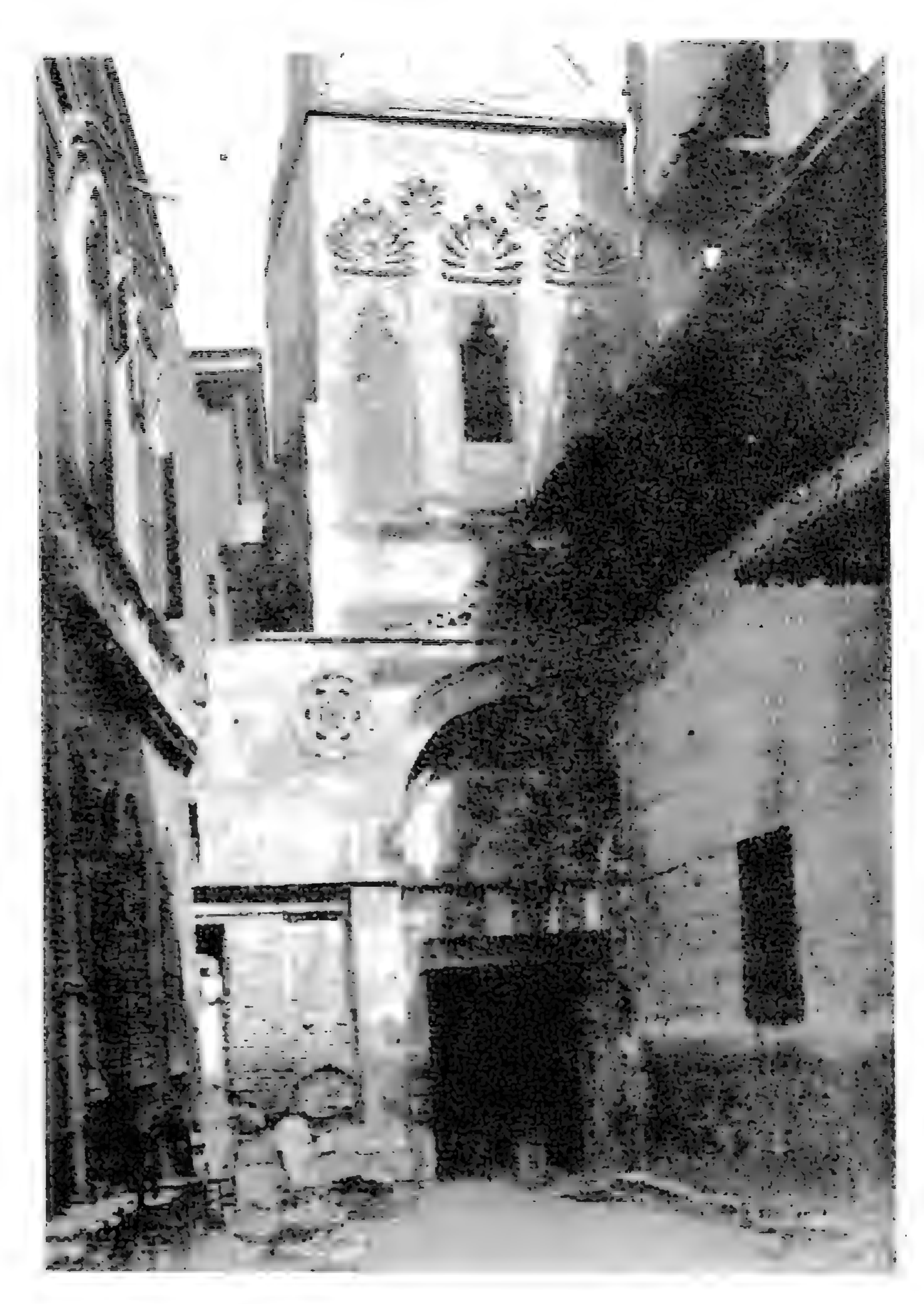
لوحه (١٧٢)
محراب جامع الأقمر

لوحه (١٧٣)
مصراع الباب
الخشبي لجامع الأقمر





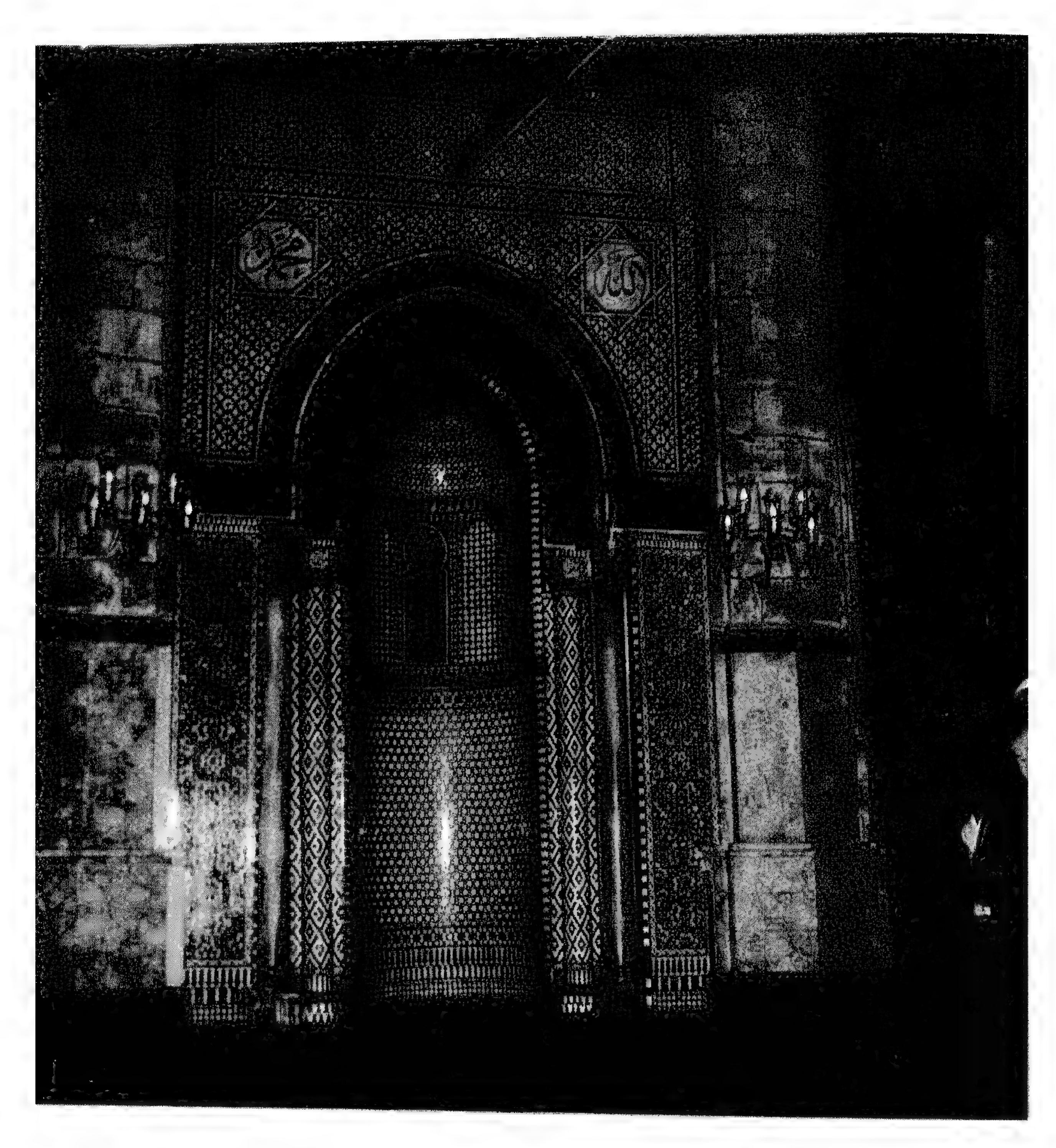
لوحه (١٧٤) الواجهة الجنوبية لجامع سيدنا الحسين



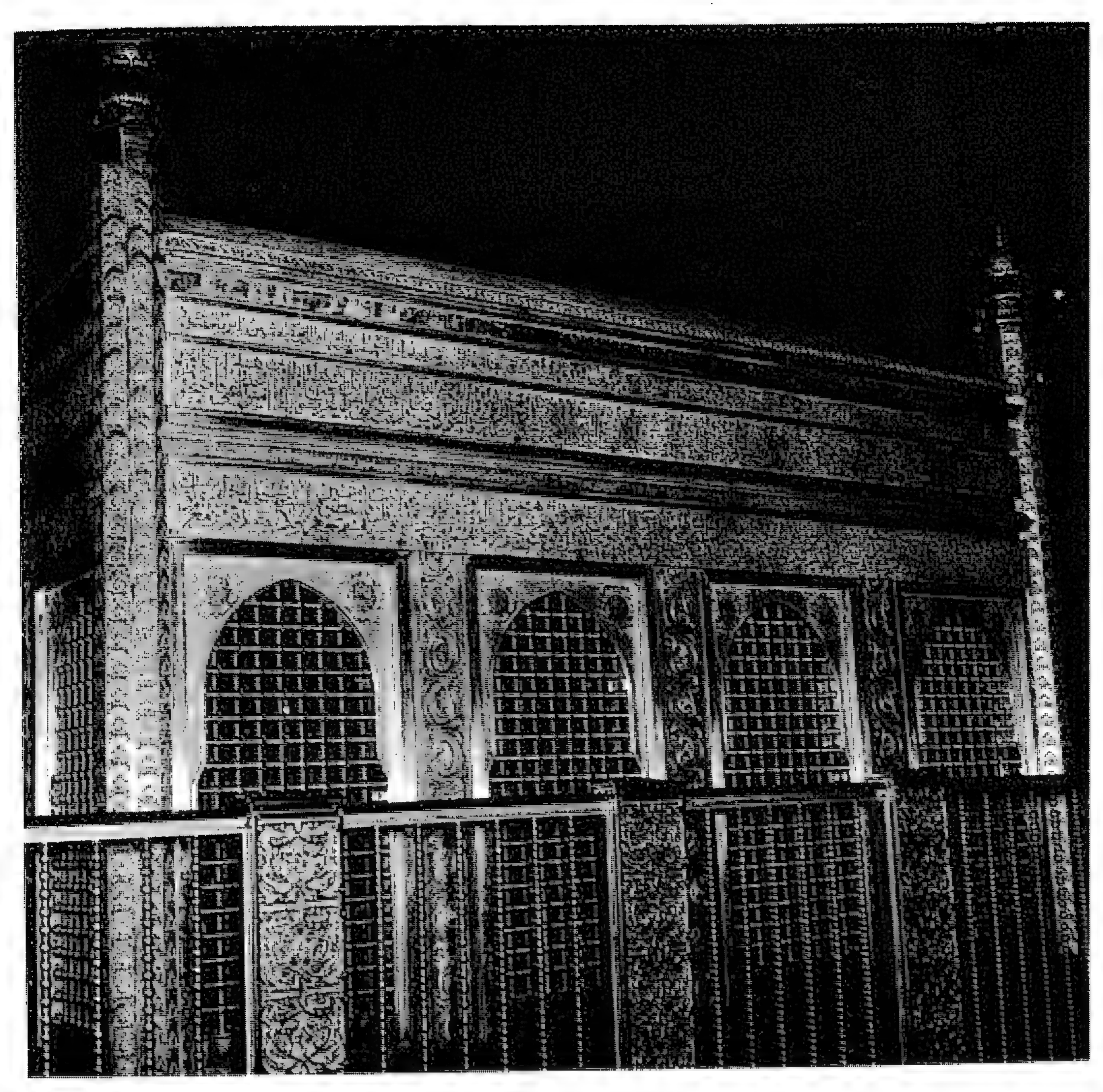
لوحه (١٧٥) مئذنة جامع سيدنا الحسين القديمة تعلو الباب الأخضر



رقم (١٧٢) مشكاتان موجودتان بمسجد
سيدنا الحسين عليهما أسم السلطان سعيد حقمق



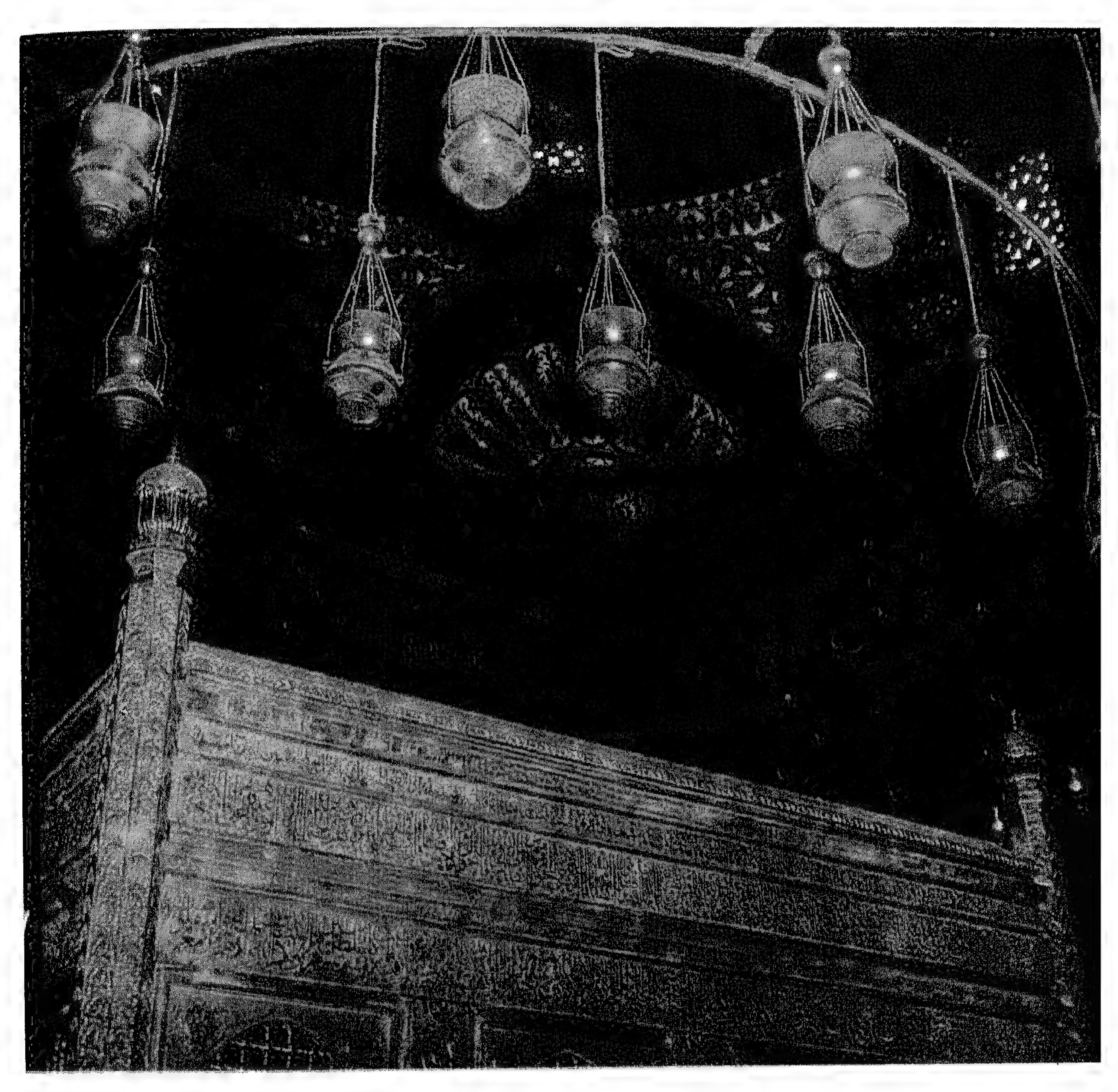
لوحة (١٧٧) محراب قبة سيدنا الحسين



لوحه (١٧٨) مقصورة سيدنا الحسين الفضية



لوحه (١٧٩) باب غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم بجامع الحسين



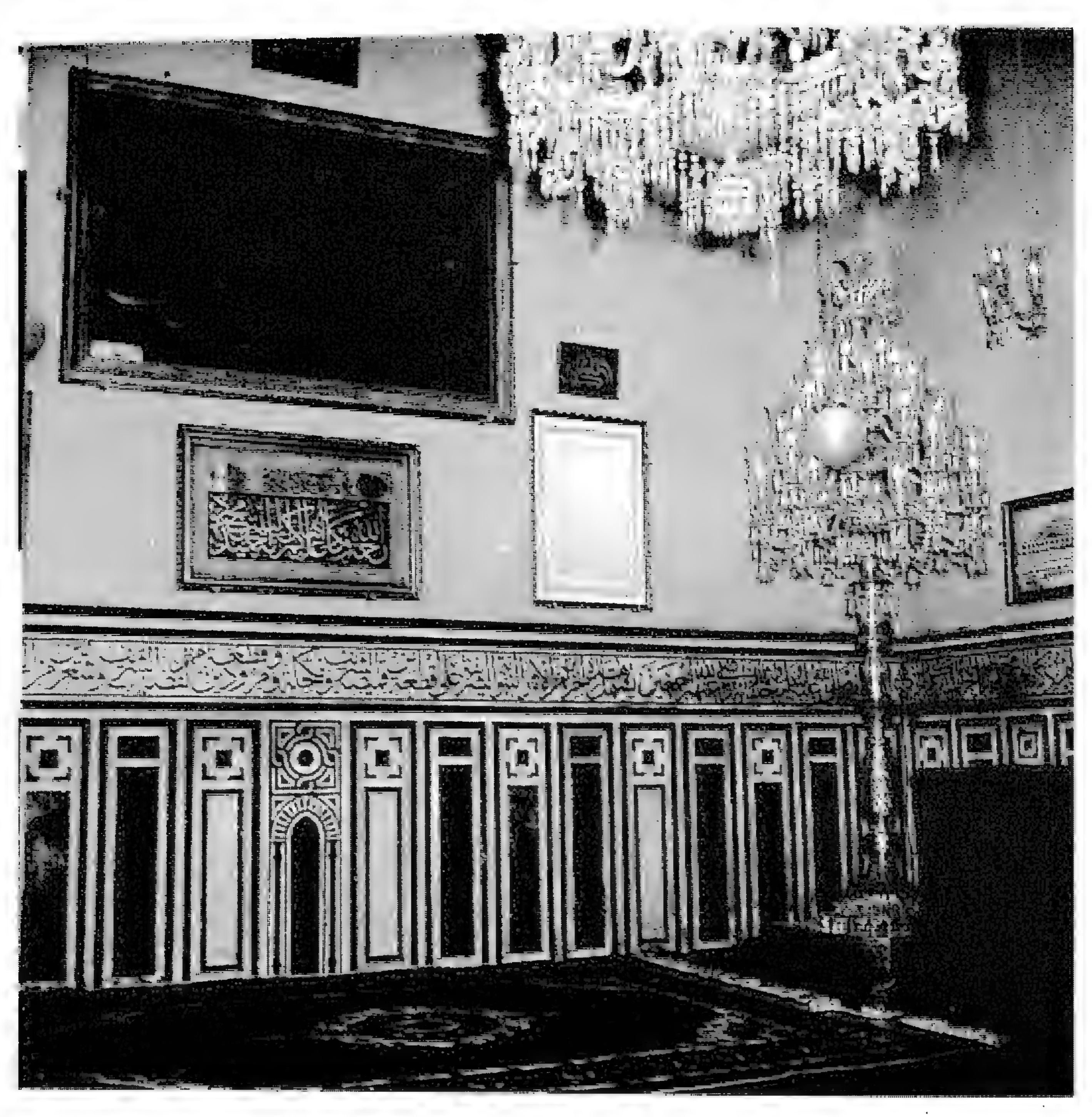
لوحه (١٨٠) قبة سيدنا الحسين وقد بدى فى أركانها المقرنصات



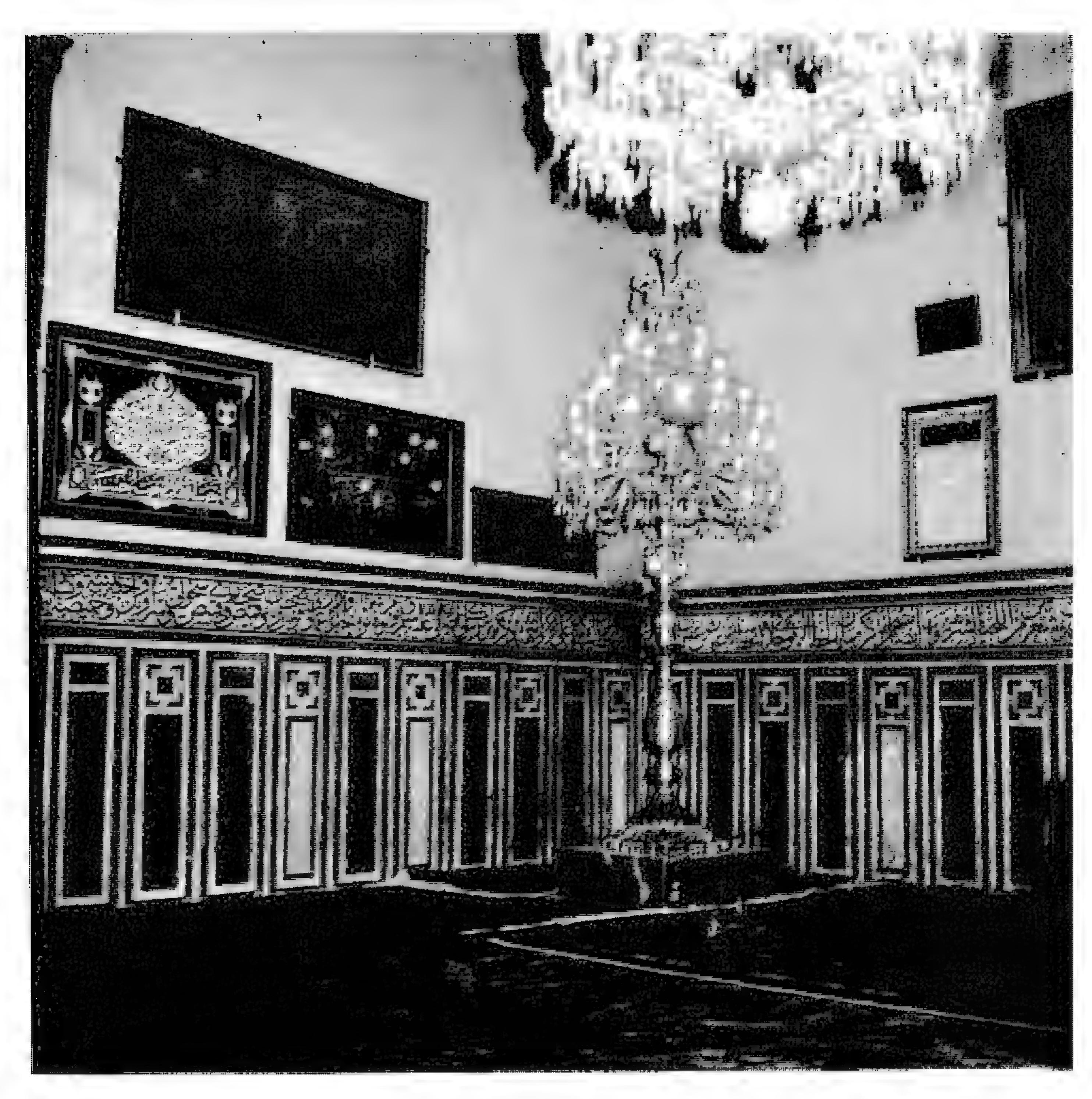
لوحه (١٨١) جانب من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم



رقم (١٨٢) جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبي



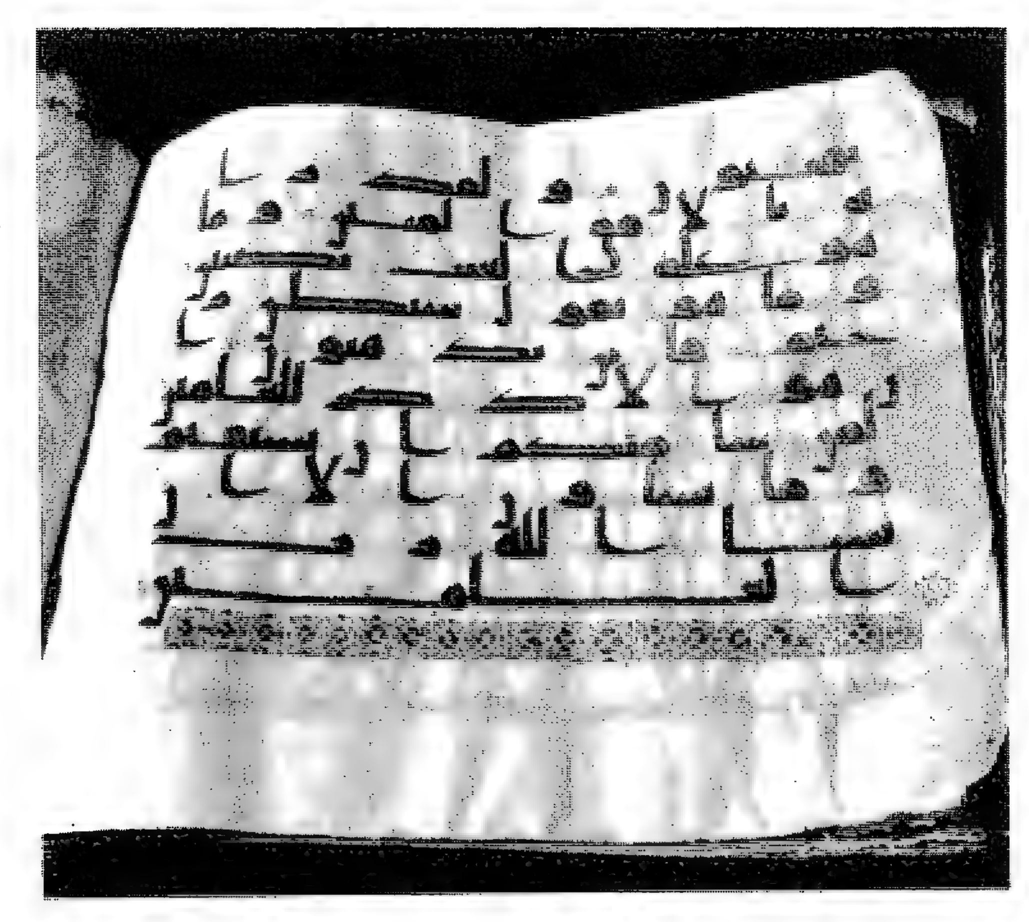
لوحه (١٨٣) الجانب الشرقي من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم



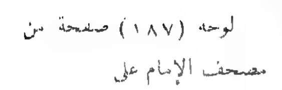
لوحه (١٨٤) جانب رابع من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم



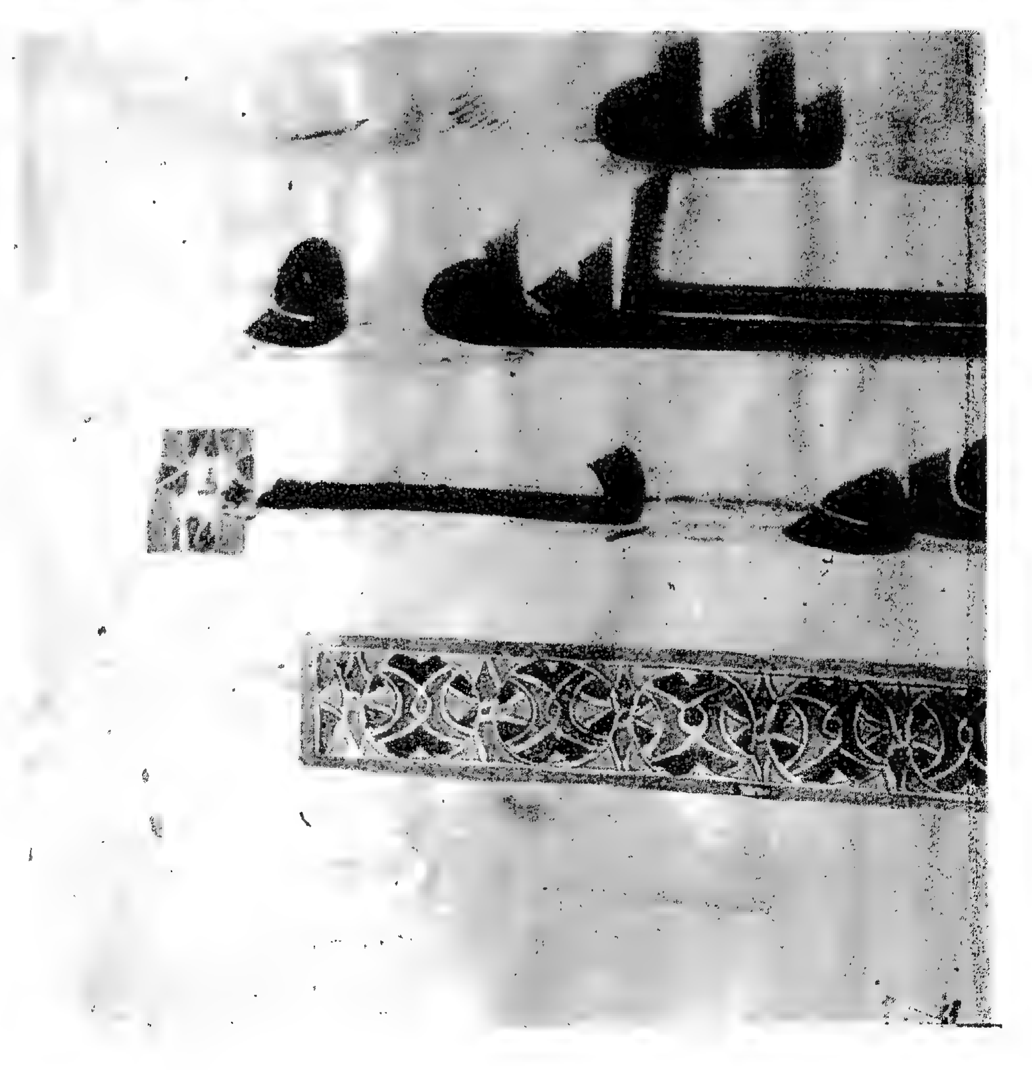
لوحه (١٨٥) جانب خامس من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم.
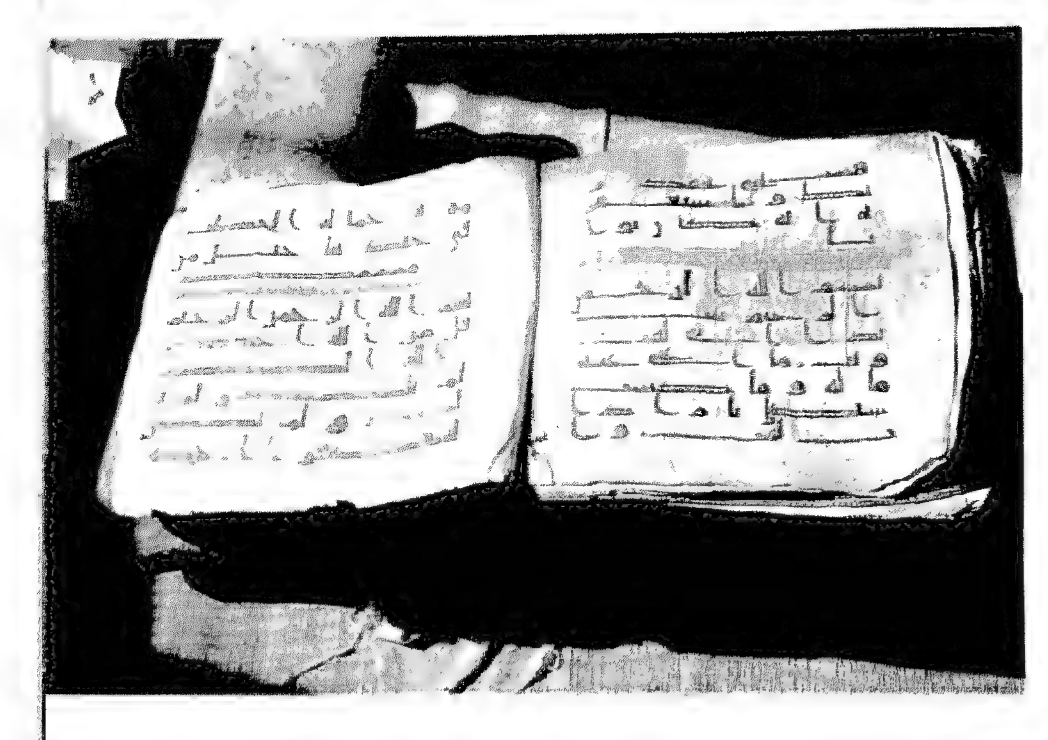


لوحه (١٨٦) صفحه من مصحف الإمام علي الموجود بغرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم

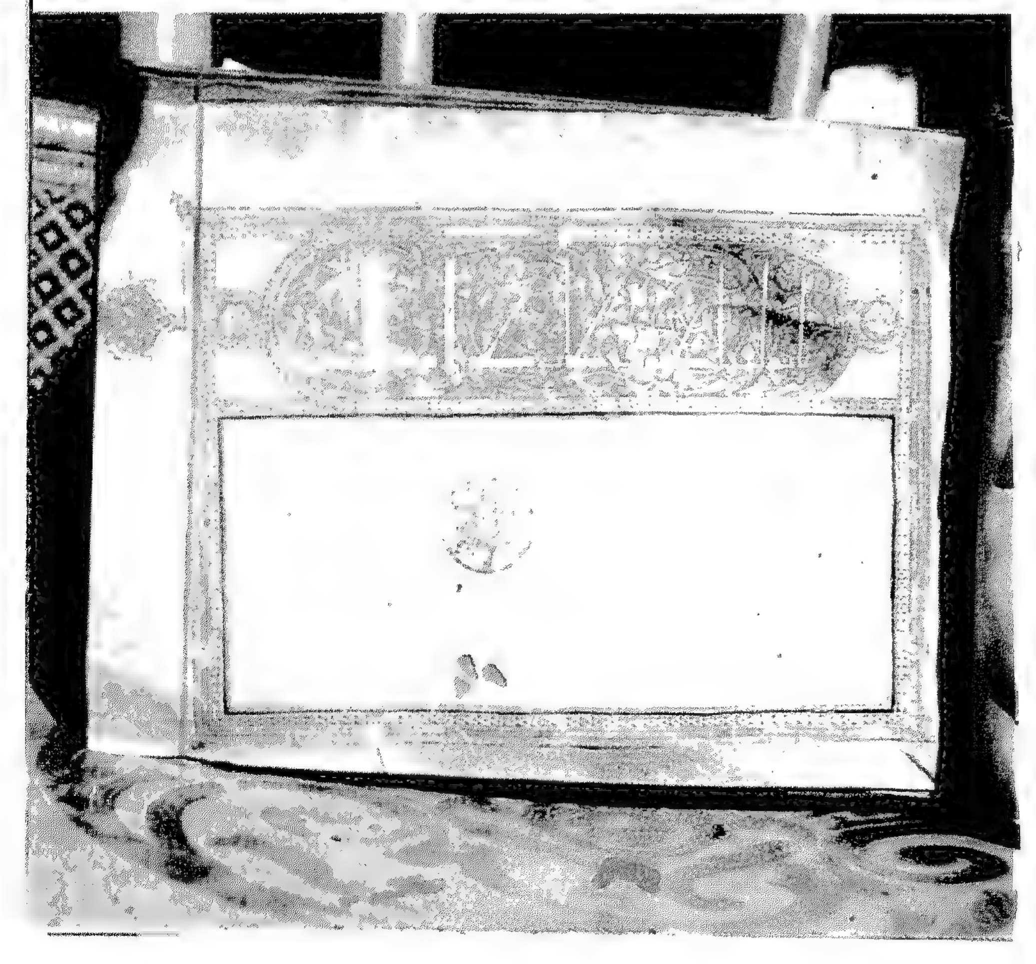


لوحه (١٨٧) صفحة من مصحف الإمام علي

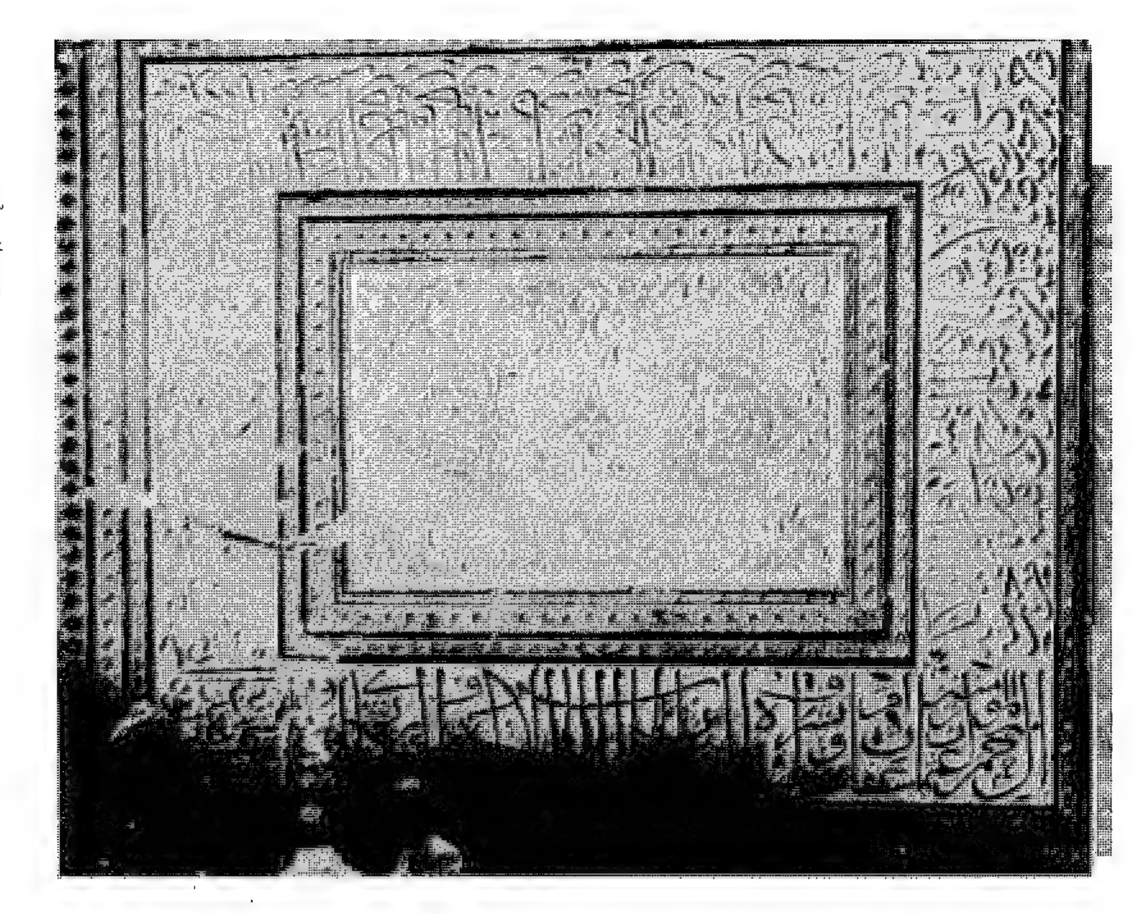




لوحة (١٨٨) صفحة من مصحف الإمام علي

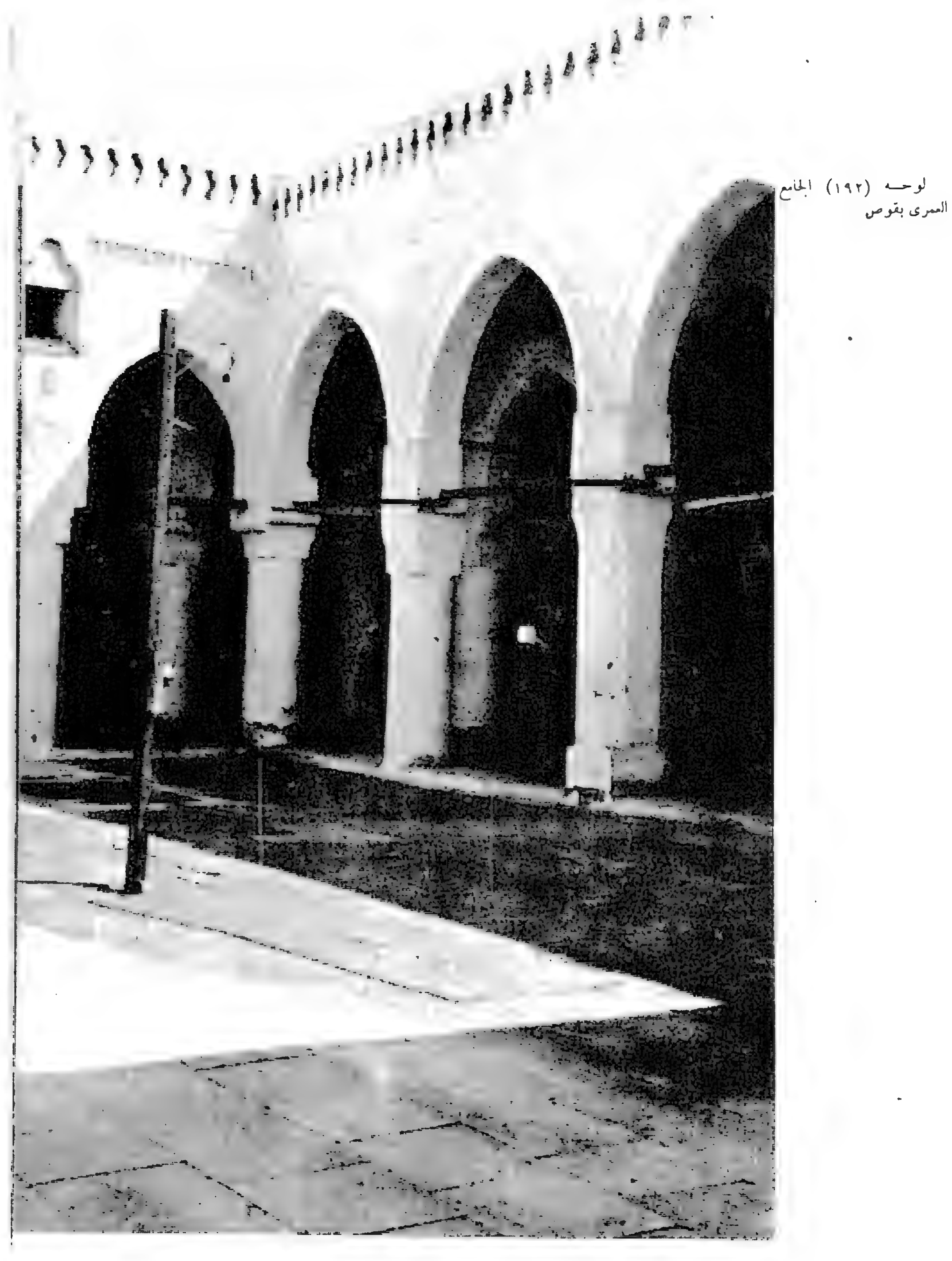


لوحة (١٨٩) الصفحة الأولى من مصحف الإمام علي



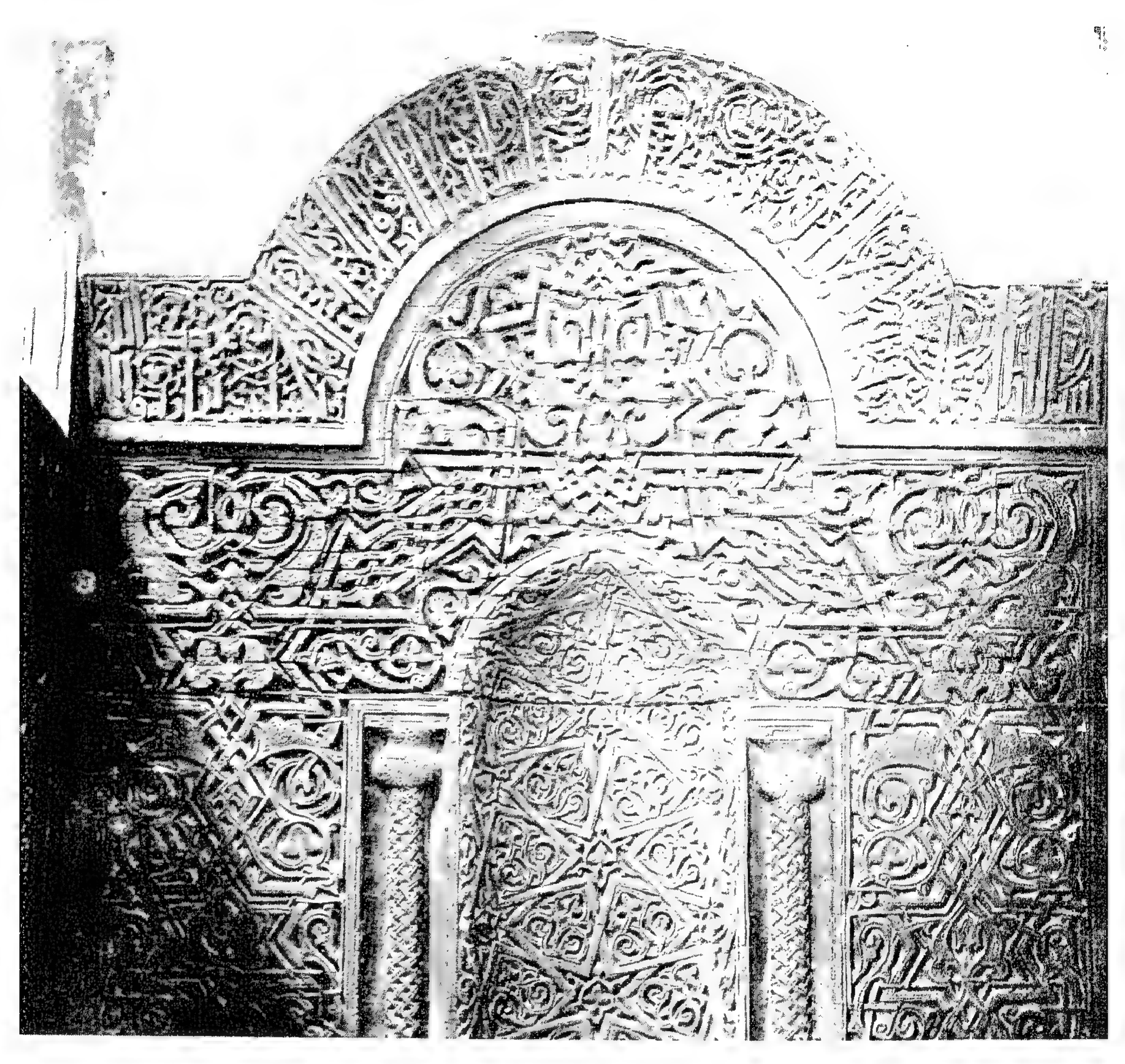
لوحة (١٩٠) جلدة مصحف سيدنا عثمان الموجودة بغرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم

لوحة (١٩١) صفحة من مصحف سيدنا عثمان



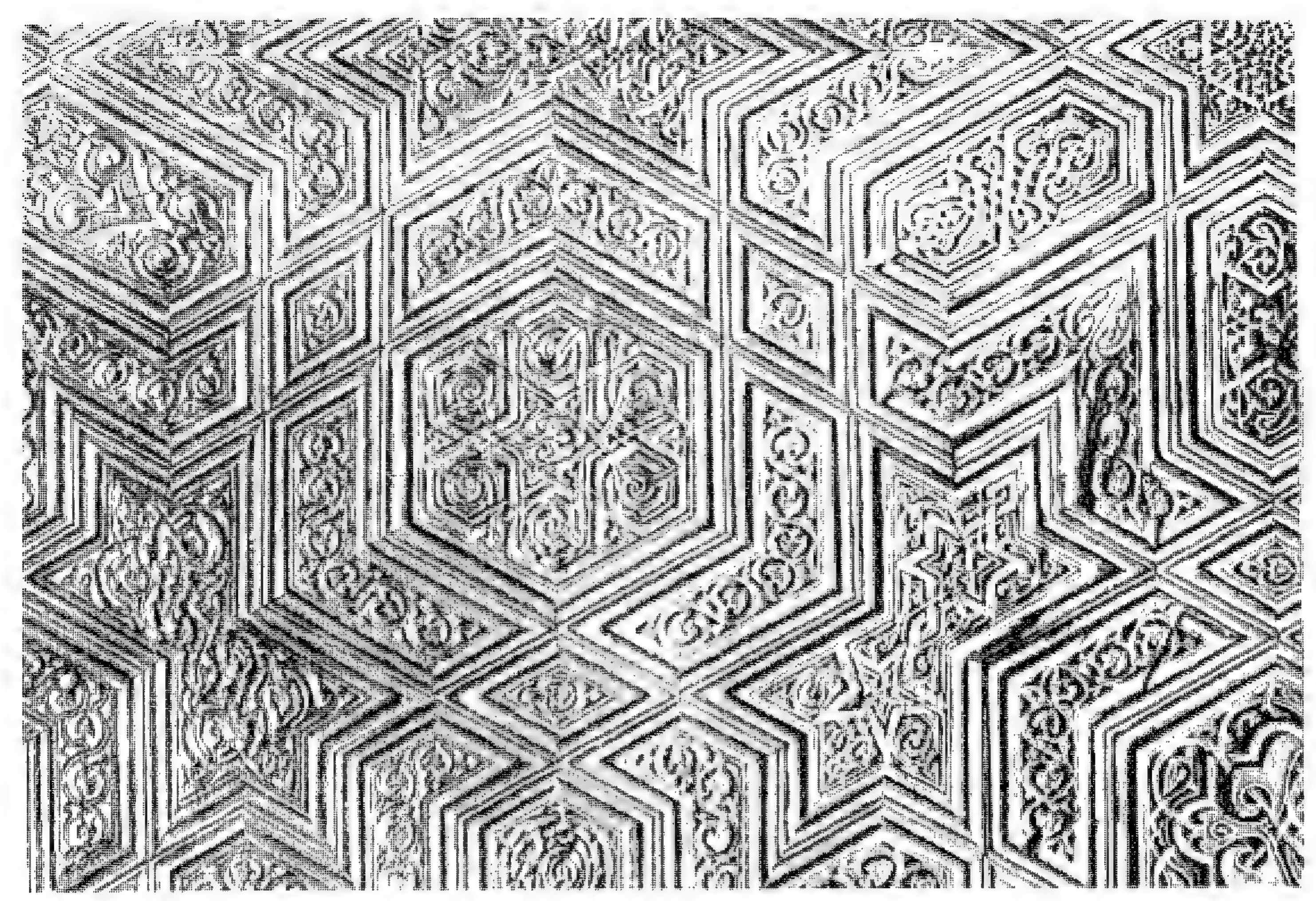
لوحــه (١٩٢) الجامع العمرى بقوص



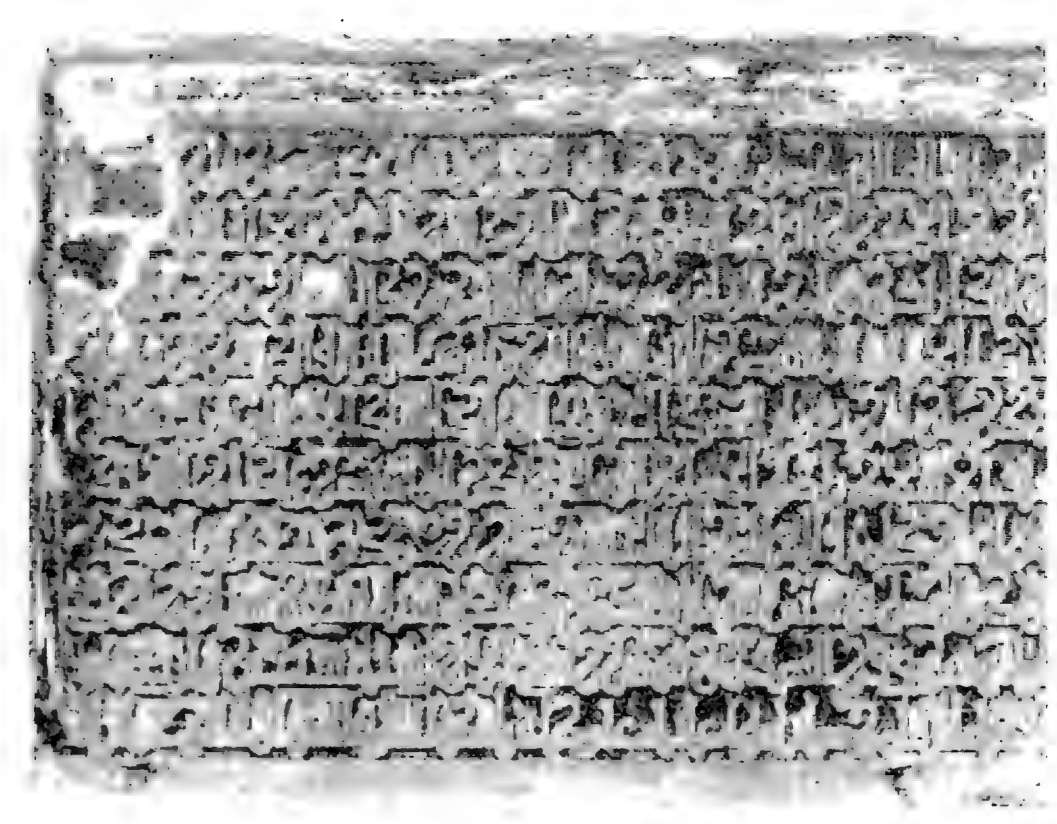


لوحة (١٩٤) ظهر جلسة منبر الجامع العمرى بقوص ويرجع إلى العصر الفاطمى

لوحة (١٩٣) محراب الجامع العمرى بقوص ويرجع إلى العصر المملوكى

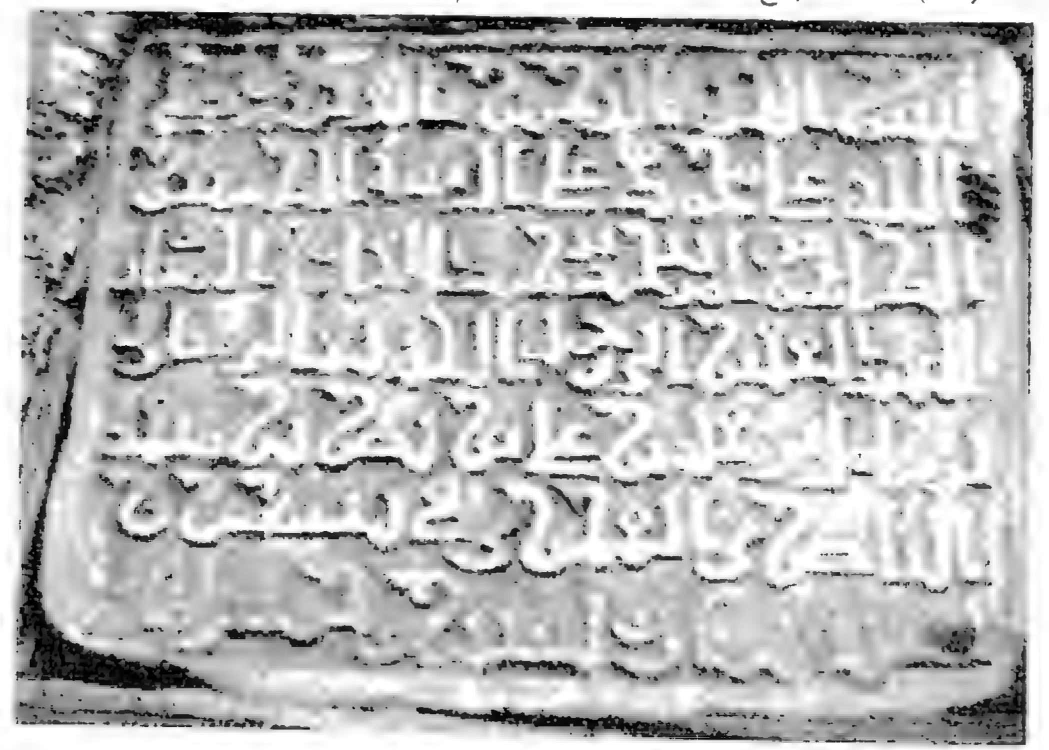


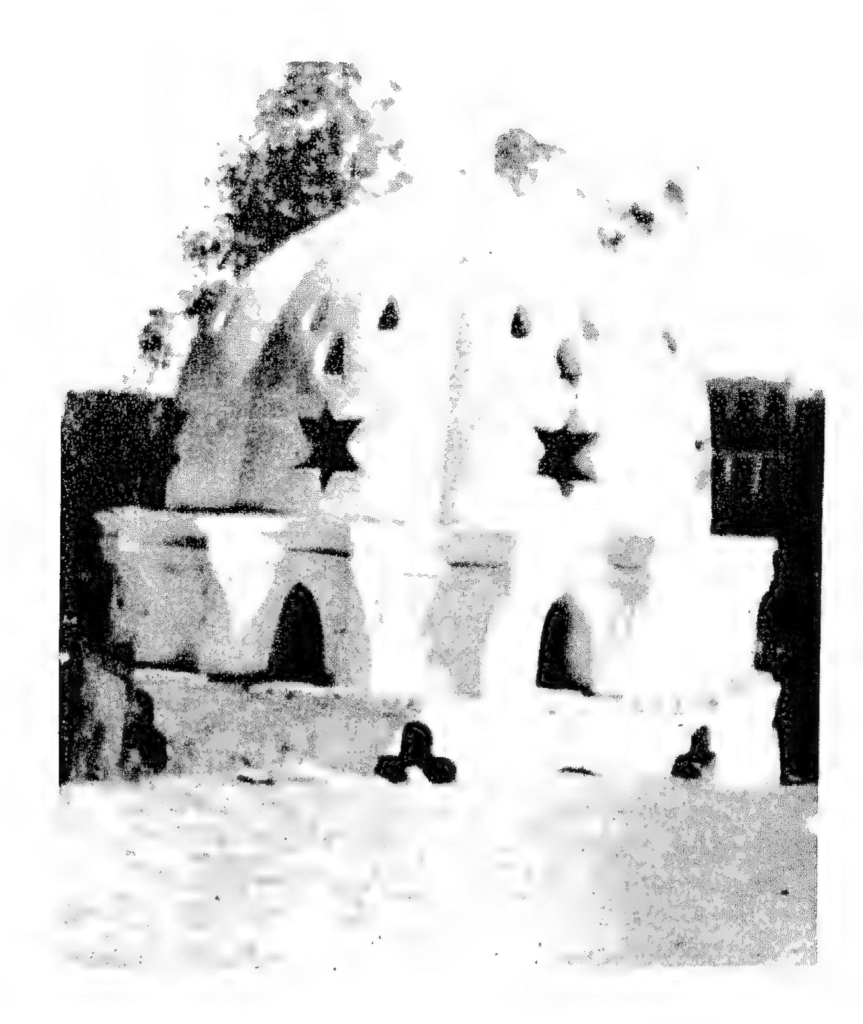
لوح (١٩٥) جزء من جانب (ريشة) منبر جامع قوص ويرجع إلى العصر الفاطمى



لوحه (١٩٦) اللوحه التأسيسية لجامع قوص مؤرخه سنة ٣٧٠ هـ

لوحه (١٩٧) لوحة أخرى بجامع قوص مؤرخة سنة ٥٦٨هـ عليها اسم على بن نصر بن منقذ





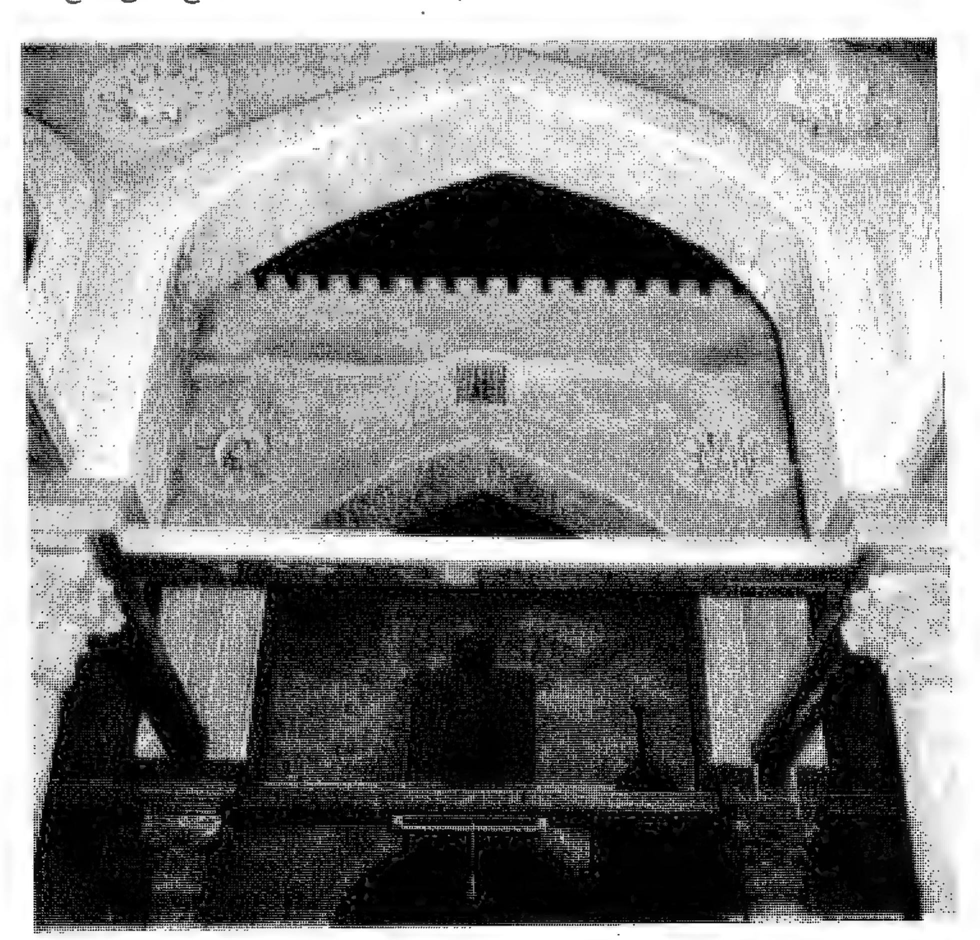
لوحه (١٩٨) قبة بجامع قوص ترجع إلى العصر الفاطمى

لوحه (١٩٩) القبة من الداخل ونرى بها المقرنصات ومنطقة الانتقال

لوحة (٢٠٠١) المدخل الرئيسي لجامع بسة العتيق



لوحه (٢٠٥) واجهة إيوان القبلة بجامع الصالح طلائع



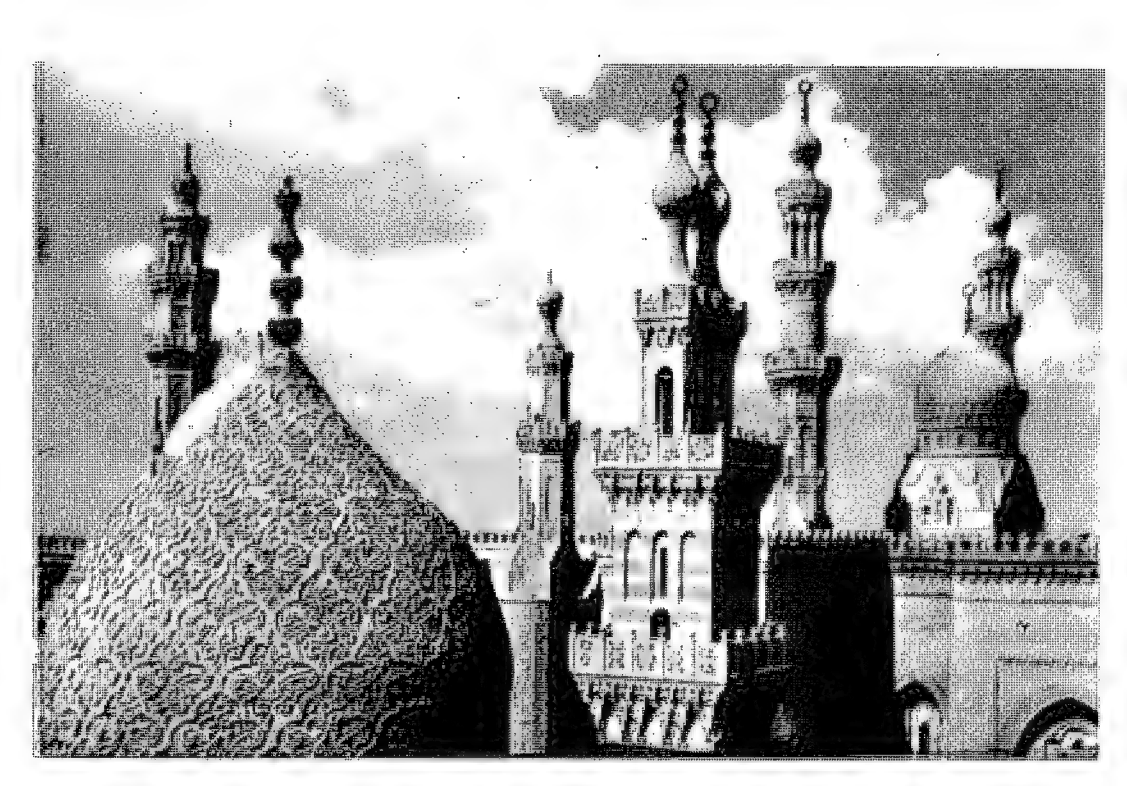
لوحه (٢٠٦)
الأشرطة الكتابية تحيط
بعقود أروقة جامع
الصالح طلائع



لوحه (٢٠٧) محراب جامع الصالح طلائع



لوحه (٢٠٨) مصراعا باب جامع الصالح طلائع



لوحه (٢٠٩) مآذن مساجد مصر وقباب أضرحة أوليائها الصالحين

فهرس المراجع العربية والأفرنجية

(ا)

(١) آدم مز	الحضارة الإسلامية (مترجم)	(١٩٥٧ م)
(٢) ابن الأثير	أسعد الغابه فى معرفة الصحابة	
(٣) « «	تاريخ الكامل	بولاق (سنة ١٢٩٠ هـ)
(٤) ابن أبى أصيبعه	عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء	(سنة ١٣٠٠ هـ)
(٥) ابن إياس	بدائع الزهور فى وقائع الدهور	(بولاق سنة ١٣١٣هـ)
(٦) ابن تغرى بردى	النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة	(دار الكتب)
(٧) « « «	المنهل الصافى فى المستوفى بعد الواف	(دار الكتب)
(٨) ابن جبير	رحلة ابن جبير	(طبع مصر)
(٩) ابن بطوطة	رحلة ابن بطوطه	(١٢٨٧ هـ)
(١٠) ابن جرير الطبرى	تاريخ الرسل والملوك	(سنة ١٣٢٦ هـ)
(١١) « « «	القرى لقاصدأم القرى	(سنة ١٩٤٨ م)
(١٢) ابن الجيعان	التحفة السنيه	(سنة ١٨٨٩ م)
(١٣) ابن حزم	الفصل فى الملل الأهواء والنحل	(سنة ١٣١٧ هـ)
(١٤) ابن الحاج	المدخل	(سنة ١٩٢٩ م)
(١٥) ابن الجوزى	المنتظم فى أخبار الملوك والأمم	(سنة ١٣٥٩ هـ)
(١٦) ابن حوفل	الممالك والمسالك	(سنة ١٨٣٣ م)
(١٧) ابن حجر العسقلانى	الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	(سنة ١٣٤٩ هـ)
(١٨) « « «	الإصابة فى تمييز الصحابه	
(١٩) « « «	أنباء الغمر فى أنباء العمر	(المجلس الأعلى ١٣٩٠)
(٢٠) ابن خرواذبه	الممالك والمسالك	(سنة ١٣٠٩ هـ)
(٢١) ابن الأخوه	معالم القربه فى أحكام الحسبه	(سنة ١٩٣٧ م)
(٢٢) ابن خلدون	االعبر وديوان المبتدأ والخبر	(سنة ١٢٨٤ هـ)
(٢٣) ابن خلكان	وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان	(بولاق سنة ١٢٧٥ هـ)

(٢٤) ابن الزيات	الكواكب السياره فى ترتيب الزيارة	(طبعة بغداد)
(٢٥) ابن زولاق	العيون الدعج فى أخبار دولة بنى طفج	(سنة ١٨٩٩ م)
(٢٦) « «	فضائل مصر وأخبارها	
(٢٧) ابن رسته	الأعلاق النفيسه	
(٢٨) ابن شاكر الكبتى	فوات الوفيات	(سنة ١٣٤٦ ه)
(٢٩) ابن شاهنشاه	تقويم البلدان	(١٨٩٠ م)
(٣٠) ابن الشيخ	ألف باء	(سنة ١٢٨٧ ه)
(٣١) ابن ظهيره	الفضائل الباهره	(دار الكتب سنة ١٩٦٩ م)
(٣٢) ابن دقماق	الانتصار لواسطه عقد الأمصار	(بولاق سنة ١٣٠٩ ه)
(٣٣) ابن العماد	شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	(سنة ١٣٥١ ه)
(٣٤) ابن عبد ربه	العقد الفريد	(بولاق سنة ١٢٩٣ ه)
(٣٥) ابن العميد	تاريخ المسلمين	(سنة ١٩٢٥ م)
(٣٤) ابن قتيبه	عيون الأخبار	(سنة ١٣٤٨ ه)
(٣٥) ابن كثير	البداية والنهاية	(طبع مصر)
(٣٦) ابن محمود السخاوى الحنفى	تحفة الأحباب وبغية الطلاب	(سنة ١٣٥٦ ه
(٣٧) ابن مماتى	قوانين الدواوين	
(٣٨) ابن ميسر	أخبار مصر	(سنة ١٩١٩ م)
(٣٩) ابن النديم	الفهرست	(سنة ١٣٤٨ ه)
(٤٠) ابن النجار	الدرة الثمينة فى أخبار المدينة	(سنة ١٩٥٦ م)
(٤١) ابن فضل الله العمرى	مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار	(سنة ١٣٤٢ ه)
(٤٢) ابن الوردى	تاريخ ابن الوردى	(سنة ١٢٨٥ ه)
(٤٣) أبو أحمد سعيد العسكرى ت سنة ٣٨٢ ه	التصحيف	
(٤٤) أبو حنيفة الدنيورى	الأخبار الطوال	(سنة ١٣٣٠ ه)
(٤٥) أبو محمد المقدسى	الروضتين فى أخبار الدولتين	(سنة ١٢٨٨ ه)
(٤٧) أبو محمد يوسف الكندى	الولاة والقضاة	(سنة ١٩٠٨ ه)
(٤٩) أبو محمد عبدالله البلوى	سيرة أحمد بن طولون	(سنة ١٣٥٨ ه)
(٥٠) أبو الفـــداء	المختصر فى أخبار البشر	(سنة ١٣٢٥ ه)
(٥١) أبو الفرج الأصفهانى	الأغانى	(دار الكتب)
(٥٢) أبو يحيى زكريا القزوينى	آثار البلاد وأخبار العباد	(سنة ١٨٤٨ م)
(٥٣) أحمد تيمور باشا	الآثار النبويه	(١٣٤٨ ه)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٥٤) أحمد رمزى	القاموس الجغرافى	(دار الكتب)
(٥٥) أحمد فكرى	المدخل للعمارة الإسلامية	(دار المعارف)
(٥٦) أحمد فكرى	العمارة الفاطميه	(دار المعارف)
(٥٧) ابراهيم رفعت	مرآة الحرمين	

(ب)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٥٨) بدر الدين الحسينى	عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان	(سنة ١٨٦٦ م)
(٥٩) البلاذرى	فتوح البلدان	(سنة ١٣١٦ هـ)
(٦٠) البيهقى	المحاسن والمساوىء	(سنة ١٣١٦ هـ)
(٦١) البيهقى	السنن الكبرى	(الهند سنة ١٣١٦ هـ)

(ت)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٦٢) تقى الدين المقريزى	إغاثة الأمة بكشف الغمه	(نشر زياده والشيامل)
(٦٣) تقى الدين المقريزى	البيان والاعراب	(سنة ١٩١٦ م)
(٦٤) تقى الدين المقريزى	الخطط والآثار	(بولاق سنة ١٢٧٠ هـ)
(٦٥) تقى الدين المقريزى	اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفا	(سنة ١٩٠٩ م)
(٦٦) تقى الدين المقريزى	السلوك لمعرفة دول الملوك	(نشر زياده)
(٦٧) تاج الدين عبد الوهاب السبكى	طبقات الشافعية	(سنة ١٣٢٤ هـ)

(ح)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٦٨) حسن ابراهيم حسن	تاريخ الإسلام السياسى ٤ أجزاء	
(٦٩) حسن ابراهيم حسن	تاريخ الدولة الفاطمية	(سنة ١٩٦٤ م)
(٧٠) حسن عبد الوهاب	تاريخ المساجد الأثرية	(دار الكتب سنة ٦٤)
(٧١) الحسن عبد الله	آثار الدول فى ترتيب الدول	(بولاق سنة ١٢٩٥هـ)

(ز)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٧٢) زكى محمد حسن	فنون الإسلام	(سنة ١٩٤٨ م)

(س)

المؤلف	الكتاب	النشر
(٧٣) سعاد ماهر	مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى	(سنة ١٣٨٥ هـ)
(٧٤) سعاد ماهر	الحصير فى الفن الإسلامى	(سنة ١٩٦٠)

(٧٥) سعاد ماهر — محافظات الجمهورية العربية فى العصر الإسلامى — (سنة ١٣٨٦ هـ)

(٧٧) سعاد ماهر — شواهد القبور بجبانة امسوان (تحت الطبع « — (مع آخرين)

(٧٨) سبط الجوزى — مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان — (سنة ١٩٠٧ م)

(٧٩) السمنهودى — وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى — (سنة ١٣٢٦ هـ)

(٨٠) السيوطى — حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة — (دار المعارف سنة ٧٠)

(ش)

(٨١) الشبشتى — الديارات — (نشر كوركيس عواد)

(٨٥) شهاب الدين أحمد النويرى — نهاية الدرب فى فنون الأدب — (دار الكتب)

(٨٣) شمس الدين محمد السخاوى — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — (سنة ١٣٥٤ هـ)

(٨٤) الشهرستانى — الملل والنحل — (طبعة الأنجلو)

(ط)

(٨٥) الطقطقى — الفخرى فى الآداب السلطانيه — (سنة ١٣١٧ هـ)

(ع)

(٨٥) عبد الوهاب الشعرانى — الطبقات الكبرى — (سنة ١٢٧٦ هـ)

(٨٦) عبد الوهاب الشعرانى — « الصغرى

(٨٧) عبد الرحمن الجبرتى — عجائب الآثار فى التراجم والأخبار — (بولاق سنة ١٢٩٧ هـ)

(٨٨) عبد الرؤوف المناوى — الكواكب الدريه فى تراجم الساده الصوفيه — (٣٥٧هـ—١٩٣٨م)

(٨٩) عبد الرحمن السخاوى — التبر المسبوك فى ذيل السلوك — (سنة ١٨٩٦ م)

(٩٠) عبد الله أحمد الأسوانى النوبه

(٩١) عمر بن محمد الكندى — فضائل مصر المحروسة

(٩٢) على مبارك — الخطط التوفيقية — (بولاق سنة ١٣٠٥ هـ)

(٩٣) عبد الغنى البابلسى — الحقيقة والمجاز — (مخطوطه)

(٩٤) العقاد — عمرو بن العاص — (مطبعة دار العروبة)

(غ)

(٩٥) غرس الدين خليل بن شاهين — زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك — (سنة ١٨٩٤ م)

(ق)

٩٦) القزوينى — آثار البلاد وأخبار العباد

٩٧) القضاعى — عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف

٩٨) القلقشندى — صبح الأعشى (بولاق سنة ١٩١٤)

(ك)

٩٩) كمال الدين الادفوى — الطالع السعيد (سنة ١٩١٤ م)

(م)

١٠٠) محى الدين الخطيب — الأزهر (سنة ١٣٤٥ ﻫ)

١٠١) محمد الصبان — اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين (سنة ١٢٩٠ ﻫ)

١٠٢) محمد توفيق البكرى — بيت السادات الوفائية (سنة ١٣٣٦ ﻫ)

١٠٣) محمد كامل حسين — أدب مصر الفاطمية (ألف كتاب)

١٠٤) محمد بن عبد الله الزركشى — أعلام الساجد بأحكام المساجد (المجلس الأعلى سنة ١٣٨٥)

١٠٥) محمد أحمد — جامع عمرو بن العاص (بولاق سنة ١٩٣٨)

١٠٦) محمد عبد الحى الكنوى — الفوائد البهية فى تراجم الحنفية (سنة ١٣٢٤ ﻫ)

١٠٧) محمود عكوش — تاريخ الجامع الطولونى (سنة ١٩٢٧ م)

١٠٨) محمود البيلاوى — التاريخ الحسينى (سنة ١٣٢٤ ﻫ)

١٠٩) المقدسى — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (١٩٠٩ م)

١١٠) المسعودى — التنبيه والإشراف (١٨٩٣ م)

١١١) المسعودى — مروج الذهب (بولاق ١٢٨٣ ﻫ)

١١٢) ناصر خسرو — سفرنامه (تعريب يحيى الخشاب)

١١٣) نعوم شقير — تاريخ سيناء (سنة ١٩١٦ م)

(ى)

(١٤) ياقوت الحموى — مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنه والبقاع (سنة ١٨٧٩ م)

١١٥) اليعقوبى — تاريخ اليعقوبى (سنة ١٣٥٨ ﻫ)

١١٦) اليعقوبى — البلدان (سنة ١٨٩٢ م)

١١٧) يعقوب بن ابراهيم — كتاب الخراج (سنة ١٩٠٢ م)

REFRENCES

1. **Abu Saleh :** Churehes and Monasteries of Egypt. (Oxford 1895)
2. **Ahmed Fakhry :** The Oasis of Siswa(Cairo).
3. **Ahmed Fakhry :** The Necropolis of El-Bagawat in Kharga Oasis (Cairo).
4. **Butler :** Churches of Egypt.
5. **Butler :** Ancient Coptic churehes. (1884)
6. **Creswell :** Early Muslim Arehitecture, vol. I & II (Oxford).
7. **Creswell :** Muslim Architecture of Egypt (Oxford).
8. **Cost Pascal :** Architecture Arabe ou Monuments du Kaire (Paris 1839).
9. **David Weill :** Bois à epigraphes jusqu'à l'epoque Mamlouk.
10. **Devonshire :** La Mosquée de d'Amru (B.I.F.Tome XXXII 1931).
11. **Devonshire :** L'Egypt Musulmane et les founelateurs des ses mounments (Paris 1926).
12. **Dimand :** A Handbook of Muhammedan art (second edit. 1946).
13. **Dimand :** Studies in Islamic ornaments (Ars Islamica vol. IV).
14. **Hautecaur et Wiet :** Les mosquées du Caire (vol. I & II 1932).
15. **G.Wiet :** Deux inscriptions cofigues de Qous (Bulletin I.E. vol. XVII 1935 & 36).
16. **G.Wiet :** L'Egypte Arabe (Paris 1937).
17. **Gnohman A. :** Arabic Papri in the Egptian Library (Cairo 1932).
18. **Gouthier Henri :** Les nomes d'Egypt depuis Herodote jusqu'à la Conquete Arabe (Caire 1935).
19. **Lane-Poole :** Egypt in the Middle Ages.
20. **Lounme :** Fatimid wood work (B.I.E. XVIII 1935-36).
20. **Mayer :** Islamic wood carver and their work. (Albert, Geneva 1958).
21. **Monneret de Villard :** La Neeropli Musuluman di Aswan (Le Caire 1930).
22. **Pauty :** Le minbar de Qous (1940).
23. **Prisse D'avennes :** L'art. Arabe Atlas.
24. **Van Bereham :** Materiaux Pour un Corpus Itnscriptionum Arabicarum (M.M.A.F. du Caire).
25. Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe.
26. Encyelopaedia of Islam.

فهرس الأشكال

فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(ت)

(ج)

(ز)

(س)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأماكن والبقاع

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« ع »

فهرس اللـوحات

لوحه (٢٩) الضريح المنسوب لسيدى عبد الله بن عمرو بن العاص .

لوحه (٣٠) الواجهة الشمالية لجامع سيدى شبل الأسود .

لوحه (٣١) القبة القديمة الفاطمية لسيدى شبل الأسود .

لوحه (٣٢) مئذنة جامع سيدى شبل الأسود .

لوحه (٣٣) ضريح سيدى شبل الأسود .

لوحه (٣٤) محراب ومنبر سيدى شبل الأسود .

لوحه (٣٥) مئذنة سيدى عقبة تعلو المدخل الرئيسى .

لوحه (٣٦) المدخل الرئيسى وخلفه القبة التى تعلو ضريح سيدى عقبة .

لوحه (٣٧) ضريح سيدى عقبه بن عامر الجهنى .

لوحه (٣٨) الواجهة الغربية لجامع السيدة زينب .

لوحه (٣٩) مئذنة جامع السيدة زينب .

لوحه (٤٠) الواجهة الشمالية لجامع السيدة زينب .

لوحه (٤١) مئذنة وقبة السيدة زينب .

لوحة (٤٢) مقصورة السيدة زينب .

لوحه (٤٣) الرواق الفاصل بين الجامع القديم والإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب .

لوحه (٤٤) منبر ومحراب جامع السيدة زينب القديم .

لوحه (٤٥) محراب الإضافة الجديدة بجامع السيدة زينب .

لوحه (٤٦) سقف المنور(الشخشيخة) بجامع السيدة زينب وقد زخرف بالرسوم الزيتية .

لوحه (٤٧) القبة وما يحيط بها من مقرنصات فى أركانها بجامع السيدة زينب .

لوحه (٤٨) القبة وما تحويه من زخارف ورسوم فى الجزء المضاف بجامع السيدة زينب

لوحه (٤٩) نافذة مملوءة بالزجاج المعشق بالجص والمتعدد الألوان بجامع السيدة زينب .

لوحه (٥٠) سقف أروقة جامع السيدة زينب .

لوحه (٥١) الواجهة الجنوبية لجامع السيدة سكينة يعلوها المئذنة .

لوحه (٥٢) مئذنة وقبة جامع السيدة سكينة .

لوحه (٥٣) محراب السيدة سكينة .

لوحه (٥٤) باب مقصورة السيدة سكينة .

لوحه (٥٥) مقصورة السيده سكينة .

لوحه (٥٦) الجزء العلوى من مقصورة السيدة سكينة .

لوحه (٥٧) مشهد الإمام زيد بن زين العابدين .

لوحه (٥٨) قبة ومئذنة مشهد زين بن زين العابدين .

لوحه (٥٩) قبة مسجد التبر من الداخل .

لوحه (٦٠) الواجهة الجنوبية لمسجد التبر حيث يوجد المدخل الرئيسى .

لوحه (٦١) مدخل مسجد السيدة رابعة العدوية .

لوحه (٦٢) مسجد السيدة رابعة العدوية من الداخل .

لوحه (٦٣) محراب ومقصورة السيدة رابعة العدوية .

لوحه (٦٤) الواجهة الرئيسية لجامع السيدة نفيسة بالضلع الغربى .

لوحه (٦٥) الباب الخارجى القديم لمسجد السيدة نفيسة .

لوحه (٦٦) الباب الذى يوجد فى نهاية الردهة المؤدية إلى ضريح السيدة نفيسة .

لوحه (٦٧) باب ضريح السيدة نفيسة .

لوحه (٦٨) باب ثان لضريح السيدة نفيسة .

لوحه (٦٩) مقصورة السيدة نفيسة .

لوحه (٧٠) محراب جامع السيدة نفيسة .

لوحه (٧١) جزء من خشب الخرط الذى كان يملأ مقصورة السيدة نفيسة .

لوحه (٧٢) شاهد قبر المتصوف المصرى ذى النون المصرى .

لوحه (٧٣) شاهد قبر خادم مسجد وضريح ذى النون المصرى فى القرن (٧) هـ .

لوحه (٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦) أجزاء مفصلة من شاهد قبر ذى النون المصرى .

لوحه (٧٧) حى جامع ابن طولون .

لوحه (٧٨) مئذنة جامع ابن طولون .

لوحه (٧٩) جامع ابن طولون يتوسط مدينة القطائع .

لوحه (٨٠) زواق القبلة لجامع ابن طولون وقد ظهر به المنبر والمحراب

لوحه (٨١) اللوحة التأسيسية لجامع ابن طولون .

لوحه (٨٢) محراب الخليفة المستنصر ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بجامع ابن طولون

لوحه (٨٣) تفاصيل منبر جامع ابن طولون .

لوحه (٨٤) بعض الأشرطة الكتابية التى تحيط بجامع ابن طولون .

لوحه (٨٥) أحد أروقة قبلة جامع ابن طولون .

لوحه (٨٦) تفاصيل لإحدى نوافذ جامع أحمد ابن طولون .

لوحه (٨٧) تفاصيل للزخارف الجصية بجامع ابن طولون .

لوحه (٨٨) مئذنة جامع ابن طولون فى الزيادة الغربية .

لوحه (٨٩) عقود مجاز جامع الأزهر .

لوحه (٩٠) التجويف الداخلى لمحراب المعز لدين الله الفاطمى .

لوحه (٩١) الباب الرئيسى لجامع الأزهر فى الواجهة الغربية وهو المعروف باسم (باب المزينين) .

لوحه (٩٢) الرواق الغربى لجامع الأزهر وتعلوه مئذنتا قايتباى والغورى .

لوحه (٩٣) سطح الجامع الأزهر تعلوه القباب والمآذن .

لوحه (٩٤) باب السلطان قايتباى فى الضلع الغربى الداخلى لجامع الأزهر .

لوحه (٩٥) الرواق الغربى للجامع الأزهر .

لوحه (٩٦) صحن الجامع الأزهر .

لوحه (٩٧) محراب المدرسة الأقبغاوية بالجامع الأزهر .

لوحه (٩٨) قبة المدرسة الأقبغاوية .

لوحه (٩٩) القبة التى تعلو مجاز الجامع الأزهر .

لوحه (١٠٠) مقدم المجاز من الداخل .

لوحه (١٠١) قبة المدرسة الجوهرية بالجامع الأزهر .

لوحه (١٠٢) المجاز الذى يقسم رواق القبلة إلى تصفين .

لوحه (١٠٣) محراب الجامع الأزهر القديم .

لوحه (١٠٤) رواق القبلة بالجامع الأزهر .

لوحه (١٠٥) محراب الزيادة التى أضافها عبد الرحمن كتخدا فى الجامع الأزهر .

لوحه (١٠٦) محراب الدردير بالجامع الأزهر .

لوحه (١٠٧) داخل مدرسة جوهر القنبقائى بالأزهر .

لوحه (١٠٨) تفاصيل مئذنة قايتباى بالجامع الأزهر .

لوحه (١٠٩) لوح من الرخام نقش عليه المرسوم الذى أصدره الملك الظاهر برقوق .

لوحه (١١٠) ضريح السبع بنات .

لوحه (١١١) تفاصيل من مشهد السبع بنات .

لوحه (١١٢) واجهة رواق القبلة بجامع الحاكم بأمر الله .

لوحه (١١٣) جزء من المبانى التى أقامها عمر مكرم .

لوحه (١١٤) القبة التى توجد عند نهاية المجاز وأمام محراب الجامع الحاكمى .

لوحه (١١٥) القبة تتوسط الرواق الأول بإيوان القبلة بجامع الحاكم .

لوحه (١١٦) مئذنة جامع الحاكم الغربية .

لوحه (١١٧) إحدى بوائك إيوان القبلة بجامع الحاكم

لوحه (١١٨) الزخارف الكتابية التى تعلو البوائك بجامع الحاكم .

لوحه (١١٩) مئذنة جامع الحاكم الشمالية .

لوحه (١٢٠، ١٢١) زخارف محصورة داخل جامات تزخرف قاعدة المئذنة الشمالية الغربية .

لوحه (١٢٢) المئذنة الجنوبية الغربية لجامع الحاكم .

لوحه (١٢٣) منظر عام يبين مسجد التوبة بسفح الجبل الشرقى بقرية بوصير مركز الصف .

لوحه (١٢٤) محراب مسجد التوبة الفاطمى .

لوحه (١٢٥) مسجد التوبة المجدد

لوحه (١٢٦) مسجدسوهاج العتيق المعروف بالجامع العمرى .

لوحه (١٢٧ ، ١٢٨) مناظر عامة تبين الواحات الخارجية بمحافظة الوادى الجديد

لوحه (١٢٩ ، ١٣٠) تبين المبانى الباقية من الجامع العمرى

لوحه (١٣١) مجموعة من القباب الفاطمية فى جبانة أسوان القديمة .

لوحه (١٣٢) ضريح بجبانة أسوان يبين أول محاولة لإقامة القباب فى العصر الفاطمى .

لوحه (١٣٣) بقايا مسجد الباب البحرى ومئذنته ببلاد النوبة بمحافظة أسوان

لوحه (١٣٤) مسجد الباب الغربى ومئذنته ببلاد النوبة بأسوان وهو المعروف باسم مسجد بلال .

لوحه (١٣٥) مسجد بلال ومئذنته بعد إقامة السد العالى بأسوان .

لوحه (١٣٦) مسجد الجيوشى على سفح جبل المقطم وبجانبه كهف السودان .

لوحه (١٣٧) جبل المقطم يشرف عليه مسجد الجيوشى .

لوحه (١٣٨) قبة ومئذنة مسجد الجيوشى .

لوحه (١٣٩) مئذنة الجيوشى .

لوحه (١٤٠) تفاصيل قبة جامع الجيوشى .

لوحه (١٤١) جامع الشيخ عطية عز الدين بن يحى المعروف بابى الريش بمدينة دمنهور .

لوحه (١٤٢) جامع أبو الفضل الوزيرى بالمحله الكبرى

لوحه (١٤٣) المدخل الرئيسى لجامع (أبو الفضل الوزيرى) بالواجهة الشمالية .

لوحه (١٤٤) محراب مسجد أبو الفضل الوزيرى .

لوحه (١٤٥) القبة التى تتوسط جامع (أبو الفضل الوزيرى) .

لوحه (١٤٦) الواجهة الجنوبية لجامع الرفاعى .

لوحه (١٤٧) جامع الرفاعى بميدان صلاح الدين بالقلعة .

لوحه (١٤٨) مئذنتا جامع الرفاعى .

لوحه (١٤٩) جامع الرفاعى .

لوحه (١٥٠) محراب ومنبر جامع الرفاعى .

لوحه (١٥١) واجهة مسجد سيدى الطرطوشى بحى الباب الأخضر بالاسكندرية .

لوحه (١٥٢) جامع الأمير زياد بالمنيا .

لوحه (١٥٣) محراب ومنبر جامع الأمير زياد

لوحه (١٥٤) عامود من الرخام عليه اسم الأمير زياد .

لوحه (١٥٥) لوحه تذكارية نقش عليها اسم الأمير زياد والسلطان قايتباى.

لوحه (١٥٦) مقصورة جامع سيدى بشر بالاسكندرية

لوحه (١٥٧) واجهة جامع سيدى جابر الرئيسية بالاسكندرية .

لوحه (١٥٨) مقصورة سيدى جابر .

لوحه (١٥٩) جامع سيدى جابر من الداخل .

لوحه (١٦٠) الواجهة الرئيسية لجامع الأقمر بالنحاسين بالقاهرة .

لوحه (١٦١) حنيه مقصصة تعلو المدخل الرئيسى لجامع الأقمر

لوحه (١٦٢) واجهة رواق القبلة بجامع الأقمر .

لوحه (١٦٣) سقف أروقة جامع الأقمر وهو عبارة عن مجموعة من القباب الضحلة .

لوحه (١٦٤) شطفة فى الركن الشمالى الغربى لجامع الأقمر .

لوحه (١٦٥) مقرنص فى الشطفة السابقة كتب فيها (إن الله مع محمد وعلى) .

لوحه (١٦٦) محراب الجامع الأقمر .

لوحه (١٦٧) دولاب حائط فى جامع الأقمر .

لوحه (١٦٨) واجهة جامع الفكهانى (الأفخر) بالغورية .

لوحه (١٦٩) المدخل الرئيسى لجامع الفكهانى فى الجهة الغربية .

لوحه (١٧٠) الجامع الأفخر من الداخل .

لوحه (١٧١) المنور الذى يتوسط صحن جامع الأفخر .

لوحه (١٧٢) محراب جامع الأفخر .

لوحه (١٧٣) مصراع الباب الخشبى لجامع الأفخر .

لوحه (١٧٤) الواجهة الجنوبية لجامع سيدنا الحسين .

لوحه (١٧٥) مئذنة جامع سيدنا الحسين القديمة تعلو الباب الأخضر .

لوحه (١٧٦) مشكاتان موجودتان بمسجد سيدنا الحسين اسم السلطان سعيد حقمق .

لوحه (١٧٧) محراب قبة سيدنا الحسين .

لوحه (١٧٨) مقصورة سيدنا الحسين الفضية .

لوحه (١٧٩) باب غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم بجامع الحسين .

لوحه (١٨٠) قبة سيدنا الحسين وقد بدى فى أركانها المقرنصات .

لوحه (١٨١) جانب من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٨٢) جزء من تابوت سيدنا الحسين الخشبى .

لوحه (١٨٣) الجانب الشرقى من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٨٤) جانب رابع من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٨٥) جانب خامس من غرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٨٦) صفحة من مصحف الإمام على الموجود بغرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٨٧) صفحة من مصحف الإمام على .

لوحه (١٨٨) صفحة ثانية من مصحف الإمام على .

لوحه (١٨٩) الصفحة الأولى من مصحف الإمام على .

لوحه (١٩٠) جلدة مصحف سيدنا عثمان الموجودة بغرفة مخلفات الرسول صلى الله عليه وسلم .

لوحه (١٩١) صفحة من مصحف سيدنا عثمان .

لوحه (١٩٢) الجامع العمرى بقوص

لوحه (١٩٣) محراب الجامع العمرى بقوص ويرجع إلى العصر المملوكى .

لوحه (١٩٤) ظهر جلسة منبر الجامع العمرى بقوص ويرجع إلى العصر الفاطمى .

لوحه (١٩٥) جزء من جانب (ريشة) منبر جامع قوص ويرجع إلى العصر الفاطمى .

لوحه (١٩٦) اللوحه التأسيسية لجامع قوص مؤرخه سنة ٣٧٠ هـ .

لوحه (١٩٧) لوحة أخرى بجامع قوص مؤرخة سنة ٥٦٨هـ عليها اسم على بن نصر بن منقذ .

لوحه (١٩٨) قبة بجامع قوص ترجع إلى العصر الفاطمى .

لوحه (١٩٩) القبة من الداخل ونرى بها المقرنصات و منطقة الانتقال .

لوحه (٢٠٠) المدخل الرئيسى لجامع إسنا العتيق .

لوحه (٢٠١) أروقة جامع إسنا .

لوحه (٢٠٢) محراب جامع إسنا وقد زخرف بالطوب (المنجور) .

لوحه (٢٠٣) الواجهة الرئيسية لجامع الصالح طلائع .

لوحه (٢٠٤) صحن جامع الصالح طلائع تحيط به الأروقة .

لوحه (٢٠٥) واجهة إيوان القبلة بجامع الصالح طلائع .

لوحه (٢٠٦) الأشرطة الكتابية تحيط بعقود أروقة جامع الصالح طلائع .

لوحه (٢٠٧) محراب جامع الصالح طلائع .

لوحه (٢٠٨) مصراعا باب جامع الصالح طلائع .

لوحه (٢٠٩) مآذن مساجد مصر وقباب أضرحة أوليائها الصالحين .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة